



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



ارسلنا  
عليكم يا صابغ  
الرماد

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

# الأمم

في تفسيرين كما جلا الله المنزلة

العلامة الفقيه المفسر

الشيخ كاظم حكايم الشيرازي

١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الامثل فى تفسير كتاب الله المنزل

كاتب:

آيت الله ناصر مكارم شيرازى

نشرت فى الطباعة:

مدرسه الامام على بن ابي طالب ( عليه السلام )

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

٥	الفهرس
٢٨	الامثل فى تفسير كتاب الله المنزل المجلد ١٥
٢٨	اشاره
٢٩	اشاره
٣٣	سوره الزمر
٣٣	اشاره
٣٣	محتوى سوره الزمر:
٣٤	فضيله سوره الزمر:
٣٦	الآيات [سوره الزمر (٣٩): الآيات ١ الى ٣]
٣٦	اشاره
٣٦	التفسير
٣٦	اشاره
٣٦	عليك الإخلاص فى الدين!
٤٢	ملاحظه
٤٢	اشاره
٤٢	الفرق بين التنزيل و الإنزال:
٤٥	الآيتان [سوره الزمر (٣٩): الآيات ٤ الى ٥]
٤٥	اشاره
٤٥	التفسير
٤٥	اشاره
٤٥	ما حاجه الله إلى الأولاد؟
٥٠	الآيتان [سوره الزمر (٣٩): الآيات ٦ الى ٧]
٥٠	اشاره
٥٠	التفسير

٥٠ ..... اشاره

٥٠ ..... الجميع مخلوقون من نفس واحده:

٥٨ ..... الأيتان [سوره الزمر (٣٩): الآيات ٨ الى ٩]

٥٨ ..... اشاره

٥٨ ..... التفسير

٥٨ ..... اشاره

٥٨ ..... هل العلماء و الجهله متساوون؟

٦٣ ..... ملاحظه

٦٦ ..... الآيات [سوره الزمر (٣٩): الآيات ١٠ الى ١٦]

٦٦ ..... اشاره

٦٦ ..... التفسير

٦٦ ..... اشاره

٦٦ ..... الخطوط الرئيسه لمناهج العباد المخلصين:

٧٣ ..... ملاحظات

٧٣ ..... اشاره

٧٣ ..... ١- حقيقه الخسران!

٧٤ ..... ٢- ما هو المراد من الآيه: فَأَعْبُدُوا مَا بَنَيْتُمْ

٧٤ ..... ٣- من هم الأهل؟

٧٦ ..... الآيات [سوره الزمر (٣٩): الآيات ١٧ الى ٢٠]

٧٦ ..... اشاره

٧٦ ..... التفسير

٧٦ ..... اشاره

٧٦ ..... عباد الله الحقيقيون:

٨٠ ..... بحوث

٨٠ ..... اشاره

٨٠ ..... ١- منطق حريه التفكير في الإسلام

- ٨١ - الرّد على بعض الأسئلة .....
- ٨٣ - نماذج من الروايات الإسلاميّة التي تؤكد على حريّة التفكير .....
- ٨٣ - سبب النزول .....
- ٨٥ - الأيتان [سورة الزمر (٣٩): الآيات ٢١ إلى ٢٢] .....
- ٨٥ - اشاره .....
- ٨٥ - التفسير .....
- ٨٥ - اشاره .....
- ٨٥ - الذين هم على مركب من نور!! .....
- ٨٩ - بحث .....
- ٨٩ - اشاره .....
- ٨٩ - عوامل (شرح الصدر) و(قسوه القلب) .....
- ٩٢ - الآيات [سورة الزمر (٣٩): الآيات ٢٣ إلى ٢٤] .....
- ٩٢ - اشاره .....
- ٩٢ - سبب النزول .....
- ٩٣ - التفسير .....
- ٩٣ - اشاره .....
- ٩٣ - أما الخاصية الأولى فهي كِتَاباً مُشْتَابِهاً .....
- ٩٤ - أما الخاصية الثانيه فهي مَثَانِي - أي المكرر .....
- ٩٤ - أما الخاصية الثالثه فهي تقشعر منه الجلود .....
- ٩٨ - بحث .....
- ١٠٠ - الآيات [سورة الزمر (٣٩): الآيات ٢٧ إلى ٣١] .....
- ١٠٠ - اشاره .....
- ١٠٠ - التفسير .....
- ١٠٠ - اشاره .....
- ١٠٠ - قرآن لا عوج فيه: .....
- ١٠٨ - الآيات [سورة الزمر (٣٩): الآيات ٣٢ إلى ٣٥] .....

١٠٨ ..... اشارة

١٠٨ ..... التفسير

١٠٨ ..... اشارة

١٠٨ ..... أولئك الذين يصدقون كلام الله:

١١٢ ..... مسأله:

١١٤ ..... الأيتان [سوره الزمر (٣٩): الآيات ٣٦ الى ٣٧]

١١٤ ..... اشارة

١١٤ ..... سبب النزول

١١٥ ..... التفسير

١١٥ ..... اشارة

١١٥ ..... إن الله كاف!

١١٧ ..... بحثان

١١٧ ..... اشارة

١١٧ ..... ١- الهدايه و الإضلال من الله:

١٢٣ ..... ٢- الاتكال على لطف الله

١٢٥ ..... الآيات [سوره الزمر (٣٩): الآيات ٣٨ الى ٤٠]

١٢٥ ..... اشارة

١٢٥ ..... التفسير

١٢٥ ..... اشارة

١٢٥ ..... هل إن ألهمتكم قادره على حل مشاكلكم؟

١٢٩ ..... الآيات [سوره الزمر (٣٩): الآيات ٤١ الى ٤٤]

١٢٩ ..... اشارة

١٢٩ ..... التفسير

١٢٩ ..... اشارة

١٢٩ ..... الله سبحانه يتوفى الأنفس:

١٣٤ ..... ملاحظتان



١٣٤ ..... اشارة

١٣٤ ..... ١-عجائب عالم الرؤيا؟

١٣٥ ..... ٢-النوم كما ورد فى الروايات الإسلاميه:

١٣٧ ..... الآيات [سوره الزمر (٣٩): الآيات ٤٥ الى ٤٨] .....

١٣٧ ..... اشارة

١٣٧ ..... التفسير

١٣٧ ..... اشارة

١٣٧ ..... الذين يخافون من اسم الله!

١٤١ ..... الآيات [سوره الزمر (٣٩): الآيات ٤٩ الى ٥٢] .....

١٤١ ..... اشارة

١٤١ ..... التفسير

١٤١ ..... اشارة

١٤١ ..... فى الشدائد يذكرون الله،و لكن.....

١٤٦ ..... الآيات [سوره الزمر (٣٩): الآيات ٥٣ الى ٥٥] .....

١٤٦ ..... اشارة

١٤٦ ..... التفسير

١٤٦ ..... اشارة

١٤٦ ..... إِنَّ اللَّهَ يَغْفِر الذنوب جميعا عليهم السلام

١٥١ ..... بحثان

١٥١ ..... اشارة

١٥١ ..... ١-باب التوبه مفتوح للجميع

١٥٢ ..... ٢-اصحاب الأحمال الثقيله

١٥٦ ..... الآيات [سوره الزمر (٣٩): الآيات ٥٦ الى ٥٩] .....

١٥٦ ..... اشارة

١٥٦ ..... التفسير

١٥٦ ..... اشارة

الندم لا ينفع في ذلك اليوم: ..... ١٥٦

ملاحظتان ..... ١٦٠

اشاره ..... ١٦٠

١-التفريط في جنب الله ..... ١٦٠

٢-على أعتاب الموت أو القيامة؟ ..... ١٦١

الآيات [سوره الزمر (٣٩): الآيات ٦٠ الى ٦٤] ..... ١٦٢

اشاره ..... ١٦٢

التفسير ..... ١٦٢

اشاره ..... ١٦٢

الله خالق كل شيء و حافظه: ..... ١٦٢

الآيات [سوره الزمر (٣٩): الآيات ٦٥ الى ٦٧] ..... ١٧٠

اشاره ..... ١٧٠

التفسير ..... ١٧٠

اشاره ..... ١٧٠

الشرك محبط للأعمال: ..... ١٧٠

ملاحظتان ..... ١٧٥

اشاره ..... ١٧٥

١-مسأله إحياء الأعمال ..... ١٧٥

٢-هل عرف المؤمنون الله؟ ..... ١٧٥

الآيه [سوره الزمر (٣٩): آيه ٦٨] ..... ١٧٧

اشاره ..... ١٧٧

التفسير ..... ١٧٧

اشاره ..... ١٧٧

(النفخ في الصور)و موت و إحياء جميع العباد: ..... ١٧٧

بحوث ..... ١٨٠

اشاره ..... ١٨٠

١- هل أنّ النفخ في الصور يتم مرتين، أو أكثر؟ ..... ١٨٠

٢- ما هو صور إسرافيل: ..... ١٨١

٣- من هم المستثنون؟ ..... ١٨٣

٤- فجائيه النفختين: ..... ١٨٤

٥- ما هي الفاصله الزمنيه بين النفختين؟ ..... ١٨٤

الآياتان [سوره الزمر (٣٩): الآيات ٦٩ الى ٧٠] ..... ١٨٦

اشاره ..... ١٨٦

التفسير ..... ١٨٦

اشاره ..... ١٨٦

ذلك اليوم الذي تشرق الأرض بنور ربها: ..... ١٨٦

الآياتان [سوره الزمر (٣٩): الآيات ٧١ الى ٧٢] ..... ١٩١

اشاره ..... ١٩١

التفسير ..... ١٩١

اشاره ..... ١٩١

الذين يدخلون جهنم زمرا: ..... ١٩١

الآيات [سوره الزمر (٣٩): الآيات ٧٣ الى ٧٥] ..... ١٩٥

اشاره ..... ١٩٥

التفسير ..... ١٩٥

اشاره ..... ١٩٥

المتقون يدخلون الجنة أفواجا!!! ..... ١٩٥

سوره المؤمن ..... ٢٠٠

اشاره ..... ٢٠٠

نظره مختصره في محتوى السوره: ..... ٢٠٢

فضيله تلاوه السوره: ..... ٢٠٤

الآيات [سوره غافر (٤٠): الآيات ١ الى ٣] ..... ٢٠٧

اشاره ..... ٢٠٧

- ٢٠٧ ..... التفسير
- ٢٠٧ ..... اشاره
- ٢٠٧ ..... صفات تبعث الأمل في النفوس:
- ٢٠٨ ..... عن الامام الصادق عليه السلام
- ٢٠٩ ..... ملاحظات
- ٢١٢ ..... الآيات [سوره غافر (٤٠): الآيات ٤ الى ٦]
- ٢١٢ ..... اشاره
- ٢١٢ ..... التفسير
- ٢١٢ ..... اشاره
- ٢١٢ ..... الأمر الإلهي الحاسم:
- ٢١٦ ..... بحثان
- ٢١٦ ..... اشاره
- ٢١٦ ..... أولاً: استعراض الكفار لقواهم الظاهريه
- ٢١٧ ..... ثانياً: المجادله في القرآن الكريم
- ٢١٨ ..... أ- مفهوم «جدال» و«مراء»
- ٢١٩ ..... ب: الجدال السلبي و الإيجابي
- ٢٢١ ..... ج: الآثار السيئه للجدال السلبي
- ٢٢٣ ..... د: أسلوب المجادله بالتى هى أحسن:
- ٢٢٦ ..... الآيات [سوره غافر (٤٠): الآيات ٧ الى ٩]
- ٢٢٦ ..... اشاره
- ٢٢٦ ..... التفسير
- ٢٢٦ ..... اشاره
- ٢٢٦ ..... دعاء حملة المستمر للمؤمنين:
- ٢٢٩ ..... بحوث
- ٢٢٩ ..... اشاره
- ٢٢٩ ..... أولاً: الأدعيه الأربعة لحملة العرش

٢٣٠ ..... ثانياً: آداب الدعاء .....

٢٣٠ ..... ثالثاً: لماذا تبدأ الأدعية بكلمه «رتنا»؟ .....

٢٣١ ..... رابعاً: ما هو العرش الإلهي؟ .....

٢٣٦ ..... الآيات [سوره غافر (٤٠): الآيات ١٠ الى ١٢]

٢٣٦ ..... اشاره .....

٢٣٦ ..... التفسير .....

٢٣٦ ..... اشاره .....

٢٣٦ ..... اعترفنا بذنوبنا فهل من خلاص؟ .....

٢٤٣ ..... ملاحظه .....

٢٤٣ ..... اشاره .....

٢٤٣ ..... الدعاء البعيد عن الإجابة! .....

٢٤٥ ..... الآيات [سوره غافر (٤٠): الآيات ١٣ الى ١٥]

٢٤٥ ..... اشاره .....

٢٤٥ ..... التفسير .....

٢٤٥ ..... اشاره .....

٢٤٥ ..... ادع الله وحده رغماً على الكافرين: .....

٢٥٢ ..... الآيات [سوره غافر (٤٠): الآيات ١٦ الى ١٧]

٢٥٢ ..... اشاره .....

٢٥٢ ..... التفسير .....

٢٥٢ ..... اشاره .....

٢٥٢ ..... يوم التلاقى! .....

٢٥٨ ..... الآيات [سوره غافر (٤٠): الآيات ١٨ الى ٢٠]

٢٥٨ ..... اشاره .....

٢٥٨ ..... التفسير .....

٢٥٨ ..... اشاره .....

٢٥٨ ..... يوم تبلغ القلوب الحناجر: .....

الآيات [سوره غافر (٤٠): الآيات ٢١ الى ٢٢] ..... ٢٦٤

اشاره ..... ٢٦٤

التفسير ..... ٢٦٤

اشاره ..... ٢٦٤

اعتبروا بعاقبه أسلافكم الظالمين: ..... ٢٦٤

الآيات [سوره غافر (٤٠): الآيات ٢٣ الى ٢٧] ..... ٢٦٧

اشاره ..... ٢٦٧

التفسير ..... ٢٦٧

اشاره ..... ٢٦٧

ذروني أقتل موسى!! ..... ٢٦٧

الآيات [سوره غافر (٤٠): الآيات ٢٨ الى ٢٩] ..... ٢٧٥

اشاره ..... ٢٧٥

التفسير ..... ٢٧٥

اشاره ..... ٢٧٥

أ تقتلون رجلا أن يقول ربي الله! ..... ٢٧٥

بحوث ..... ٢٧٩

اشاره ..... ٢٧٩

أولاً: من هو مؤمن آل فرعون؟ ..... ٢٧٩

ثانياً: التقيه أده مؤثره في الصراع ..... ٢٨٠

ثالثاً: من هم الصديقون؟ ..... ٢٨٢

الآيات [سوره غافر (٤٠): الآيات ٣٠ الى ٣٣] ..... ٢٨٣

اشاره ..... ٢٨٣

التفسير ..... ٢٨٣

اشاره ..... ٢٨٣

التحذير من العاقبه! ..... ٢٨٣

الآيات [سوره غافر (٤٠): الآيات ٣٤ الى ٣٥] ..... ٢٨٧

٢٨٧ ..... اشارة

٢٨٧ ..... التفسير

٢٨٧ ..... اشارة

٢٨٧ ..... عجز المتكبرين عن الإدراك الصحيح!

٢٩١ ..... الأيتان [سوره غافر (٤٠): الآيات ٣٦ الى ٣٧]

٢٩١ ..... اشارة

٢٩١ ..... التفسير

٢٩١ ..... اشارة

٢٩١ ..... أريد أن أطلع إلى إليه موسى!!

٢٩٥ ..... الآيات [سوره غافر (٤٠): الآيات ٣٨ الى ٤٠]

٢٩٥ ..... اشارة

٢٩٥ ..... التفسير

٢٩٥ ..... اشارة

٢٩٥ ..... اتبعون أهدكم سبيل الرشاد:

٢٩٨ ..... الآيات [سوره غافر (٤٠): الآيات ٤١ الى ٤٦]

٢٩٨ ..... اشارة

٢٩٨ ..... التفسير

٢٩٨ ..... اشارة

٢٩٨ ..... الكلام الأخير:

٣٠٣ ..... بحوث

٣٠٣ ..... اشارة

٣٠٣ ..... أولاً: مؤمن آل فرعون و الدرس العظيم في مواجهه الطواغيت

٣٠٤ ..... ثانياً: تفويض الأمور إلى الله

٣٠٥ ..... ثالثاً: عالم البرزخ

٣٠٧ ..... الآيات [سوره غافر (٤٠): الآيات ٤٧ الى ٥٠]

٣٠٧ ..... اشارة

التفسير ..... ٣٠٧

اشاره ..... ٣٠٧

نقاش الضعفاء و المستكبرين في جهنم: ..... ٣٠٧

الآيات [سوره غافر (٤٠): الآيات ٥١ الى ٥٥] ..... ٣١١

اشاره ..... ٣١١

التفسير ..... ٣١١

اشاره ..... ٣١١

الوعد بنصر المؤمنين: ..... ٣١١

سؤال: ..... ٣١٣

سؤال آخر ..... ٣١٥

الآيات [سوره غافر (٤٠): الآيات ٥٦ الى ٥٩] ..... ٣٢٠

اشاره ..... ٣٢٠

التفسير ..... ٣٢٠

اشاره ..... ٣٢٠

ما يستوى الأعمى و البصير! ..... ٣٢٠

ملاحظه ..... ٣٢٥

اشاره ..... ٣٢٥

اليهود المغرورون: ..... ٣٢٥

الآيات [سوره غافر (٤٠): الآيات ٦٠ الى ٦٣] ..... ٣٢٧

اشاره ..... ٣٢٧

التفسير ..... ٣٢٧

اشاره ..... ٣٢٧

ادعوني أستجب لكم: ..... ٣٢٧

أهميه الدعاء و شروط الاستجابه ..... ٣٢٨

موانع استجابه الدعاء ..... ٣٣١

الآيات [سوره غافر (٤٠): الآيات ٦٤ الى ٦٦] ..... ٣٣٦



٣٣٤ ..... اشارة

٣٣٤ ..... التفسير

٣٣٤ ..... اشارة

٣٣٤ ..... ذلكم الله ربكم:

٣٤٢ ..... الأيتان [سوره غافر (٤٠): الآيات ٦٧ الى ٦٨]

٣٤٢ ..... اشارة

٣٤٢ ..... التفسير

٣٤٢ ..... اشارة

٣٤٢ ..... المراحل السبع لخلق الإنسان:

٣٤٧ ..... الآيات [سوره غافر (٤٠): الآيات ٦٩ الى ٧٦]

٣٤٧ ..... اشارة

٣٤٧ ..... التفسير

٣٤٧ ..... اشارة

٣٤٧ ..... عاقبه المعاندين المغرورين:

٣٥٤ ..... الأيتان [سوره غافر (٤٠): الآيات ٧٧ الى ٧٨]

٣٥٤ ..... اشارة

٣٥٤ ..... التفسير

٣٥٤ ..... اشارة

٣٥٤ ..... فاصبر...حتى يأتيك وعد الله:

٣٥٧ ..... ملاحظه في عدد الأنبياء!؟

٣٦٠ ..... الآيات [سوره غافر (٤٠): الآيات ٧٩ الى ٨١]

٣٦٠ ..... اشارة

٣٦٠ ..... التفسير

٣٦٠ ..... اشارة

٣٦٠ ..... منافع الأنعام المختلفه:

٣٦٤ ..... الآيات [سوره غافر (٤٠): الآيات ٨٢ الى ٨٥]

٣٦٤ ..... اشارة

٣٦٤ ..... التفسير

٣٦٤ ..... اشارة

٣٦٤ ..... لا ينفع الإيمان عند نزول العذاب:

٣٦٨ ..... المغرورون بالعلم!

٣٧١ ..... سورة فصلت

٣٧١ ..... اشارة

٣٧٣ ..... نظره فى المحتوى العام للسوره:

٣٧٤ ..... فضيله تلاوه السوره:

٣٧٤ ..... الآيات [سوره فصلت (٤١): الآيات ١ الى ٥]

٣٧٤ ..... اشارة

٣٧٤ ..... التفسير

٣٧٤ ..... اشارة

٣٧٤ ..... عظمه القرآن:

٣٨٢ ..... الآيات [سوره فصلت (٤١): الآيات ٦ الى ٨]

٣٨٢ ..... اشارة

٣٨٢ ..... التفسير

٣٨٢ ..... اشارة

٣٨٢ ..... من هم المشركون؟

٣٨٤ ..... ملاحظه

٣٨٤ ..... اشارة

٣٨٤ ..... الأهميه الاستثنائيه للزكاه فى الإسلام:

٣٨٨ ..... الآيات [سوره فصلت (٤١): الآيات ٩ الى ١٢]

٣٨٨ ..... اشارة

٣٨٨ ..... التفسير

٣٨٨ ..... اشارة

- ٣٨٨ ..... مراحل خلق السماوات و الأرض:
- ٣٩١ ..... ملاحظات:
- ٣٩٧ ..... الآيات [سوره فصلت (٤١): الآيات ١٣ الى ١٦]
- ٣٩٧ ..... اشاره
- ٣٩٧ ..... التفسير
- ٣٩٧ ..... اشاره
- ٣٩٧ ..... أحذر كم صاعقه مثل صاعقه عاد و ثمود!
- ٤٠٢ ..... ملاحظتان:
- ٤٠٢ ..... اشاره
- ٤٠٢ ..... أولاً: ما هي وسيله فناء قوم عاد؟
- ٤٠٤ ..... ثانياً: أيام قوم عاد النحسه
- ٤٠٥ ..... الآيات [سوره فصلت (٤١): الآيات ١٧ الى ١٨]
- ٤٠٥ ..... اشاره
- ٤٠٥ ..... التفسير
- ٤٠٥ ..... اشاره
- ٤٠٥ ..... عاقبه قوم ثمود:
- ٤٠٧ ..... ملاحظه
- ٤٠٧ ..... اشاره
- ٤٠٧ ..... أنواع الهدايه الإلهيه:
- ٤٠٩ ..... الآيات [سوره فصلت (٤١): الآيات ١٩ الى ٢٣]
- ٤٠٩ ..... اشاره
- ٤٠٩ ..... التفسير
- ٤١٤ ..... بحثان:
- ٤١٤ ..... اشاره
- ٤١٤ ..... الأول: حسن الظن و سوء الظن بالله تعالى
- ٤١٥ ..... الثاني: الشهود في محكمه القيامه

- الآيتان [سوره فصلت (٤١): الآيات ٢٤ الى ٢٥] ..... ٤١٩
- اشاره ..... ٤١٩
- التفسير ..... ٤١٩
- اشاره ..... ٤١٩
- قرناء السوء: ..... ٤١٩
- الآيات [سوره فصلت (٤١): الآيات ٢٦ الى ٢٩] ..... ٤٢٢
- اشاره ..... ٤٢٢
- التفسير ..... ٤٢٢
- اشاره ..... ٤٢٢
- الضحيج في مقابل صوت القرآن!! ..... ٤٢٢
- الآيات [سوره فصلت (٤١): الآيات ٣٠ الى ٣٢] ..... ٤٢٦
- اشاره ..... ٤٢٦
- التفسير ..... ٤٢٦
- اشاره ..... ٤٢٦
- نزول الملائكه على المؤمنين الصامدين: ..... ٤٢٦
- ملاحظات ..... ٤٢٩
- الآيات [سوره فصلت (٤١): الآيات ٣٣ الى ٣٦] ..... ٤٣٣
- اشاره ..... ٤٣٣
- التفسير ..... ٤٣٣
- اشاره ..... ٤٣٣
- ادفع السيئه بالحسنه: ..... ٤٣٣
- ملاحظتان ..... ٤٣٩
- اشاره ..... ٤٣٩
- أولاً: برنامج الدعاء إلى الله - ..... ٤٣٩
- ثانياً: الإنسان في مواجهه عواصف الوسواس: ..... ٤٤٠
- الآيات [سوره فصلت (٤١): الآيات ٣٧ الى ٣٩] ..... ٤٤٢

٤٤٢ ..... اشارة

٤٤٢ ..... التفسير

٤٤٢ ..... اشارة

٤٤٢ ..... السجده لله تعالى:

٤٤٧ ..... الآيات [سوره فصلت (٤١): الآيات ٤٠ الى ٤٢]

٤٤٧ ..... اشارة

٤٤٧ ..... التفسير

٤٤٧ ..... اشارة

٤٤٧ ..... محرفوا آيات الحق:

٤٥١ ..... سؤال:

٤٥٣ ..... الآيات [سوره فصلت (٤١): الآيات ٤٣ الى ٤٦]

٤٥٣ ..... اشارة

٤٥٣ ..... التفسير

٤٥٣ ..... اشارة

٤٥٣ ..... كتاب الهدايه و الشفاء:

٤٥٨ ..... مسائل:

٤٥٨ ..... اشارة

٤٥٨ ..... أولاً: الإختيار و العداله

٤٥٩ ..... ثانياً: الذنوب و سلب النعم

٤٦٠ ..... ثالثاً: لماذا كلّ هذا التحجج!؟

٤٦٣ ..... الآيات [سوره فصلت (٤١): الآيات ٤٧ الى ٤٨]

٤٦٣ ..... اشارة

٤٦٣ ..... التفسير

٤٦٣ ..... اشارة

٤٦٣ ..... الله العالم بكلّ شيء:

٤٦٦ ..... الآيات [سوره فصلت (٤١): الآيات ٤٩ الى ٥٢]

- ٤٦٦ ..... اشاره
- ٤٦٦ ..... التفسير
- ٤٧٢ ..... مسأله:
- ٤٧٤ ..... الأيتان [سوره فصلت (٤١): الآيات ٥٣ الى ٥٤] .....
- ٤٧٤ ..... اشاره
- ٤٧٤ ..... التفسير
- ٤٧٤ ..... اشاره
- ٤٧٤ ..... علائم الحق في العالم الكبير و الصغير:
- ٤٧٨ ..... بحوث
- ٤٧٨ ..... اشاره
- ٤٧٨ ..... أولاً: التوحيد بين دليل «النظم» و دليل «الصدّيقين» .....
- ٤٨٠ ..... ثانياً: حقيقه إحاطه الله بكل شيء .....
- ٤٨٠ ..... ثالثاً: آيات الآفاق و الأنفس .....
- ٤٨٥ ..... سوره الشورى .....
- ٤٨٥ ..... اشاره
- ٤٨٧ ..... نظره عامه في محتوى السوره:
- ٤٨٨ ..... فضيله تلاوه السوره:
- ٤٨٩ ..... الآيات [سوره الشورى (٤٢): الآيات ١ الى ٥] .....
- ٤٨٩ ..... اشاره
- ٤٨٩ ..... التفسير
- ٤٨٩ ..... اشاره
- ٤٨٩ ..... تكاد السماوات يتفطرن!
- ٤٩٥ ..... هل تستغفر الملائكه للجميع؟ .....
- ٤٩٦ ..... الآيات [سوره الشورى (٤٢): الآيات ٦ الى ٨] .....
- ٤٩٦ ..... اشاره
- ٤٩٦ ..... التفسير

٤٩٤ ..... اشارة

٤٩٤ ..... انطلاقه من «أم القرى»:

٥٠٣ ..... الآيات [سوره الشورى (٤٢): الآيات ٩ الى ١٢]

٥٠٣ ..... اشارة

٥٠٣ ..... التفسير

٥٠٣ ..... اشارة

٥٠٣ ..... الولي المطلق:

٥٠٩ ..... بحوث

٥٠٩ ..... اشارة

٥٠٩ ..... ١- معرفه صفات الله تعالى

٥١٠ ..... ٢- ملاحظه أدبيه

٥١١ ..... ٣- بعض الملاحظات حول الرزق الإلهي:

٥١٦ ..... الآيات [سوره الشورى (٤٢): الآيات ١٣ الى ١٤]

٥١٦ ..... اشارة

٥١٦ ..... التفسير

٥١٦ ..... اشارة

٥١٦ ..... الإسلام عصاره شرائع جميع الأنبياء:

٥١٨ ..... ملاحظات

٥٢٢ ..... ملاحظه

٥٢٣ ..... الآية [سوره الشورى (٤٢): آيه ١٥]

٥٢٣ ..... اشارة

٥٢٣ ..... التفسير

٥٢٣ ..... اشارة

٥٢٣ ..... فاستقم كما أمرت!

٥٢٦ ..... الآيات [سوره الشورى (٤٢): الآيات ١٦ الى ١٨]

٥٢٦ ..... اشارة

التفسير ..... ٥٢٦

اشاره ..... ٥٢٦

لا تستعجلوا بالساعة!! ..... ٥٢٦

الآيتان [سوره الشورى (٤٢): الآيات ١٩ الى ٢٠] ..... ٥٣١

اشاره ..... ٥٣١

التفسير ..... ٥٣١

اشاره ..... ٥٣١

مزرعه الدنيا و الآخرة: ..... ٥٣١

الآيات [سوره الشورى (٤٢): الآيات ٢١ الى ٢٣] ..... ٥٣٧

اشاره ..... ٥٣٧

سبب النزول ..... ٥٣٧

التفسير ..... ٥٣٨

اشاره ..... ٥٣٨

أجر الرساله فى موده أهل البيت عليهم السلام - ..... ٥٣٨

توضيح - ..... ٥٤١

الروايات الواردة فى تفسير هذه الآيه ..... ٥٤٤

بحوث ..... ٥٤٩

اشاره ..... ٥٤٩

١-كلام مع المفسر المعروف(الأكوسى) ..... ٥٤٩

اشاره ..... ٥٤٩

تحليل و مناقشه: ..... ٥٥١

٢-سفينه النجاه ..... ٥٥٤

٣-تفسير «و من يقترف حسنه...» ..... ٥٥٥

٤-مكان نزول هذه الآيات ..... ٥٥٦

الآيات [سوره الشورى (٤٢): الآيات ٢٤ الى ٢٦] ..... ٥٥٧

اشاره ..... ٥٥٧



التفسير ..... ٥٥٧

اشاره ..... ٥٥٧

يقبل التوبه عن عباده: ..... ٥٥٧

الآيات [سوره الشورى (٤٢): الآيات ٢٧ الى ٣١] ..... ٥٦١

اشاره ..... ٥٦١

سبب النزول ..... ٥٦١

التفسير ..... ٥٦٢

اشاره ..... ٥٦٢

المترفون الباغون: ..... ٥٦٢

و هنا يطرح سؤالان: ..... ٥٦٣

النجوم السماويه الأهله: ..... ٥٦٧

ملاحظات ..... ٥٦٩

اشاره ..... ٥٦٩

علّه المصائب: ..... ٥٦٩

مسائل مهمه ..... ٥٧٢

اشاره ..... ٥٧٢

الاولى:مصائبكم بما كسبت أيديكم: ..... ٥٧٢

الثانيه:اشتباه كبير ..... ٥٧٣

الثالثه:من هم أصحاب الصفه؟ ..... ٥٧٤

توضيح: ..... ٥٧٤

الآيات [سوره الشورى (٤٢): الآيات ٣٢ الى ٣٦] ..... ٥٧٦

اشاره ..... ٥٧٦

التفسير ..... ٥٧٦

اشاره ..... ٥٧٦

هبوب الرياح المنتظمه و حركه السفن عليهم السلام ..... ٥٧٦

الآيات [سوره الشورى (٤٢): الآيات ٣٧ الى ٤٠] ..... ٥٨٢

٥٨٢ ..... اشارة

٥٨٢ ..... التفسير

٥٨٢ ..... اشارة

٥٨٢ ..... المؤمنون لا يستسلمون للظلم:

٥٩٢ ..... الآيات [سوره الشورى (٤٢): الآيات ٤١ الى ٤٣]

٥٩٢ ..... اشارة

٥٩٢ ..... التفسير

٥٩٢ ..... اشارة

٥٩٢ ..... الظلم و الإنتصار:

٥٩٥ ..... الآيات [سوره الشورى (٤٢): الآيات ٤٤ الى ٤٦]

٥٩٥ ..... اشارة

٥٩٥ ..... التفسير

٥٩٥ ..... اشارة

٥٩٥ ..... هل من سبيل للرجعه؟

٥٩٩ ..... الآيات [سوره الشورى (٤٢): الآيات ٤٧ الى ٥٠]

٥٩٩ ..... اشارة

٥٩٩ ..... التفسير

٥٩٩ ..... اشارة

٥٩٩ ..... الأولاد...هبه الرحمن:

٦٠٥ ..... الآية [سوره الشورى (٤٢): آيه ٥١]

٦٠٥ ..... اشارة

٦٠٥ ..... سبب النزول

٦٠٥ ..... التفسير

٦٠٥ ..... اشارة

٦٠٥ ..... طرق ارتباط الأنبياء بالخالق:

٦٠٨ ..... بحثان

- ٦٠٨ ..... اشاره
- ٦٠٨ ..... الأَوَّل:الوحي في اللغة و القرآن و السنه
- ٦١٠ ..... الثَّانِي:حقيقه(الوحي)المجهوله
- ٦١٠ ..... اشاره
- ٦١١ ..... ١-تفسير بعض الفلاسفه القدماء
- ٦١١ ..... و توضيح ذلك:
- ٦١٢ ..... نقد و تحليل
- ٦١٣ ..... ٢-تفسير بعض الفلاسفه الجدد
- ٦١٤ ..... نقد و تحليل
- ٦١٤ ..... ٣-النبوغ الفكرى
- ٦١٥ ..... الكلام الحق في الوحي:
- ٦١٧ ..... منطق منكرى الوحي:
- ٦١٧ ..... الإيراد الدائمى و الرد الدائمى:
- ٦١٨ ..... بعض الأحاديث بخصوص قضيه الوحي:
- ٦٢٠ ..... الأيتان [سوره الشورى (٤٢):الآيات ٥٢ الى ٥٣]
- ٦٢٠ ..... اشاره
- ٦٢٠ ..... التفسير
- ٦٢٠ ..... اشاره
- ٦٢٠ ..... القرآن روح من الخالق:
- ٦٢٤ ..... ملاحظات
- ٦٢٤ ..... اشاره
- ٦٢٤ ..... ١-ماذا كان دين الرسول الأعظم قبل نبوته؟
- ٦٢٥ ..... ٢-الجواب على سؤال
- ٦٢٤ ..... ٣-ملاحظه أدبيه
- ٦٤٤ ..... تعريف مركز

سرشناسه: مکارم شیرازی، ناصر، - ۱۳۰۵

عنوان و نام پدیدآور: الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل / تالیف ناصر مکارم شیرازی؛ [با همکاری جمعی از فضلا]

وضعیت ویراست: [ویرایش ۲]

مشخصات نشر: قم: مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)، ۱۴۲۱ق. = ۱۳۷۹.

مشخصات ظاهری: ج ۲۰

شابک: ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۳-X(دوره)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۹-۱(ج.۱)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۳-۲(ج.۲)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۸-۳(ج.۳)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۲-۴(ج.۴)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۷-۵(ج.۵)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۱-۶(ج.۶)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۶-۷(ج.۷)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۰-۸(ج.۸)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۵-۹(ج.۹)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۴-۱۰(ج.۱۰)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۲-۱۱(ج.۱۱)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۷-۱۲(ج.۱۲)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۱-۳(ج.۱۳)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۰-۵(ج.۱۵)

وضعیت فهرست نویسی: فهرست نویسی قبلی

یادداشت: کتاب حاضر ترجمه و تلخیص "تفسیر نمونه" است

یادداشت: کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است

یادداشت: کتابنامه

موضوع: تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده: مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)

رده بندی کنگره: BP۹۸/م ۷ ۷۰۴۴۷ ۱۳۷۹

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی: م ۷۹-۱۰۳۹۱











### محتوى سوره الزمر:

هذه السوره نزلت فى مكّه المكرمه، و لهذا السبب فإنّها تتطرق للقضايا المتعلقة بالتوحيد و المعاد، و أهميّه القرآن، و مقام نبوّه نبىّ الإسلام صلّى الله عليه و آله و سلّم كما هو الحال فى بقية السور المكيّه.

فالمرحله التى قضاها المسلمون فى مكّه كانت مرحله للبناء الإيمانى و العقائدى، و لذلك فإن السور المكيه حوت أقوى البحوث و أكثرها تأثيرا فى هذا المجال. و كانت الأساس القوى المحكم الذى ظهرت آثاره العجيبه فى المدينه، و فى الغزوات و عند مواجهه العدو، و أمام عراقيل المنافقين، و فى قبول النظام الإسلامى، و إذا أردنا معرفه سر الانتصار السريع للمسلمين فى المدينه فإنّ علينا أن نطالع دروس مكّه المؤثره.

و على أيه حال فإنّ هذه السوره تضم عدّه أقسام مهمّه:

١- تتطرق السوره إلى مسأله الدعوه إلى توحيد الله، توحيد فى الخلق، توحيد فى الربوبيه، توحيد فى العبوديه، كما تسلط الضوء على مسأله الإخلاص فى العباده لله، و آيات هذه السوره فى هذا المجال مؤثره جدّا بحيث تجذب قلب الإنسان و تدفعه نحو الإخلاص.

٢- الأمر المهم الآخر الذى تكرر فى عدّه آيات فى هذه السوره من بدايتها و حتى نهايتها، هو مسأله (المعاد) و المحكمه الإلهيه الكبرى، و مسأله الثواب

و العقاب، و غرف الجنّة، و كور النار في جهنّم، و مسأله الخوف و الرهبه من يوم القيامه، و ظهور نتائج الأعمال في ذلك اليوم، و تجسدها في ذلك المشهد الكبير، إضافة إلى أنّها تستعرض قضيه اسوداد أوجه الكاذبين و الذين افتروا على الله الكذب، و سوق الكافرين صوب جهنّم، و تعرض الكافرين لتوبيخ و ملامه ملائكه العذاب و دعوه أهل الجنّة إلى دخول الجنّة و تقديم ملائكه الرحمه التهاني و التبريكات لهم، و هذه الأمور التي تدور حول محور المعاد ممزوجه مع قضايا التوحيد بشكل كبير و كأنّها تشكل معها نسيجاً واحداً.

٣- قسم آخر من السوره يتناول أهميه القرآن المجيد، و رغم قلّه عدد آيات هذا القسم، فهو يجسّد بصورة لطيفه القرآن و تأثيره القوى على القلوب و الأرواح.

٤- قسم آخر أيضاً يبيّن مصير الأقوام السابقين و العذاب الإلهي الأليم الذي نزل بهم من جراء تكذيبهم لآيات الله الحقّ.

٥- و أخيراً قسم آخر من هذه السوره يتحدث عن مسأله التوبه، و كون أبواب التوبه مفتوحه لمن يرغب في العوده إلى الله، و قد تضمّن هذا القسم أقوى آيات القرآن تأثيراً في مجال التوبه، و يمكن القول بأن آيات هذا القسم ترف البشرية و تحمل أخباراً سارّه قد لا يوجد مثل لها في بقيه آيات القرآن.

هذه السوره معروفه باسم سوره (الزمر) و هذا الاسم مأخوذ من الآيتين (٧١) و (٧٣) من هذه السوره، و تعرف أيضاً باسم سوره (الغرف) و هذا الاسم مأخوذ من الآية (٢٠) إلا أن هذه التسميه غير مشهوره.

### فضيله سوره الزمر:

لقد أولت الأحاديث الإسلاميه أهميه كبيره لتلاوه هذه السوره، و قد ورد حديث عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول فيه: «من قرأ سوره الزمر لم يقطع الله رجاءه،

و أعطاه ثواب الخائفين الذين خافوا الله تعالى» (١).

و ورد فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام «من قرأ سورة الزمر أعطاه الله شرف الدنيا والآخرة، و أعزه بلا مال و لا عشيره، حتى يهابه من يراه و حرم جسده على النار» (٢).

مقارنه فضائل تلاوه سورة الزمر مع محتوياتها فى مجال الخوف من الله، و رجاء رحمته، و الإخلاص فى العبوديه، و التسليم المطلق لذات الله، يوضح أن هذه المكافآت إنما تعطى لمن كانت تلاوته مقدمه للتفكر و التفكير وسيله للإيمان و العمل.

و بعبارة اخرى:

أن يتوغل محتوى السوره فى اعماق روحه. و يتجلى فى كفه مظاهر الحياه الاجتماعيه و الفرديه. أجل فمثل هؤلاء الافراد لائقون لهذا الثواب العظيم و الرحمه الواسعه.

ص: ٧

---

١-١) -مجمع البيان بدايه سورة الزمر.

٢-٢) -مجمع البيان و ثواب الأعمال و تفسير نور الثقلين.

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْتَدِ اللَّهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢)  
أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ  
يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)

التفسير

اشاره

عليك الإخلاص في الدين!

هذه السوره تبدأ بآيتين تتحدثان عن نزول القرآن المجيد: الأولى تقول: إن الله هو الذى أنزل القرآن، والثانية: تبين محتوى و أهداف القرآن.

فى البدايه تقول: تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١).

من الطبيعى أن كل كتاب تتم معرفته من خلال مؤلفه أو منزله، وعند ما ندر ك

ص: ٨

١ - ١ - تَنْزِيلُ الْكِتَابِ خبر لمبتدأ محذوف و التقدير «هذا تنزيل الكتاب»، و احتمال بعض المفسرين أن «تنزيل الكتاب» مبتدأ و «من الله» خير. لكن الرأى الأول أصح، و «تنزيل» مصدر بمعنى المفعول. فتكون إضافته إلى الكتاب من باب إضافه الصفه إلى موصوفها، و المعنى (هذا الكتاب منزل من الله).

أن هذا الكتاب السماوى الكبير مستلهم من علم الله القادر والحكيم،الذى لا يقف أمام قدرته المطلقة شىء،و لا يخفى على علمه المطلق أمر،لأيقننا بلا عناء أن محتوياته حقّ و كلّها حكمه و نور و هدايه.

مثل هذه العبارات عند ما ترد فى بدايات سور القرآن،ترشد المؤمنين إلى هذه الحقيقه،و هى أن كلّ ما هو موجود فى القرآن المجيد هو كلام الله و ليس بكلام الرسول صلى الله عليه و آله و سلّم،و رغم كون كلامه صلى الله عليه و آله و سلّم بليغا و حكيما أيضا.

ثم تنتقل السوره إلى عرض محتويات هذا الكتاب السماوى و أهدافه **إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ .**

لا يوجد فيه غير الحقّ،و لهذا السبب يتبعه طلاب الحقّ،و الباحثون عن الحقيقه مشغولون بالبحث فى محتوياته،من هنا،و لكون هدف نزول القرآن يتحدد فى إعطاء الدين الخالص للبشرية،فإنّ آخر الآيه يقول: **فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ .**

قد يكون المراد هنا من كلمه (دين)هو عباده الله،لأنّ الجملة التى وردت قبلها **فَاعْبُدِ اللَّهَ** فيها أمر بالعباده،و لذا فإنّ العبارة التى تليها **مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ** تبيّن شروط صحة العباده و التى تتمثل فى الإخلاص و فى الشرك و الرياء.

على كلّ حال فإنّ اتساع مفهوم(الدين)و عدم ذكر قيد أو شرط له،يعطى معنى واسعا،بحيث يشمل العبادات و بقيه الأعمال إضافه إلى العقائد،و بعبارة أخرى فإنّ(الدين)يتناول مجموعه شؤون الحياه الماديه و المعنويه للإنسان، و يجب على عباد الله المخلصين أن يخلصوا كلّ حياتهم لله و أن يطهروا قلوبهم و أرواحهم و ساحه عملهم و دائره حديثهم عن كل ما هو لغير الله،و أن يفكروا به و يعشقوه،و أن يتحدثوا عنه و يعملوا من أجله،و أن يسيروا دائما فى سبيل رضاه، و هذا هو(إخلاص الدين).

و لذا لا يوجد أىّ داع أو دليل واضح لتحديد مفهوم الآيه فى شهاده(لا إله إلا

اللَّهِ) أو بخصوص (العبادة و الطاعة).

الآية التالية تؤكد مرّه اخرى على مسأله الإخلاص، و تقول: **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ** و هذه العبارة ذات المعنيين:

الأول: هو أنّ الباري عزّ و جلّ لا يقبل سوى الدين الخالص، و الاستسلام الكامل له من دون أى قيد أو شرط، و لا يقبل أى عمل فيه رياء أو شرك، أو خلط للقوانين الإلهيه بغيرها من القوانين الوضعيه.

و الثّانى: هو أنّ الدين و الشريعه الخالصه يجب أخذها من الله فقط، لأن أفكار الإنسان ناقصه و ممزوجه بالأخطاء و الأوهام.

و لكن وفق ما جاء فى ذيل الآيه السابقه فإنّ المعنى الأول أنسب، لأن الذين يؤدون المطلوب منهم بإخلاص هم العباد، و لهذا فإنّ هذا الخلوص فى الآيه مورد بحثنا يجب أن يراعى من جانب أولئك.

و هناك دليل آخر على هذا الكلام، و هو حديث

ورد عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، جاء فيه أن رجلا- قال لرسول الله: يا رسول الله! إننا نعطى أموالنا التماس الذكر، فهل لنا من أجر فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: لا، قال: يا رسول الله! إننا نعطى التماس الأجر، و الذكر، فهل لنا أجر؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «إن الله تعالى لا يقبل إلا من أخلص له، ثم تلا هذه الآيه: **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ** (١).

و على أية حال، فإنّ هذه الآيه فى الواقع استدلال للآيه التى جاءت قبلها، فهناك تقول: **فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ** و هنا تقول: **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ**.

مسأله الإخلاص تناولتها الكثير من الآيات القرآنيه و الأحاديث الإسلاميه، و بدء الجمله مورد بحثنا ب(ألا) التى تستعمل عادة لجلب الانتباه، هو دليل آخر على أهميه هذا الموضوع.

ثم تنتقل الآيه إلى إبطال المنطق الواهى الضعيف للمشركين الذين تركوا

ص: ١٠

طريق الخلاص، و ضاعوا في طرق الشرك و الانحراف: وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ، إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١)، و هنا سيّضح للجميع فساد أفكارهم و أعمالهم و بطلان عقائدهم..

هذه الآيه هي تهديد قاطع للمشركين في أنّ الباري عزّ و جلّ سيحاكمهم في يوم القيامة، اليوم الذي تنكشف فيه الالتباسات و تظهر فيه الحقائق، ليجزوا و يعاقبوا على ما ارتكبوه من الأعمال المحرّمه، إضافة إلى فضيحتهم أمام الجميع في ساحه المحشر.

منطق عبده الأصنام واضح هنا، فأحد أسباب عباده الأصنام هي أنّ مجموعه كانت تزعم أنّ الله سبحانه و تعالى أجلّ من أن يحيط به الإدراك الإنساني من عقل أو وهم أو حس، فهو منزّه عن أن يكون موردا للعباده مباشره، فلذا قالوا: من الواجب أن نتقرب إليه بالتقرب إلى مقربيه من خلقه، و هم الذين فوض إليهم تدبير شؤون العالم، فنتخذهم أربابا من دون الله ثم آلهه نعبدهم و نتقرب إليهم ليشفعوا لنا عند الله و يقربونا إليه زلفى، و هؤلاء هم الملائكه و الجن و قد يسو البشر.

و لما أحسوا بأن ليس باستطاعتهم الوصول إلى أولئك المقدسين، بنوا تماثيل لهم، و أخذوا يعبدونها، و هذه التماثيل هي نفسها الأصنام، و لأنّهم كانوا يزعمون أن لا فرق بين التماثيل و أولئك المقدسين و أنّ لهما نوعا من التوحيد، لذا عمدوا إلى عباده الأصنام و اتخذه آلهه لهم.

و بهذا الشكل فإنّ الأرباب في نظرهم، هم أولئك الذين خلقهم الله و قربهم إلى نفسه، و فوض إليهم تدبير شؤون العالم حسب زعمهم، و كانوا يعتبرون الباري عزّ و جلّ هو (رب الأرباب) و هو خالق عالم الوجود، و من النادر أن يوجد من الوثنيين من يقول بأن هذه الأصنام المصنوعه من الحجر و الخشب، أو حتى آلهتهم

ص: ١١

---

(١-١) - من الواضح أنّ في الآيه المذكوره أعلاه و قبل عبارته مَا نَعْبُدُهُمْ جملة تقديرها «و يقولون ما نعبدهم».

الوهميه-أى الملائكه و الجن و أمثالهم-هى التى خلقت هذا الكون و أوجدته (١) و بالطبع فإنّ هناك أسبابا أخرى لعباده الأصنام، و منها أنّ الاحترام الفائق الذى يكونه فى بعض الأحيان للأنبياء و الصالحين يتسبب فى احترام حتى التمثال الذى ينحت أو يصنع لهم بعد وفاتهم، و مع مرور الزمن تأخذ هذه لتمثيل طابعا استقلاليا، و يتبدل الاحترام إلى عباده، و لهذا فإنّ الإسلام نهى بشدّه عن صنع التماثيل.

و قد ورد فى كتب التاريخ أنّ عرب الجاهليه كانوا يكونون احتراما فائقا للكعبه الشريفه و لأرض مكّه المكرّمه، و لهذا كانوا يأخذون معهم قطعه حجر صغيره من تلك الأرض عند ما يذهبون إلى مكان آخر، و يصفون عليها الاحترام و التقديس، و من ثمّ يعمدون إلى عبادتها.

و ما ورد فى قصه (عمرو بن لحي) التى جاء فيها، أنّ عمرا فى إحدى رحلاته إلى بلاد الشام شاهد بعض مشاهد عبده الأصنام، و فى طريق عودته إلى الحجاز، اصطحب معه صنما من بلاد الشام، و منذ ذلك الحين بدأت عباده الأصنام فى الحجاز هذه القصّه لا تتعارض مع ما ذكرناه لأنّه يبيّن بعض جذور عباده الأصنام، و هدف أهل الشام من عباده الأصنام كان مأخوذا من أحد تلك الأمور أو نظائرها.

عباده الأصنام-بأى شكل كانت-ما هى إلا أوهام و خيالات لا صحه لها ترشحت من أفكار ضعيفه و عاجزه، حرفت الناس عن الطريق الرئيسى الأصيل لمعرفة الله.

و القرآن المجيد يؤكّد بصوره خاصّه على أنّ الإنسان يستطيع أن يتصل بالله من دون أى واسطه، و أن يتحدّث معه و يناجيه و يطلب منه حاجته، و يطلب العفو

ص: ١٢



والتَّوْبَةِ، فَكُلُّ هَذِهِ الْأُمُورِ مِنَ اللَّهِ وَتَحْتَ تَسْلُطِ قُدْرَتِهِ. وَسُورَةُ الْحَمْدِ تَوْضِحُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ، لِأَنَّ قِرَاءَةَ الْعِبَادِ الْمُسْتَمِرَّ لِهَذِهِ السُّورَةِ فِي صَلَوَاتِهِمُ الْيَوْمِيَّةِ، تَجْعَلُ الْعَبْدَ عَلَى اتِّصَالٍ مُبَاشِرٍ مَعَ الْبَارِئِ، عَزَّ وَجَلَّ، إِذْ أَنَّهُ يَقْرُؤُهَا وَيَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ -دُونَ أَيِّ وَاسِطَةٍ- حَاجَاتِهِ مِنْهُ.

سَبِيلُ الْاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ، وَكَذَلِكَ طَلَبُ الْعَوْنِ مِنَ الْبَارِئِ، عَزَّ وَجَلَّ وَ مَا وَرَدَ فِي الْأَدْعِيَةِ الْمَأْتُورَةِ، كُلُّهَا تَبَيَّنَ أَنَّ الْإِسْلَامَ لَا يَرَى وَجُودَ وَاسِطَةٍ فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَهَذِهِ هِيَ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ. حَتَّى أَنْ مَسْأَلَةَ الشِّفَاعَةِ وَ التَّوَسُّلِ بِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ مَشْرُوطَةٌ بِإِذْنِ الْبَارِئِ عَزَّ وَجَلَّ وَ سَمَاحِهِ، وَ هَذَا تَأْكِيدٌ عَلَى مَسْأَلَةِ التَّوْحِيدِ.

وَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ الْعِلَاقَةُ هَكَذَا، لِأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَ تَعَالَى أَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنْ أَيِّ شَيْءٍ، كَمَا يَقُولُ بِذَلِكَ الْقُرْآنُ: وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١)، وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ (٢).

وَ بِهَذَا الشَّكْلِ فَالْبَارِئِ، عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِبَعِيدٍ عَنَّا، وَ لَسْنَا بِبَعِيدِينَ عَنْهُ كَيْ تَكُونَ هُنَاكَ حَاجَةٌ لِلْوَسِطَةِ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ، إِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنْ كُلِّ قَرِيبٍ، وَ مَوْجُودٌ فِي مَكَانٍ وَ فِي أَعْمَاقِ قُلُوبِنَا.

وَ فَقَدْ لِهَذَا فَإِنَّ عِبَادَةَ الْوَسِطَاءِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ الْجِنِّ وَ نِظَائِرِهِمْ، أَوْ الْأَصْنَامِ الْحَجَرِيَّةِ وَ الْخَشَبِيَّةِ، عَمَلٌ بَاطِلٌ لَا صِحَّةَ لَهُ، إِضَافَةً إِلَى أَنَّهُ يَعِدُّ كُفْرًا بِنِعْمَةِ اللَّهِ، لِأَنَّ الَّذِي يَهْبُ النِّعَمَ أَجْدَرُ بِالْعِبَادَةِ مِنْ تِلْكَ الْمَوْجُودَاتِ الْمِيْتَةِ، أَوْ الْمَحْتَاجَةِ إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ أَعْلَى رَأْسِهَا إِلَى أَخْمَصِ قَدَمِهَا. لِذَا يَقُولُ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ فِي نَهَايَةِ الْآيَةِ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ .

فَلَا يَهْدِيهِ إِلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ فِي هَذَا الْعَالَمِ، وَ لَا إِلَى الْجَنَّةِ فِي الْعَالَمِ الْآخِرِ،

ص: ١٣

١-١) -سوره ق، ١٦.

٢-٢) -سوره الأنفال، ٢٤.

لأنه أو صد بكلتا يديه أبواب الهدايه أمامه، ولأنّ البارئ عزّ وجلّ يبعث فيض هدايته إلى من يراه لائقا و مستعدا لاستقبالها، ولا يبعثها إلى الذين تعمدوا قتل الاستعدادات الموجوده في قلوبهم و ذاتهم.

ملاحظه

اشاره

### الفرق بين التنزيل و الإنزال:

في الآيه الأولى وردت عبارته تَنْزِيلُ الْكِتَابِ، و في الثانيه عبارته أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ، فما الفرق بين الإنزال و التنزيل؟ و ما المراد من تباين العبارتين في هاتين الآيتين؟ كتب اللغه تقول: إنَّ كلمه (تنزيل) تعنى نزول الشىء على عدّه دفعات، في حين أن كلمه (إنزال) لها معنى عام يشمل النزول التدريجى و النزول دفعه واحده (١).

قال بعضهم إنّ لكل منهما معنى خاصا بها و أن (تنزيل) تعنى فقط-النزول على عدّه دفعات، و (إنزال) تعنى فقط-النزول دفعه واحده (٢).

اختلاف العبارتين المذكورتين أعلاه إنّما يعود إلى أن القرآن المجيد نزل بصورتين:

الأولى: نزل دفعه واحده على قلب النبى محمد صلّى الله عليه و آله و سلّم فى ليله القدر فى شهر

ص: ١٤

١-١) -مفردات الراغب ماده (نزل) و الفرق بين الإنزال و التنزيل فى وصف القرآن و الملائكه، أن التنزيل يختص بالموضع الذى يشير إليه إنزاله مفردا و مرّه بعد اخرى و الإنزال عام.

٢-٢) -هذا الاختلاف ورد فى التفسير الكبير للفخر الرازى نقلا عن آخرين.

رمضان المبارك كما ورد في الآيات المباركة: **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)** و **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ (٢)** و **شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ (٣)**.

و في كل هذه الآيات استخدمت عبارة (الإنزال) التي تشير إلى نزوله دفعه واحده.

و يوجد نزول آخر تم بصوره تدريجيه استغرقت (٢٣) عاما، أي طوال فتره نبوه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله و سلم إذا كانت تنزل في كل حادثه و قضيه آيه تناسبها، و تنقل بالمسلمين من مرحله إلى اخرى ليرتقوا سلم الكمال المعنوي و الأخلاقي و العقائدي و الاجتماعي، كما ورد في الآيه (١٠٦) من سورة الإسراء: **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا**.

و الذي يثير الانتباه، هو أن الكلمتين (تنزيل) و(إنزال) تأتيان أحيانا في آيه واحده للتعبير عن مقصودين، كما ورد في الآيه (٢٠) من سورة محمد: **وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَمَاذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ**.

فكان المسلمين يطلبون أحيانا نزول السوره القرآنيه تدريجا كي يهضموا محتوياتها بصوره جيده، لكن الضروره كانت تستدعي في بعض الحالات نزول السوره دفعه واحده، و خاصه السور التي تتناول مسائل الجهاد في سبيل الله، لأن نزولها التدريجي كان قد يؤدي إلى سوء استغلالها من قبل المنافقين الذين كانوا يتحينون الفرص لبث سمومهم. ففي مثل هذه الحالات - كما ذكرنا - كانت السوره تنزل دفعه واحده. و هذا آخر شيء يمكن ذكره بشأن التباين الموجود بين العبارتين، و طبقا لهذا فإن آيات بحثنا أشارت إلى طريقتي النزول بصوره جامعته

ص: ١٥

١-١) -القدر، ١.

٢-٢) -سوره الدخان، ٣.

٣-٣) -سوره البقره، ١٨٥.

و مع هذا فإنه توجد هناك بعض الأمور الاستثنائية لتفسير و بيان الاختلاف المذكور أعلاه، كما ورد في الآية (٣٢) من سورة الفرقان: **وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَ رَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا .**

بالطبع، لكل من (التنزيل) و(الإنزال) فوائد و آثار خاصه به، سنتطرق إليها في مواضعها (١).

ص: ١٦

---

١-١) - هناك بحث مفصل عن فوائد النزول التدريجي للقرآن تعرضنا له لدى تفسير الآية (٣٤) من سورة فرقان.

اشاره

لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٥)

التفسير

اشاره

ما حازه الله إلى الأولاد؟

المشركون إضافه إلى أنهم يعتبرون الأصنام وسيطا و شفيعا لهم عند الله، كما استعرضت ذلك الآيات السابقه، فقد اعتقدوا- أيضا- أن بعض المخلوقات- كالملائكه- هي بنات الله، و الآيه الأولى في بحثنا تجيب على هذا الاعتقاد الخاطئ و التصور القبيح بالقول: لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ .

ذكر المفسرون آراء مختلفه في تفسير هذه الآيه:

قال البعض: يقصد منها لو أن الله كان راغبا في انتخاب ولد له، فلم ينتخب

البنات اللاتى تزعمون أنّهنّ لا قيمه لهنّ؟ فلم لا ينتخب له أبناء؟ وهذا فى الحقيقه-نوع من أنواع الاستدلال وفق ذهنيه الطرف المقابل كى يفهم أن كلامه لا أساس له من الصحه.

و قال آخر: إنّما يقصد منها لو أنّ الله كان راغبا فى انتخاب ولد له، لكان قد خلق موجودات اخرى أفضل و أرفى من الملائكه.

و بالنظر إلى كون مكانه الأنثى لا تقلّ عن مكانه الذكر عند البارى عزّ و جلّ، و بالنظر إلى كون الملائكه أو عيسى عليه السلام- و الذين اعتبرهم بعض المنحرفين أبناء الله- من الموجودات الشريفه و المحترمه، فإنّه لا يعدّ أى من التفسيرين السابقين مناسبا.

و الأفضل هو القول بأنّ الآيه تريد القول: إنّ الابن مطلوب إمّا لتقديم العون أو لمؤانسه الروح، و بفرض المحال فإنّ الله عزّ و جلّ لو كان محتاجا لمثل هذا الأمر، لاصطفى لهذا بعضا ممّن يشاء من أشرف خلقه، فلم يتخذ ولدا؟ و لكن لكونه الواحد الذى لا نظير له و القاهر و الغالب لكل شىء و الأزلى و الأبدى، فإنّه لا يحتاج إلى مساعده أى أحد، و لا يستوحش من وحدانيته حتى يزيلها عن طريق الإنسان مع الآخرين، لهذا فهو منزّه و مقدّس عن الولد، حقيقيا كان أو منتخبا.

و إضافه إلى ما ذكرناه من قبل، فإنّ أولئك الجهله الذين يتصورون أحيانا أن الملائكه هم أبناء الله، و أحيانا اخرى يقولون بوجود نسبه بين البارى، عزّ و جلّ و الجن، و أحيانا يقولون بأنّ (المسيح) أو (العزیز) هم أبناء الله، يجهلون الكثير من الحقائق الواضحه، فإن كان قصدهم هو الولد الحقيقى:

فأولا: يجب أن يكون البارى تعالى جسما.

ثانيا: التركيب من أجزاء (لأنّ الوالد جزء من الأب ينفصل عن وجود أبيه).

ثالثا: حتميه وجود شبيهه و نظير له (لأنّ الأولاد على الدوام يشبهون الآباء).

رابعاً: احتياجه لزوجته، والله منزّه و مقدّس عن كلّ تلك الأمور.

و إنّ كان المقصود هو الولد المنتخب أى (المتبنّى) فإن ذلك إنّما يتمّ لأجل احتياجه لمساعدته جسدياً أو لمؤانسته روحياً، والله القادر القاهر لا يحتاج إلى كلّ هذه الأمور. و بهذا فإنّ وصفه ب(الواحد) و(القهار) هو جواب مختصر على كلّ تلك الاحتمالات.

على أيه حال، فإنّ عبارته (لو) التي تستخدم عادة للشرط المستحيل إشارته إلى أن هذا الفرض محال في أن ينتخب البارئ عزّ و جلّ والداله، و بفرض المحال أنّه يحتاج، فإنّه غير محتاج لما يقولونه من اتخاذ الولد، بل إن مخلوقاته المنتخبة هي التي تؤمن هذا الأمر.

و لإثبات حقيقته أنّ الله لا يحتاج إلى مخلوقاته، و لبيان دلائل توحيدته و عظمته، يقول البارئ عزّ و جلّ: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ .

كون تلك الأمور حقّاً دليل على وجود هدف كبير من وراء خلقها، و ذلك لتكامل المخلوقات و في مقدمتها الإنسان، ثم لا تنتهي عند البعث.

بعد عرض هذا الخلق الكبير، تشير الآيه إلى جوانب من تدبيره العجيب، و التغيرات التي تطرأ بحسابات دقيقة، و الأنظمة الدقيقة أيضاً التي تحكم أولئك، إذ يقول القرآن المجيد: يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَ يُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ .

ما أجملها من عبارته! فلو وقف الإنسان في منطقته تقع خارج نطاق الكره الأرضية، و نظر إلى مشهد حركه الأرض حول نفسها و تكوّن الليل و النهار اللذين يطوقان سطحها المكور، لشاهد-بصوره منتظمه- أن سواد الليل يستولى على طرف النهار من جهه و من الجهه المقابله يرى بأن ضوء النهار يستولى محرکه مستمره على ظلام الليل.

«يكون» من (تكوير) و تعنى الشيء المتكور أو المنحنى، و يعتبر أصحاب اللغه تكوير العمامة على الرأس نموذجاً للتكوير، و هذا التعبير القرآني الجميل

يكشف عن بعض الأسرار، لكن الكثير من المفسرين نتيجة عدم التفاتهم إلى كرويه الأرض ذكروا مواضيع أخرى لا تناسب مفهوم كلمه (التكوير)، فمن هذه الآيه يتجلى لنا أن الأرض كرويه و تدور حول نفسها، و من جراء هذا الدوران، يطوق الأرض دائما شريطان، أحدهما سواد الليل، و الثاني بياض النهار، و لا يبقى هذان الشريطان ثابتين، و إنما يغطى الشريط الأسود الأبيض، من جهة و الشريط الأبيض يغطى الأسود من جهة أخرى، أثناء حركة الأرض حول نفسها.

و على آيه حال، فإنّ القرآن المجيد يبيّن ظاهره الليل و النهار و (النور) و (الظلمات) في عدّه آيات مختلفه، كلّ واحده منها تشير إلى نقطه معينه، و تنظر إلى هذه الظاهره من زاويه خاصه، فأحيانا يقول: **يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ (١)**.

الحديث- هنا- يتطرق لتوغّل الليل في النهار و توغل النهار في الليل التي تتمّ بصوره بطيئه و هادئه.

و أحيانا اخرى يقول: **يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ (٢)**، و هنا تمّ تشبيه الليل بستائر مظلمه تنزل على ضياء النهار و تحجبه.

ثمّ تنتقل إلى جانب آخر، ألا و هو التدبير و النظام الدقيق المسير لشؤون هذا العالم، قال تعالى: **وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلَّ يَجْرَى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى .**

فلا- يظهر في حركه الشمس التي تدور حول نفسها، أو التي تتحرك مع بقية كواكب المجموعه الشمسيه نحو نقطه خاصه في مجره درب التبانة أدنى خلل، فهي تتحرك وفق نظام خاص و دقيق جدًا، و لا يظهر أى خلل في حركه القمر أثناء دورانه حول الأرض أو حول نفسه، فالكلّ يخضع لقوانين (الخالق) و يتحرك وفقها، و سيستمر في التحرك وفق هذه القوانين حتى آخر يوم من أجله.

ص: ٢٠

١- ١) - سورة فاطر، ١٣.

٢- ٢) - سورة الأعراف، ٥٤.



و يوجد احتمال آخر، و هو أن المراد من تسخير الشمس و القمر هو تسخيرها للإنسان بإذن الله، كما ورد في الآية (٣٣) من سوره إبراهيم: وَ سَيَخَّرْ لَكُمْ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دَائِبِينَ. و لكن بالالتفات إلى الجملة السابقه و اللاحقه في هذه الآية مورد البحث، إضافة إلى عدم ورود كلمه (لكم) في الآية، يجعل التفسير المذكور أعلاه مستبعدا بعض الشيء.

نهايه الآية كانت بمثابة تهديد و ترغيب للمشركين إذ تقول: أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَفَّارُ فبحكم عزته و قدرته المطلقه لا يمكن لأى مذنب و مشرك أن يهرب من قبضه عذابه، و بمقتضى كونه العفّار، فإنه يستر عيوب و ذنوب التائبين، و يظلمهم بظلم رحمة.

«غفار» صيغه مبالغه مشتقه من المصدر (غفران) و تعنى فى الأصل لبس الإنسان لشيء يقيه من التلوّث، و عند ما تستخدم بشأن البارى، عزّ و جلّ فإنّها تعنى ستره لعيوب و ذنوب عباده النادمين و حفظهم من عذابه و جزائه، نعم فهو (غفار) فى أوج عزته و قدرته، و هو (قهار) فى أوج رحمته و غفرانه، و الهدف من ذكر هاتين الصفتين فى آخر الآية، هو إيجاد حاله من «الخوف» و «الرجاء» عند العباد، و هما عاملان رئيسيان وراء كلّ تحرك نحو الكمال.

اشاره

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تُصَوِّرُ فَوْنًا (٦) إِنَّ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ نَعْمَ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧)

التفسير

اشاره

الجميع مخلوقون من نفس واحده:

مره اخرى تستعرض آيات القرآن الكريم عظمه خلق الله، وتبين في نفس الوقت بعض النعم الأخرى التي من بها الله سبحانه و تعالى على الإنسان.

في البدايه تتحدّث عن خلق الإنسان و تقول: خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا .

خلق كل بني آدم من نفس واحده إشاره إلى مسأله خلق آدم أبى البشر، إذ أن كل البشر وبتنوع خلقتهم و أخلاقهم و طبائعهم و استعداداتهم و أذواقهم المختلفه يعودون فى الأصل إلى آدم عليه السلام.

و عبارته: **ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا** (١) إشاره إلى أن الله خلق آدم فى البدايه، ثم خلق حواء ممّا تبقى من طينته.

و على هذا الأساس فإنّ عمليه خلق حواء تمّت بعد خلق آدم، و قبل خلق أبناء آدم.

عبارته (ثمّ) لا- تأتي دائما كتأخير للزمان، و إنّما تأتي أحيانا كتأخير للبيان، فمثلا يقال: رأيت ما عملته اليوم ثم رأيت ما عملته بالأمس، فى حين أنّ عمل الأمس قد نفذ قبل عمل اليوم، و لكن المراد هنا أنّ مشاهدته تمّت بعد عمل اليوم.

و البعض اعتبر الآيه المذكوره أعلاه تشير إلى (عالم الذر) و خلق أبناء آدم بعد خلق آدم و قبل خلق حواء بشكل أرواح، هذا التفسير غير صحيح، و قد بينا هذا فى تفسير و توضيح (عالم الذر) فى ذيل الآيه (١٧٢) من سوره الأعراف.

و ممّا يجدر ذكره أنّ زوجه آدم عليه السلام لم تخلق من أى جزء منه، و إنّما خلقت ممّا تبقى من طينته التى خلق منها، و ذلك كما ورد فى الروايات الإسلاميه، و أمّا الروايات التى تقول بأنّها خلقت من ضلع آدم الأيسر، فإنّه كلام خاطئ مأخوذ من بعض الروايات الإسرائيليه، و مطابق فى نفس الوقت لما جاء فى الفصل الثانى من كتاب التوراه (سفر التكوين) المحرّف، إضافة إلى كونه مخالفا للواقع و العقل، إذ أنّ تلك الروايات ذكرت أنّ أحد أضلاع آدم قد أخذ و خلقت منه حواء، و لهذا فإنّ الرجال ينقصهم ضلع فى جانبهم الأيسر، فى حين أنّنا نعلم بعدم وجود أى فارق بين عدد أضلع المرأه و الرجل، و هذا الاختلاف ليس أكثر من خرافه.

بعد هذا ينتقل الحديث إلى مسأله خلق أربعه أنواع من الانعام تؤمّن للإنسان

ص: ٢٣

١- ١) فى قوله تعالى: **ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا** محذوف تقديره (خلقكم من نفس واحده خلقها، ثمّ جعل منها زوجها).

ضروريات الحياه، حيث يستفيد من جلودها لملابسه، و من حليبها و لحمه الغذائه، و من جهه اخرى يصنع من جلودها و اصوافها عدّه أمور يستفيد منها في حياته، و من جهه ثالثه يستخدمها كوسيله لتنقله و حمل أثقاله: وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ وَ الْمَقْصُودُ مِنَ (الْأَزْوَاجِ الثَّمَانِيَةِ) الذَّكَرُ وَ الْأُنْثَى لِكُلِّ مِنَ الْإِبِلِ وَ الْبَقَرِ وَ الضَّأْنِ وَ الْمَعْزِ، وَ مِنْ هُنَا فَإِنَّ كَلِمَةَ (زَوْجٍ) تَطْلُقُ عَلَى كُلِّ مِنَ الذَّكَرِ وَ الْأُنْثَى، وَ لِهَذَا فَأَنَّ عَدَدَهُ يَكُونُ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ. (وَ لَذَا فِي بَدَايَةِ الْآيَةِ هَذِهِ أُطْلِقَتْ كَلِمَةُ زَوْجٍ عَلَى حِوَاءِ).

وَ عِبَارَهُ أَنْزَلَ لَكُمْ وَ الَّتِي تَخْصُ هُنَا الْأَنْعَامَ الْأَرْبَعَةَ - كَمَا بَيَّنَّا ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ - لَا تَعْنِي فَقَطْ إِنْزَالَ الشَّيْءِ مِنْ كَانَ عَالٍ، وَ إِنَّمَا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَاتِ تَعْنِي (تَدْنِي الْمَقَامَ) وَ النِّعَمَ مِنْ مَقَامٍ أَعْلَى إِلَى أَدْنَى.

كَمَا ذَكَرُوا اِحْتِمَالًا آخَرَ فِي أَنَّ (إِنْزَالَ) مُشْتَقَّةٌ هُنَا مِنْ (نَزَلَ) عَلَى وَزْنِ (رَسَلَ) وَ تَعْنِي ضِيَاغَهُ الضَّيْفِ، أَوْ أَوَّلَ مَا يَقْدَمُ لِلضَّيْفِ، وَ نَظِيرُ هَذَا الْمَعْنَى وَرَدَ فِي الْآيَةِ (١٩٨) مِنْ سُورَةِ الْاِمْرَانِ بِخُصُوصِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، قَالَ تَعَالَى: خَالِدِينَ فِيهَا نُنزِلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .

وَ قَدْ ذَهَبَ بَعْضُ الْمَفْسَّرِينَ إِلَى أَنَّ الْأَنْعَامَ الْأَرْبَعَةَ مَعَ أَنَّهَا لَمْ تَنْزَلْ مِنْ مَكَانٍ أَعْلَى إِلَى الْأَرْضِ، فَأَنَّ مَقَدِّمَاتِ تَوْفِيرِ مَتَطَلِبَاتِ حَيَاتِهَا وَ تَرْبِيَّتِهَا وَ الَّتِي هِيَ قَطْرَاتِ الْمَطَرِ وَ أَشْعَةُ الشَّمْسِ هِيَ الَّتِي تَنْزَلُ مِنَ الْأَعْلَى إِلَى الْأَرْضِ.

وَ وَرَدَ تَفْسِيرٌ رَابِعٌ لِهَذِهِ الْعِبَارَةِ هُوَ أَنَّ كُلَّ الْمَوْجُودَاتِ كَانَتْ مِنَ الْبَدَايَةِ مَوْجُودَةً فِي خَزَائِنِ عِلْمٍ وَ قَدْرِهِ الْبَارِئِ عَزَّ وَ جَلَّ، أَيْ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ، ثُمَّ انْتَقَلَتْ مِنَ الْغَيْبِ إِلَى الشَّهَادَةِ أَيْ إِلَى (الظُّهُورِ)، وَ لِهَذَا أُطْلِقُوا عَلَى هَذَا الْاِنْتِقَالِ عِبَارَةَ (الْاِنْتِقَالِ) كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي الْآيَةِ (٢١) فِي سُورَةِ الْحَجْرِ: وَ إِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (١).

ص: ٢٤

لكنّ التّفسير الأوّل أكثر مناسبه من غيره، رغم عدم وجود أى تعارض بين هذه التّفاسير، بل من الممكن أن تصب جميعها فى نفس المفهوم و المعنى.

و

ورد عن أمير المؤمنين عليه السّلام حديث فى تفسير هذه الآيه جاء فيه: «إنزاله ذلك خلقه إياه» أى أن إنزال تلك الأزواج الثمانيه من الأنعام يعنى خلقها من قبل الله.

ظاهر الحديث يشير إلى التّفسير الأوّل، لأنّ الله سبحانه و تعالى هو خالق الخلق، و له المقام الأسمى و الأرفع.

و على أيه حال، فرغم أنّ الأنعام المذكوره قليله ما يستفاد منها اليوم فى عمليات النقل و حمل الأثقال، لكنّها تقوم بمنافع مهمّه اخرى يزداد و يتسع حجم الاحتياج إليها يوما بعد آخر، لأنّها تغطى اليوم الجانب الأعظم من احتياجات الإنسان الغذائيه كالحليب و اللحم، إضافة إلى أصوافها و جلودها التى كانت منذ السابق و حتى يومنا هذا تستخدم فى صناعه الألبسه و غيرها من الأمور التى يحتاج إليها الإنسان، حتى أنّ أحد المنابع الماليه المهمّه بيد الدول الكبيره فى العالم يأتى عن طريق تربيّه و تكثير هذه الحيوانات.

ثمّ تتطرق الآيات إلى خلقه اخرى من حلقات خلق الله، و هى عمليه نمو الجنين إذ تقول الآيه: **يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ .**

يتضح أنّ المقصود من خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ هو الخلق المتكرر و المستمر، و ليس الخلق مرتين فقط.

«يخلقكم»: فعل مضارع يعطى معنى الاستمراريه، و هو هنا بمثابة إشارة قصيره ذات معان عميقه إلى التحولات العجيبه و الصور المختلفه التى تطرأ على الجنين فى مراحل وجوده المختلفه فى بطن الأم. و طبقاً لأقوال علماء علم الأجنّه

فإنَّ عمليه خلق و نمو الجنين في بطن الأمّ تعدّ من أعجب و أدقّ صور خلق البارئ عزّ و جلّ، و نادرا ما نلاحظ أنّ المطلعين على دقائق هذه القضايا لا تلهج ألسنتهم بحمد الخالق و ثنائه.

و قوله ظلماتٍ ثلاثٍ إشارة إلى ظلمه بطن الأمّ و ظلمه الرحم و ظلمه المشيمة (الكيس الخاص الذي يستقر فيه الجنين) التي هي في الحقيقة ثلاثة أغلفه سميكة تغطي الجنين.

فالمصورون-الآن-بحاجه إلى ضوء ساطع و نور من أجل التصوير، أمّا خالق الإنسان فيخطط في تلك الظلمه بشكل عجيب و يصور بشكل يدهش العقول، و يمدّه بأسباب العيش في مكان لا يمكن لأحد أن يوصل إليه رزقه الذي هو في أمسّ الحاجه إليه للنمو.

الإمام الحسين عليه السّلام سيد الشهداء يقول في دعائه المعروف بدعاء عرفه، الذي يعدّ دوره دراسيه كامله و عاليه في التوحيد، يقول عند استعراضه للنعم التي منّ بها البارئ عزّ و جلّ عليه:

«و ابتدعت خلقى من منى يمنى، ثمّ أسكنتنى في ظلمات ثلاث: بين لحم و جلد و دم لم تشهدنى خلقى، و لم تجعل إالى من أمرى ثمّ أخرجتنى إلى الدنيا تامّا سويا» (١).

(مما يذكر أننا قد تطرقنا إلى عجائب خلق الجنين و مراحل خلقه في ذيل الآيه (٦) من سوره آل عمران و في ذيل الآيه (٥) من سوره الحج).

و في نهايه الآيه، بعد ذكر الحلقات التوحيديه الثلاثه الخاصه بخلق الإنسان و الأنعام و مراحل خلق الجنين، يقول البارئ عزّ و جلّ: ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآتَى تُصْرَفُونَ .

ص: ٢٦

فأحيانا يصل الإنسان بعد مشاهدته لهذه الآثار التوحيدية العظيمة إلى مقام الشهود. ثم أشار تعالى إلى ذاته القدسية، حيث يقول: **ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ حَقًّا** لو كانت هناك عين بصيره فيمكنها أن تراه إنه وراء هذه الآثار... فعين الجسم ترى الآثار، وعين القلب ترى خالق الآثار.

عبارتي «ربكم» و«له الملك» تدلان في الحقيقة على حصر الربوبية بذاته الطاهره المقدسه، و الذي اتضح بصوره جيده في عبارته لا إله إلا هو فعند ما يكون هو الخالق و المالك و المربي و الحاكم لكل عالم الوجود، فما هو دور غيره في هذا العالم كى يستحق العبوديه؟! و هنا تصرخ الآيه بوجه مجموعه من النائمين و الغافلين قائله: **فَأَنى تُصَيِّرُ فُونِ أى كيف ضللتهم و انحرفتم عن سبيل التوحيد (١)؟** بعد ذكر هذه النعم الكبره التى من بها البارئ عزّ و جلّ على عباده، تتطرق الآيه التاليه إلى مسأله الشكر و الكفر، و تناقش جوانب من هذه المسأله. و فى البدايه تقول: **إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنى عَنكُمْ** اى إن تكفروا أن تشكروا فإن نتائجها تعود عليكم، و الله غنى عنكم فى حال كفركم و شكركم.

ثم تضيف، إن غناه و عدم احتياجه لا يمنعان من أن تشكروا و تتجنبوا الكفر، لأن التكليف إنما هو لطف و نعمه إلهيه، نعم، قال تعالى: **وَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَ إِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ (٢)**.

و بعد استعراض هاتين النقطتين تستعرض الآيه نقطه ثالثة و هى

ص: ٢٧

١- ١) - نلفت الانتباه إلى أن (أنى) تأتي أحيانا بمعنى (اين) و أحيانا أخرى بمعنى (كيف).  
٢- ٢) - وفق القراءات المشهوره، فإن (يرضه) تقرأ بضم الهاء و بدون إشباع الضمير، لأنها كانت فى الأصل (يرضاه) و قد أسقطت الألف بسبب الجزم و أصبحت (يرضه) و الضمير فيها يعود على الشكر. و رغم أن كلمه (شكر) لم ترد من عبارته السابقه بصوره صريحه، إلا أن عبارته (إن تشكروا) تدل عليها، كما هو الحال بالنسبه إلى الضمير فى **إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى** الذى يعود على العدله.

تحمل شخص مسؤوليه أعماله، لأن قضية التكليف لا يكتمل معناها بدون هذا الأمر، قال تعالى: **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ** .

ولأنه لا معنى للتكليف إن لم يكن هناك عقاب و ثواب، فالآيه تشير في المرحله الرابعه إلى قضية المعاد، و تقول: **ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** .

و لكون مسأله الحساب و العقاب لا- يمكن أن تتم ما لم يكن هناك اطلاع و علم كاملين بالأسرار الخفيه للإنسان، تختتم الآيه بالقول: **إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** .

بهذا الشكل، و من خلال جمل قصار، استعرضت فلسفه التكليف و خصوصياته و مسؤوليه الإنسان و مسأله العقاب و الجزاء و الثواب. و هذه الآيه جواب قاطع لمن يتولى المذهب الجبرى، الذى انتشر- ممّا يؤسف له- فى صفوف بعض الطوائف الإسلاميه، لأن الآيات الكريمه تقول و بصراحه: **وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ** .

و هذا دليل واضح على أن إرادته الكفر لم تفرض على الكافرين (كما يقول بذلك أتباع المذهب الجبرى) لأن من البديهى أن من لا يرتضى شيئاً لا يأتى به، فهل يمكن أن تكون إرادته الله منفصله عن رضاه؟ متعصبو المذهب الجبرى يثيرون العجب عند ما يعمدون إلى ستر هذه العبارة الواضحه من خلال حصر كلمه (العباد) بالمؤمنين أو المعصومين، فى حين أنها كلمه ذات معنى مطلق و تشمل بصوره واضحه كلّ العباد، نعم، فالبارى، عزّ و جلّ لا يرتضى الكفر لأحد من عباده، مثلما يرتضى الشكر لكلّ عباده من دون أى استثناء (١) .

ص: ٢٨

---

(١-١) - هناك بحث مفصل فى ذيل الآيه (٥) من سوره إبراهيم- عن أهميه و فلسفه الشكر و عن مفهومها الحقيقى و أبعادها.



و هذه النقطة تلفت الانتباه، و هي أنّ أساس تحمّل كلّ إنسان لمسؤوليه أعماله يعدّ من الأسس المنطقيه و المسلم بها في كلّ الأديان السماويه (١).

و بالطبع يمكن أحيانا أن يكون الإنسان مشتركاً في ذنوب الآخرين، و ذلك عند ما يكون مضطلعاً أو مساهماً مع آخرين في تهيئه مقدمات أو أسس ذلك العمل، كالذين يتدعون البدع أو السنن الضاله، في هذه الحاله تكون ذنوب أي شخص يرتكب تلك المحرمات في ذمه مسببها الرئيسي دون أن تقل ذنوب ذلك الشخص الذي ارتكب الذنب (٢).

ص: ٢٩

---

١-١ - بهذا الخصوص هناك بحث في ذيل الآيه (١٥) من سوره الإسراء.

٢-٢ - هناك بحث بهذا الشأن في ذيل الآيه (١٤) من سوره الأنعام.

اشاره

وَ إِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَ جَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (٨) أَمْ مَنْ هُوَ قَائِمٌ أَنْاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَ قَائِمًا يُحَذِرُ الْآخِرَةَ وَ يُزْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنْ مَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ (٩)

التفسير

اشاره

هل العلماء و الجهله متساوون؟

الآيات السابقه تحدث بالأدله و البراهين عن توحيد و معرفه البارئ عز و جل، و ذلك من خلال عرض بعض الظواهر العظيمه له فى الآفاق و الأنفس، أما آيات بحثنا فتحدث فى البدايه عن التوحيد الفطرى و توضح أن ما يدركه الإنسان عن طريق العقل أو الفهم أو المطالعه فى شؤون الخلق موجود بصوره فطريه فى أعماقه، و أنه يظهر أثناء المشاكل و أعاصير الحوادث التى تعصف به، و لكن هذا الإنسان الكثير النسيان يبتلى مره اخرى بالغفله و الغرور فور ما تهدأ

العواصف و المشاكل و تقول الآيه الكريمه: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ وَ نَادَا مِنْ ذُنُوبِهِ وَ غفلته.

و عند ما يمنّ الله على الإنسان بالنعم ينسى المشاكل و الابتلاءات السابقه التى دعا الله عزّ و جلّ من أجل كشفها عنه، قال تعالى: ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ (١).

إذ يجعل لله أندادا و شركاء و يعمد إلى عبادتها، و لا يكتفى بعبادتها بل يعمد- أيضا- لإضلال و حرف الناس عن سبيل الله: وَ جَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ .

المقصود هنا من (الإنسان) هم الناس العاديون الذين لم يتربوا فى ظل إشعاعات أنوار تعاليم الأنبياء، و لا يشمل هذا الكلام المؤمنين الذين يذكرون الله فى السراء و الضراء و يطلبون العون من لطفه دائما.

المراد من (ضر) هنا كلّ أذى أو محنه أو ضرر يصيب الجسم أو الروح.

«خولناه»: من ماده (خول) على وزن (عمل) و تعنى المراقبه المستمره لشيء ما، المراقبه و التوجه الخاص يستلزم العطاء و البذل، فقد استخدمت هنا بمعنى الهبه.

و قال البعض: إن (خول) على وزن (عمل) و تعنى الخادم، و لهذا فإنّ كلمه «خوله» تعنى الخادم الذين وهب لصاحبه، ثمّ استعملت فى كافه أشكال هبه النعم بالتحويل.

و البعض الآخر قال: إنّها تعنى الفخر و التباهى، و لهذا فإنّ العبارة المذكوره

ص: ٣١

١ - ١) - هناك اختلاف بين المفسرين حول المعنى الذى تعطيه (ما) فى عبارته: نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ البعض يعتقد أن (ما) موصوله تشير إلى (ضر) و لكون هذا المعنى هو الأنسب، فقد قدم على المعانى الأخرى، و قال البعض أيضا: إن (ما) موصوله و المراد منها هو الله سبحانه و تعالى: و مجموعه أخرى قالت: إن (ما) مصدرية و تعنى الدعاء، و إمعان النظر فى الآيه (١٢) من سوره يونس: وَ إِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا لِحِثِّهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ يَبِينُ أَنْ هَذِهِ الْآيَةُ شَاهِدٌ عَلَىٰ صِحِّهِ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ.

أعلاه تعنى حصول الإنسان على الفخر عن طريق منحه و هبته النعم (١).

و يصوره عامه فإنّ هذه الجملة تعكس إضافة إلى العطاء و الهبة، اهتمام الباري عزّ و جلّ الخاصّ بعبده.

عبارة مُنبِئاً إِلَيْهِ تَبَيَّنَ أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي الْحَالَاتِ الصَّعْبَةِ يَضَعُ كَافَّةً سِتَائِرَ غُرُورِهِ وَ غَفْلَتَهُ جَانِبًا، وَ يَتْرِكُ وَرَاءَهُ كُلَّ مَا كَانَ يَعْبُدُهُ أَوْ يَتَمَسَّكُ بِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَ يَعُودُ إِلَى الْبَارِي، عَزَّ وَ جَلَّ، وَ يَسْتَشْفَى مِنْ مَفْهُومِ (الْإِنَابَةِ) هَذِهِ الْحَقِيقَةِ وَ هِيَ أَنَّ مَبْدَأَ الْإِنْسَانَ وَ مَقْصِدَهُ وَ غَايَتَهُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى.

«أندادا»: جمع (ند) على وزن (ضد) و تعنى الشبيه و المثل، مع وجود بعض الاختلاف و هو أنّ (مثل) لها مفهوم واسع، و لكن (ند) لها معنى واحد، و هو المماثلة فى الذات و الجوهر.

عبارة (جعل) تبين أن تصورات و خيالات الإنسان تصنع مثيلاً و شبيهاً لله، الأمر الذى لا يمكن أن ينطبق مع الواقع.

و عبارة لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ تَبَيَّنَ أَنَّ الضَّالِّينَ الْمَغْرُورِينَ لَا يَقْتَنِعُونَ بِإِضْلَالِ أَنْفُسِهِمْ، وَ إِنَّمَا يَعْمَدُونَ لِحُجْرِ الْآخِرِينَ إِلَى وَادِي الضَّلَالِ.

و على أية حال، فإنّ آيات القرآن المجيد أشارت -مرّات عديدة- إلى العلاقة الموجوده بين (التوحيد الفطرى) و (الحوادث الصعبة فى الحياه) كما عكست اضطراب الإنسان المغرور الذى يلجأ إلى الله و يوحدّه بإخلاص فور ما تعصف به العواصف و الأعاصير، و كيف أنّه ينسى الله و يعود إلى غروره و لجأته فور هدوء العاصفه ليسيّر من جديد فى طريق الشرك و الضلال.

و ما أكثر أمثال هؤلاء الأشخاص المتلونون، و ما أقل من ينقلب و يتغير عند ما يمنّ الباري عزّ و جلّ عليه بالنصر و النعم و الاستقرار.

نعم، فأبسط نسمة هواء تمرّ على حوض ماء تجعل مياه مضطربه، أمّا المحيط

ص: ٣٢

١-١) -يراجع (لسان العرب) و (مفردات الراغب) و تفسير (روح المعانى).

الهادى فإنه لا يتأثر أبداً بأشدّ الأعاصير و لذا سُمى المحيط الهادى.

نهايه الآيه تخاطب مثل أولئك الأشخاص بلغه ملؤها التهديد الصريح و الحازم و القاطع: قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ .

فهل يمكن أن يكون لإنسان كهذا مصير أفضل من هذا؟! الآيه التاليه استخدمت أسلوب المقارنه، الأسلوب الذى طالما استخدمه القرآن المجيد لإفهام الآخرين القضايا المختلفه، حيث تقول: هل أن مثل هذا الشخص انسان لائق و ذو قيمه: أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ (١).

أين ذلك الإنسان المشرك و الغافل و المتلون و الضالّ و المضلّ من هذا الإنسان ذو القلب اليقظ الطاهر الساطع بالنور، الذى يسجد لله فى جوف الليل و الناس نيام، و يدعو ربه خائفاً راجياً؟! فهؤلاء فى حال النعمه لا يدعون أنفسهم فى مأمن من العقاب و العذاب، و فى حال البلاء لا يياسون من رحمته، و هذان العاملان يرافقان وجودهم أثناء حركتهم المستمره بحذر و احتياط نحو معشوقهم.

«قانت» من ماده «قنوت» بمعنى ملازمه الطاعه المقرونه بالخشوع و الخضوع.

«آناء» هى جمع (انا)-على وزن كذا-و تعنى ساعه أو مقداراً من الوقت.

التأكيد هنا على ساعات الليل، لأنّ تلك الساعات يحضر فيها القلب أكثر، و تقلّ نسبه تلوثه بالرياء أكثر من أى وقت آخر.

قدمت الآيه السجود على القيام، و ذلك لكون السجود من أعلى درجات العباده، و إطلاق الرحمه و عدم تقييدها بالآخره دليل على سعه الرحمه الإلهيه التى تشمل الحياه الدنيا و الآخره.

ص: ٣٣

(١- ١) -فى هذه العبارة شق محذوف، و التقدير (أ هذا الذى ذكرنا خير أمن هو قانت آناء الليل).

و في حديث ورد في كتاب «علل الشرائع» و في كتاب «الكافي» نقلا عن الإمام الباقر عليه السلام، إنه فسّر هذه الآية: أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ  
أَنَاءَ اللَّيْلِ بِأَنِّهَا صَلَاةَ اللَّيْلِ (١).

من الواضح أن هذا التفسير يشبه الكثير من التفاسير الأخرى التي بينت في ذيل آيات مختلفه في القرآن الكريم من قبيل ذكر  
مصاديقها الواضحه، و لا ينحصر مفهوم الآية بصلاه الليل.

و تتمه الآية تخاطب الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ بالقول: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ .  
كلا، إنهم غير متساوين: إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ .

لا- شك في أن السؤال المذكور أعلاه سؤال شامل، و أنه يقارن ما بين الذين يعلمون و الذين لا- يعلمون، أي بين العلماء و  
الجهله، لأنه قبل طرح هذا السؤال، كان هناك سؤال آخر قد طرح، و هو: هل يستوى المشركون و المؤمنون الذين يحيون الليل  
بالعباده، فالسؤال الثاني يشير أكثر إلى هذه المسأله و هو: هل أن الذين يعلمون بأن المشركين المعاندين لا يتساوون مع المؤمنين  
الطاهرين، يتساوون مع الذين لا- يعلمون بهذه الحقيقه الواضحه؟ و على أيه حال فهذه العبارة التي تبدأ باستفهام  
استنكاري، توضح أحد شعارات الإسلام الأساسية و هو سمو و علو منزله العلم و العلماء في مقابل الجهل و الجهله. و لأنّ عدم  
التساوي- هذا- ذكر بصوره مطلقه، فمن البديهي أن تكون هاتان المجموعتان غير متساويتين عند الباري، عزّ و جلّ، و غير متساويتين  
في وجهه نظر العقلاء، و لا يقفون في صفّ واحد من الدنيا، و لا في الآخرة و أنهم مختلفون ظاهرا و باطنا.

ص: ٣٤

تتضمّن هاتان الآيتان إشارات لطيفه إلى نقاط مهمّه:

١- فى الآيه الأولى، ذكرت فلسفه الحوادث المرّه و الصعبه، و انشكاف ستائر الغرور و الغفله عن عين القلب، و صيروره شعاع الإيمان شعله وهاجه، و العوده و الإنابه إلى لله سبحانه و تعالى، و أجابت الآيه فى نفس الوقت أولئك الذين يتصورون أنّ وجود مثل تلك الحوادث الصعبه فى الحياه إنّما هى نقص فى مسأله نظام الخلق و فى عداله البارئ عزّ و جلّ.

٢- الآيه الثانيه تبدأ بالدعوه إلى العمل و بناء الذات و تنتهى بالعلم و المعرفه، لأنّ من لم يبين ذاته، لا- تشع أنوار المعرفه من قلبه، حيث لا يمكن أصلا فصل العلم عن بناء الذات.

٣- قوله تعالى: **قَانِتْ أَنْاءَ اللَّيْلِ** و ردت هنا بصيغه اسم فاعل، و كلمه (الليل) جاءت مطلقه لتشير إلى استمرار عبوديه و خضوع أولئك لله سبحانه، لأنّ العمل إذا لم يستمر فيكون ضعيف جدًا.

٤- إنّ العلم الاضطرارى المتولّد من نزول البلاء و الذى يربط الإنسان بخالفه، لا يكون مصداقا حقيقيا للعلم إلا إذا استمر إلى ما بعد هدوء العاصفه. لذا فإنّ الآيات المذكوره أعلاه تجعل الإنسان الذى يستيقظ حال نزول البلاء و يعود إلى غفلته عند زواله تجعله فى عداد الجهله. إذن فإنّ العلماء الحقيقيين هم المتوجهون إليه تعالى فى كلّ الحالات.

٥- ممّا يلفت الانتباه أنّ نهايه الآيه الأخيره تقول: إنّ الفرق بين الجاهل و العالم لا- يدركه سوى أولى الألباب! لأنّ الجاهل لا يدرك قيمه العلم، و فى الحقيقة إنّ كلّ مرحله من مراحل العلم هى مقدمه لمرحله أخرى.

٦- العلم فى هذه الآيه و بقيه الآيات لا- يعنى معرفه مجموعه من المصطلحات، أو العلاقه الماديه بين الأشياء، و إنّما يقصد به المعرفه الخاصه التى

تدعو الإنسان إلى (القنوت) أى إلى طاعه البارئ عزّ وجلّ والخوف من محكمته و عدم اليأس من رحمته، هذه هي حقيقه العلم، و إن كانت العلوم الدنيويه تؤدى إلى ما ذكرناه آنفا، فهى علم أيضا. و إلا فهى سبب الغفله و الظلم و الغرور و الفساد فى الأرض، و لا يحصل منها سوى «القييل و القال» و ليس «الكيفيه و الحال».

٧- على عكس ما يعتقد به الجهله الذين يعدّون الذين مخدرا (أفيونا)، فإنّ أهم ما يدعوا إليه الأنبياء هو طلب بالعلم و المعرفه، و قد أعلنوا عداءهم للجهل أينما كان، و إضافه إلى أنّ القرآن الحكيم استغل الكثير من المناسبات كى يوضح هذا الأمر، كما وردت فى الروايات الإسلاميه أحاديث تصور عدم وجود شىء أفضل من العلم.

فقد ورد فى حديث عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «لا خير فى العيش إلا لرجلين: عالم مطاع، أو مستمع واع» (١).

كما

ورد حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام، جاء فيه: «إنّ العلماء ورثه الأنبياء و ذاك أنّ الأنبياء لم يورثوا درهما و لا دينارا، و إنّما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشىء منها فقد أخذ حظا و افرا، فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه فإن فينا أهل البيت فى كلّ خلف عدولا ينفون عنه تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين» (٢).

٨- الآيه الأخيره تتحدث عن ثلاث مجموعات، هم العلماء و الجهله و أولو الألباب، و

قد شخصهم الإمام الصادق عليه السّلام فى حديث له، عند ما قال: «نحن الذين يعلمون، و عدونا الذين لا يعلمون، و شيعتنا أولوا الألباب» (٣).

-٩

ورد فى الحديث خرج أمير المؤمنين عليه السّلام ذات ليله من مسجد الكوفه

ص: ٣٦

١-١) -الكافى، المجلد الأوّل، باب صفه العلم و فضله الحديث (٧).

٢-٢) -الكافى، المجلد الأوّل، باب صفه العلم و فضله الحديث (٢).

٣-٣) -تفسير مجمع البيان ذيل آيات البحث.



متوجّها إلى داره و قد مضى ربع من الليل و معه كميل بن زياد رحمه الله و كان من خيار شيعته و محبّيه فوصل في الطّريق إلى باب رجل يتلو القرآن في ذلك الوقت و يقرأ قوله تعالى أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ <sup>ق</sup>أَنَاءَ <sup>ق</sup>اللَّيْلِ... الآية بصوت شجي حزين فاستحسن كميل ذلك في باطنه و أعجبه حال الرّجل من غير أن يقول شيئاً،فالتفت صلوات الله عليه إليه و قال:يا كميل لا يعجبك طنطنه الرّجل إنّه من أهل النّار سأنبئك بعد، فيما يصدر فتحيّر كميل مكاشفه له على ما في باطنه و لشهادته بدخول النّار مع كونه في هذا الأمر و تلك الحالة الحسنه و مضى مدّه متطاوله إلى أن ال حال الخوارج إلى ما ال و قاتلهم أمير المؤمنين عليه السّلام و كانوا يحفظون القرآن كما أنزل، فالتفت أمير المؤمنين عليه السّلام إلى كميل و هو واقف بين يديه و السيف في يده يقطر دما و رؤوس أولئك الكفرة الفجرة مجلقه على الأرض فوضع رأس السيف على رأس من تلك الرؤوس و قال:يا كميل أمّن هو قانت...الآيه أى هو ذلك الشخص الذى كان يقرأ القرآن في تلك الليله فأعجبك حاله قبل كميل قدميه عليه السّلام و استغفر الله (١).

ص: ٣٧

اشاره

قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ  
(١٠) قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ  
أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٥) لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا  
عِبَادِ فَاتَّقُونِ (١٦)

التفسير

اشاره

الخطوط الرئيسة لمناهج العباد المخلصين:

تممه لما جاء في بحث الآيات السابقة التي قارنت بين المشركين المغرورين و المؤمنين المطيعين لله، و بين العلماء و الجهله، فإن آيات بحثنا هذا تبحث

الخطوط الرئيسيّه لمنهج عباد الله الحقيقيين المخلصين و ذلك ضمن سبعة مناهج وردت في عدّه آيات تبدأ بكلمه (قل).

الآيه الأولى تحثّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ عَلَى التَّقْوَى: قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ (١).

نعم، فالتقوى هي الحاجز الذي يصدّ الإنسان عن الذنوب، و تجعله يحسّ بالمسؤولية و بتكاليفه أمام الباري، عزّ و جلّ، هي المنهج الأوّل لعباد الله المؤمنين و المخلصين، فالتقوى هي الدرع الذي يقي الإنسان من النار، و العامل الرئيسي الذي يردعه عن الانحراف، فالتقوى هي ذخيرهته الكبيره في سوق القيامة، و هي ميزان شخصيه و كرامه الإنسان عند الباري عزّ و جلّ.

المنهج الثاني يختص بالإنسان و العمل الصالح في هذه الدنيا التي هي دار العمل، و قد شجعت الآيه الناس و حثتهم على عمل الإحسان، من خلال بيان نتيجته ذلك العمل: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ (٢).

نعم فالإحسان بصوره مطلقه في هذه الدنيا-سواء كان في الحديث، أو في العمل، أو في نوع التفكير و التفكير بالأصدقاء و الغرباء- يؤدّي إلى نيل ثواب عظيم في الدنيا و الآخرة، لأنّ جزاء الإحسان هو الإحسان.

و في الواقع فإنّ التقوى عامل ردع، و الإحسان عامل صلاح، و كلاهما يشمل (ترك الذنب) و (أداء الفرائض و المستحبات).

المنهج الثالث يدعو إلى الهجره من مواطن الشرك و الكفر الملوثة بالذنوب، قال تعالى: وَ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ .

ص: ٣٩

١- ١) -من البديهي أنّ الخطاب بعبارته «يا عبادي» هو من الله، و إن كان المخاطب هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ فالمقصود هنا أن أبلغهم خطابي.

٢- ٢) -أغلب المفسّرين اعتبروا عبارته (في هذه الدنيا) تعود على عبارته (أحسنوا)، و استنادا لهذا فإن «حسنه» مطلقه تشمل كل حسنه في الدنيا و الآخرة، و مع انتباه إلى أن استعمال التنوين في مثل هذه الموارد إنّما هو لإعطاء الكلمه طابع التفخيم و العظمه، فإنه يفيد بيان عظمه الثواب.

هذه الآيه-فى الحقيقه-ردّ على ذوى الإراده الضعيفه و المتذرعين بمختلف الذرائع الذين يقولون: إنّنا عاجزون عن أداء الأحكام الإلهيه لأننا فى أرض مكّه التى يحكمها المشركون، و القرآن يردّ عليهم بأن أرض الله لا تقتصر على مكّه، فإن لم تتمكنوا من أداء فرائضكم فى مكّه فالمدينه موجوده، بل إن الأرض كلها لله، هاجروا من المواطن الملوته بالشرك و الكفر و الظلم التى لا يمكنكم فيها أداء الأحكام الإلهيه بحريه إلى آخر.

مسأله الهجره هى إحدى أهم المسائل التى لم تلعب دورا أساسيا فى صدر الإسلام بانتصار الحكومه الإسلاميه فحسب، بل إنّ لها أهميه فى كلّ زمان، لأنّها من جهه تمنع مجموعه من المؤمنين أن يستسلموا لضغط و كبت محيطهم، و من جهه اخرى تكون عاملان مساعدا لتصدير الإسلام إلى نقاط مختلفه فى أنحاء العالم.

و القرآن المجيد يقول: إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا (١).

و هذا يوضح-بصوره جيده- أنّ المؤمن الذى تحيط به الضغوط و الكبت، و يستطيع أن يهاجر فى سبيل الله عليه أن يهاجر، و إلاّ فإنّه غير معذور أمام الله.

(بشأن أهميه الهجره فى الإسلام و أبعادها المختلفه كانت لنا بحوث مختلفه و مفصله فى ذيل الآيه (١٠٠) من سوره النساء، و فى ذيل الآيه (٧٢) من سوره الأنفال).

و لأنّ الهجره ترافقها بصوره طبيعيه مشكلات كثيره فى مختلف جوانب الحياه، فالمنهج الرابع إذن يتعلّق بالصبر و الاستقامه، قال تعالى:

ص: ٤٠

إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ

(١)

و عباره (يوفى) مشتقّه من (وفى) و تعنى إعطاؤه حقّه تاما كاملا. و عباره (بغير حساب) تبين أن للصابرين أفضل الأجر و الثواب عند الله، و لا يوجد عمل آخر يبلغ ثوابه حجم ثواب الصبر و الاستقامه.

و الشاهد على هذا القول ما

جاء فى الحديث المعروف الذى رواه الإمام الصادق عليه السّلام عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و الذى جاء فيه: «إذا نشرت الدواوين و نصبت الموازين لم ينصب لأهل البلاء ميزان، و لم ينشر لهم ديوان، ثم تلا هذه الآيه:

إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ

(٢)

و البعض يعتقد أن هذه الآيه تخصّ الهجره الأولى للمسلمين، أى هجره مجموعه كبيره من المسلمين إلى أرض الحبشه تحت قياده جعفر بن أبى طالب عليه السّلام، و كما قلنا مرارا رغم أن أسباب النزول توضيح مفهوم الآيه، إلا أنها لا تحددّها.

أمّا المنهج الخامس فقد ورد فيه أمر الإخلاص و التوحيد الخالى من شوائب الشرك، و هنا تتغير لهجه الكلام بعض الشىء، و يتحدث الرّسول الأكرم صلّى الله عليه و آله و سلّم عن وظائفه و مسؤولياته، إذ يقول: قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ

ثم يضيف: وَ أُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ . و هذا هو المنهج السادس الذى يعترف بأنّ النّبى الأكرم صلّى الله عليه و آله و سلّم هو أول الناس إسلاما و تسليما لأوامر البارئ عزّ و جلّ.

أمّا المنهج السابع و الأخير فيتناول مسأله الخوف من عقاب البارئ عزّ و جلّ يوم القيامة، قال تعالى: قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ .

ص: ٤١

١- ١) - «بغير حساب» من الممكن أن تكون متعلقه ب(يوفى)، أو أنها(حال) ل(أجرهم) لكن الاحتمال الأول أنسب.

٢- ٢) - تفسير مجمع البيان ذيل آيات البحث، و نفس المعنى مع اختلاف بسيط ورد فى تفسير القرطبي نقلا عن الإمام الحسين

بن علي عليهما السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

التأمل فى هذه الآيات يكشف بوضوح عن أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو عبد من عباد الله، وهو مكلف أيضا بعبادة الله بإخلاص، لأنه-هو أيضا- يخاف العذاب الإلهي، وهو مكلف بإطاعة الأوامر الإلهية، كما أنه مكلف بتكاليف وواجبات أثقل وأعظم من تكاليف الآخرين، ولذا يجب أن يكون أفضل وأسمى من الآخرين.

إنه لم يدع الألوهية أبداً، ولم يخط خطوه واحده خارج مسير العبودية، بل إنه يفتخر ويتباهى بهذا المقام، ولهذا السبب كان قدوه وأسوه، وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يفضل نفسه على الآخرين، وهذا دليل على عظمته وأحقّيته، فهو ليس كالمدّعين الكذّابين الذين كانوا يدعون الناس إلى عبادتهم، ويعتبرون أنفسهم أرقى من البشر، وأنهم من معدن ثمين أفضل من الناس، وأحيانا يدعون أتباعهم إلى التبرع سنويا بالذهب والجواهر بقدر وزنهم.

إنه يقول: إننى لست مثل السلاطين المتجبرين على رقاب الناس الذين يكلفون الناس ببعض التكاليف ويعتبرون أنفسهم «فوق تلك التكاليف» وهذا فى الواقع إشاره إلى موضوع تربوى هام، وهو أنّ كلّ إنسان-مربيا كان أم قائدا- عليه أن يكون السباق فى تنفيذ من أجلها ما يمليه عليه نهجه، فيجب أن يكون أوّل مؤمن بشريعته أو سنته وأكثر الساعين والمضحّين كى يؤمن الناس بصدقه، ويتخذونه أسوه وقدوه لهم فى كلّ الأمور. ومن هنا يتضح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن أوّل مسلم من حيث الزمان وحسب، وإنما كان أوّل إسلاما من كلّ النواحي، من ناحيه الإيمان والإخلاص، والعمل، والتضحيه، والجهاد، والصمود، والمقاومه، وتاريخ حياه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يؤيد هذه الحقيقه بصوره جيده.

بعد استعراض المناهج السبعه المذكوره فى الآيات أعلاه (التقوى، الإحسان، الهجره، الصبر، الإخلاص، التسليم، الخوف).

و لكون مسأله الإخلاص لها ميزات خاصه فى مقابل العلل المختلفه للشرك،

تعود الآيات لتؤكد عليها مرّة أخرى، إذ تقول و بنفس اللهجة السابقة: قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١).

أما أنتم فاعبدوا ما شئتم من دون الله: فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ .

ثم تضيف: قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

أى إنهم لم يستثمروا طاقاتهم و عمرهم، و لا- من عوائلهم و أولادهم لإنقاذهم، و لا- لإعاده ماء الوجه المراق إليهم، و هذا هو الخسران العظيم: أَلَا ذَلِكُ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ .

الآية الأخيره فى بحثنا هذا تصف إحدى صور الخسران المبين، إذ تقول: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ .

و بهذا الشكل فإنّ أعمده النيران تحيط بهم من كلّ جانب، فهل هناك أعظم من هذا؟ و هل هناك عذاب أشدّ من هذا؟ «ظلل» جمع (ظله) على وزن «سنه» و تعنى الستر الذى ينصب فى الجبهه العليا. و طبقا لهذا فإنّ إطلاق هذه الكلمه على ما يفرش تحت اهل النار اطلاق مجازى و من باب التوسع فى معنى الكلمه.

بعض المفسرين قالوا: بما أنّ أصحاب النار يتقبلون بين طبقات جهنم، فإنّ ستائر النار محيط بهم من فوق رؤوسهم و من تحت أرجلهم. و الآية (٥٥) من سوره العنكبوت تشبه هذه الآية: يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَ يَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .

هذا فى الحقيقة تجسيد لأحوالهم و أوضاعهم فى هذه الدنيا، إذ أن الجهل و الكفر و الظلم محيط بكلّ وجودهم، و مستحوذ عليهم من كلّ جانب، ثم تضيف الآية مؤكده و واعظه إياهم: ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ .

إضافه كلمه (العباد) إلى لفظ الجلاله فى هذه الآية، و لعدّه مرّات اشاره إلى أنّ

ص: ٤٣

١-١) -تقديم (اسم الجلاله) و الذى هو مفعول (اعبد) يفيد الحصر هنا، و قوله (مخلصا له ديني) التى هى حال يؤكد معنى الحصر.



تهديد الباري عزّ وجلّ لعباده بالعذاب إنّما هو لطف و رحمه منه، و ذلك كى لا يتلى عباده بمثل هذا المصير المشؤوم، و من هنا يتضح أنّه لا حاجة لتفسير كلمه (العباد) هنا على أنّها تخصّ المؤمنين، فهى تشمل الجميع، كى لا يأمن أحد من العذاب الإلهى.

## ملاحظات

### اشاره

#### ١- حقيقه الخسران!

يرى الراغب فى مفرداته أنّ الخسران يعنى ذهاب رأس المال كلّهُ أو بعضه، و أحيانا تنسب إلى الإنسان، عند ما يقال: (الشخص الفلانى خسر) و أحيانا تنسب إلى العمل عند ما يقولون: (خسرت تجارته).

و تستخدم كلمه (خسران) أحيانا فى حاله فقدان الثروه الظاهريه، كالمال و الجاه، الدينوى، و أحيانا أخرى تستخدم فى حاله فقدان ثروه معنويه كالصحه و السلامه و العقل و الإيمان و الثواب، و هذا هو الشىء الذى سمّاه الباري عزّ وجلّ (الخسران المبين) فكلّ خسران ذكره الباري عزّ وجلّ فى القرآن الكريم إنّما يشير إلى المعنى الثانى و ليس إلى الخسران الخاص بثروات الدنيا و تجارتها (١).

و قد شبّه القرآن الإنسان بتجاره الأثرياء الذين يدخلون أسواق التجاره العالميه برؤوس أموال كبيره، فالبعض منهم يجنى أرباحا كبيره، و البعض الآخر يخسر خساره فادحه.

آيات كثيره فى القرآن المجيد تطرقت إلى مثل هذا التعبير و التشبيه، حيث توضح الحقيقه التاليه: إنّ النجاه من العذاب الإلهى لا تتحقق بالجلوس و انتظار

ص: ٤٤

هذا و ذاك، و إن السبيل الوحيد للنجاه هو الاستفاده من الثروه، و بذل الجهود و المساعى فى هذه التجاره الكبيره، لأنّ كلّ شىء يعطى بثمان، و لا- يعطى بالمعاذير! و قد يتساءل البعض: ما هى أسباب وصف خساره المشركين و المذنبين بالخسران المبين؟ الجواب هو:

أولاً: لأنّهم باعوا أفضل ثروه لديهم- أى العمر و العقل و الإدراك و العواطف الانسانيه- بدون مقابل.

ثانياً: لو أنّهم باعوا تلك الثروه من دون أن يشتروا العذاب و العقاب لكان أمراً هيناً بعض الشىء، لكنّ الأمر لم يكن كذلك إذ أنّهم بخسرانهم لتلك الثروه العظيمه هياؤوا لأنفسهم عذاباً أليماً و عظيماً.

ثالثاً: إنّ هذه الخساره التى لا يمكن أن تعوّض بأى ثمن، و هذه هى (الخسران المبين).

## ٢- ما هو المراد من الآيه: فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ

عبارة فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ جاءت بصيغه أمر تهديدى، و هذا الأسلوب يستعمل عند ما لا تؤثر النصيحه و الموعظه بالشخص المجرم و المذنب، إذ أنّ آخر ما يقال له: (افعل ما تشاء، و لكن انتظر العقاب أيضاً) و يعنى أنّك وصلت إلى درجه لا تستحقّ معها النصيحه و الموعظه، و أنّ مصيرك و علاجك هو العذاب الأليم.

## ٣- من هم الأهل؟

الآيات المذكوره أعلاه تقول: إنّ أولئك الخاسرين لم يخسروا ثروه وجودهم فحسب، و إنّما خسروا أهلهم أيضاً.

بعض المفسرين قال: إنّ المراد من (أهل)هم أتباع الإنسان و السائرون على نهجه.

و البعض الآخر فسرها بأنّها تعنى الزوجات القاصرات الطرف فى الجنّه، اللواتى خسرن المشركون و المجرمون.

و البعض الآخر يقول: إنّها تعنى العائله و الأرقاب فى الدنيا.

و المعنى الأخير-مع الالتفات إلى أنه المعنى الأصلى لهذه الكلمه-يعد أنسب من الجميع، لأن الكافر يخسر أهله يوم القيامة، إذ ينفصلون عنه و إن كانوا مؤمنين، و أما إذا كانوا مشركين فمضافا إلى أنّهم لا ينفعونهم، سيكونون سببا فى زياده العذاب الأليم.

ص: ٤٤

اشاره

وَ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ (١٨) أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (١٩) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّيِّتَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (٢٠)

التفسير

اشاره

عباد الله الحقيقيون:

استخدم القرآن الكريم مره اخرى أسلوب المقارنه في هذه الآيات، إذ قارن بين عباد الله الحقيقيين و المشركين المعاندين الذين لا مصير لهم سوى نار جهنم، قال تعالى: وَ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى .

و لكون كلمه (البشرى) جاءت هنا بصورة مطلقه و غير محدوده، فتشمل كافه

أنواع البشرى بالنعم الإلهيه الماديه و المعنويه، و هذه البشرى بمعناها الواسع تختص فقط بالذين اجتنبوا عباده الطاغوت و عمدوا إلى عباده الله وحده من خلال إيمانهم به و عملهم الصالح.

و كلمه «طاغوت» من ماده (الطغيان) تعنى الاعتداء و تجاوز الحدود، و لذا فإنها تطلق على كل متعدّ، و على كل معبود من دون الله، كالشيطان و الحكام المتجبرين (و تستعمل هذه الكلمه للمفرد و الجمع) (١).

فعباره **اجْتَنَبُوا الطَّاعُوتَ** بمعناها الواسع تعنى الابتعاد عن كل أشكال الشرك و عباده الأصنام و هو النفس و الشيطان، و تجنب الانصياع و الاستسلام للحكام المتجبرين الطغاه.

أما عباره **أَتَابُوا إِلَى اللَّهِ** فإنها تجمع روح التقوى و الزهد و الإيمان، و أمثال هؤلاء يستحقون البشرى.

و يجب الالتفات إلى أن عباده الطاغوت لا تعنى فقط الركوع و السجود له، و إنما تشمل كل طاعه له، كما

ورد فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام «من أطاع جبارا فقد عبده» (٢).

ثم تعرج الآيه على تعريف العباد الخاصين فتقول: **فَبَشِّرْ عِبَادِ (٣) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ** وَ **أُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ**.

الآيتان المذكورتان بمثابة شعار إسلامى، و قد بينتان حريه الفكر عند المسلمين، و حريه الإختيار فى مختلف الأمور.

ص: ٤٨

١ - ١) - بعض المفسرين، و منهم الزمخشري صاحب الكشاف يعتقدون أن أصل كلمه (طاغوت) هو (طغوت) على وزن (فعلوت) (كملكوت)، ثم تقدمت لام الفعل على عين الفعل و أصبحت (طغوت)، و بعد إبدال الواو بالألف أصبحت (طاغوت) و يستدل صاحب الكشاف على هذا الكلام من عدّه مصادر (تفسير الكشاف ج ٤ ص ١٢٠).

٢ - ٢) - مجمع البيان، الجزء السابع، الصفحه ٤٩٣، ذيل آيه البحث.

٣ - ٣) - (عباد) كانت فى الأصل (عبادى) و قد حذفت الياء و عوض عنها بالكسره.

ففى البدايه تقول (بشر عباد) ثم تعرج على تعريف أولئك العباد المقربين بأنهم أولئك الذين لا يستمعون لقول هذا و ذاك ما لم يعرفوا خصائص و ميزات المتكلم، و الذين ينتخبون أفضل الكلام من خلال قوه العقل و الإدراك، إذ لا تعصب و لا لجاجه فى أعمالهم، و لا- تحديد و جمود فى فكرهم و تفكيرهم، إنهم يبحثون عن الحقيقه و هم متعطشون لها، فأينما وجدوها استقبلوها بصدور رحبه، ليشربوا من نبعها الصافى من دون أى حتى يرتووا.

إنهم ليسوا طالبين للحق و متعطشين للكلام الحسن و حسب، بل هم يختارون الأجد و الأحسن من بين (الجيد) و (الأجد) و (الحسن) و (الأحسن)، و خلاصه الأمر فإنهم يطمحون لنيل الأفضل و الأرفع، و هذه هى علامات المسلم الحقيقى المؤمن الساعى وراء الحق.

أما ما المقصود من كلمه (القول) فى عباره يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَإِنَّ الْمَفْسِرِينَ أعطوا عدّه آراء لتفسيرها، منها:

البعض فسره بأنه يعنى (القرآن) الذى يحتوى على الطاعات و المباحات، و اقتفاء الأحسن يعنى اقتفاء الطاعات.

و البعض الآخر فسرها بأنها تعنى مطلق الأوامر الإلهيه المذكوره فى القرآن و غير المذكوره فيه.

و لكن لم يتوفّر أى دليل على هذين التفسيرين، بل أن ظاهر الآيه يشتمل كلّ قول و حديث، فالؤمنون هؤلاء يختارون من جميع الكلمات و الأحاديث ما هو (أحسن)، ليترجموه فى أعمالهم.

و الطريف فى الأمر أنّ القرآن الكريم حصر فى الآيه المذكوره أعلاه الذين هداهم الله بأولئك القوم الذين يستمعون القول و يتبعون أحسنه، كما أنّه اعتبر العقلاء ضمن هذه المجموعه، و هذه إشاره إلى أنّ أفراد هذه المجموعه مشمولون بالهدايه الإلهيه الظاهريه، و الباطنيه، الهدايه الظاهريه عن طريق العقل و الإدراك،

و الهدايه الباطنيه عن طريق النور الإلهي و الإمداد الغيبي، و هاتان مفخرتان كبيرتان للباحثين وراء الحقيقه ذوى التفكير الحرّ.

و لكون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ كان يرغب- بشدّه- فى هدايه المشركين و الضالين، و كان يتألم كثيرا لانحراف أولئك الذين لم يعطوا آذانا صاغبه للحقائق، فأَنَّ الآيه التاليه عمدت الى مواساته بعد أن وضحت له حقيقه أَنَّ عالمنا هذا هو عالم الحريره و الامتحان، و مجموعه من الناس- فى نهايه الأمر- يجب أن تدخل جهنم، إذ قالت: أَمْ مَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَ فَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (١).

عباره حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ إشاره إلى آيات مشابهه، كالأيه (٨٥) من سوره ص التى تقول بشأن الشياطين و أتباعهم: لَأْمَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَ مِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

و من البديهي أَنَّ حتميه تعذيب هذه المجموعه لا- تحمل أى طابع إجبارى، بل إنهم يعذبون بسبب الأعمال التى ارتكبوها، و نتيجة إصرارهم على ارتكاب الظلم و الذنب و الفساد، بشكل يوضح أَنَّ روح الإيمان و التعقل كانت ميته فى أعماقهم، و أَنَّ وجودهم كان قطعه من جهنم لا أكثر.

من هنا يتبين أَنَّ قوله تعالى: أَمْ أَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي الدَّارِ هو إشاره إلى حقيقه أَنَّ كونهم من أصحاب النار يعد أمرا مسلما به و كأنهم الآن هم فى قلب جهنم، حتّى أَنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ الذى هو (رحمه للعالمين) لا يستطيع إنقاذهم من العذاب، لأنهم قطعوا كافه طرق الاتصال بالله سبحانه و تعالى و لم يبقوا أى سبيل لنجاتهم.

و لبعث السرور فى قلب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و لزياده الأمل فى قلوب المؤمنين،

ص : ٥٠

١ - ١) - فى الحقيقه، إنَّ الآيه تحوى جمله محذوفه تدل عليها جمله التى تلتها، و تقديرها (أ فأنت تخلصه) إذ يصبح تقدير جمله كالتالى (أ فمن حق عليه كلمه العذاب أ فأنت تخلصه) بقريته جمله التاليه (أ فأنت تنقذ من فى النار) و قال البعض الآخر: إنَّ تقدير الآيه هو كالتالى (أ فمن حقت عليه كلمه العذاب ينجو منه).

جاء فى آخر الآيه: لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ .

فإن كان أهل جهنم مستقرين فى ظلل من النار، كما ورد فى الآيه السابقه:

لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ

فإن لأهل الجنه غرفا من فوقها غرف اخرى، وقصور فوقها قصور اخرى، لأن منظر الورود و الماء و الأنهار و البساتين من فوق الغرف يبعث على اللذه و البهجه بشكل أكثر.

«غرف» جمع «غرفه» من ماده «غرف» و على وزن حرف -بمعنى تناول الشىء و لذا يطلق على من يتناول الماء بكفه ليشربه «غرفه» ثم أطلقت على الطبقات العليا من المنازل.

و كشفت الآيه أيضا عن أن غرف أهل الجنه الجميله قد زينت بأنهار تجرى من تحتها تجرى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ نعم، هذا وعد الله وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (١).

## بحوث

## اشاره

### ١- منطق حريه التفكير فى الإسلام

الكثير من المذاهب الوضعيه تنصح أتباعها بعدم مطالعه و مناقشه مواضيع و آراء بقيه المذاهب، إذ أنهم يخافون من أن تكون حججه الآخرين أقوى من حججتهم.

الضعيفه و بالتالى فقدان اتباعهم.

إلا أن الإسلام- كما شاهدنا فى الآيات المذكوره أعلاه- ينتهج سياسه الأبواب المفتوحه فى هذا المجال، إذ يعتبر المحققين هم عباد الله الحقيقين الذين لا يرهبون سماع آراء الآخرين، و لا يستسلمون لشىء من دون أى قيد أو شرط،

ص: ٥١

---

١ - ١) -يقول «الزمخشري» فى الكشاف: وَعِيدَ اللَّهُ مَنْصُوبٌ لِكَوْنِهِ مَفْعُولًا مَطْلَقًا لِلتَّأْكِيدِ، وَ لِأَنَّ عِبَارَةَ لَهُمْ غُرَفٌ تَعْنَى وَ عَدَّهُمُ اللَّهُ غُرَفًا.



و لا يتقبلون كلّ وسواس.

الإسلام الحنيف يبشّر الذين يستمعون القول و يتبعون أحسنه،الذين لا يكتفون بترجيح الجيد على السيء،و إنّما ينتخبون الأحسن ثمّ الأحسن من كلّ قول و رأى.

و يوبّخ-بشدّه-الجهله الذين يضعون أصابعهم فى آذانهم و يستغشون ثيابهم كلما سمعوا صوت الحق،كما ورد فى قول نوح صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ عند ما شكى قومه للبارئ عزّ و جلّ: وَ إِنِّى كَلِمَةٌ دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ وَ اسْتَعْشَوْا بِبَابِهِمْ وَ أَصْرُوا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (١).

و أساسا فإنّ المذهب القوى الذى يملك منطقا قويا لا يرهب أقوال الآخرين، و لا يخاف من طرح آراء تلك المذاهب،لأنّه أقوى منها و هى التى ينبغى أن تخافه.

هذه الآيه وضعت فى نفس الوقت الذين يتبعون أى قول يقال لهم من دون أى تفكير فى مدى صدقه،و حتى أنّهم لا يحققون و لا يبحثون فيه بقدر ما تبحث الأغنام عن الغذاء الجيد فى المراعى،وضعتهم خارج صف(أولوا الأبواب) و الذين(هداهم الله).فهاتان الصفتان تختصّان بالذين لم يتلوا الاستسلام المفرط من دون أى قيد أو شرط،و الذين لم يفرطوا فى تعصبهم الجاهلى الأعمى.

## ٢-الردّ على بعض الأسئلة

من الممكن أن تطرح على ضوء البحث السابق عدّه أسئلة،منها:

١-لماذا يمنع الإسلام بيع و شراء كتب الضلال.

٢-لماذا يحرم إعطاء القرآن الكريم بيد الكفار.

٣-كيف يمكن لإنسان ليس له إمام بموضوع ما أن ينتخب و يميز الجيد من

ص: ٥٢

السؤال، ألا يستلزم هذا المعنى الدور؟ الجواب على السؤال الأول واضح، لأنّ البحث المتعلّق بالآيات المذكوره أعلاه يتناول أقوالاً يؤمل منها الهداياه، ففى أى وقت يتضح بعد البحث و التحقيق أن الكتاب الفلانى هو مفضل فإنّه يخرج من هذا الأمر، فالإسلام لا يسمح بأن يسلك الناس فى طريق ثبت انحرافه. وبالطبع فإنّه ما دام الأمر لم يثبت لأحد، أى ما زال الشخص فى حاله التحقيق عن المذاهب الأخرى لقبول الدين الصحيح، لا- بأس بمطالعه كلّ تلك الكتب، و لكن بعد ثبوت ذلك الأمر يجب اعتبارها مادّه سامّه، و يجب إبعادها عن تناول الجميع.

أمّا بالنسبه إلى السؤال الثانى، فإنّه لا يجوز إعطاء القرآن لغير المسلم إن كان ذلك الشخص يهدف إهانته و هتك القرآن، و لكن إن حصل علم بأن ذلك الكافر يفكر حقاً بالتحقيق فى الإسلام من خلال القرآن للوصول إلى هذا الهدف، فإن إعطاء القرآن هنا لا يعدّ أمراً ممنوعاً، بل يعدّ واجباً، و العلماء الذين حرّموا ذلك لا يقصدون هذا المعنى.

و لهذا فإنّ الجمعيات الإسلاميه الكبيره تصرّ بشدّه على ترجمه القرآن إلى بقية اللغات الحيه فى العالم، ليوضع تحت تصرف المتعطشين لمعرفة الحقيقه.

و أمّا بشأن السؤال الثالث، فيجب الالتفات إلى أنّه فى كثير من الأحيان لا يستطيع شخص ما إنجاز عمل ما، و لكن عند ما ينجزه الآخرون يتمكن هو من تشخيص الجيد من الرديء فى ذلك العمل.

و على سبيل المثال، من الممكن أن يوجد شخص لا إطلاق له بفنّ الإعمار و البناء حتى أنّه لا يستطيع وضع لبنتين فوق بعضهما البعض بصوره صحيحه، و لكنّه يستطيع تمييز البناء الجيد ذى الكيفيه العاليه من البناء السئ غير المتناسق، كما أنّ هناك أشخاصاً كثيرين ليسوا بشعراء، إلّا- أنّهم يتمكنون من تقييم أشعار شعراء كبار و تمييزها عن الأشعار الفارغه التى ينظمها بعض ناظمى الشعر. هناك

أشخاص ليسوا برياضيين و لكنهم يتمكنون من التحكيم بين الرياضيين، و انتخاب الجيد منهم.

### ٣- نماذج من الروايات الإسلامية التي تؤكد على حرية التفكير

وردت بعض الأحاديث الإسلامية في تفسير الآيات المذكورة أعلاه، كما وردت أحاديث مستقلة تؤكد على هذا الموضوع، و منها ما

ورد عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، خاطب فيه أحد أصحابه و هو هشام بن الحكم قائلاً: «يا هشام، إن الله تبارك و تعالى بشر أهل العقل و الفهم في كتابه، فقال فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ» (١).

و

ورد حديث آخر عن الأمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية المذكورة أعلاه، قال فيه: «هو الرجل يسمع الحديث فيحدث به كما سمعه، لا يزيد فيه و لا ينقص» (٢).

و بالطبع، فإن تفسير فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ هو المقصود في هذا الحديث، لأن إحدى علامات اتباع القول الحسن، هو أن لا يضيف الإنسان من عنده أى شىء على القول، و ينقله ذاته للآخرين.

و نقراً

في البلاغة في حقل الكلمات القصار لأمير المؤمنين عليه السلام: (الحكمه ضاله المؤمن، فخذ الحكمه و لو من أهل النفاق) (٣).

### ٤- سبب النزول

ذكر المفسرون أسباباً لنزول هذه الآيات، و منها، أن الآيه:

ص: ٥٤

١- ١) -الكافي، المجلد الأول، كتاب العقل الحديث (١٢).

٢- ٢) -نور الثقلين، المجلد ٤، الصفحة ٤٨٦، الحديث ٣٤.

٣- ٣) -نهج البلاغه، قصار الكلمات، الخطبه (٨٠).

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ...

و الآيه التي تلتها نزلنا بحق ثلاثه أشخاص (لم يستسلموا في عهد الجاهليه لغوغاء المشركين في مكه) كانوا يقولون لا إله إلا الله، و الثلاثه هم (سلمان الفارسي و أبو ذر الغفاري و زيد بن عمرو) (١).

و قد ورد اسم (سعيد بن زيد) بدلا (زيد بن عمرو) في بعض الروايات (٢).

و البعض الآخر قال: إِنَّ الْآيَةَ: أَمْ مَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ... نزلت بشأن (أبي جهل) و أمثاله (٣).

و غير مستبعد أن تكون هذه الروايات من قبيل تطبيق الآيه على المصاديق الواضحه و ليس أسبابا للتزول.

ص: ٥٥

---

١-١) -تفسير القرطبي، و مجمع البيان ذيل آيات البحث.

٢-٢) -الدر المنثور نقلا عن تفسير الميزان، المجلد ١٧، صفحه ٢٦٧.

٣-٣) -القول هذا أورده صاحب تفسير روح المعاني نقلا عن آخرين.

إشاره

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَنَرَاهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعَذَابًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٢١) أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ  
أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٢)

التفسير

إشاره

الذين هم على مركب من نور!!

في هذه الآيات يستعرض القرآن الكريم مره اخرى دلائل التوحيد و المعاد، ليكمل البحوث التي تناولت مسأله الكفر و الإيمان  
الوارده في الآيات السابقه. إذ تشرح أحد آثار عظمه و ربوبيه البارئ عزّ و جلّ في نظام عالم الكون، و ذلك عند ما تشير إلى  
مسأله (نزول المطر) من السماء، ثم إلى نمو آلاف الأنواع من الزرع بمختلف الألوان بعد أن تسقى من ماء عديم اللون، و إلى  
مراحل نموها حتى وصولها إلى المرحله النهائيه و تقول موجهه الخطاب الى النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلمّ باعتباره  
القدوه لجميع المؤمنين أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعٌ فِي

قطرات المطر التي تبعث الحياه حينما تنزل من السماء تمتصها الطبقة الأولى من طبقات الأرض، و عند ما تنفذ إلى داخل هذه الطبقة تقف عند طبقه اخرى فى الأرض و لا تتمكن من النفوذ خلالها، لتبعث مرّه اخرى إلى سطح الأرض بصورة عيون و قنوت و آبار.

كلمه (سكله) تعنى (نفوذ مياه الأمطار فى داخل قشره الأرض) و هذه إشاره مختصره لما ذكرناه آنفا.

«ينابيع» هى جمع (ينبوع) مشتقّه من (نبع) و تعنى فوران الماء من داخل الأرض. و لو كانت للأرض قشره واحده لا تمتلك القابليه على الامتصاص، فإنّ مياه الأمطار النازله سوف تتجه بأكملها بعد هطولها إلى البحار لتصب فيها من دون أن تخزن داخل قشره الأرض، و فى هذه الحاله يندم وجود العيون و القنوت و الآبار. و إذا كانت الأرض ذات قشره واحده نفوذيه تماما، فإنّ كلّ مياه الأمطار تتجه نحو أعماق مناطق باطن الأرض، و فى تلك الحاله يستحيل الوصول إليها و استخراجها، فتتنظيم قشره الأرض بحيث توجد طبقتان إحداها نفوذيه و الأخرى غير نفوذيه، و بدرجات معينه، كلّ ذلك ثمّ وفق حسابات خاصه، تبيّن قدره البارئ عزّ و جلّ.

و الملفت للنظر أنّ قشره الأرض تكون أحيانا ذات طبقات متعدده، بعضها نفوذى و البعض الأخرى غير نفوذى، و مرتبه الواحده فوق الأخرى و يستفاد منها فى عمليات حفر الآبار (السطحيه) و (العميقه) و (نصف العميقه).

و تضيف الآيه فيما بعد: **ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ** ذات الأشكال المختلفه.

ص: ٥٧

١ - ١) - «ينابيع» على ما هو المشهور يكون منصوبا بنزع الخافض، و هو جمع ينبوع من نبع الماء (راجع تفسير روح المعانى، ج ٢٣، ص ٢٥٦، روح البيان، ج ٨، ص ٩٣).

أى مختلف الأنواع كالحنطه و الشعير و الزر و الذره، ذات الأشكال المختلفه و الألوان الظاهريه المتعدده، فمنها الأخضر الغامق، و الأخضر الفاتح، و بعضها ذو أوراق عريضه و كبيره، و البعض الآخر ذو أوراق دقيقه و صغيره.

و ممّا يذكر أن كلمه (زرع) تطلق على النباتات ذات الساق الدقيق، فيما تطلق كلمه (شجر) على الأشجار ذات السيقان القويه، و كلمه (زرع) ذات معان كثيره تشمل النباتات الطبيعيه التى لا يمكن الاستفاده منها للغذاء، و أنواع الورد و نباتات الزينه و الأعشاب الطبيعه التى يؤخذ منها الدواء، و أحيانا نرى فى غصن واحد، و لربّما فى ورده واحده عدّه ألوان جميله جذابه، تسبح و توحّد البارئ عزّ و جلّ بلسان صامت.

ثمّ تنتقل الآيه إلى مرحله اخرى من مراحل حياه هذه النباتات، إذ تقول:

ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُضْفَرًا

(١)

حيث تعصف به الرياح من كلّ جانب لتقلعه من مكانه بسبب ضعف سيقانه و يضيف تعالى: ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا .

نعم، إن فى هذا لذكرى لأصحاب القول و أهل العلم إنّ فى ذَلِكَ لَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ .

هذا المشهد يذكر الإنسان بالنظام الدقيق و العظيم الذى وضعه البارئ عزّ و جلّ لعالم الوجود، و إنّّه تذكير بنهايه الحياه و انطفاء شعلتها، و من ثمّ بمسأله البعث و عوده الأموات إلى الحياه. فرغم أنّ هذا المشهد يتعلّق بعالم النبات، إلاّ أنّه يتبّه الإنسان إلى أن مثل هذا الأمر سوف يتكرر فى حياته و عمره هو أيضا مع وجود بعض الاختلاف فى مدّه الأعمار، و لكن الأساس واحد إذ يبدأ بالولاده يتدرج إلى النشاط و الشباب، و من ثمّ الذبول و الكهوله، و فى النهايه الموت.

و كتتمه لهذا الدرس الكبير فى التوحيد و المعاد، تنتقل الآيات إلى المقارنه

ص: ٥٨

١ - ١) - «يهيج» من ماده (هيجان) و لها معنيان فى اللغه، الأول هو جاف النبات و اصفراره، و الثانى هو التحرك و الانتفاض، و من الممكن أو يعود المعنيان إلى أصل واحد، لأنّ النبات حينما يجفّ فإنه يستعد للانفصال و الانتشار و التحرك و الهيجان.

بين المؤمنين و الكافرين، كى توضح حقيقه أنّ القرآن و الوحى السماوى هما كقطرات المطر التى تهطل على الأرض، و كما أنّ الأرض التى لها الاستعداد هى التى تستفيد من قطرات المطر، فكذلك القلوب المستعده لبناء ذاتها بالاستعانه بلطف الله، هى - فقط - التى تستفيد من آيات الله، و ذلك طبقا لقوله تعالى: **أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ (١)** كمن هو قاسى القلب لا يهتدى بنور!! أمّا القاسيه قلوبهم، فهم الذين لا تؤثر بهم المواعظ و لا الوعيد و لا البشرى، و لا الآيات القرآنيه المؤثره، و لا ينمى مطر الوحى الباعث للحياه عندهم ثمار التقوى و الفضيله، و بصوره موجزه يمكن القول بأنهم كالنباتات التى لا طراوه فيها و لا أوراق و لا ثمار و لا ظلّ.

نعم أولئك في ضلالٍ مبينٍ .

«القاسيه» مشتقّه من (قسوه) و تعنى الخشونه و الصلابه و التحجر، لذلك تطلق صفه (قاسيه) على الأحجار الصلبه، و يقال للقلوب التى لا تظهر أى استجابه لنور الحق و الهدايه، و لا تلين و لا تستسلم لها، و لا تسمح بنفوذ نور الحقّ و الهدايه إليها (قلوب قاسيه).

على آيه حال، فإنّ هذه العبارة جاءت فى مقابل (انشراح الصدر) وسعه الروح، لأنّ الرحابه و الاتساع كناية عن الاستعداد للاستقبال، فالشارع و البيت الواسع يمكنهما أن يضمّا أناسا كثيرين، و كذلك الصدر الواسع و الروح المنشرحه، فإنّها مستعده لتقبّل حقائق أكثر.

و نقرأ فى إحدى الزوايات

أنّ ابن مسعود قال: سئل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن تفسير هذه الآيه: **أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ**

ص: ٥٩

١ - ١) - هذه الآيه تتضمّن جملة محذوفه تتضح من خلال الجمله التى تليها و عند تقديرها تصبح الآيه (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه كمن هو قاسى القلب لا يهتدى بنور).



فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دَخَلَ النُّورُ فِي الْقَلْبِ انشَرَحَ وَانْفَتَحَ».

ثم قلنا: يا رسول الله ما هي علامات انشراح الصدر؟ فقال: «الإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نَزْوِلِهِ» (١).

أما علي بن إبراهيم فيقول في تفسيره أن عبارته: أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ نَزَلَتْ فِي حَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقد ورد في تفاسير أخرى أن عبارته: فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ نَزَلَتْ بِحَقِّ (أَبِي لَهَبٍ وَابْنَائِهِ) (٢).

و من الواضح أن أسباب النزول هنا هي في الحقيقة من باب تطبيق المفهوم العام على المصاديق الواضحة.

إن ما يلفت النظر في عبارته: فَهُوَ عَلِيٌّ نُورٌ مِنْ رَبِّهِ أَنَّ النُّورَ وَالضِّيَاءَ جَعَلَ هُنَا بِمِثَابِهِ مَرَكِبَهُ يَرْكَبُهَا الْمُؤْمِنُونَ تَفْسِيرٌ بِهِمْ بِسْرَعَةٍ عَجِيبَةٍ وَمَسِيرٌ وَاضِحٌ وَقَدْرُهُ عَلَى طَوَافِ الْعَالَمِ كُلِّهِ.

**بحث**

**إشارة**

**عوامل (شرح الصدر) و(قسوه القلب)**

الناس ليسوا على وتيره واحده من حيث قبول الحق و إدراك الأمور، فالبعض يتمكن من إدراك الحقيقة بمجرد إشارة واحده أو جملة قصيره، وهذا يعني أن تذكيرا واحدا يكفي لإيقاظهم فورا، و موعظه واحده قادره على إحداث صيحات في أرواحهم و في حين أن البعض الآخر لا يتأثر بأبلغ الكلمات و أوضح الأدلّه و أقوى العبارات، و هذه المسأله ليست بالأمر السهل أو الهين.

ص: ٦٠

١-١) - تفسير القرطبي، المجلد الثامن، الصفحة ٥٦٩١ (تفسير سورة الزمر ذيل آيات البحث) نقل هذا الحديث مع اختلاف جزئي عن (روضه الواعظين) للشيخ المفيد.

٢-٢) - تفسير الصافي ذيل آيات البحث.

و كم هي جميله التعابير القرآنيه في هذا المجال، و ذلك عند ما تصف البعض بأنهم ذو و صدور منشرحه و أرواح واسعه، و تصف البعض الآخر بأنهم ذو و صدور ضيقه، كما ورد في الآيه (١٢٥) من سوره الأنعام: **فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمًا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ .**

هذا الموضوع يتضح بصورة كامله في حاله دراسه أوضاع و أحوال الأشخاص، فالبعض لهم صدور منشرحه رحبه تتسع لاستيعاب أى مقدار من الحقائق، في حين أنّ البعض الآخر على العكس، إذ أنّ صدورهم ضيقه و أفكارهم محدوده لا- يمكنها أحيانا استيعاب أى حقيقه، و كأن عقولهم محاطه بجدران فولاذيه لا يمكن اختراقها. و بالطبع لكل واحد منهما أسبابه.

فالدراسه الدائمه و المستمره و الاتصال بالعلماء و الحكماء الصالحين، و بناء الذات و تهذيب النفس، و اجتناب الذنوب و خاصه أكل الطعام الحرام، و ذكر الله دائما، كلها أسباب و عوامل لانشراح الصدر، و على العكس فإنّ الجهل و الذنب و العناد و الجدل و الرياء، و مجالسه أصحاب السوء و الفجار و المجرمين و عبيد الدنيا و الشهوات، كلها تؤدى إلى ضيق الصدر و قساوه القلب.

ف عند ما يقول القرآن الكريم: **فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا .** فهذه الإراده و عدم الاراده ليست اعتباطيه و بدون دليل. بل هي نابعه من اعماقنا و ذواتنا في البدايه.

و

قد ورد حديث عن الإمام الصادق عليه السلام جاء فيه: «أوحى الله عزّ و جلّ إلى موسى: يا موسى لا تفرح بكثرة المال، و لا تدع ذكرى على كلّ حال، فإن كثره المال تنسى الذنوب، و إن ترك ذكرى يقسى القلوب» (١).

و

في حديث آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام، جاء فيه: «ما جفت الدموع إلاّ

ص: ٦١

لقسوه القلوب، و ما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب» (١).

كما

ورد في حديث ثالث أنّ من جمله كلام الله سبحانه و تعالى مع موسى عليه السلام «يا موسى لا تطول في الدنيا أملكك، فيقسو قلبك، و القاسى القلب منى بعيد» (٢).

و أخيراً،

ورد حديث آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام جاء فيه: «لمتان: لمه من الشيطان و لمه من الملك، فلمه الملك الرقه و الفهم، و لمه الشيطان السهو و القسوه» (٣).

على أية حال، فإن من يريد انشراح صدره و إزالة القساوه من قلبه، عليه أن يتوجه نحو البارئ عزّ و جلّ كي يبعث الأنوار الإلهيه في قلبه كما وعد بذلك الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم. و عليه أن يصقل مرآه قلبه من صدأ الذنوب، و يطهر روحه من أوساخ هوى النفس و الوسوس الشيطانيه، استعداداً لاستقبال المعشوق، و أن يسكب الدموع خوفاً من الله و حبا له، فإنّ في ذلك تأثيراً عجيباً لا- نظير له على رقه و لين القلب و رحابه الروح، و في المقابل فان جمود العين هو إحدى علامات القلب المتحجر.

ص: ٦٢

---

١-١) -بحار الأنوار، المجلد ٧٠، الصفحة ٥٥، الحديث ٢٤.

٢-٢) -الكافي، المجلد الثاني، باب القسوه الحديث (١).

٣-٣) -نفس المصدر السابق الحديث (٣).

إشاره

اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشِرُ عَنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكِ هُدًى لِّلَّذِينَ يَهْتَدُونَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣) أَمْ مَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٢٤) كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَّاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٥) فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٢٦)

سبب النزول

نقل بعض المفسرين عن (عبد الله بن مسعود) أنَّ جمعا من الصحابه ملوا و تضجروا، فقالوا لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: حدثنا حديثا يزيل السأم من نفوسنا و الملل من قلوبنا، فنزلت أول آيه من الآيات المذكوره أعلاه معرّفه القرآن ب(أحسن الحديث) (١).

ص: ٦٣

١- ١) -سبب النزول ورد باختلاف يسير في تفسير (الكشاف)المجلد الرابع ص ١٢٣ و في تفسير (القرطبي) و(الآلوسى) و(أبو

الآيات السابقة تحدثت عن العباد الذين يستمعون القول و يتبعون أحسنه، كما تحدثت عن الصدور الرحبه المستعده لتقبل الحق.

الآيات التي يدور حولها البحث توصل التطرق إلى هذا الأمر، كي تكمل حلقات البحوث السابقه الخاصه بالتوحيد و المعاد مع ذكر بعض دلائل النبوه، إذ تقول الفقره الأولى من الآية: **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ .**

ثم تستعرض خصائص القرآن الكريم، حيث تشرح الخصائص المهمه للقرآن من خلال بيان ثلاث صفات له:

### **أَمَّا الْخَاصِيهِ الْأُولَى فَهِيَ كِتَابًا مُتَشَابِهًا**

المقصود من (متشابه) هنا هو الكلام المتناسق الذى لا تناقض فيه و يشبه بعضه البعض، فلا تعارض فيه و لا تضاد، و كل آيه فيه أفضل من الأخرى و المتماثل من حيث اللطف و الجمال و العمق فى البيان.

و هذا بالضبط على عكس العبارات التي يصوغها الإنسان، و التي مهما اعتنى بصياغته فإنها لن تخلو من الاخطاء و الاختلافات و التناقضات، خصوصا عند ما يتسع مجالها و تأخذ أبعادا أوسع، إذ تلاحظ أن بعضها فى قمه البلاغه، و البعض الآخر عادى و طبيعى، و درسه آثار الكتاب الكبار المعروفين فى مجالى النثر و الشعر هى خير شاهد على هذا الموضوع.

أما كلام الله المجيد فليس كذلك، إذ نرى فيه انسجاما خارقا، و تناسقا لا نظير له فى المفاهيم و الفصاحه و البلاغه، و هذا بحد ذاته يجعل آيات القرآن تحكم و تشهد بأنه ليس من كلام البشر.

(1)

-الفتوح الرازى) و غيرها، و ذلك فى ذيل آيات البحث.

## أما الخاصية الثانية فهي مثنائي - أي المكرر -

وهذه الكلمة تشير إلى تكرار بحوثه المختلفه و قصصه و مواعظه، التكرار الذى لا- يملّ منه الإنسان، و إنّما على العكس من ذلك، إذ يتشوق لتلاوته أكثر، و هذه إحدى أسس الفصاحة، إذ يعمد الإنسان أحيانا إلى التكرار و بصور مختلفه و أساليب متنوعه، و ذلك إذا أراد التأكيد على أمر ما و جلب الانتباه إليه و التأثير به، كى لا يملّ السامع أو يضجر منه.

إضافه إلى أنّ مواضع القرآن المكرره تفسّر إحداها الأخرى، و تحل الكثير من ألغازه عن هذا الطريق.

بعضهم اعتبرها إشاره إلى تكرار تلاوه القرآن و بقاءه غضا طريا من جراء تكرار تلاوته.

و البعض الآخر اعتبرها إشاره إلى تكرار نزول القرآن، فمّرّه نزل دفعه واحده على صدر الرسول الأكرم صلّى الله عليه و آله و سلّم و ذلك فى ليله القدر، و مرّه أخرى بصوره تدريجيه استمرت لفته (٢٣) عاما.

و من المحتمل أن يكون المراد من التكرار هو ملاءمه القرآن لكلّ زمان، و انكشاف بعض الأمور الغيبية فيه بمرور السنوات.

و التفسير الأوّل أنسب من بقيه التفاسير، رغم عدم وجود أىّ تعارض بين الجميع، بل من الممكن أن تكون جميعها صحيحه (١).

## أما الخاصية الثالثة فهي تقشعر منه الجلود

و هذه الخاصية للقرآن فهي مسأله نفوذ و تأثيره العميقين و الخارقين تقشعرٌ منه جلودُ الذين يخشون ربهم ثمّ تلينُ جلودهم و قلوبهم إلى ذكر الله .

ص: ٦٥

---

١- ١) - قال الزمخشري فى الكشاف: إن (مثنائي) يمكن أن تكون جمع (مثنى) على وزن (مصلّى) و تعنى المكرر، و يمكن أن تكون جمع (مثنى) على وزن (مبنى) من التثنيه بمعنى التكرار، الكشاف، المجلد الرابع، الصفحه ١٢٣.

إنه لوصف و تجسيد لطيف و جميل لنفوذ آيات القرآن العجيب إلى أعماق القلوب، إذ أنه في بدايه الأمر يبعث في القلب شيئاً من الخوف و الرهبة، الخوف الذى يكون أساساً للصحوه و لبدء الحركة، و الرهبة التى تجعل الإنسان يتحسس مسؤولياته المختلفه. ثم تأتي مرحلة الهدوء و قبول آيات الله و تتبعها السكنيه و الاستقرار.

هذه الحاله التدريجيه التى تبين مراحل (السلوك إلى الله) المختلفه، يمكن إدراكها بسهولة، فالقلوب تقشعر فور ما تسمع آيات التهديد و التحذير النازل على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، ثم تهدأ فور ما تسمع آيات الرحمه.

التفكير بذات الله و مسأله أبعديته و أزليته و عدم محدوديته يوجد عند الإنسان حاله من الرهبة فى كيفية معرفه الله، إلا أن دراسه آثار و دلائل ذاته المقدسه فى الآفاق و الأنفس تمنح الإنسان نوعاً من الارتياح و الهدوء (١).

و التأريخ الإسلامى ملئ بالشواهد على التأثير العجيب للقرآن فى قلوب المؤمنين، و حتى غير المؤمنين من أصحاب القلوب المستعده لتقبل الإيمان، فالجاذبيه أو النفوذ الخارق للقرآن دليل واضح على أن القرآن كتاب نزل من السماء بواسطه الوحى.

و قد ورد حديث عن (أسماء)، جاء فيه (كان أصحاب النبى حقا إذا قرئ عليهم القرآن - كما نعتهم الله - تدمع أعينهم و تقشعر جلودهم) (٢).

أمير المؤمنين عليه السلام وصف هذه الحقيقه بأفضل وجه فى الخطبه الخاصه بالمتقين، إذ قال: «أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلون بها ترتيلاً،

ص: ٦٦

١ - ١) - (تقشعر) من ماده (قشعيره) و قد ذكر اللغويون و المفسرون معانى مختلفه و متقاربه بعض الشيء، فالبعض قال: إنها تعنى انكماش جلد البدن (حاله نصيب الإنسان أثناء خوفه) و البعض قال: إنها الرجفه التى تصيب الإنسان فى حاله الخوف، و البعض الآخر قال: إنها تعنى وقوف شعر البدن، و فى الحقيقه فإن كل حاله من هذه الحالات ملازمه للأخرى.

٢ - ٢) - تفسير القرطبي، المجلد الثامن، الصفحه ٥٦٩٣، عن التأثير العميق و الخارق لآيات القرآن، أو ردنا روايات عديده فى ذيل الآيه ٩٢ من سوره آل عمران.

يحزنون به أنفسهم، ويستثيرون به دواء دائهم، فإذا مروا بآيه فيها تشويق ركنوا إليها طمعا، وتطلعت نفوسهم إليها شوقا، وظنوا أنها نصب أعينهم، وإذا مروا بآيه فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم».

و في نهايه الآيه يقول تعالى بعد أن بين تلك الخصائص: **ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ .**

حقا إن القرآن نزل لهدايه الجميع، لكن المتقين و طلاب الحق و الحقيقه هم المستفيدون-فقط-من نوره، أمّا أولئك الذين تعمّدوا إغلاق كاهه نوافذ قلوبهم أمام نور القرآن الكريم، و الذين تتحكم بأرواحهم ظلمات التعصب و العناد فقط لا يستفيدون من نور القرآن، و إنّما يزدادون ضلاله من جراء عنادهم و عدائهم، لذلك فإن تتمه الآيه تقول: **وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ .**

فهذه الضلاله هي التي يضع الإنسان حجر أساسها بيده، و يحكم بناء أساسها بواسطه أعماله الخاطئه و السيئه، و لذلك لا تتنافى إطلاقا مع إرادته الإنسان و حرّيته.

الآيه التاليه تقارن بين مجموعه من الظالمين و المجرمين، و مجموعه من المؤمنين الذين استعرضت أوضاعهم فيما قبل، و ذلك كي تجعل الحقيقه أكثر وضوحا في هذه المقارنه، إذ تقول: **أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (١) كمن هو آمن في ذلك اليوم و لا تمسه النار أبدا؟!.**

الملاحظه التي ينبغي الالتفات إليها، هي قوله تعالى: **يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ** و كما هو معروف فإنّ الوجه أشرف أعضاء جسم الإنسان، لأنّ فيه (العينان و القم و الأذنان) التي هي أهم حواسّ الإنسان، و أساسا فإنّ تشخيص الإنسان إنّما يتم عن طريق وجهه، و لهذه الخصائص الموجوده في الوجه، فإنّ

ص: ٦٧

(١ - ١) - هذه العبارة فيها محذوف، التقدير (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة كمن هو آمن لا تمسه النار).



الإنسان عند ما يحس أن هناك خطراً سيصيب وجهه، فإنه يضع يديه و ما يمكن من أعضاء جسمه أمام وجهه كدرع لدرء ذلك الخطر.

إلا- أن أوضاع الظالمين في جهنم في ذلك اليوم تجبرهم على استخدام وجوههم كوسيله دفاعيه، لأن أيديهم و أرجلهم مقيده بالسلاسل، كما ورد في الآيه (٨) من سوره يس: **إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ .**

قال البعض: بما أن أهل جهنم يرمون على وجوههم في النار، لذا فإن الوجه هو أول عضو من أعضاء الجسم يحترق في نار جهنم، كما ورد في الآيه (٩٠) من سوره النمل: **مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ .**

و البعض الآخر قال: إن هذه العبارة كناية عن عجز أهل جهنم من الدفاع عن أنفسهم مقابل نار جهنم.

التفسير الثلاثة- هذه- لا تتعارض مع بعضها، و يمكن أن تعطى جميعها مفهوم الآيه.

ثم تضيف نهايه الآيه: **وَ قِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ .**

نعم، إن ملائكة العذاب هي التي توضح لهم هذه الحقيقه المره و المؤلمه، إذ يقولون لهم: إن أعمالكم ستبقى معكم و ستعذبكم، و هذا التوضيح هو تعذيب روي آخر لهؤلاء.

و مِمَّا يلفت النظر أن هذه العبارة لا تقول: ذوقوا عقاب ما كنتم تكسبون، و إنما تقول لهم: ذوقوا ما كنتم تكسبون، و هذا شاهد آخر على مسأله تجسيد الأعمال يوم القيامة.

إن ما قيل لحد الآن هو إشاره بسيطه لعذابهم الأليم في يوم القيامة، و الآيه التاليه تتحدث عن العذاب الدنيوي لهؤلاء، كي لا يتصور أحد أنه يعيش في أمان بهذه الدنيا، قال تعالى: **كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ**

فالإنسان لا يتألم كثيرا إن أصيب بضربه كان يتوقعها، إلا أنه يتألم كثيرا إن وجهت إليه ضربه من طرف لم يتوقع أن تصدر منه، كأن تصدر عن أقرب أصدقائه، أو يلحق به أذى من أمور حيويه جدا و محبوبه له كالماء الذى هو مصدر حياه الإنسان، أو من نفحه النسيم التى هى مصدر نشاطه، أو من الأرض الهادئه التى هى مقر استراحتة و أمنه.

نعم، إن نزول العذاب الإلهى بواسطه هذه الطرق يعدّ أمرا مؤلما جدّا، كالذى أصاب قوم نوح و عاد و ثمود و لوط و فرعون و قارون و أمثالهم، إذ لم يكن أى أحد منهم يتوقع أن يصيبه العذاب بواسطه إحدى الطرق المذكوره أعلاه.

الآيه الأخيره في بحثنا هذا تبين أنّ عذاب هؤلاء الدنيوى لا يقتصر على العذاب الجسدى، و إنّما يشتمل أيضا على عقوبات نفسه: فَأَذَقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (١).

نعم، فإن أصيب الإنسان بمصيبه فى هذه الدنيا، ثم خرج منها مرفوع الرأس حافظا لماء وجهه، فهذه الحاله ليست بعار و خزى على الإنسان، إنّما العار و الخزى للإنسان الذى يخرج من هذه الدنيا رذيلًا و ذليلا، و مبتلى بعذاب فاضح يريق ماء وجهه، وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ .

كلمه (أكبر) كناية عن شدّه العذاب و قسوته.

### بحث

وردت عدّه روايات فى ذيل الآيات مورد البحث تجسّم أمامنا آفاقا أوسع مهما يفهم من الآيه.

ص: ٦٩

نقل العباس عم النبي، حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء في، «إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجره اليابسه ورقها» (١).

و من الواضح أن الشخص الذى يخشى الله و يتأثر من ذلك الى هذه الدرجه لا بد أن تتوفر فيه حاله التوبه و الانابه، و مثل هذا الشخص سيكون موردا لعفو الله و مغفرته حتما.

و روى عن (أسماء) إذ قالت عند ما سئلت عن أصحاب رسول الله فقالت:

(كان أصحاب النبي حقا إذا قرئ عليهم القرآن- كما نعتهم الله- تدمع أعينهم و تقشعر جلودهم). و أضاف الراوى: سئلت أسماء: هل عندنا أحد يغمى عليه أو يفقد الوعى عند ما يسمع آيات القرآن المجيد، فأجبت أسماء: أعوذ بالله تعالى من الشيطان، (أى إنه من عمل الشيطان) (٢).

هذا الحديث- فى الحقيقة- جواب لأولئك المتصوفه الذين يعقدون الاجتماعات و الحلقات، و يقرءون فيها بعض الآيات و الأذكار، ثم يقومون ببعض الحركات بعنوان حاله الوجد و السرور، ثم يشرعون بإطلاق بعض الصيحات و إظهار أنفسهم و كأنهم قد أغشى عليهم، و يحتمل أن البعض يغشى عليه فعلا. مثل هذه الأمور لم ينقلها أحد أبدا بشأن أصحاب الرسول، و ما هى إلا بدعه ابتدعتها المتصوفه.

و بالطبع يمكن أن يندهش الإنسان أحيانا و قد يغشى عليه من شدّه خوفه من البارئ عزّ و جلّ، و هذا الأمر يختلف كثير عن ممارسه الصوفيين الذين يعقدون الحلقات للذكر التى ذكرناها آنفا.

ص: ٧٠

١- ١) - (مجمع البيان) ذيل آيات البحث، كما نقل هذه الروايه أبو الفتوح الرازى و القراطى مع شىء من الاختلاف.

٢- ٢) - أورد الألوسى هذا الحديث فى روح المعانى، المجلد ٢٣، الصفحه ٢٣٥، كما أورده بعض المفسرين فى ذيل الآيه.

اشاره

وَ لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَ رَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١)

التفسير

اشاره

قرآن لا عوج فيه:

الآيات-هنا-تبحت خصائص القرآن المجيد أيضا،و تكمل البحوث السابقه في هذا المجال.

ففي البدايه تتحدّث عن مسأله شموليه القرآن،إذ تقول الآيه الكريمه: وَ لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ .

حيث تمّ فيه شرح قصص الطغاه و المتمردين الرهيبه،و عواقب الذنوب الوخيمه،و نصائح و مواعظ،و أسرار الخلق و نظامه،و أحكام و قوانين متينه.

و بكلمه أنه وضح فيه كل ما هو ضروري لهدايه الإنسان على شكل أمثال، لعلهم يتذكرون و يعودون من طريق الضلال إلى الصراط المستقيم لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ .

و مما يذكر أن «المثل» في اللغة العربية هو الكلام الذى يجسّم الحقيقه، أو يصف الشىء، أو يشبه الشىء بشىء آخر، و هذه العبارة شملت كل حقائق و مواضع القرآن، و بينت شموليته.

ثم تتطرق الآيه إلى وصف آخر للقرآن، إذ تقول: قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ (١).

فى الحقيقه، تم هنا ذكر ثلاث صفات للقرآن:

الأولى كلمه (قرآنا) التى هى إشاره إلى حقيقه أن الآيات الكريمه ستبقى تتلى دائما، فى الصلاه و فى غير أوقات الصلاه، فى الخلوات و فى أوساط الناس، و على طول التاريخ الإسلامى حتى قيام الساعه، و بهذا الترتيب فإن آيات القرآن ستبقى نور الهدايه المضىء على الدوام.

الصفه الثانيه هى فصاحه و حلاوه و جاذبيه هذا الكلام الإلهى، الذى عبّر عنه ب(عربيا) لأنّ إحدى معانى العربى هى الفصاحه، و المقصود منه هنا هذا المعنى.

الصفه الثالثه، ليس فيه أى اعوجاج، فأياته منسجمه، و عباراته ظاهره و يفسر بعضها البعض (٢).

الكثير من اللغويين و أصحاب التفسير قالوا: إنّ (عوج) (بكسر العين) تعنى الانحرافات المعنويه، فى حين أنّ (عوج) بفتح العين، تعنى الاعوجاج الظاهر.

و من النادر استعمال العبارة الأولى فى الاعوجاج الظاهرى، ما فى الآيه (١٠٧) من سوره طه: لا تَرى فِيهَا عِوَجًا وَ لا أَمْتًا لِهَذَا فَإِنَّ بعض اللغويين يعتبرونها أكثر

ص: ٧٢

١ - ١) - الموقع الإعرابى لقوله تعالى: قُرْآنًا عَرَبِيًّا حال ل(القرآن) التى ذكرت من قبل، و لكون كلمه (قرآنا) لا تحمل طابع الوصف فقد قال البعض: إنّها توطئه للحال الذى هو (عربيا) و ذهب البعض الى أنها بمعنى (مقروء) و تعطى معنى الوصف، و البعض قال: إنّها منصوبه على المدح بتقدير فعل.

٢ - ٢) - كلمه (عوج) جاءت بصوره نكره فى سياق النفى، و تعطى معنى النفى العام لعدم لوجود أى انحراف و انعطاف فى القرآن.

و على أية حال، فإنّ الهدف من نزول القرآن الكريم- بكل هذه الصفات التي ذكرناها- هو لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ .

و ممّا يلفت النظر أنّ الآية السابقة انتهت بعبارته: لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ و هنا انتهت بعبارته: لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ لأنّ التذكّر يكون دائما مقدّمه للتقوى و«التقوى» هي ثمره شجره«التذكر».

ثمّ يستعرض القرآن المجيد أحد الأمثال التي ضربت ليرسم من خلاله مصير الموحّد و المشرك، و ذلك ضمن إطار مثل ناطق و جميل، إذ يقول: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ (٢) .

أى إنّ هناك عبدا يمتلكه عدّه أشخاص، كلّ واحد منهم يأمره بتنفيذ أمر معين، فهذا يقول له: نفذ العمل الفلاني، و الآخره ينهاه عن تنفيذ ذلك العمل، و هو فى وسطهم كالتائه الحيران، لا يدري أى أمر ينفّذ، فالأمران متناقضان و متضادان، و لا يدري أيا منهما يرضيه؟ و الأدهى من كلّ ذلك أنّه عند ما يطلب من أحدهم توفير مستلزمات حياته، يرميه على الآخر، و الآخر يرميه على الأوّل، و هكذا يبقى محروما محتاجا عاجزا تائها. و فى مقابله هناك رجل سلم لرجل واحد و رجلاً سلماً لرجلٍ .

فهذا الشخص خطه و منهجه واضح، و ولى أمره معلوم فلا- تردد و لا- حيره و لا- تضاد و لا- تناقض، يعيش بروح هادئه و يخطو خطوات مطمئنه، و يعمل تحت رعايه فرد يدعّمه فى كلّ شىء و فى كلّ أمر و فى كلّ مكان. فهل أنّ هذين الرجلين متساويان هلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا .

ص: ٧٣

١- ١) -يراجع (مفردات الراغب) و (لسان العرب) و غيرها من التفاسير.

٢- ٢) -«متشاكسون»: أصلها من (شكاسه) و تعنى سوء الخلق و التنازع و الاختصام، و لهذا يقال «متشاكس» لمن يتخاصم و يتنازع بعصبيه و سوء خلق.

هذا المثال ينطبق على (المشرك) و(الموحد) فالمشرك يعيش في وسط المتضادات و المتناقضات، و كل يوم يتعلق قلبه بمعبود جديد، فلا استقرار في حياته و لا اطمئنان و لا مسير واضح يسلكه. أما الموحّدون فإنّهم يعشقون الله وحده، و في كلّ الأحوال يلجؤون إلى ظلّ لطفه، و لا تنظر عيونهم إلى سواه، فطريقهم و نهجهم واضح، و مصيرهم و نهايتهم واضحة أيضا.

و

جاء في حديث لأمير المؤمنين عليه السلام «أنا ذاك الرجل السلم لرسول الله» (١).

و

ورد في حديث آخر عنه أيضا «الرجل السلم للرجل حقا عليّ و شيعة» (٢).

و في نهايه الآيه يقول تعالى: **الْحَمْدُ لِلَّهِ** فالله سبحانه و تعالى بذكره لتلك الأمثال يرشدكم إلى أفضل السبل، و يضع تحت تصرفكم أوضح الدلائل لتشخيص الحقّ عن الباطل، فالبارئ عزّ و جلّ يدعو الجميع إلى الإخلاص و في ظلّ الإخلاص تكون السكينه و الراحة، فهل هناك نعمه أفضل من هذه، و هل هناك أمر آخر يستحق الحمد و الشكر أكثر من هذه النعمه؟! و لكن أكثرهم لا يعلمون رغم وجود هذه الدلائل الساطعه، إذ أنّ حبّ الدنيا و الشهوات الطاغيه عليهم يجعلهم يضلون عن طريق الحقيقه: **بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**.

و تتمّه لبحث الآيات السابقه بشأن التوحيد و الشرك، تتحدث الآيه التاليه عن نتائج الشرك و التوحيد في موقف القيامة.

إذ تبدأ بمسأله الموت الذي هو بوابه القيامة، و تبين لكلّ البشريه أنّ قانون الموت عامّ، و شامل للجميع: **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** (٣).

ص: ٧٤

١-١ - نقله (الحاكم أبو القاسم الحسكاني) في شواهد التنزيل.

٢-٢ - نقله العياشي في تفسيره مجمع البيان، ذيل آيات البحث.

٣-٣ - عبارته **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** على الظاهر تعطى معنى موت الجميع في الوقت الحاضر، و هي من قبيل (المضارع المتحقق الوقوع) الذي يأتي أحيانا بصوره حال و أحيانا اخرى بصوره الماضي.

نعم، فالموت من الأمور التي تشمل جميع الناس، ولا يستثنى منه أحد، فهو طريق يجب أن يمر به الجميع في نهاية المطاف.

قال بعض المفسرين: إنَّ أعداء رسول الله كانوا ينتظرون وفاته، وكانوا في نفس الوقت فرحين مسرورين لكون رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم يموت في نهاية الأمر، فالقرآن -هنا- أجابهم بالقول: إن مات رسول الله فهل تبقون أنتم خالدين، هذا ما نصت عليه الآية (٣٤) من سورة الأنبياء: أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ .

ثم ينتقل البحث إلى محكمه يوم القيامة، ليجسم المجادله بين العباد في ساحه المحشر، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ .

«تختصمون»: مشتقّه من (اختصام) وتعنى النزاع و الجدل بين شخصين أو مجموعتين تحاول كل، منهما تنفيذ كلام الآخر، فأحيانا يكون أحدهم على حقّ و الآخر على باطل، و أحيانا يكون الاثنان على باطل، كما في مجادله و مخاصمه أهل النار فيما بينهم، و قد اختلف المفسرون في كون هذا الحكم عاما أم لا.

قال البعض: إنَّ المخاصمه تقع بين المسلمين و الكفار.

و قال البعض الآخر: إنَّها تقع بين المسلمين أنفسهم، و في روايه عن أبى سعيد الخدرى قال: لم يكن أحد فينا يفكر في أن يقع خصام فيما بين المسلمين، و كُنَّا نقول: كيف نختصم نحن و ربنا واحد، و نبينا واحد و ديننا واحد؟ فلما كان يوم صفين و شدّ الفريقان الذين كانا مسلمين (حيث كان أحدهما مسلما حقيقيا و الآخر يدعى الإسلام) بالسيف على بعضهما البعض، قلنا: نعم، الآية تشملنا نحن أيضا (١).

و لكن الآيات التاليه تبين أنّ المخاصمه تقع بين الأنبياء و المؤمنين من جهه، و المشركين المكذبين من جهه اخرى.

لَمَّا تَوَفَّى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ هِ وَ سَلَّمَ قَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ

ص: ٧٥



يزعمون أنّ رسول الله قد توفّي و الله رسول الله ما مات، و لكنّه ذهب الى ربّه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثمّ رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، و و الله ليرجع رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال و أرجلهم زعموا أنّ رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم مات؟.

و قال الزاوي: و أقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر، و عمر يكلم الناس، فلم يلفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم في بيت عائشه، و رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم مسجى في ناحيه البيت، عليه برد حبره؟، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم ثمّ قال الراوي: قال أبو بكر: على رسلك يا عمر أنصت فأبى إلا أن يتكلم ثمّ تلا أبو بكر هذه الآية: **وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ** .

قال الزاوي: فو الله لكأنّ الناس يعلموا أنّ هذه الآية ما نزلت حتى تلا أبو بكر ثمّ قال عمر: و الله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فغفرت (1) حتى وقعت إلى الأرض ما تحملني، رجلاي (2) .

ص: ٧٦

(١ - ١) - غفرت: وحشت

(٢ - ٢) - سيره ابن هشام، المجلد الرابع، الصفحات ٣٠٥ و ٣٠٦، نقلا عن الكامل لابن الأثير، المجلد الثاني، الصفحه ٣٢٣ و ٣٢٤، مع شيء من التلخيص.

بدايه الجزء الرابع و العشرون من القران الكريم

ص: ٧٧



اشاره

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصُّدُقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٣٢) وَالَّذِي جَاءَ بِالصُّدُقِ وَصَدَّقَ بِهِ  
أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جِزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ  
أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٥)

التفسير

اشاره

أولئك الذين يصدقون كلام الله:

هذه الآيات تواصل البحث الخاص بموقف الناس في ساحه المحشر، و تخصصهم في تلك المحكمه الكبرى، و تقسم آيات  
بحثنا إلى مجموعتين هما (المكذبون) و(المصدقون).

و القرآن الكريم يعطى صفتين لأصحاب المجموعه الأولى، أى «المكذبين»، قال تعالى: فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ  
بِالصُّدُقِ إِذْ جَاءَهُ .

الكافرون و المشركون يكذبون كثيرا على البارئ عز و جل، فأحيانا يعتبرون الملائكه بنات الله، و أحيانا يقولون: عيسى هو ابن  
الله، و أحيانا اخرى

يعتبرون الأصنام شفعاء لهم عند الله، وأحيانا يبتدعون أحكاما كاذبه في الحلال و الحرام و ينسبونها إلى الله، و ما شابه ذلك.

و أما الكلام الصادق الذى أنزل إليهم و كذبوه فهو القرآن المجيد.

خاتمه الآية تبين فى جملة قصيره جزاء أمثال هؤلاء الأفراد، قال تعالى:

أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ

(١)

أما المجموعه الثانيه فقد وصفها القرآن الكريم بوصفين، إذ قال: وَ الَّذِي جَاءَ بِالصُّدُقِ وَ صَدَّقَ بِهِ أُوْلِيكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ .

فبعض الروايات الوارده عن أئمه الهدى عليهم السلام فسّرت: وَ الَّذِي جَاءَ بِالصُّدُقِ بِأَنَّهَا تَعُودُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ صَدَّقَ بِهِ تَعُودُ عَلَى عَلَى عَلَيْهِ السَّلَام (٢)، و بالطبع فإن المقصود من ذلك هو باين مصداقيه الآية، لأنّ عبارته: أُوْلِيكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ دليل على شموليه الآية.

و من هنا يتضح أنّ تفسير الآية المذكوره أعلاه بأن المراد شخص رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم الذى هو مهبط الوحي و المصدق به فى نفس الوقت، فهو أيضا من قبيل بيان مصداق الآية و ليس بيان المفهوم العام لها.

لذلك فإنّ مجموعه من المفسّرين فسّروا عبارته قوله تعالى: وَ الَّذِي جَاءَ بِالصُّدُقِ بِأَنَّهُ يَعْنِي كُلَّ الْأَنْبِيَاءِ وَ صَدَّقَ بِهِ يَعْنِي أَتْبَاعَهُمُ الْحَقِيقِينَ، و هم المتقون.

و هناك تفسير آخر للآيه، لكنّه أوسع و أكثر شموليه من التفاسير الأخرى، رغم أنّه لم يحظ كثيرا باهتمام المفسّرين، لكنّه أكثر انسجاما مع ظاهر الآيات، و التفسير هو أن اللّذي جَاءَ بِالصُّدُقِ لَيْسَ مَنْحَصِرًا فِي الرِّسَالِ فَقَطْ، وَ إِنَّمَا يَشْمَلُ كُلَّ الَّذِينَ يَبْلُغُونَ نَهْجَ الْأَنْبِيَاءِ وَ يَرُوجُونَ كَلَامَ اللَّهِ، وَ فِي هَذِهِ الْحَالِ فَلَا يُوْجَدُ أَى

ص: ٨٠

١-١) - «مثنوى»: من مادّه (ثواء) و تعنى الإقامة المستمره فى مكان ما و لهذا فإنّ (مثنوى) هنا تعنى المكان و المنزل الدائم.

٢-٢) - مجمع البيان ذيل آيات البحث.

مانع من القول بأن العبارتين تنطبقان على مجموعه واحده (كما يوضح ذلك ظاهر الآيه، لأنّ ضمير (و الذى ذكر مرّه واحده فقط).

و بهذا الشكل فإنّ الآيه تتحدّث عن أناس هم من حملة الرساله و من العاملين به، و تتحدّث عن أولئك الذين ينشرون فى العالم ما ينزل به الوحي من كلام البارئ عزّ و جلّ و هم يؤمنون به و يعملون به، و هكذا فإنّ الآيه تضم الأنبياء و الأئمّه المعصومين و الدعاء لنهج الأنبياء.

و الملفت للنظر أنّ الآيه عبّرت عن الوحي «بالصدق» و هو اشاره إلى أن. الكلام الوحيد الذى لا يحتمل وجود الكذب و الخطأ فيه هو كلام الله الذى نزل به الوحي، فإن سار الإنسان فى ظلّ تعليمات نهج الأنبياء و صدقها فإنّ التقوى سوف تتفتح فى داخل روجه.

الآيه التاليه تبيّن أنّ هناك ثلاث مثوبات بانتظار أفراد هذه المجموعه، أى المصدقين، إذ تقول فى البدايه: لَّهُمْ مَا يَشَاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ .

لهذه الآيه مفهوم واسع بحيث يشمل كلّ النعم الماديه و المعنويه التى يمكن تصورها و التى لا يمكن تصورها.

و على ضوء هذه الآيه يطرح البعض السؤال التالي: إذا طلب أحدهم أن يكون مقامه أرفع من مقام الأنبياء و الأولياء، فهل يعطى ذلك؟ علينا أن لا نغفل عن كون أهل الجنّه يدركون عين الحقيقه، و لهذا لا يفكر أحد منهم بأمر يخالف الحقّ و العداله، و لا يتناسب مع أساس توازن اللياقات و الكفاءات.

بعباره اخرى: لا يمكن أن يحصل أشخاص لهم درجات مختلفه فى الإيمان و العمل على نفس الجزاء، فكيف يأمل أصحاب الجنّه فى تحقيق أشياء مستحيله؟! و فى نفس الوقت فإنّهم يعيشون فى حاله روحيه خاليه من الحسد و الغيره، و هم راضون بما رزقوا به.

و كما هو معلوم فإنَّ المكافاه الإلهيه فى الآخره و حتى التفضيل الإلهى للبعض دون البعض الآخر إنّما يتمّ على أساس اللياقه التى حصل عليها الإنسان فى هذه الدنيا، فالذى يعرف أنّ إيمانه و عمله فى هذه الدنيا لم يصل إلى درجه إيمان و عمل الآخرين لا يأمل يوماً ما أن يكون بمرتبتهم، لأنّ ذلك أمل و رجاء غير منطقى.

و عبارته: عِنْدَ رَبِّهِمْ تَبَيَّنَ عَدَمُ انْقِطَاعِ اللَّطْفِ الْإِلَهِيِّ عَنِ أَوْلِيائِكَ وَ كَأَنَّهِمْ ضِيُوفُ اللَّهِ عَلَى الدَّوَامِ، وَ كُلٌّ مَا يَطْلُبُونَهُ يُوَفَّرُ لَهُمْ.

و عبارته: ذَلِكُمْ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ أقيم فيها الظاهر مقام ضمير الإشاره، اشارته الى أن إحسانهم و عملهم الصالح كانا سببا فى حصولهم على الأجر المذكور.

أمّا المكافأتان الثانيه و الثالثه اللتان يمنحهما البارئ عزّ و جَلّ للمصدقين، فيقول القرآن المجيد بشأنهما: لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَ يَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (١).

كم هى عبارته جميله و لطيفه! فمن جانب يدعون الله سبحانه و تعالى ليكفّر عنهم أسوأ ما عملوا بظلمة لطفه، و يطهرهم من تلك البقع السوداء بماء التوبه، و من جهه اخرى يدعون الله ليجعل أفضل و أحسن أعمالهم معيارا للمكافاه، و أن يجعل بقيه أعمالهم ضمن ذلك العمل.

إنّ ما يتّضح من الآيات الكريمة هو أنّ الله استجاب لدعواهم، عند ما غفر لهم و عفا عن أسوأ أعمالهم، و جعل أفضل الأعمال معيارا للمكافاه.

من البديهى، عند ما يشمل العفو الإلهى الزلات الكبيره، فإنّ الزلات الصغيره أولى بالشمول، لأنّ الزلات الكبيره هى التى تقلق الإنسان أكثر من أى شىء آخر،

ص: ٨٢

---

١- ١) فى عوده قوله تعالى: لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ ذكر المفسرون آراء شتى بهذا الشأن و لكن التفسير الذى يبدو أنسب هو أنّها تعود على الفعل (أحسنوا) و يفهم ذلك من كلمه المحسنين، و التقدير (ذلك جزاء المحسنين أحسنوا ليكفر الله عنهم) نعم إنّهم عمدوا إلى عمل الإحسان كى يكفر الله عنهم سيئاتهم و يغفر زلاتهم و يعطيهم أفضل الثواب.

و لهذا السبب فإنّ المؤمنين كثيرا ما يفكرون بها.

و ثمة سؤال يطرح نفسه هنا: إذا كانت الآيات السباقه تخص الأنبياء و المؤمنين من أتباعهم، فكيف اقتترف هؤلاء تلك الزلات الكبيره؟ الجواب على هذا السؤال يتّضح من خلال الانتباه إلى أنّه عند ما ينسب عمل ما إلى مجموعه، فهذا لا يعنى أنّ الجميع قاموا بذلك العمل، و إنّما يكفى أن تقوم به مجموعه صغيره منهم، فمثلا عند ما نقول: إن بنى العباس خلفوا رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم من دون أى حق، فإنّ هذا لا يعنى أنّ الكل اعتلوا كرسى الخلافة، و إنّما مجموعه منهم.

الآيه المذكوره أعلاه تبيّن أنّ مجموعه من حملة الرساله و أتباع نهجهم كانوا قد ارتكبوا بعض الأخطاء و الزلّات، و أنّ البارئ عزّ و جلّ صفح عنهم و غفر لهم بسبب أعمالهم الصالحه و الحسنه. على أيّه حال فإنّ ذكر الغفران و الصفح قبل ذكر الثواب، يعود إلى هذا السبب، و هو أنّ عليهم فى البدايه أن يغتسلوا و يتطهروا، و من ثمّ الورود الى مقام القرب الالهى. يجب عليهم فى البدايه أن يريحوا أنفسهم من العذاب الإلهى كى يتلذذوا بنعم الجنّه.

### مسأله:

الكثير من المفسّرين المسلمين من الشيعة و السنه نقلوا الرّوايه التاليه بشأن تفسير هذه الآيه، و هى أنّ النبى صلّى الله عليه و اله و سلّم هو المقصود فى و الذى جاء بالصدّق و أنّ الإمام على عليه السلام هو المقصود فى صدّق به .

المفسّر الإسلامى الكبير العلامه «الطبرسى» نقل ذلك فى تفسيره (مجمع البيان) عن أهل البيت الأطهار، و نقلها كذلك أبو الفتوح الرازى فى تفسير (روح الجنان) عن نفس المصدر السابق. كما نقلت مجموعه من المفسّرين السنه ذلك عن أبى هريره نقلا عن رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم، و عن طرق اخرى، و من جمله من نقله



العلامة ابن المغازلي في (المناقب) و(العلامة الكنجي) في (كفاية الطالب) و القرطبي في تفسيره و العلامة السيوطي في (الدر المنثور) و كذلك (الألوسي) في (روح المعاني) (١).

و مثلما أشرنا من قبل فإن نقل مثل هذه التفاسير هو بيان أوضح المصاديق، و من دون أي شك فإن الإمام علي عليه السلام يقف في مقدمه الصف الأول لأتباع النبي صلى الله عليه و اله و سلم و المصدقين به، و إنه هو أول من صدق برسول الله صلى الله عليه و اله و سلم، و لا يوجد أحد من العلماء من ينكر هذه الحقيقة.

و الاعتراض الوحيد الذي صدر عن بعض المفسرين هو أن الإمام علي عليه السلام آمن بالرسول و كان عمره ما بين (١٠) إلى (١٢) عاما، و أنه لم يكن مكلفا في هذا السن و لم يبلغ بعد سن الحلم.

هذا الكلام عجيب جدا، فكيف يمكن أن يكون مثل هذا الاعتراض صحيحا، في الوقت الذي قبل فيه رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم إسلام علي عليه السلام، و قال له بأنه (وزيره) و (وصيه) و أكد مرارا و تكرارا في كلماته على أن عليا هو (أول المؤمنين) أو (أولكم إسلاما) و قد أوردنا في نهاية الآية (١٠) من سورة التوبة أدلة متعددة من كتب علماء أهل السنة و بصوره مفصله.

ص: ٨٤

---

١ - ١) - لمن يرغب الاطلاع أكثر عليه مراجعه كتاب إحقاق الحق، المجلد الثالث، الصفحة ١٧٧ فما بعد، و كتاب المراجعات، الصفحة ٦٤ (المراجعة ١٢).

إشاره

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ (٣٧)

سبب النزول

الكثير من المفسرين قالوا: إن مشركى قريش كانوا يخوفون رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم من آلهتهم و يحذرونه من غضبها على أثر وصفه تلك الأوثان بأوصاف مزريه، و يوعدون به بأنه إن لم يسكت عنها فستصيبه بالأذى، و للرد على كلامهم نزلت الآيه المذكوره أعلاه (١).

و البعض قال: عند ما عزم خالد على كسر العزى بأمر من النبى صلى الله عليه و اله و سلم قال المشركون: إياك يا خالد فبأسها شديد. فضرب خالد أنفها بالفأس و هشمها و قال:

كفرانك يا عزى لا سبحانك، سبحان من أهانك، إننى رأيت الله قد أهانك (٢).

و لكن قصه خالد هذه التى كانت بعد فتح مكه كما يبدو، لا يمكن أن تكون سببا لنزول الآيه لأنّ كلّ سوره الزمر (مكيه) و لهذا لعلها من قبيل التطابق.

ص: ٨٥

١-١) - تفسير الكشاف و مجمع البيان و أبو الفتوح الرازى و فى ظلال مع اختلافات جزئيه.

٢-٢) - مجمع البيان ذيل آيات البحث (هذه الروايه وردت أيضا فى الكشاف و القرطبى و بصوره مختصره).

## إن الله كاف!

تمه لتهديدات الباري عز وجل التي وردت في الآيات السابقه للمشركين، و الوعد التي لأنبيائه، تتطرق الآيه الأولى في بحثنا لتهديد الكفار أليس الله بكاف عبده و يخوفونك بالذين من دونه .

إن قدره الباري عز وجل أقوى و أعظم من كل القدرات الأخرى، و هو الذى يعلم بكل احتياجات و مشكلات عباده، و الذى هو رحيم بهم غاية الرحمة و اللطف، كيف يترك عباده المؤمنين لوحدهم أمام أعاصير الحوادث و عدوان بعض الأعداء؟ و مع أن سبب نزول هذه الآيه-طبقا لما جاء فى الروايات التى ذكرناها- هو للرد على التخويف و التهديد بغضب الأصنام، لكن معنى الآيه أوسع، و يتسع لكل تهديد يهدد به الإنسان بما هو دون الله.

على أية حال، فإن فى هذه الآيه بشرى لكل السائرين فى طريق الحق و المؤمنين الحقيقيين، خاصه أولئك الذين يعيشون أقلية فى بعض المجتمعات، و المحاطين بمختلف أشكال التهديد من كل جانب.

الآيه تعطيهام الأمل و الثبات، و تملأ أرواحهم بالنشاط و تجعل خطواتهم ثابتة، و تمحو الآثار النفسية لصددمات تهديدات الأعداء، نعم فعند ما يكون الله معنا فلا نخاف غيره، و إن انفصلنا و ابتعدنا عنه فسيكون كل شىء بالنسبه لنا رهيبا و مخيفا.

و كتتمه للآيه السابقه و الآيه التاليه اشاره إلى مسأله (الهدايه) و (الضلاله) و تقسم الناس إلى قسمين: (ضالين) و (مهتدين) و كل هذا من الله سبحانه و تعالى، كى تبيّن أنّ جميع العباد محتاجون لرحمته، و من دون إرادته لا يحدث شىء فى هذا العالم، قال تعالى: وَ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ .

و من البديهي أنّ الضلاله لا- تأتي من دون سبب، و كذلك الهدايه بل إن كلّ حاله منهما هي استمرار لإيراده الإنسان و جهوده، فالذى يضع قدمه فى طريق الضلال، و يبذل أقصى جهوده من أجل إطفاء نور الحقّ، و لا- يترك أدنى فرصه تتاح له لخداع الآخرين و إضلالهم، فمن البديهي أنّ الله سيضله، و لا- يكتفى بعدم توفيقه و حسب، و إنّما يعطّل قوى الإدراك و التشخيص التى لديه عن العمل، و يوصد قلبه الأقفال و يغطى عينيه بالحجب، و هذه هي نتيجة الأعمال التى ارتكبتها.

أمّا الذين يعزمون على السير إلى الله سبحانه و تعالى بنوايا خالصه، و يخطون الخطوات الأولى فى هذا المسير، فإنّ نور الهدايه الإلهيه يشعّ لينير لهم الطريق، و تهبّ ملائكه الرحمن لمساعدتهم و لتطهير قلوبهم من وساوس الشياطين، فتكون إرادتهم قويه، و خطواتهم ثابتة، و اللطف الإلهي ينقذهم من الزلّات.

و قد وردت آيات كثيره فى القرآن المجيد كشاهد على تلك القضايا، و ما أشدّ جهل الذين فصلوا بين مثل هذه الآيات و بقيه آيات القرآن و اعتبروها شاهدا على ما ورد فى المذهب الجبرى، و كأنّهم لا يعلمون أن آيات القرآن تفسّر إحداها الأخرى. بل إن القرآن الكريم بقول فى نهايه هذه الآيه: أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ و هو خير شاهد على هذا المعنى.

و كما هو معروف فإنّ الانتقام الإلهي هو بمعنى الجزاء على الأعمال المنكره التى اقترفها الإنسان، و هذا يشير إلى أن إضلاله سبحانه و تعالى للإنسان هو بحدّ ذاته نوع من أنواع الجزاء وردّ فعل لأعمال الإنسان نفسه، و بالطبع فإن هدايته سبحانه و تعالى للإنسان هي بحدّ ذاتها نوع أنواع الثواب، و هي ردّ فعل للأعمال الصالحه و الخالصه التى يقوم بها الإنسان (1).

## ١- الهدايه و الإضلال من الله:

«الهدايه»: في اللغة تعنى التوجيه و الإرشاد بلطف و دقه (١)، و تنقسم إلى قسمين (بيان الطريق)، و (الإيصال إلى المطلوب) و بعبارة اخرى (هدايه تشريعيه) و (هدايه تكوينيه) (٢).

و لتوضيح ذلك نقول: إنَّ الإنسان يصف أحيانا الطريق للسائل بدقه و لطف و عناية و يترك السائل معتمدا على الوصف في قطع الطريق و الوصول إلى المقصد المطلوب. و أحيانا اخرى يصف الإنسان الطريق للسائل و من ثمَّ يمسك بيده ليوصله إلى المكان المقصود.

و بعبارة اخرى: الشخص المجيب في الحاله الأولى يوضّح القانون و شرائط سلوك الطريق للشخص السائل كى يعتمد الأخير على نفسه في الموصول إلى المقصد و الهدف، أمّا في الحاله الثانيه، فإضافه إلى ما جاء في الحاله الأولى، فإنَّ الشخص المجيب يهيه مستلزمات السفر، و يزيل الموانع الموجوده، و يحلّ المشكلات، إضافة إلى أنه يرافق الشخص السائل في سلوك الطريق حتّى الوصول إلى مقصده النهائي لحمايته و الحفاظ عليه.

و (الإضلال) هو النقطه المقابله ل (الهدايه).

فلو ألقينا نظره عامه على آيات القرآن لا تضح لنا- بصوره جيده- أنّ القرآن يعتبر أنّ الضلاله و الهدايه من الله، أى أن الاثنين ينسبان إلى الله، و لو أردنا أن نعدد كل الآيات التى تتحدث بهذا الخصوص، لطال الحديث كثيرا، و لكن نكتفى بذكر ما جاء في الآيه (٢١٣) من سوره البقره: وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

ص: ٨٨

١- ١) - «مفردات» ماده (هدى).

٢- ٢) - نلفت الانتباه إلى أن الهدايه التكوينيّه هنا قد استخدمت بمعناها الواسع، حيث تشمل كل أشكال الهدايه عدا الهدايه التى تأتي عن طريق بيان الشرائع و التوجيه إلى الطريق.

و فى الآيه (٩٣) من سورة النحل: **وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**. و أمثال هذه الآيات-الخاصه بالهدايه أو الضلال أو أحدهما-ورد فى آيات كثيره من القرآن المجيد (١).

و أكثر من هذا، فقد جاء فى بعض الآيات نفى قدره الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله و سلم على الهدايه و تحديد قدره على الهدايه بالله سبحانه و تعالى، كما ورد فى الآيه (٥٦) من سورة القصص: **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**. و فى الآيه (٢٧٢) من سورة البقره: **لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**.

الدراسه السطحيه لهذه الآيات و عدم إدراك معانيها العميقه أدى الى زيغ البعض خلال تفسيرهم لها و انحرافهم عن طريق الهدايه و وقوعهم فى فخاخ المذهب الجبرى، حتى أن بعض المفسرين المعروفين لم ينجوا من هذا الخطأ الكبير، حيث اعتبروا الضلاله و الهدايه و فى كل مراحلها أمرا جبريا، و الأدهى من ذلك أنهم أنكروا أصل العداله كى لا ينتقض رأيهم، لأن هناك تناقضا واضحا بين عقيدتهم و بين مسأله العداله و الحكمه الإلهيه، فإذا كنا أساسا نقول بالجبر، فلا يبقى هناك داع للتكليف و المسؤليه و إرسال الرسل و إنزال الكتب السماويه.

أما المعتقدون بمذهب الإختيار و أن الإنسان مخير فى هذه الدنيا-و أن العقل السليم لا يقبل مطلقا بأن الله سبحانه و تعالى يجبر مجموعه من الناس على سلوك سبيل الضلال ثم يعاقبهم على عملهم ذلك، أو أنه يهدى مجموعه اخرى إجباريا ثم يمنحها-من دون أى سبب-المكافأه و الثواب، و يفضلها على الآخرين لأدائها عملا كانت قد أجبرت على القيام به- فهؤلاء انتخبوا لأنفسهم تفاسير اخرى لهذه الآيات، كان أهمها:

١- إن المراد من الهدايه الإلهيه هى الهدايه التشريعيه التى تأتى عن طريق

ص: ٨٩

١ - ١) - و منها ما ورد فى السور و الآيات التاليه (فاطر-٨) و (الزمر-٢٣) و (المدثر-٣١) و (البقره-٢٧٢) و (الأنعام-٨٨) و (يونس-٢٥) و (الرعد-٢٧) و (إبراهيم-٤).

الوحي و الكتب السماويه و إرسال الأنبياء و الأوصياء، إضافة إلى إدراك العقل و الشعور، أما انتهاج السبيل فهو في عهده الإنسان في كفافه مراحل حياته. و بالطبع فإنّ هذا التفسير يتطابق مع الكثير من الآيات القرآنيه التي تتناول موضوع الهدايه، و لكن هناك آيات كثيره اخرى لا يمكن تطابقها مع هذا التفسير، لأنّ فيها نوعا من الصراحه فيما يخص (الهدايه التكوينيّه) و (الإيصال إلى الهدف) كما ورد في الآيه (٥٦) من سوره القصص: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ. في حين أنّنا نعرف أنّ الهدايه التشريعيه و التوجيه نحو الطريق الصحيح، هي الواجب الرئيسي للأنبياء.

٢- مجموعه اخرى من المفسرين فسروا الهدايه و الضلال اللذين لهما هنا طابع تكويني على أنّهما الثواب و العقاب، و الإرشاد إلى طريق الجنّه و النار، و قالوا بأنّ البارئ عزّ و جلّ يهدي المؤمنين إلى طريق الجنّه، و يضل عنها الكافرين.

إنّ هذا المعنى صحيح بالنسبه لعدّه آيات فقط، و لكنّه لا يتطابق مع آيات اخرى تتحدث عن الهدايه و الإضلال بصوره مطلقه.

٣- مجموعه ثالثه قالت: إنّ المراد من الهدايه هو تهيئه الأسباب و المقدمات التي توصل إلى الغرض المطلوب، و المراد من الضلاله هو عدم توفير تلك الأسباب و المقدمات أو حجبها عنهم، و التي عبّر عنها البعض ب (التوفيق) و (سلب التوفيق) لأنّ التوفيق يعني تهيئه المقدمات للوصول إلى الهدف، و سلب التوفيق يعني عدم تهيئه تلك المقدمات.

و وفقا لهذا فإنّ الهدايه الإلهيه لا تعني أنّ البارئ عزّ و جلّ يجبر الإنسان على الوصول إلى الهدف، و إنّما يضع الوسائل المطلوبه للوصول تحت تصرفهم و اختيارهم، و على سبيل المثال، وجود مربّ جيد، بيئه سالمه للتربيّه، أصدقاء و جلساء صالحين، و أمثالها، كلها من المقدمات، و رغم وجود هذه الأمور فإنّه لا يجبر الإنسان على سلوك سبيل الهدايه.

و ثمة سؤال يبقى مطروحا، و هو: لماذا يشمل التوفيق مجموعه دون اخرى؟ المنحازون لهذا التفسير عليهم أن ينتبهوا إلى حكمه أفعال الباري عزّ و جلّ و يعطوا دلائل لهذا الاختلاف، فمثلا- يقولون: إنّ عمل الخير هو سبب التوفيق الإلهي، و تنفيذ الأعمال الشريره تسلب التوفيق من الإنسان.

و على أيّه حال فإنّ هذا التفسير جيد و لكن الموضوع ما زال أعمق من هذا.

٤- إنّ أدق تفسير يتناسب مع كلّ آيات الهدايه و الضلال، و يفسرها جميعا بصوره جيده من دون أن يتعارض أدنى تعارض مع المعنى الظاهري، و هو أنّ الهدايه التشريعيه التي تعني (إراءه الطريق) لها خاصيه عامه و شامله، و لا- توجد فيها أي قيود و شروط، كما ورد في الآيه (٣) من سوره الدهر: إِذَا هَدَيْتَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا و في الآيه (٥١) من سوره آل عمران: وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ و من البديهي أن دعوه الأنبياء هي مظهر دعوه الله تعالى. لأن كلّ ما عند النبي هو من الله.

و بالنسبه إلى مجموعه من المنحرفين و المشركين ورد في الآيه (٢٣) من سوره النجم: وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ رَبِّهِمْ الْهُدَى .

أمّا الهدايه التكوينيّه فتعني الإيصال إلى الغرض المطلوب، و الأخذ بيد الإنسان في كلّ منعطفات الطريق، و حفظه و حمايته من كلّ الأخطار التي قد تواجهه في تلك المنعطفات حتى إيصاله إلى ساحل النجاه، و هي أي الهدايه التكوينيّه- موضع بحث الكثير من آيات القرآن الأخرى التي لا- يمكن تقييدها بأيّ شروط، فالهدايه، هذه تخصّ مجموعه ذكرت أوصافهم في القرآن، أمّا الضلال الذي هو النقطه المقابله للهدايه فإنه يخصّ مجموعه اخرى ذكرت أوصافهم أيضا في القرآن الكريم.

و رغم وجود بعض الآيات التي تتحدث عن الهدايه و الإضلال بصوره مطلقه، إلا أن هناك الكثير من الآيات الأخرى التي تبين- بدقه- محدوديتهما، و عند ما



تضع الآيات (المطلقة) إلى جانب (المحدودة) يتضح المعنى بصورة كاملة، ولا يبقى أى غموض أو إبهام فى معين الآيات، كما أنّها-أى الآيات-تؤكد بشده على مسأله الإختيار و حريه الإراده عند الإنسان و لا تعارض معهما.

الآن يجب الانتباه إلى التوضيح التالى:

القرآن المجيد يقول فى إحدى آياته: يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ و فى مكان آخر يقول الباري عزّ وجلّ: وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١) وهذا يبيّن أن الظلم مقدمه للضلال. و من هنا يتّضح أن الفسق، أى عدم إطاعه أوامر الباري تعالى و هو مصدر الضلال.

و فى موضع آخر نقراً: وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الكَافِرِينَ (٢)، و هنا اعتبر الكفر هو الذى يهوى أرضيه الضلال.

و قد ورد فى آيه اخرى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣) يعنى أنّ الكذب و الكفر هما مقدمه الضلال.

و الآيه التاليه تقول: إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٤) أى أن الإسراف و الكذب يسببان الضلاله.

و بالطبع، فإنّ ما أوردناه كان جزء سيرا من آيات القرآن التى تتناول هذا الموضوع، فبعض الآيات وردت مرات عديده فى سوره القرآن المختلفه و هى تحمل المعانى و المفاهيم.

إن ما يمكن استنتاجه هو أنّ القرآن الكريم يؤكّد على أنّ الضلاله الإلهيه تشمل كلّ من توفرت فيه هذه الصفات (الكفر) و (الظلم) و (الفسق) و (الكذب).

(الإسراف) فهل أن الضلاله غير لائقه بمن تتوفر فيه مثل هذه الصفات!

ص: ٩٢

١-١) -البقره، ٢٥٨.

٢-٢) -البقره، ٢٦٤.

٣-٣) -الزمر، ٣.

٤-٤) -غافر، ٢٨.

و بعبارة اخرى:هل ينجو قلب من يتصف بتلك الصفات القبيحة،من الغرق في الظلمات و الحجب؟! و بعبارة اخرى أوضح:أن لهذه الأعمال و الصفات آثارا تلاحق الإنسان شاء أم أبى،إذ ترمى بستائرها على عينيه و أذنيه و عقله،و تؤدي به إلى الضلال،و لكون خصوصيات كل الأشياء و تأثيرات كل الأسباب إنما هي بأمر من الله،و من الممكن أيضا أن ينسب الإضلال إليه سبحانه و تعالى في جميع هذه الموارد،و هذه النسبة هي أساس اختيار الإنسان و حريه إرادته.

هذا فيما يتعلق بالضلاله،أما فيما يخص الهدايه،فقد وردت في القرآن المجيد شروط و أوصاف تبين أن الهدايه لا تقع من دون سبب و خلاف الحكمة الإلهيه.

و قد استعرضت الآيات التاليه بعض الصفات التي تجعل الإنسان مستحقا للهدايه و محاطا باللطف الإلهي،منها: يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١).

إذن فاتباع أمر الله،و كسب مرضاته يهيئان الأرضيه للهدايه الإلهيه.

و في مكان آخر نقراً: إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ (٢) إذن فالتوبه و الإنابه تجعلان الإنسان مستحقا للهدايه.

و في آيه اخرى ورد: وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا (٣) فالجهاد، و خاصه (الجهاد الخالص في سبيل الله)هو من الشروط الرئيسيه للهدايه.

و أخيرا نقراً في آيه اخرى: وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى (٤) أى أن قطع مقدار من طريق الهدايه هو شرط للاستمرار فيه بلطف البارئ عزّ و جلّ.

ص: ٩٣

١-١ - المائدة، الآية ١٦.

٢-٢ - الرعد، الآية ٢٧.

٣-٣ - العنكبوت، الآية ٦٩.

٤-٤ - محمد، الآية ١٧.

نستنتج من ذلك أنه لو لم تكن هناك توبه و إنابه من العبد، و لا اتباع لأوامر الله، و لا جهاد فى سبيله و لا بذل الجهد و قطع مقدار من طريق الحق، فإن اللطف الإلهى لا يشمل ذلك العبد، و سوف لا يمسه البارئ بيده لإيصاله إلى الغرض المطلوب.

فهل أن شمول هؤلاء الذين يتحلون بهذه الصفات بالهدايه هو أمر عبث، أو أنه دليل على هدايتهم بالإجبار؟ من الملاحظ أن آيات القرآن الكريم فى هذا المجال واضحه جدًا و معناها ظاهر، و لكن الذين عجزوا عن الخروج بنتيجه صحيحه من آيات الهدايه و الضلال ابتلوا بمثل هذا الابتلاء و (لأنهم لم يشاهدوا الحقيقه فقد ساروا فى طيق الخيال).

إذن يجب القول بأنهم هم الذين اختاروا لأنفسهم سبيل (الضلال).

على أيه حال، فإن المشيئه الإلهيه فى آيات الهدايه و الضلال لم تأت عبثًا و من دون أى حكمه، و إنما تتم بشرائط خاصه، بحيث تبين تطابق حكمه البارئ عزّ و جلّ مع ذلك الأمر.

## ٢- الاتكال على لطف الله

يعتبر الإنسان كالقشه الضعيفه فى مهب الرياح العاتيه التى تهب هنا و هناك فى كلّ لحظه من الزمان، و يمكن أن تتعلق هذه القشه بورقه أو غصن مكسور تأخذه الرياح أيضا مع تلك القشه الضعيفه، و نرميهما جانبًا، و حتى إذا تمكنت يد الإنسان من الإمساك بشجره كبيره فإنّ الأعاصير و الرياح العاتيه تقتلع أحيانا تلك الشجره من جذورها، أمّا إذا لجأ الإنسان إلى جبل عظيم فإنّ أعتى الأعاصير لا تتمكن من أن ترحز ذلك الجبل و لو بمقدار رأس إبره من مكانه.

الايمان بالله بمثابه هذا الجبل و الاعتماد و الاتكال على غير الله بمثابه الاعتماد على الأشياء الواهيه، و لهذا السبب يقول البارئ عزّ و جلّ فى الآيات

المذكوره أعلاه: أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ الْإِعْتِقَادَ وَ الْإِيمَانَ بِمَا جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ يَضِيفُ لِلْإِنْسَانِ شَجَاعَهُ وَ اعْتِمَادًا عَلَى النَّفْسِ، وَ تَطْمَئِنُّ خَوَاطِرُهُ وَ تَهْدِئُهَا، كَيْ يَصْمُدَ وَ يَثْبِتَ أَمَامَ الْحَوَادِثِ كَالْجِبَلِ، وَ لَا يَخَافُ حَشُودَ الْأَعْدَاءِ، وَ لَا يَسْتَوْحِشُ مِنْ قَلَّةِ أَتْبَاعِهِ أَوْ أَصْحَابِهِ، وَ لَا- تَعْبَثُ الْمَشَاكِلُ الصَّعْبَةَ بِرُوحِهِ الْهَادِئَةِ الْمُسْتَقْرَهُ، وَ قَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ «الْمُؤْمِنُ كَالْجِبَلِ الرَّاسِخِ لَا- تَحْرُكُهُ الْعَوَاصِفُ»

اشاره

وَ لَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَيَّ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْرِفُونَ (٣٩) مَنْ يَأْتِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٤٠)

التفسير

اشاره

هل إن آلهتكم قادره على حل مشاكلكم؟

الآيات السابقه تحدثت عن العقائد المنحرفه للمشركين و العواقب الوخيمه التي حلت بهم، أما آيات بحثنا هذا فإنها تستعرض دلائل التوحيد كى تكمل البحث السابق بالأمدله، كما تحدثت الآيات السابقه عن دعم الباري عزّ و جلّ لعباده و كفايه هذا الدعم، و الآيات أعلاه تتابع هذه المسأله مع ذكر الدليل.

فى البدايه تقول الآيه: وَ لَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ .

العقل و الوجدان لا يقبلان أن يكون هذا العالم الكبير الواسع بكل هذه العظمه مخلوق من قبل بعض الكائنات الأرضيه، فكيف يمكن للعقل أن يقبل أن الأصنام التي لا روح فيها و لا عقل و لا شعور هي التي خلقت هذا العالم، و بهذا الشكل فإنّ القرآن يحاكم أولئك إلى عقولهم و شعورهم و فطرتهم، كى يثبت أول أسس التوحيد فى قلوبهم، و هى مسأله خلق السموات و الأرض.

و فى المرحله التاليه تتحدث الآيات عن مسأله الربح و الخساره، و عن مدى تأثيرها على نفع أو ضرر الإنسان، كى تثبت لهم أنّ الأصنام لا دور لها فى هذا المجال، و تضيف قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادْنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادْنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ (١).

و الآن بعد أن اتضح أنّ الأصنام ليس بإمكانها أن تخلق شيئاً و لا باستطاعتها أن تتدخل فى ربح الإنسان و خسارته، إذن فلم نعبدها و نترك الخالق الأصلي لهذا الكون، و الذى له اليد الطولى فى كلّ ربح و خساره، و نمد أيدينا إلى هذه الموجودات الجامده التى لا قيمه لها و لا شعور؟ و حتى إذا كانت الآلهه ممن يمتلكك الشعور كالجن أو الملائكه التى تعبد من قبل بعض المشركين، فإنّ مثل هذا الإله ليس بخالق و لا يمكنه أن يتدخل فى ربح الإنسان و خسارته، و كنتيجه نهائيه و شامله يقول البارئ عزّ و جلّ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ .

آيات القرآن المجيد أكدّت -و لعدّه مرات- على أنّ المشركين يعتقدون بأنّ الله سبحانه و تعالى هو خالق السموات و الأرض (٢). و هذا الأمر يبيّن أن الموضوع كان بالنسبه للمشركين من المسلّمات، و هذا أفضل دليل على بطلان الشرك، لأنّ توحيد خالق الكون و الاعتراف بمالكيتته و ربوبيته أفضل دليل على (توحيد

ص: ٩٧

١ - ١) -المفسّرون و اللغويون يفسّرون (أ فرأيتم) بأنّها تعطى معنى (أخبرونى) فى الوقت الذى لا يوجد فيه أى مانع من تفسيرها بمعناها الأصلي و هو رؤيه العين أو القلب.

٢ - ٢) -العنكبوت (٦١) و (٦٣)، لقمان (٣١)، الزخرف (٩) و (٨٧).

المعبود) و من كل هذا نخلص إلى أن التوكل لا يكون إلا على الله مع صرف النظر عن عباده غيره.

و إذا أمعنا النظر في المواجهه التي حدثت بين إبراهيم محطم الأصنام و الطاغية نمرود الذي ادعى الربوبية و القدره على إحياء الناس و إمامتهم، و الذي أنبتهت و تحير في كيفية تنفيذ طلب إبراهيم عليه السلام عند ما طلب منه أن يجعل الشمس تشرق من المغرب إن كان صادقا في ادعاءاته، مثل هذه الادعاءات التي ينذر وجودها حتى في أوساط عبده الأصنام، لا يمكن أن تصدر إلا من أفراد ذوى عقول ضعيفه و مغروره و بلهاء كعقل نمرود.

و الملفت للنظر أن الضمير العائد على تلك الآلهه الكاذبه في هذه الآيات، إنما جاء بصيغه جمع المؤنث (هن - كاشفات - ممسكات-) و ذلك يعود لأسباب:

أولاً: إن الأصنام المعروفه عند العرب كانت تسمى بأسماء مؤنثه اللات و مناه و العزى).

ثانياً: يريد الباري عزّ و جلّ بهذا الكلام تجسيد ضعيف هذه الآلهه أمامهم، و طبقاً لمعتقداتهم، لأنهم كانوا يعتقدون بضعف و عجز الإناث.

ثالثاً: لأن هناك الكثير من الآلهه لا روح فيها، و صيغه جمع المؤنث تستخدم عادة بالنسبه إلى تلك الموجودات الجامده، لذا فقد استفيد منها في آيات بحثنا هذا.

كما يجب الالتفات إلى أن عبارته عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ تعطى معنى الحصر بسبب تقدم كلمه (عليه) و تعنى أن المتوكلين يتوكلون عليه فقط.

الآيه التاليه تخاطب أولئك الذين لم يستسلموا لمنطق العقل و الوجدان بتهديد إلهي مؤثر، إذ تقول: قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَيَّ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١).

ص: ٩٨

(١- ١) - ما هو أصل كلمه (مكانه)؟ و ماذا تعنى؟ أغلب المفسرين و اللغويين قالوا: إنها تعنى المكان و المنزله، و هى من ماده

ستعلمون بمن سيحل عذاب الدنيا المخزى و العذاب الخالد فى الآخرة مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَ يَجِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ .

و بهذا الشكل فإنّ آخر كلام يقال لأولئك هو: إمّا أن تستسلموا لمنطق العقل و الشعور و تستجيبوا لنداء الوجدان، أو أن تنتظروا عذابين سيحلان بكم، أحدهما فى الدنيا و هو الذى سيخزيكم و يفضحكم، و الثانى فى الآخرة و هو عذاب دائمى خالد، و هذا العذاب أنتم اعددتموه لأنفسكم، و أشعلتم النيران فى الحطب الذى جمعتموه بأيديكم.

(١)

(كون) و لأنها تستخدم كثيرا بمعنى المكان لهذا يتصور أنّ الميم فيها أصليه، و لذا أصبح جمع تكسيروها (أمكنه) أما صاحب (لسان العرب)، فقد ذكر أنّ أصلها (مكنه) و (تمكن) و التى تعنى القدره و الاستطاعه، و على أية حال فإنّ مفهوم الآيه يكون فى الحاله الأولى: ابقوا على مواقفكم، و فى الحاله الثانيه: ابدلوا كلّ ما لديكم من جهد و طاقه.

ص: ٩٩



اشاره

إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَ مَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٤١) اللَّهُ يَتَوَفَّى  
الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَمِيسِرُكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢) أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا  
لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤)

التفسير

اشاره

اللَّهُ سبحانه يتوفى الأنفس:

بعد ذكر دلائل التوحيد، و بيان مصير المشركين و الموحدين، تبين الآية الأولى- في هذا البحث- حقيقه مفادها أن قبول ما جاء في كتاب الله أو عدم قبوله إنما يعود بالفائده أو الضرر عليكم، و إن كان رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم يصرّ عليكم في هذا

المجال، فإنه لم يكن ينبغي جنى الأرباح من وراء ذلك، وإنما كان يؤدي واجبا إليها، إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ (١).

و تضيف الآية فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا .

على أیه حال، فإنك لست مكلفا بإدخال الحق إلى قلوبهم بالإجبار، وإنما عليك إبلاغهم وإنذارهم فقط وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ .

هذه القاعدة بأن كل من اتبع طريق الحق عاد بالربح على نفسه، و من اتبع سبيل الضلال عاد بالخسارة على نفسه، تكررت عدة مرات في آيات القرآن الكريم، كما أنه تأكيد على حقيقته أن الله غير محتاج لإيمان عباده ولا يخاف من كفرهم، وكذلك رسوله، وإنه لم يدفع عباده إلى عبادته كي يجنى من وراء ذلك الأرباح، وإنما ليجود على عباده.

قوله تعالى: وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ -التي وردت فيها كلمه (وكيل) بمعنى الشخص المكلف بهدايه الضالين و جعلهم يؤمنون بالله -وردت عدة مرات في آيات القرآن، و بنفس التعبير أو ما يشابهه، و الغرض من تكرارها هو بيان أن الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله و سلم ليس مسئولاً عن إيمان الناس، لأن أساس الإيمان لا يأتي عن طريق الإجبار، و إنه مكلف بإبلاغ الأمر الإلهي إلى الناس من دون أن يظهر أدنى تقصير أو عجز، فإما أن يستجيبوا لدعوته و إما أن يرفضوها.

ثم لتوضح أن الحياه و الموت و كل شؤون الإنسان هي بيد الله سبحانه و تعالى، قالت الآية: اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا (٢).

و بهذا الشكل فإن (النوم) يعد شقيق (الموت) لكن بأحد أشكاله الضعيفه، أي (أشكال الموت)، لأن العلاقة بين الروح و الجسد تصل إلى أدنى درجاتها أثناء

ص: ١٠١

١ - ١) - «بالحق»: من الممكن أن تكون حالا - ل (كتاب) أو للفاعل في أنزلنا، مع أن المعنى الأول أنسب، و لذا فإن مفهوم الآية يكون: (إنا أنزلنا عليك القرآن مترافقا بالحق).

٢ - ٢) - كلمه (توفى) تعنى قبض الشيء بالتمام، كلمه (أنفس) تعنى الأرواح. و كلمه (منام) لها معنى مصدرى و تعنى النوم.

النوم، و تقطع الكثير من العلاقات و الوشائج بينهما.

و تضيف الآية فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى نَعَم إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ .

من هذه الآية يمكن استنتاج عدة أمور:

١- إنَّ الإنسان عبارته عن روح و جسد، و الروح هي جوهر غير مادي، يرتبط بالجسد فيبعث فيه النور و الحياة.

٢- عند الموت يقطع الله العلاقة بين الروح، و الجسد، و يذهب بالروح إلى عالم الأرواح، و عند النوم يخرج الباري عزَّ و جلَّ الروح و الجسد، و لكن ليس بتلك الحالة التي تقطع فيها العلاقات بصورة كاملة. و وفقا لهذا فإنَّ الروح لها ثلاث حالات بالنسبة للجسد، و هي: ارتباط كامل (حاله الحياه و اليقظه) و ارتباط ناقص (حاله النوم) و قطع الارتباط بصورة كاملة (حاله الموت).

٣- النوم هو أحد الصور الضعيفه (للموت)، و (الموت) هو نموذج كامل (للنوم).

٤- النوم هو أحد دلائل استقلال و أصاله الروح، خاصة عند ما يرافق بالرؤيا الصادقه التي توضح المعنى أكثر.

٥- إنَّ العلاقة التي تربط بين الروح و الجسد تضعف أثناء النوم، و أحيانا تقطع تماما ممَّا يؤدي إلى عدم يقظه النائم إلى الأبد، أي موته.

٦- إنَّ الإنسان عند ما ينام في كلَّ ليله يشعر و كأنه وصل إلى أعتاب الموت، و هذا الشعور بحد ذاته درسا يمكن الاعتبار منه، و هو كاف لإيقاظ الإنسان من غفلته.

٧- كلَّ هذه الأمور تجرى بقدره الباري عزَّ و جلَّ، و إن كان قد ورد في بعض الآيات ما يشير إلى أنَّ ملك الموت هو الذي يقبض الأرواح، فهذا لا يعنى سوى أنَّه ينقذ أوامر الباري عزَّ و جلَّ.

و على آيه حال، فإنَّ المراد من قوله تعالى: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ هو إثبات دلائل قدره البارئ عزَّ و جلَّ، و مسأله الخلق، و المعاد، و ضعف و عجز الإنسان مقابل إرادته الله عزَّ و جلَّ.

و بعد ما أصبحت -حاكميه- (الله) على وجود الإنسان و تدبير أمره عن طريق نظام الحياه و الموت و النوم و اليقظه، أمرا مسلما من خلال الآيات السابقه، تناولت الآيه اللاحقه خطأ اعتقاد المشركين فيما يخص مسأله الشفاعة، كى تثبت لهم أنَّ مالك الشفاعة هو مالك حياه و موت الإنسان، و ليس الأصنام الجامده التى لا شعور لها أم اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ (١).

و كما هو معروف فإنَّ إحدى الأعذار الواهيه لعبده الأوثان بشأن عبادتهم للأوثان، هى ما ورد فى مطلع هذه السوره ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى (٢)، إذ أنهم كانوا يعدونها تماثيل و هياكل للملائكه للأرواح المقدسه، و يزعمون أنَّ هذه الأحجار و الأخشاب الميته لها قدره هائله.

و لكون الشفاعة تحصل من الشفيح الذى هو، أو لا: يشعر و يدرك و يفهم، و ثانيا: تقدير و مالك و حكيم، فإن تتمه الآيه تجيبهم قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (٣).

إذا كنتم تتخذون من الملائكه و الأرواح المقدسه شفعاء لكم، فإنهم لا يملكون لأنفسهم ضرا و لا نفعا، لأن كلَّ ما عندهم هو من الله، و إذا كنتم تتخذون من الأصنام المصنوعه من الخشب و الحجاره شفعاء لكم، فإنهم علاوه على عدم امتلا-كهم شيئا لأنفسهم، فهم لا يملكون أدنى عقل أو شعور، فاتركوا هذه الأعذار، و عودوا إلى الذى يملك و يحكم كلَّ هذا العالم، و إلى من إليه تنتهى كلَّ الأمور.

ص: ١٠٣

١-١) -«أم»: هنا منقطعه و تعنى (بل) و لو كانت متصله، لكان يجب تقدير القسم الثانى لها، و هذا خلاف الظاهر.

٢-٢) -الزمر، ٣.

٣-٣) -عبارة أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا فِيهَا محذوف، و التقدير: (أ) يشفعون لكم و لو كانوا لا يملكون شيئا).

لذا فإنَّ اللهَ جَلَّ و علا يضيف في الآيه التاليه قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لِأَنَّهُ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .

و بهذا الشكل لم يبق لديهم شىء، لأنَّ النظام المسيطر و الحاكم على كَلِّ العالم يقول: لا شفاعة هناك ما لم يأذن البارئ عزَّ و جلَّ بذلك مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ (١) .

أو كما يقول بعض المفسرين: إنَّ حقيقه الشفاعة، هي التوسل بأسماء الله الحسنی، التوسل برحمته و غفرانه و ستره، طبقا لهذا فإنَّ كافه أشكال الشفاعة تعود في النهايه إلى ذاته المقدسه، إذن كيف يمكن طلب الشفاعة من غيره و بدون إذنه (٢) .

و بشأن ارتباط عبارته ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ بما قبلها، أظهر المفسرون عدّه آراء مختلفه منها:

١- هذه العبارة إشاره إلى أنّ شفاعة البارئ عزَّ و جلَّ لا تقتصر على هذه الدنيا، و إنّما تتعداها إلى الشفاعة في الآخرة، و لذا يجب عدم اللجوء إلى غير الله لحل المشاكل و رفع المصائب كما كان يفعل المشركون.

٢- هذه العبارة هي دليل ثان على اختصاص الشفاعة بالله، لأنَّ الدليل الأوّل اعتمد على (مالكيه) الله، و هنا تمّ الاعتماد على (عوده جميع الأشياء إليه).

٣- هذه الجملة هي بمثابة تهديد للمشركين، إذ تقول لهم: إنَّكم سترجعون إلى الله، و ستشهدون نتيجة أفكاركم و أعمالكم السيئه و القبيحه.

كلّ هذه التفاسير مناسبة إلا أنّ التفسيرين الأوّل و الثاني أنسب.

ص: ١٠٤

١- (١) - البقره، ٥٧.

٢- (٢) - الميزان، المجلد ١٧، الصفحه ٢٨٦.

## ١- عجائب عالم الرؤيا؟

ما هي حقيقه النوم؟ و ما سبب ميل الإنسان إلى النوم؟ بهذا الشأن كتب العلماء أبحاثا كثيره:

فالبعض منهم قال:إنه يأتي نتيجة انتقال جزء كبير من الدم الموجود في المخ إلى بقيه أجزاء الجسم،و لذا فإنّ السبب هنا(فيزياوى).

و البعض الآخر يعتقد أنّ النشاط الإضافى للجسم يؤدي إلى تجمع مواد سامه معينه فى الجسم،و هذه الحاله تؤثر على الأنظمه العصبية و تدفع الإنسان إلى النوم، و تستمر هذه الحاله عند الإنسان حتى تتمّ تجزئته تلك السموم و امتصاصها من قبل الجسد،و بهذا يكون السبب هنا(كيمياويا).

مجموعه اخرى تقول:إن سبب النوم إنّما يعود لأسباب عصبية لأنّ هناك جهازا عصبيا نشطا فى داخل مخ الإنسان،و هذا الجهاز هو مصدر الحركه المستمره لبقية أعضاء الجسم،و هو يتوقف عن العمل إثر التعب الشديد الذى يصيبه فيحصل النوم.

النظريات المذكوره أعلاه عجزت عن إعطاء جواب مقنع فيما يخص مسأله النوم،رغم أنّنا لا يمكن أن ننكر تأثير هذه الأسباب و لو بمقدار ضئيل.نحن نعتقد أنّ التفكير المادى لعلماء اليوم هو السبب الرئيسى الذى يمكن وراء عجزهم عن إعطاء تفسير واضح لمسأله النوم،إذا أنّهم يريدون تفسير هذه المسأله من دون قبول أصله و استقلاله الروح،فالنوم قبل أن يكون ظاهره جسديه هو ظاهره روحيه،و من دون معرفه الروح بصوره صحيحه،فإنّ تفسير النوم حاله متعذره.

القرآن المجيد وضح من خلال آياته المذكوره أعلاه أدقّ التفاسير لمسأله النوم،إذ يقول:إن النوم هو نوع من أنواع(قبض الروح)و انفصال الروح من الجسد،و لكن هذا الانفصال ليس انفصالا كاملا.

و بهذا الشكل فعند ما يخفت شعاع الروح فى الجسد بأمر من الله، ولا يبقى غير شعاع خافت اللون يشع فى ذلك الجسد، يتعطل جهاز الإدراك و الشعور عن العمل، و يتوقف الحسّ و الحركة عند الإنسان، عدا بعض الأجزاء التى تبقى تواصل نشاطها لحفظ و استمرار الحياه عند الإنسان، كضربات القلب و دوران الدم و نشاطات الجهاز التنفسى و الغذائى.

و

قد ورد فى حديث عن الإمام الباقر عليه السّلام: «ما من أحد ينام إلاّ عرجت نفسه إلى السماء، و بقيت روحه فى بدنه، و صار بينهما سبب كشعاع الشمس، فإن أذن الله فى قبض الأرواح أجابت الروح النفس، و إن أذن الله فى ردّ الروح أجابت النفس الروح، فهو قوله سبحانه: **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا (١)**.

و ثمّه مسأله مهمه اخرى هى مسأله (الرؤيا) لأنّ الكثيرين يرون فى عالم الرؤيا أحلاما حدثت وقائعها أو ستحدث فيما بعد فى الواقع، مع اختلافات جزئيه أو بدون أى اختلاف.

التفاسير الماديه عاجزه عن توضيح مثل هذه الرؤيا و الأحلام، فى حين أن التفاسير الروحيه تستطيع بسهوله توضيح هذا الأمر، لأنّه عند ما تنفصل روح الإنسان عن جسده و ترتبط بعالم الأرواح، تدرك حقائق كثيره لها علاقه بالماضى و المستقبل، و هذه الحاله هى التى تشكل أساس الرؤيا الصادقه، و للتوضيح أكثر يراجع التفسير الأمثل) فى نهايه الآيه (٤) من سوره يوسف، إذ أنّ هناك شرحا مفصلا بهذا الخصوص.

## ٢- النوم كما ورد فى الروايات الإسلاميه:

يتضح جيدا من خلال روايات المفسرين التى وردت فى نهايه الآيات

ص: ١٠٦

١- ١) -مجمع البيان ذيل آيه البحث و تفسير الصافى. كلمه (روح) فى هذه الروايه تعنى (الروح الحيوانيه) و عمل أجهزه الجسم الرئيسيه، و كلمه (نفس) تعنى روح الإنسان.

المذكوره أعلاه، أنّ النوم يعنى فى الإسلام حركه الروح نحو عالم الأرواح، فيما تعنى اليقظه عوده الروح إلى الجسد لبدء حياه جديده.

و نقرأ

فى حديث ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام ضمن وصاياه لأصحابه:

«لا- ينام المسلم و هو جنب، لا- ينام إلا- على طهور، فإن لم يجد الماء فليتميم بالصعيد، فإنّ روح المؤمن ترفع إلى الله تعالى فيقبلها، و يبارك عليها، فإن كان أجلها قد حضر جعلها فى كنوز رحمته، و إن لم يكن أجله قد حضر بعث بها مع أمناؤه من ملائكته، فيردونها فى جسده» (١).

و

ورد حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام جاء فيه: «إذا قمت بالليل من منامك فقل: الحمد لله الذى ردّ علىّ روحى لأحمده و أعبده» (٢).

و الأحاديث فى هذه الشأن كثيره.

ص: ١٠٧

---

١-١) - خصال الصدوق، نقلا عن تفسير نور الثقلين، المجلد ٤، الصفحة ٤٨٨.

٢-٢) - أصول الكافي، نقلا عن تفسير نور الثقلين، المجلد ٤، الصفحة ٤٨٨.



اشاره

وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥) قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦) وَ لَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا فِي  
الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ بَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَ بَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ  
مَا كَسَبُوا وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤٨)

التفسير

اشاره

الذين يخافون من اسم الله!

مره اخرى يدور الحديث عن التوحيد و الشرك، إذ عكست الآية الأولى إحدى الصور القبيحة و المشوهة للمشركين و لمنكرى  
المعاد من خلال تعاملهم مع التوحيد، قال تعالى: وَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

فأحياناً يستحسن الإنسان القبائح و يستقبح الحسنات بحيث ينزعج إذا سمع اسم الحق و يستبشر إذا سمع اسم الباطل لا يسجد و لا يركع أمام عظمه الله جلّ و علا خالق الكون، إلاّ أنّه يسجد و يركع تعظيماً لأصنام صنعها من الحجارة و الخشب أو لإنسان أو كائنات مثله.

و نظير هذا المعنى ورد في الآية (٤٦) من سورة الإسراء، قال تعالى: **وَ إِذَا ذُكِرَتِ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا**.

و في سورة نوح الآية (٧) عند ما شكى نبيّ الله نوح عليه السلام ممن يفكر بمثل هذا التفكير المنحرف إلى الله سبحانه و تعالى و **إِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَ اسْتَعْشَوْا بِبِهْمٍ وَ اصْرَوْا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا**.

نعم، هذا هو حال المتعصبين للجوجين و الجهله المغرورين.

من هذه الآية يتضح بصوره جيده أنّ مصدر شقاء هذه المجموعه أمران:

الأول: إنكارهم لأساس التوحيد، و الثاني: عدم إيمانهم بالآخره.

و في المقابل نرى المؤمنين لدى سماعهم اسم الله ينجذبون إليه بدرجه أنّهم على استعداد لبذل كلّ ما لديهم في سبيله، فاسم حبيبهم يحلّي أفواههم و يعطر أنفاسهم و يضيء قلوبهم، كما أن سماع أى شىء يرتبط و يتعلق بالله يبعث السرور و البهجه في قلوبهم.

نعود إلى المشركين مرّه اخرى لنقول: إن الصفه القبيحه التي ذكرناها في بدايه البحث بشأن المشركين، لا تخصّ مشركى عصر الرّسول الأكرم صلّى الله عليه و اله و سلّم و إنّما في عصر و زمان هناك منحرفون ذوو قلوب مظلمه يفرحون و يستبشرون فور سماعهم أسماء أعداء الله و أصحاب المذاهب الإلحاديه، و سماعهم نبأ انتصار الظلم و الطغيان، أمّا سماع أسماء الطيبين و الطاهرين و مناهجهم و انتصاراتهم فإنّه

يسبب لهم آلاما مبرحه، بعض الروايات فسّرت الآية على أنها تعنى أولئك الذين ينزعجون من سماع فضائل أهل بيت النبوة الأطهار عليهم السلام أو من يتبع نهجهم (١).

و عند ما يصل الأمر إلى درجه أنّ مجموعه من اللجوجين و الجهله المغرورين ينفرون و يشمئزون حتى من سماع اسم الله، يوحى البارئ عزّ و جلّ إلى نبيّه الكريم صلّى الله عليه و اله و سلّم أن يتركهم و يتوجه الى البارئ عز و جل و يشتكى إليه من هؤلاء بلحن ملئء بالعواطف الرفيعه و العشق الإلهي لكي يبعث على تسكين قلبه الملئء بالغم من جهه، و على تحريك العواطف الهامده عند أولئك من جهه اخرى: قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢).

نعم أنت الحاكم المطلق في يوم القيامة الذي تنتهى فيه الاختلافات و تظهر فيه كلّ الحقائق المخفيه، لأنك خالق كلّ شئ في الوجود و عالم بكل الأسرار فتنتهى الاختلافات بحكمك العادل، و هناك يدرك المعاندون مدى خطئهم، و يفكرون في إصلاح ما مضى، و لكن ما الفائدة؟ الآية التاليه تقول: وَ لَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ و لكن هذا الأمر غير ممكن.

«الظلم»: هنا له معان واسعاه تشمل الشرك أيضا و بقيه المظالم.

ثم تضيف الآية وَ بَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ .

و سيرون العذاب بأعينهم، العذاب الذي لم يكن يتوقعه أحد منهم، لأنهم كانوا مغرورين بلطف الله، في حين كانوا في غفله عن غضبه و قهره. و أحيانا كانوا يقومون بأعمال يتصورونها حسنه، في حين أنها كانت من الذنوب الكبيره.

على أيه حال، تظهر لهم في ذلك اليوم أمور لم يكن يتصور أحد ظهورها.

ص: ١١٠

١-١) - صول الكافي، و روضه الكافي، نقلا عن تفسير نور الثقلين، المجلد ٤، الصفحه ٤٩٠.

٢-٢) - «فاطر السموات» منصوب بعنوان منادى مضاف.

ذلك الوعيد يأتي في مقابل الوعود الطيبه التي قطعت للمؤمنين، قال تعالى:

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ

(١)

وقد نقل أن أحد المسلمين جزع عند الموت، فقيل له: أ تجزع، فقال: أخذتني هذه الآية وَ بَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٢).

الآيه التاليه توضيح أو تنممه لموضوع طرحته الآيه السابقه، إذ تقول: وَ بَدَا لَهُم سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَ حَقَّ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ .

في الحقيقه هناك أربعة مواضع تتعلق بالمشركين و الظالمين طرحت في هذه الآيات:

أولاً: إن هول و رهبه العذاب الإلهي في ذلك اليوم ستكون من الشده بحيث تجعلهم يتمنون لو أن لديهم في تلك الساعه ضعف الثروات و الأموال التي كانوا يمتلكونها في عالم الدنيا ليفتدوا بها من سوء العذاب، و لكن من المستحيل أن يحدث مثل هذا الأمر في يوم القيامة.

ثانياً: تظهر أمامهم أنواع من العذاب الإلهي الذي لم يكن أحد يتوقعه و لا يتصوره.

ثالثاً: حضور أعمالهم السيئه أمامهم و تجسيدها لهم.

رابعاً: مشاهدتهم حقيقه المعاد الذي لم يأخذوه مأخذ الجد، و من ثم انغلاق كل أبواب النجاه أمامهم.

الآيه التي تقول: بَدَا لَهُم سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَ التي وردت آنفاً، هي دليل آخر على مسأله تجسيد الأعمال.

ص: ١١١

١-١) -الم سجده، ١٧.

٢-٢) -تفسير مجمع البيان و تفسير القرطبي ذيل آيه البحث.

اشاره

فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٩) قَدْ قَالَهَا  
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَمَّا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٥٠) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا  
كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥١) أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢)

التفسير

اشاره

في الشدائد يذكرون الله، و لكن...

الآيات هنا تتحدث مره اخرى عن المشركين و الظالمين، و تعكس صورته اخرى من صورهم القبيحه.

في البدايه يقول فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا فذلك الإنسان الذي كان- وفق ما جاء الآيات السابقه- يشمئز من ذكر اسم  
الله. نعم، هو نفسه يلجأ إلى ظلِّ

اللّٰه عند ما يصيبه الضّرّ و يتعرض للشدائد. لكن هذا اللجوء مؤقت، إذ ما إن يتفضّل عليه البارئ عزّ و جلّ و يكشف عنه الضرّ و الشدائد، حتى يتبيح ناكرا لهذه النعم، و زاعما بأنّه هو الذى أنقذ نفسه من ذلك الضرّ ثمّ إذا خولّنا نعمةً منا قال إنّما أوتيتّه على علمٍ (١).

نظير هذا الكلام نقله القرآن فى الآية (٧٨) من سورة القصص عن لسان «قارون» عند ما نصحه علماء بنى إسرائيل بأن ينفق ممّا منّ اللّٰه به عليه فى سبيل اللّٰه، إذ قال: إنّما أوتيتّه على علمٍ عندى .

إنّ أمثال هؤلاء الغافلين لا يتصورون أنّ العلوم و المعارف التى يمتلكها الإنسان إنّما هى نعمة إلهيه، فهل أنّ هؤلاء اكتسبوا العلم الذى كان يدرّ عليهم الأموال الطائفة من ذاتهم؟ أم أنّه كان فى ذاتهم منذ الأزل؟ بعض المفسّرين ذكروا احتمالاً آخر لتفسير هذه العبارة، و قالوا: إنّ النعم التى منّ بها البارئ عزّ و جلّ علينا إنّما منّ بها علينا لعلمه بلياقتنا و استحقاتنا لها.

و مع أنّ هذا الاحتمال وارد بشأن الآية مورد بحثنا، لكنّه غير وارد بشأن الآية الآنفه التى تحدثت عن قارون، خاصه مع وجود كلمه (عندى) و هذه أحد القرائن لترجيح التفسير الأوّل للآيه التى هى مورد البحث.

ثمّ يجيب القرآن الكريم على أمثال هؤلاء المغرورين، الذين ينسون أنفسهم و خالفهم بمجرد زوال المحنه و توفّر النعمه، قائلاً: بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .

فالهدف من ابتلائهم بالحوادث الشديده و الصعبه، و من ثمّ إغداق النعم الكبيره عليهم هو اظهار خباياهم و الكشف عن بواطنهم.

ص: ١١٣

١ - ١) - «خول»: من ماده (تحويل) و تعنى الإعطاء على نحو الهبه، و قد شرحت بالتفصيل فى ذيل الآية الثامنه من هذه السوره (الزمر)، ضمير (أوتيتّه) رغم أنّه يعود على (نعمه) فقد جاء بصيغه المذكر، لأنّ المقصود منه (شئ من النعمه) أو (قسم من النعمه).

هل ييأس الإنسان عند المصيبة و يغترّ و يطغى عند النعمة؟ هل أنّه يزداد تفكيراً باللّه عزّ و جلّ عند ما يحاط بهذه النعم، أم أنّه يغرق في ملذات الدنيا؟ هل ينسى ذاته، أو أنّه يلتفت إلى نقاط ضعفه و يعود إلى ذكر اللّه أكثر؟ ممّا يؤسف له أنّ أكثر الناس مبتلون بالنسيان، و غير مطلعين على الحقائق التي تكررت مرات عديدة في آيات القرآن المجيد، و هي أنّ العزيز الحكيم يجعل الإنسان أحياناً محاطاً بالمشاكل و الابتلاءات الشديده، و أحياناً يغدق عليه النعم، و ذلك ليمتحنه و يرفع من شأنه و ليعرفه بأن كلّ شيء في هذه الحياه هو من اللّه سبحانه و تعالى.

و من الطبيعي أنّ الشدائد تهىء الأرضيه لتفتتح الفطره، كما أنّ النعم مقدمه للمعرفه (و في هذا الخصوص أوردنا بحثاً آخر في تفسيرنا الأمثل في نهايه الآيه (٦٥) من سوره العنكبوت).

و ممّا يدعوا إلى الانتباه تأكيد الآيه على كلمه (إنسان) التي عرفته بأنّه كثير النسيان و الغرور، و هذه إشاره إلى الذين لم يتربوا وفق ما جاء في الشرائع و السنن الإلهيه، و الذين لم يكن لهم أيّ مربّ و مرشد..الذين أطلقوا لشهواتهم العنان و استسلموا لأهوائهم، نعم فهؤلاء هم الذين يلجؤون إلى الباري عزّ و جلّ كلّما مسّهم الضرّ و كلّما ابتلوا بالشدائد و المحن، و لكن عند ما تهدأ أعاصير الحوادث و يشملهم لطف الباري و عنايته، ينسونه و كأنّهم لم يدعوه إلى ضرّ مسّهم. و لمزيد من الاطلاع راجع موضوع: الإنسان في القرآن الكريم. في نهايه الآيه (١٢) من سوره يونس.

و تضيف الآيه التاليه قدّ قالها الذين من قبلهم فلما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (١).

ص: ١١٤

---

١- ١) -ضمير (قد قالها) راجع إلى القول السابق باعتبار أنّه مقاله أو كلمه، و المراد منها عبارته إنّما أُوتيتُهُ على علم .

نعم، فقارون و أمثاله من المغرورين يتصورون أنهم حصلوا على الأموال بسبب لياقتهم و غفلوا عن أنّ الله سبحانه و تعالى هو الذى منّ بهذه النعم عليهم و أنّه المصدر الأصل للنعم و الواهب الحقيقى لها، و أنهم كانوا ينظرون فقط للأسباب الظاهرية، لكن التاريخ بيّن أنّه عند ما خسف البارئ عزّ و جلّ الأرض بأولئك لم يسرع أحد إلى مساعدتهم، و لم تنفعهم أموالهم، كما ورد فى سورة القصص الآيه (٨١) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ .

و ليس قارون-وحده-ابتلى بهذا العذاب، و إنّما أقوام عاد و ثمود و سبأ و أمثالهم ابتلوا-أيضا-و كان لهم نفس المصير.

ثم يقول: فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا .

فكل واحد منهم ابتلى بنوع من العذاب الإلهى و هلك، كابتلائهم بالطوفان و السيل و الزلزال و الصيحة السماويه.

و يضيف: إنّ هذا المصير لا ينحصر بأولئك الأقوام و حسب بل إنّ مشركى مكّه سيبتلون فى القريب العاجل بعواقب أعمالهم السيئه، و لا يستطيع أحد منهم أن يفرّ من قبضه العذاب الإلهى الذى سينزل بهم جميعا و الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَ مَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ .

و سينال هذا العذاب و الابتلاء كلّ الطغاه و المغرورين و المشركين، و فى كلّ العصور و القرون.

و من جهة اخرى ورد احتمالان فى هل أنّ المراد من عباره سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا هو العذاب الدنيوى أم العذاب الاخرى، و لكن بقرينه فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا فَإِنَّ التفسير الأول أنسب.

القرآن الكريم أجاب على ادعاءات الذين يزعمون أنّهم حصلوا على النعم الدنيويه بعلمهم و قدرتهم، عند ما دعاهم إلى مراجعه تأريخ الأولين للاطلاع على أنواع الابتلاءات و العذاب الذى ابتلوا به بسبب مزاعمهم الباطله، و هذا هو ردّ



ثم يرد القرآن الكريم عليهم بردّ عقلي، إذ يقول: أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ .

فالكثير من الأشخاص الكفوئين نراهم يعيشون حياه المستضعفين و البسطاء، في حين نرى أنّ الكثير من الأشخاص غير الكفوئين يعيشون أثرياء و متنعمين من كلّ النواحي، فلو كان الظفر الماديّ كلّهُ يأتي عن طريق جهد و سعي الإنسان إضافة إلى كفاءته، لما كنّا نرى مثل هذه المشاهد. إذن فمن هنا يستدل على وجود يد قويه اخرى خلف عالم الأسباب تدير الشؤون وفق منهج محسوب.

صحيح أنّه يجب على الإنسان أن يبذل الجهد و السعي في حياته، و صحيح أنّ الجهاد و السعي هما مفتاح حلّ الكثير من المشاكل، و لكن إغفال مسبب الأسباب و النظر إلى الأسباب فقط، و اعتبار الكفاءه هي المؤثر الوحيد يعد خطأ كبيراً.

فإحدى أسرار إحاطه الفقر و الحرمان بمجموعه من العلماء المقتدرين، و إحاطه الغني بمجموعه من الجهله غير الأكفاء هو تنبيه لكلّ الناس التائهين في عالم الأسباب بأن لا يعتمدوا فقط على قواهم الذاتية. لذا تضيف الآية إنّ في ذلك لآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .

الآيات التي وضحتها

أمير المؤمنين عليه السّلام عند ما قال: «عرفت الله بفسخ العزائم و حل العقود الهمم» (1). و هي كلمه ساميه تدلّ على ضعف و عجز الإنسان كي لا يتيه و لا يتلى بالغرور و التكبر.

ص: ١١٦

اشاره

قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَ أُنْيُوا  
إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَ أَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَ اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ  
الْعَذَابُ بَغْتَةً وَ أَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥)

التفسير

اشاره

إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا عَلَيْهِمُ السَّلَام

بعد التهديدات المتكرره التي وردت في الآيات السابقه بشأن المشركين و الظالمين، فإن آيات بحثنا فتحت الأبواب أمام المذنبين و أعطتهم الأمل، لأن الهدف الرئيسي من كل هذه الأمور هو الترييه و الهدايه و ليس الانتقام و العنف، فبلهجه مملوءه باللطف و المحبه يفتح البارئ أبواب رحمته أمام الجميع و يصدر أوامر العفو عنهم، عند ما يقول: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا .

التدقيق في عبارات هذه الآيه يبين أنها من أكثر آيات القرآن الكريم التي

تعطى الأمل للمذنبين، فشموليتها وسعتها وصلت إلى درجه

قال بشأنها أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام: «ما فى القرآن آيه أوسع من يا عبادى الذين أسرفوا...» (١).

و الدليل على ذلك واضح من وجوه:

١- التعبير بـ يَا عِبَادِي هي بدايه لطف البارئ عزّ و جلّ.

٢- التعبير بـ (إسراف) بدلا من (الظلم و الذنب و الجريمه) هو لطف آخر.

٣- التعبير بـ عَلِيّ أَنْفُسِهِمْ يَبِينُ أَنَّ ذُنُوبَ الْإِنْسَانِ تَعُودُ كُلَّهَا عَلَيْهِ، و هذا التعبير هو علامه اخرى من علامات محبه الله لعباده، و هو يشبه خطاب الأب الحريص لولده، عند ما يقول: لا تظلم نفسك أكثر من هذا! ٤- التعبير بـ لَا تَقْنَطُوا مع الأخذ بنظر الاعتبار أن «القنوط» يعنى -فى الأصل- اليأس من الخير، فإنّها لو حدها دليل على أن المذنبين يجب أن لا يقنطوا من اللطف الإلهي.

٥- عبارته مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي وَرَدَتْ بَعْدَ عِبَارِهِ لَا تَقْنَطُوا تأكيد آخر على هذا الخير و المحبه.

٦- عند ما نصل إلى عبارته إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ الَّتِي بَدَأَتْ بِتَأْكِيدٍ، و كلمه «الذنوب» التي جمعت بالألف و اللام تشمل كلّ الذنوب من دون أى استثناء، فإنّ الكلام يصل إلى أوجه، و عندها تتلاطم أمواج بحر الرحمه الالهيه.

٧- إنّ ورود كلمه (جميعا) كتأكيد آخر للتأكيد السابق يوصل الإنسان إلى أقصى درجات الأمل.

٨ و ٩- وصف البارئ عزّ و جلّ بالغفور و الرحيم فى آخر الآيه، و هما وصفان من أوصاف الله الباعثه على الأمل، فلا يبقى عند الإنسان أدنى شعور باليأس أو فقدان الأمل.

ص: ١١٨

(١-١) -مجمع البيان و تفسير القرطبي و تفسير الصافي ذيل الآيه مورد البحث.

نعم، لهذا السبب فإن الآيه المذكوره أعلامه من أوسع و أشمل آيات القرآن المجيد، حيث تعطى الأمل بغفران كل أنواع الذنوب، و لهذا السبب فإنها تبعث الأمل فى النفوس أكثر من بقيه الآيات القرآنيه. و حقاً، فإن الذى لا نهايه لبحر لطفه، و شعاع فيضه غير محدود، لا يتوقع منه أقل من ذلك.

و قد شغلت أذهان المفسرين مسألتان، رغم أن حلها كما منه فى هذه الآيه و الآيه التى تليها:

الأولى: هل أن عموميه الآيه تشمل كل الذنوب حتى الشرك و الذنوب الكبيره الأخرى، فإذا كان كذلك فلم تقول الآيه (٤٨) من سوره النساء: إِنَّ الشَّرْكَ مِنَ الذَّنُوبِ الَّتِي لَا تَغْتَفِرُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ .

و الثانیه: هل أن الوعد الذى أعطاه الله بغفران الذنوب مطلق أم مشروط بالتوبه و نظير ذلك؟ و بالطبع فإن السؤال الأول مرتبط بالسؤال الثانى، و الجواب عليهما سيوضح خلال الآيات التالیه بصوره جيده، لأن هناك ثلاثه أوامر وردت فى الآيات التالیه وضحت كل شىء أنبيوا إلى ربكم و الثانیه و أسلموا لله و الثالثه و اتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم .

هذه الأوامر الثلاثه تقول: إن أبواب المغفره و الرحمه مفتوحه للجميع من دون أى استثناء، و لكن شريطه أن يعودوا إلى أنفسهم بعد ارتكاب الذنب، و يتوجهوا فى مسيرهم نحو البارئ عزّ و جلّ، و يستسلموا لأوامره، و يظهرها صدق توبتهم و إنابتهم بالعمل، و بهذا الشكل فلا- الشرك مستثنى من المغفره و لا غيره، و كما قلنا فإن هذا العفو العام و الرحمه الواسعه مشروطان بشروط لا يمكن تجاهلها.

و إذا كانت الآيه (٤٨) من سوره النساء تستثنى المشركين من هذا العفو

و الرحمة، فإنها تقصد المشركين الذين ماتوا على شركهم، وليس أولئك الذين صحوا من غفلتهم و اتبعوا سبيل الله، لأن أكثر مسلمي صدر الإسلام كانوا كذلك، أى أنهم تركوا عباده الأصنام و الشرك بالله، و آمنوا بالله الواحد القهار بعد دخولهم الدين الإسلامى.

إذا طالعنا الحالة النفسية عند الكثير من المجرمين بعد ارتكابهم للذنب الكبير، نرى أن حاله من الألم و الندم تصيبهم بحيث لا يتصورون بقاء طريق العوده مفتوحا أمامهم، و يعتبرون أنفسهم ملوثين بشكل لا يمكن تطهيره، و يتساءلون: هل من الممكن أن تغفر ذنوبنا؟ و هل أن الطريق إلى الله مفتوح أمامنا؟ و هل بقى خلفنا جسر غير مدمر؟ إنهم يدركون معنى الآية جيدا، و مستعدون للتوبه، و لكنهم يتصورون استحاله غفران ذنوبهم، خاصه إذا كانوا قد تابوا مرات عديده من قبل ثم عادوا إلى ارتكاب الذنب مره اخرى.

هذه الآية تعطى الأمل للجميع فى أن طريق العوده و التوبه مفتوح أمامهم. لذا فإن (وحشى) المجرم المعروف فى التأريخ الإسلامى و الذى قتل حمزه سيد الشهداء عليه السلام، كان خائفا من عدم قبول توبته، لأن ذنبه كان عظيما، مجموعه من المفسرين قالوا: إن هذه الآية عند ما نزلت على الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله و سلم فتحت أبواب الرحمة الإلهية أمام وحشى التائب و أمثاله! و لكن لا يمكن أن تكون هذه الحادته سبب نزول هذه الآية، و لأن هذه السوره من السور المكّيه، و لم تكن معركه أحد قد وقعت يوم نزول هذه الآيات، و لم تكن أيضا قصه شهاده حمزه و لا- توبه وحشى، و إنما هى من قبيل تطبيق قانون عام على أحد المصاديق، و على أية حال فإن شمول معنى الآية يمكن أن يشخص هذا المعنى.

يتضح مما تقدم أن إصرار بعض المفسرين كالألوسى فى تفسيره (روح

المعاني) على أن الوعد بالمغفرة الذي ورد في الآيه المذكوره أعلاه ليس مشروطا بشيء غير صحيح، حتى أن الأدله السبعه عشر التي ذكرها بشأن هذا الموضوع غير مقبوله، لأن فيها تعارضا واضحا مع الآيات التاليه، والكثير من هذه الأدله السبعه عشر يمكن ادغامها في بعضها البعض، ولا يفهم منها سوى أن رحمه الله واسعه تشمل حتى المذنبين، وهذا لا يتعارض مع كون الوعد الإلهي مشروطا، بقرائن الآيات التاليه، وسيأتي مزيد بحث في نهايه هذا البحث. ترشد المجرمين و المذنبين على أبواب الدخول إلى بحر الرحمه الإلهيه الواسع إذ تقول: وَ أَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَصْلِحُوا أُمُورَكُمْ وَمَسِيرَ حَيَاتِكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ .

بعد طي هاتين المرحلتين «الإنابه» و«التسليم»، تتحدث الآيه عن المرحله الثالثه و هي مرحله (العمل)، إذ تقول: وَ اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعَثَهُ وَ أَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ .

و بهذا الشكل فإن مسيره الوصول إلى الرحمه الإلهيه لا تتعدى هذه الخطوات الثلاث:

الخطوه الأولى: التوبه و الندم على الذنب و التوجه إلى الله تعالى.

الخطوه الثانيه: الإيمان بالله و الاستسلام له.

الخطوه الثالثه: العمل الصالح.

فبعد طي هذه المراحل الثلاث يكون الإنسان قد دخل إلى بحر الرحمه الإلهيه الواسع طبقا لوعده الله المؤكد مهما كان ذلك الإنسان مثقلا بالذنوب.

أمّا بشأن المراد من اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ فقد ذكر المفسِّرون تفسيرات متعدده. و التفسير الذي هو أفضل من البقيه هو أن أوامر متعدده و مختلفه نزلت من عند البارئ عزّ و جلّ، البعض منها واجب و الآخر مستحبّ، و البعض الآخر مباح، و المراد من (أحسن) هو انتخاب الواجبات

و المستحبات، مع الانتباه إلى تدرّجها.

□  
وقال البعض: إنّه إشارة إلى كون القرآن هو أحسن الكتب السماويه النازله، بدليل ما ورد في الآية (٢٣) من هذه السوره الزمر الله نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ. وبالطبع فإنّه لا يوجد هناك أى تعارض بين التفسيرين.

## بحثان

### إشارة

#### ١- باب التوبه مفتوح للجميع

من المشاكل التي تقف عائقا في طريق بعض المسائل التربويه، هو إحساس الإنسان بعقده الذنب من جزاء الأعمال القبيحه السابقه التي ارتكبها، خاصه إذا كانت هذه الذنوب كبيره، إذ أنّ الذى يستحوذ على ذهن الإنسان إن أراد التوجّه نحو الطهاره و التقوى و العوده إلى الله، فكيف يتخلص من أعباء الذنوب الكبيره السابقه.

هذا التفكير يبقى كابوسا مخفيا يرافقه كالظل، فكلّما خطا خطوه نحو تغيير منهاج حياته و سعى نحو الطهاره و التقوى، و تحدّثه نفسه: ما الفائدة من التوبه؟ فسلاسل أعمالك السابقه تطوق يديك و رجلك، لقد اصطبغت ذاتك بلون الذنب، و هو لون ثابت و لا يمكن إزالته و المطلعون على مسائل التربيه و توبه المذنبين يدركون جيدا ما ذكرناه، يعلمون حجم هذه المشكله الكبيره.

التعاليم الإسلاميه في القرآن المجيد حلت هذه المشكله عند ما أفصحت عن أنّ التوبه و الإنابه يمكن أن تكون أداه قاطعه و حازمه للانفصال عن الماضى و بدء حياه جديده، أو حتى يمكن أن تكون بمثابة (ولاده جديده) للثائب إذا تحققت بشرطها و شروطها، إذ تكرر الحديث في الروايات الإسلاميه بشأن بعض المذنبين

ص: ١٢٢

التائبين، حيث ورد (كمن ولدته أمه).

وبهذا الشكل فإنّ القرآن الكريم يبقى أبواب اللطف الإلهي مفتحة أمام كلّ الناس مهما كانت ظروفهم، والمثال على ذلك الآيات المذكورة آنفا التي تدعو المجرمين والمذنبين بلطف للعودة إلى الله، وتعدّهم بإمكانية محو الماضي.

و نقرا

في روايه وردت عن رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» (١).

كما

ورد حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السّلام جاء فيه: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمقيم على الذنب و هو مستغفر منه كالمستهزئ» (٢).

و من البديهي أن هذه العوده لا- يمكن أن تتم بدون قيد أو شرط، لأنّ الباري عزّ و جلّ حكيم و لا يفعل شيئا عبثا، فإذا كانت أبواب رحمته مفتحة أما عباده، و دعوته إيّاهم للتوبه مستمره، فإنّ وجود الاستعداد عند العباد أمر لا بدّ منه.

و من جهه اخرى يجب أن تكون عوده الإنسان صادقه، و أن تحدث انقلابا و تغيرا في داخله و ذاته.

و من ناحيه ثانيه يجب أن يبدأ الإنسان بعد توبته باعمار و بناء أسس الإيمان و العقيدة التي كانت قد دمّرت بعواصف الذنوب.

و من ناحيه ثالثه يجب أن يصلح الإنسان بالأعمال الصالحه عجزه الروحي و سوء خلقه، فكلّما كانت الذنوب السابقه كبيره، عليه أن يقوم بأعمال صالحه أكثر و أكبر، و هذا بالتحديد ما بيّنه القرآن المجيد في الآيات الثلاث المذكوره أعلاه تحت عنوان (الإتابه) و (التسليم) و (اتباع الأحسن).

ص: ١٢٣

١-١) - سفينه البحار، المجلد الاول، الصّفحه ١٢٧، ماده التوبه.

٢-٢) - أصول الكافي، المجلد ٢، الصّفحه ٢١٦، باب التوبه، الحديث ١٠.



بعض المفسرين أوردوا أسبابا متعددة لتزول الآيات آنفه الذكر، و يحتمل أن تكون جميعها من قبيل التطبيق و ليس من قبيل أسباب النزول.

و منها قصه (وحشى) الذى ارتكب أفضع جريمه فى ساحه معركه أحد، عند ما قتل حمزه عمّ النبى صلّى الله عليه و اله و سلّم غدرا، و قد كان حمزه قائدا شجاعا كرس كلّ حياته فى سبيل الدفاع عن النبى الكريم. و بعبارة اخرى: إنّه كان درعا للرسول صلّى الله عليه و اله و سلّم. فبعد أن بلغ الإسلام أوج عظمته و انتصر المسلمون على أعدائهم، أراد وحشى أن يدخل الدين الإسلامى، و لكنّه كان خائفا من عدم قبول إسلامه، و لما أسلم

قال له النبى صلّى الله عليه و اله و سلّم: «أ وحشى؟» قال: نعم، قال: «أخبرنى كيف قتلت عمى» فأخبره، فبكى صلّى الله عليه و اله و سلّم، و قال: «غيب وجهك عنى فإننى لا أستطيع النظر إليك» فلحق بالشام فمات فى الخمر (١). و هنا تساءل أحدهم: هل أن هذه الآيه تخص وحشيا فقط أم تشمل كلّ المسلمين،

فأجاب رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم: إنّها تشمل الجميع.

و منها قصه النباش -

قال: دخل معاذ بن جبل على رسول الله باكيا فسلم فردّ عليه السلام ثم قال: «ما يبكيك، يا معاذ؟» فقال: يا رسول الله، إنّ بالباب شابا طرىّ الجسد نقى اللون حسن الصورة يبكى على شبابه بكاء الثكلى على ولدها يريد الدخول عليك.

فقال النبى صلّى الله عليه و اله و سلّم: «ادخل على الشاب يا معاذ» فأدخله عليه فسلم فردّ عليه السلام قال: «ما يبكيك يا شاب؟» قال: كيف لا أبكى و قد ركبت ذنوبا، إن أخذنى الله عزّ و جلّ ببعضها أدخلنى نار جهنم؟ و لا أرانى إلّا سيأخذنى بها و لا يغفر لى أبدا.

فقال رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم: «هل أشركت بالله شيئا؟».

ص: ١٢٤

١ - ١) - سفينه البحار، المجلد ٢، الصفحه ٦٣٧، ماده (وحش) و تفسير الفخر الرازى، المجلد ٢٧، الصفحه ٤، و تفسير نور الثقلين، المجلد ٤، الصفحه ٤٩٣.

قال:أعوذ بالله أن أشرك برّبي شيئا.

قال:«أ قتلت النفس التي حرّم الله؟».

قال:لا.

فقال النبي صلى الله عليه و اله و سلّم:«يغفر الله لك ذنوبك،و إن كانت مثل الجبال الرواسي».

فقال الشاب:فإنها أعظم من الجبال الرواسي.

فقال النبي صلى الله عليه و اله و سلّم:«يغفر الله لك ذنوبك،و إن كانت مثل الأرضين السبع و بحارها و رمالها و أشجارها و ما فيها من الخلق».

قال:فإنها أعظم من الأرضين السبع و بحارها و رمالها،و أشجارها و ما فيه من الخلق.

فقال النبي صلى الله عليه و اله و سلّم:«يغفر الله ذنوبك و إن كانت مثل السماوات و نجومها و مثل العرش و الكرسي».

قال:فإنها أعظم من ذلك.

قال:فنظر النبي صلى الله عليه و اله و سلّم إليه كهينه الغضبان ثم قال:«و يحكك يا شاب ذنوبك أعظم أم ربك؟».

فخّر الشاب لوجهه و هو يقول:سبحان ربّي ما شيء أعظم من ربّي،ربّي أعظم يا نبيّ الله من كلّ عظيم.

فقال النبي صلى الله عليه و اله و سلّم:«فهل يغفر الذنب العظيم إلاّ الربّ العظيم».

قال الشاب:لا و الله يا رسول الله،ثم سكت الشاب فقال له النبي صلى الله عليه و اله و سلّم:

«و يحكك يا شاب ألا تخبرني بذنّب واحد من ذنوبك؟».

قال:بلى،أخبرك:إنّي كنت أنبش القبور سبع سنين،أخرج الأموات و أنزع الأكفان،فماتت جاريه من بعض بنات الأنصار فلما حملت إلى قبرها و دفنت و انصرف عنها أهلها و جنّ عليهم الليل،أتيت قبرها فنبشتها ثم استخرجتها و نزعت ما كان عليها من أكفانها و تركتها متجرّده على شفير قبرها و مضيت

منصرفاً، فأتاني الشيطان فأقبل يزئنيها لي... ولم أملك نفسي حتى جامعتها و تركتها مكانها. فإذا أنا بصوت من ورائي يقول: يا شاب ويل لك من ديان يوم الدين،... فما أظن أنني أشم رائحة الجنة أبداً فما ترى يا رسول الله.

فقال النبي صلى الله عليه و اله و سلم: تنحى عني يا فاسق، إنني أخاف أن أحترق بنارك، فما أقربك من النار!...

فذهب فأتى المدينة فترود منها ثم أتى بعض جبالها متعديداً فيها، و لبس مسحاً و غل يديه جميعاً إلى عنقه، و نادى: يا رب هذا عبدك (بهلول) بين يديك مغلول...

ثم قال: اللهم ما فعلت في حاجتي إن كنت استجبت دعائي و غفرت خطيئتي فأوح إلى نبيك، و إن لم تستجب لي دعائي... فأنزل الله تبارك و تعالي على نبيه صلى الله عليه و اله و سلم و الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاِحْشَةً... (١).

الظاهر أن تلاوه جبرائيل لهذه الآية هنا لم تكن لأول مره كي تعدد من أسباب النزول، و إنما هي آيه مكرره و نزلت من قبل، و تكرارها إنما هو للتأكيد و جلب الانتباه أكثر، و إعلان عن قبول توبه ذلك الرجل المذنب. و نكرر مره اخرى: إن مثل أولئك الأشخاص الذين يحملون على أكتافهم ذنوباً ثقيله عليهم أداء واجبات كثيره لمحو آثار الماضي.

و قد ذكر «الفخر الرازي» أسباباً أخرى لنزول هذه الآيات إذ قال: إنها نزلت في أهل مكه حيث قالوا: يزعم محمد أن من عبد الأوثان و قتل النفس لم يغفر له، و قد عبدنا و قتلنا، فكيف نسلم؟! (٢).

ص: ١٢٦

١- ١) - بحار الأنوار، المجلد ٦، الصفحة ٢٤ (طبع بيروت).

٢- ٢) - التفسير الكبير لفخر الرازي، المجلد ٢٧، الصفحة ٤ ذيل آيات البحث.

إشاره

أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتَ لَمِنَ السَّٰخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكْفِيرًا تَكْفِيرًا فَكَذَّبَتْ بِهَا وَاسْتَكْبَرَتْ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩)

التفسير

إشاره

الندم لا ينفع في ذلك اليوم:

الآيات السابقة أكدت على التوبه و إصلاح الذات و إصلاح الأعمال السابقه، و آيات بحثنا الحالى توصل التطرق لذلك الموضوع، ففي البدايه تقول: أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتَ لَمِنَ السَّٰخِرِينَ (١).

«يا حسرتا»: هي في الأصل (يا حسرتي)، (حسره أضيفت إليها ياء

ص: ١٢٧

١ - ١) - في بدايه الآيه عبارته تتعلق بالآيات السابقه، و يكون التقدير (لئلا تقول نفس) أو (حذرا أن تقول نفس) و في الحاله الثانيه تكون مفعولا - له لعباره (أنبيوا و اسلموا و اتبعوا). (إن) في عبارته (و إن كنت لمن الساخرين) مخففه من الثقيله إذ أنها كانت في الأصل، (إني كنت من الساخرين).

المتكلم)، و التحسر معناه الحزن ممّا فات وقته لانحساره ممّا لا يمكن استدراكه.

و يرى الراغب فى مفرداته (يا حسرتا) من مادّه (حسر) على وزن (حبس) و تعنى التعرى و التجرد من الملابس، و بما أن الندم و الحزن على ما مضى بمنزله زوال حجب الجهل، فلا اطلاق على هذه الموارد.

نعم، فعند ما يرد الإنسان إلى ساحه المحشر، و يرى بأّم عينيه نتائج إفراطه و إسرافه و مخالفته و اتخاذه الأمور الجديده هزوا و لعبا، يصرخ فجأه (وا حسرتاه) إذ يمتلئ قلبه فى تلك اللحظات بغمّ كبير مصحوب بندم عميق، و هذه الحاله النفسيه التى وردت فى الآيات المذكوره.

□  
أما فيما يخص معنى جَنِبِ اللّهِ هنا؟ فإنّ المفسّرين ذكروا تفاسير و معانى كثيره لها. و كلمه (جنب) تعنى فى اللغه «الخاصره»، كما تطلق على كلّ شىء يستقر إلى جانب شىء آخر، مثلما أن اليمين و اليسار يعنيان الطرف الأيمن و الأيسر للجسم، ثمّ يقال لكل شىء فى يسار أو يمين الجسم، و هنا جَنِبِ اللّهِ تعنى أن الأمور ترجع إلى جانب اللّهِ، فأوامره و إطاعته و التقرب إليه، و الكتب السماويه كلها نزلت من جانبه، و كلها مجموعته فى هذا المعنى.

و بهذا الترتيب فإنّ المذنبين يكشفون فى ذلك اليوم عن ندامتهم و حسرتهم و أسفهم على تقصيرهم و تفریطهم تجاه اللّهِ سبحانه و تعالى، خاصة فيما يتعلق بسخريتهم و استهزائهم بآيات اللّهِ و رسله، لأنّ السبب الرئيسى لتفريطهم هو العبث و السخرية من هذه الحقائق الكبيره بدافع الجهل و الغرور و التعصب.

□ □  
ثمّ تضيف الآيه أو تقول لو أنّ اللّهِ هدانى لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ .

يبدو أنّ هذا الكلام يقوله الكافر عند ما يوقف أمام ميزان الحساب، حيث يرى البعض يقادون إلى الجنّه و هم محملون بأعمالهم الحسنه، و هنا يتمنى الكافر لو أنّه كان أحد هؤلاء المتوجهين إلى جنّه الخلد.

و تضيف الآيه مرّه اخرى أو تقول حين ترى العذاب لو أنّ لى كرهه فأكون من

و هذا ما يقوله الكافر-أيضا-حينما تقوده الملائكة الموكله بالنار نحو جهنم، و ترى عيناه نار جهنم و منظر العذاب الأليم فيها، و هنا يتأوه من أعماق قلبه و يتوسل لكي يسمح له بالعودة مرّه اخرى إلى الحياه الدنيا ليظهر نفسه من الأعمال السيئه و القبيحه بأعمال صالحه تهيئه و تعده للوقوف في صفوف المحسنين و الصالحين.

و الملاحظ أنّ كلّ عباره من هذه العبارات الثلاث يقولها المجرمون عند مشاهدته مشهد معين من عذاب يوم القيامة الرهيب.

حيث أنّهم يتحسرون على ما فرطوا في جنب الله فور دخولهم ساحه المحشر.

و يتمنون لو أنّهم فازوا بما فاز به المتقين، عند ما يرون الثواب الجزيل الذي أعدّه البارئ عزّ و جلّ على عباده المتقين.

و يتوسلون إلى البارئ عزّ و جلّ ليعيدهم إلى الحياه الدنيا ليصلحوا ماضيهم الفاسد، عند ما يرون العذاب الإلهي الأليم.

القرآن المجيد يردّ على القول الثاني من بين الأقوال الثلاثة إذ يقول: بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكْ آيَاتِي فَكَذَّبَتْ بِهَا وَاسْتَكْبَرَتْ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١).

إنّ قولك: لو كانت الهدايه قد شملتني لأصبحت من المتقين، فما هي الهدايه الإلهيه؟ هل هي غير الكتب السماويه و رسل الله، و آياته و علاماته الصادقه في الآفاق و الأنفس؟! إنّك سمعت بأذنيك و شاهدت بعينيك كلّ هذه الآيات، فما كان ردّ فعلك إزاءها غير التكذيب و التكبير و الكفر!

ص: ١٢٩

١-١) -رغم أنّ المتحدث هي النفس و هي مؤنث، و أنّ القرآن أورد أوصافها و أفعالها بصيغه المؤنث في آياته، و لكن في هذه الآيه ورد ضمير (كذبت) و ما بعدها بصيغه المذكر، و ذلك لأنّ المقصود هنا هو الإنسان، و قد قال البعض: إنّ (النفس) يمكن أن تأتي بصيغتي المذكر و المؤنث.

فهل يمكن أن يعاقب البارئ عزّ وجلّ أحدا من دون أن يتمّ حجّته عليه؟ وهل كان هناك فرق بينك وبين الذين اهتدوا إلى طريق الحق من حيث المناهج التربويه الإلهيه التي أعدت لكم ولهم؟ لهذا فأنت المقصر الرئيسى، وأنت بنفسك جلبت اللعنه إليك! فمن بين تلك الأعمال الثلاثه يعد (الاستكبار) الجذر الرئيسى، ومن بعد يأتي التكذيب بآيات الله، وحصيله الاثنين هو الكفر و عدم الإيمان.

و لكن لماذا لم يجيب القرآن على القول الأول؟ الجواب: لأنّ هناك حقيقه لا مناص منها، و هى أنّهم يجب أن يتحسروا و يغرقوا فى الغم و الهم.

و أما بشأن قولهم الثالث الذى يتوسلون فيه إلى البارئ عزّ وجلّ كى يسمح لهم بالعوده إلى الحياه الدنيا، فإنّ القرآن الكريم يجيبهم فى عدّه آيات منها الآيه (٢٨) من سوره الأنعام: **وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** والآيه (١٠٠) من سوره المؤمنون، و لا حاجه لتكرار تلك الأجوويه.

و الملاحظ هنا أنّ الرد على قولهم الثانى، يمكن أن يكون فى الوقت نفسه إجابته على السؤال الثالث أيضا، لأنّهم ماذا يهدفون من عودتهم إلى الحياه الدنيا؟ هل أنّه أمر آخر غير إتمام الحججه، فى حين أنّ البارئ عزّ وجلّ أتمّ الحججه عليهم بصوره كامله لا نقص فيها، فانتباه المجرمين من غفلتهم فور مشاهدتهم للعذاب، إنّما هو نوع من اليقظه الاضطراريه التى لا يبقى لها أى أثر عند ما يعودون إلى حالتهم الطبيعيه. حقا إنّ نفس الموضوع الذى يشير إليه القرآن الكريم بشأن الكافرين و المشركين الذين يدعون الله مخلصين له الدين عند ما يتلون بخطر ما فى وسط البحر المتلاطم الأمواج، ثمّ ينسون الله بمجرد أن ينجيهم و يوصلهم بسلام إلى ساحل النجاه فإذا ركّبوا فى الفلك دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ

## ملاحظات

### إشارة

#### ١- التفريط في جنب الله

□ قلنا: إنَّ جَنْبَ اللَّهِ التي وردت في آيات بحثنا لها معانٍ واسعة، تشمل كلَّ ما يرتبط بالله سبحانه وتعالى، وبهذا الشكل فإنَّ التفريط في جنب الله يشمل كلَّ أنواع التفريط في طاعه أوامر الله، واتباع ما جاء في الكتب السماوية، والتأسي بالأنبياء والأولياء.

□ ولهذا السبب ورد في العديد من روايات أئمة أهل البيت عليهم السَّلام أنَّ الأئمة الأطهار هم المقصودون بـ جَنْبِ اللَّهِ، و من تلك الروايات ما

□ ورد في أصول الكافي نقلا عن الإمام موسى الكاظم عليه السَّلام إذ قال في تفسير: يَا حَسْرَتِي عَلِيٌّ مَا فَزَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ: «جنب الله أمير المؤمنين و كذلك من كان بعده من الأوصياء بالمكان الرفيع إلى أن ينتهي الأمر إلى آخرهم» (٢).

كما نقرأ

□ في تفسير علي بن إبراهيم نقلا عن الإمام الصادق عليه السَّلام: «نحن جنب الله» (٣).

و المعنى ذاته ورد في روايات أخرى لأنَّهم أهل البيت الأطهار عليهم السَّلام.

و كما قلنا مرارا فإنَّ هذه التفاسير إنما هي من قبيل بيان المصدايق الواضحة، لأنَّ من المسلم أنَّ اتباع نهج الأئمة إنما هو اتباع للرسول و طاعه لله، إذ أنَّ الأئمة عليهم السَّلام لا ينطقون بشيء من عندهم.

ص: ١٣١

١- ١) -سوره العنكبوت، الآية ٦٥.

٢- ٢) -تفسير نور الثقلين، المجلد الرابع، الصفحة ٤٩٥.

٣- ٣) -تفسير نور الثقلين المجلد الرابع الصفحة ٤٩٥.



و فى حديث آخر تمّ تعريف العلماء غير العالمين بأنهم مصداق واضح للمتحسرين، و حيث

ورد فى كتاب (المحاسن) حديث للإمام الباقر عليه السّلام، جاء فيه:

«إن أشدّ الناس حسره يوم القيامة الذين وصفوا بالعدل ثمّ خالفوه، و هو قول الله عزّ و جلّ أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله» (١).

## ٢- على أعتاب الموت أو القيامة؟

هل أنّ تلك الأقوال الثلاثة قالها المجرمون عند ما شاهدوا العذاب الإلهى فى الدنيا و هو عذاب الاستئصال و الهلاك فى نهايه أعمارهم؟ أم عن زمان دخولهم ساحه القيامة؟ المعنى الثّانى أنسب، لأنّ الآيات السابقه تتحدث عن عذاب الاستئصال و الآيه التّاليه تتحدث عن يوم القيامة، و الشاهد على هذا القول هو الآيه (٣١) من سوره الأنعام التى تقول: قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا .

و الروايات المذكوره أعلاه خير شاهد على هذا المعنى.

ص: ١٣٢

إشارة

وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) وَ يُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١) اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٣) قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤)

التفسير

إشارة

الله خالق كل شيء و حافظه:

الآيات السابقة تتحدث عن المشركين الكذابين و المستكبرين الذين يندمون يوم القيامة على ما قدمت أيديهم و يتوسلون لإعادتهم إلى الدنيا، و لكن هيهات أن يستجاب لهم طلبهم، و آيات بحثنا هذه تواصل الحديث عن هذا الأمر، إذ تقول:

وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ

ثم تضيف أليس في جهنم مثوى للمتكبرين .

لا شك أن عبارته كذبوا على الله لها مفاهيم و معان واسعة و عميقة، لكن

الآية-هنا-تستهدف أولئك الذين قالوا بوجود شريك لله، أو باتخاذ الله ولدا من الملائكة أو الذين يزعمون أن المسيح عليه السلام هو ابن الله، وأمثلة هذه المزاعم والادعاءات.

و كلمه «مستكبر» تطلق دائما على أولئك الذين يرون أنفسهم ذات شأن وقدر كبير، ولكن المراد منها-هنا- أولئك الذين يستكبرون على الأنبياء، والذين يتركون اتباع الشريعة الحقه، ويرفضون قبولها و اتباعها.

اسوداد وجوه الكاذبين يوم القيامة دليل على ذلتهم وهوانهم و افتضاحهم، و كما هو معروف فإن ساحة القيامة هي ساحة ظهور الأسرار و الخفايا و تجسيد أعمال و أفكار الإنسان، فالذين كانت قلوبهم سوداء و مظلمه فى الدنيا، و أعمالهم و أفكارهم سوداء و مظلمه أيضا، يخرج هذا السواد و الظلام من أعماقهم إلى خارجهم فى يوم القيامة ليطفح على وجوههم التى تكون فى ذلك اليوم مسودّه و مظلمه.

و بعبارة اخرى فإنّ ظاهر الإنسان يطابق باطنه يوم القيامة، و لون الوجه يكون بلون القلب، فالذى قلبه أسود و مظلم، يكون وجهه مظلما و أسود، و الذى قلبه ساطع بالنور يكون وجهه كذلك ساطعا بالنور.

و هو ما ورد فى الآيتين (١٠٦) و (١٠٧) من سورة آل عمران يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .

و الملفت للنظر أنه قد ورد فى بعض الروايات أهل البيت عليهم السلام، أن الكذب على الله، الذى هو أحد أسباب اسوداد الوجه يوم القيامة، له معان واسعة تشمل حتى الادعاء بالإمامه و القيادة كذبا، كما ذكر ذلك الشيخ الصدوق فى كتاب (الاعتقادات) نقلا

عن الإمام الصادق عليه السلام عند ما أجاب الإمام على سؤال

يتعلق بتفسير هذه الآية، وقال: «من زعم أنه إمام وليس بإمام، قيل: وإن كان علويًا فاطميا؟ قال: وإن كان علويًا فاطميا» (١).

و هذا فى الحقيقة بيان لمصداق بارز، لأن الادعاء المزيف بالإمامة و القيادة الإلهية هو أوضح مصاديق الكذب على الله.

و كذلك فإن من نسب إلى رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم أو إلى الإمام المعصوم حديثًا مختلقًا، اعتبر كاذبًا على الله، لأنهم لا ينطقون عن الهوى.

لهذا

فقد ورد فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «من تحدث عَنَّا بحديث فنحن سائلوه عنه يوما فإن صدق علينا فإنما يصدق على الله و على رسوله، و إن كذب علينا فإنه يكذب على الله و رسوله، لأننا إذا حدثنا لا نقول قال فلان و قال فلان، إنما نقول قال الله و قال رسوله ثم تلا هذه الآية وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ... (٢).

الحديث المذكور يبين بوضوحه أن أئمة أهل البيت الأطهار، لم يقولوا شيئًا من عندهم، و إن كل الأحاديث التى وردت عنهم صحيحة و موثوقة، لأنها تعود إلى رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم، و هذه الحقيقة مهمّة جدا، و على علماء الإسلام أن يلتفتوا إليها، فالذين لا يقبلون بإمامة أهل البيت عليهم السلام، عليهم أن يقبلوا بأن الأحاديث التى يرويها أئمة أهل البيت عليهم السلام، إنما هى منقولة عن رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم.

و بهذا الشأن

ورد فى كتاب الكافى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام:

«حديثى حديث أبى، و حديث أبى حديث جدى، و حديث جدى حديث الحسين، و حديث الحسين حديث الحسن، و حديث الحسن حديث أمير المؤمنين، و حديث أمير المؤمنين حديث رسول الله، و حديث رسول الله قول الله عزّ و جلّ» (٣).

ص: ١٣٥

١-١) -الإعتقادات الإمامية، نقلًا عن تفسير نور الثقلين، المجلد ٤، الصفحة ٤٩٦، و نفس المعنى نقل عن تفسير على بن إبراهيم و كتاب الكافى (يراجع المجلد الأول من كتاب الكافى) (باب من ادعى الإمامة و ليس لها بأهل) (الحديث الأول و الثالث).

٢-٢) -مجمع البيان ذيل آية البحث.

٣-٣) -أصول الكافى، المجلد ١، صفحه ٥١ (باب روايه الكتب و الأحاديث) (الحديث ١٤).

هذا الكلام يدعو إلى الإمعان والتأمل أكثر في آيات القرآن المجيد، لأن التكبر هو المصدر الرئيسي للكفر، كما نقرأ ذلك بشأن الشيطان **أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١)**. ولهذا السبب فلا يمكن أن يكون للمستكبرين مكان آخر غير جهنم ليحترقوا بنارها، و

قد ورد في حديث لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

«إِنَّ فِي جَهَنَّمَ لَوَادٍ لِّلْمُتَكَبِّرِينَ يُقَالُ لَهُ سَقْرٌ، شَكِيَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَدَهُ حَزَّهُ، وَ سَأَلَهُ أَنْ يَتَنَفَسَ فَأُذِنَ لَهُ فَتَنَفَسَ فَأَحْرَقَ جَهَنَّمَ» (٢).

الآية التالية تتحدث عن طائفه تقابل الطائفه السابقه، حيث تتحدث عن المتقين و ابتهاجهم في يوم القيامة، إذ تقول: **وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ (٣)**.

ثم توضح فوزهم و انتصارهم من خلال جملتين قصيرتين مفعمتين بالمعاني، لا يَمَسُّهُمُ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ .

نعم، إنهم يعيشون في عالم لا يوجد فيه سوى الخير و الطهاره و السرور، و هذه العبارة القصيره جمعت -حقاً- كلَّ الهبات الإلهيه فيها.

الآية التالية تتطرق من جديد إلى مسأله التوحيد و الجهاد ضدَّ الشرك، و تواصل مجادله المشركين، حيث تقول: **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ .**

العبارة الأولى في هذه الآية تشير إلى (توحد الله في الخلق) و الثانيه تشير إلى (توحده في الربوبيه).

فمسأله (توحده في الخلق) هي حقيقه اعترف بها حتى المشركون، كما ورد

ص: ١٣٦

١- (١) -البقره، ٣٤.

٢- (٢) - تفسير على بن إبراهيم، نقلا عن تفسير نور الثقلين، المجلد ٤، الصفحة ٤٩٦، كما ورد نفس المعنى في تفسير الصافي في ذيل آيات البحث.

٣- (٣) - «مفازه»: مصدر ميمي بمعنى الفوز و الظفر، و (الباء) في (بمفازتهم) للملابسه أو السببيه، و بالنسبه إلى الحاله الأولى يكون المعنى إن الله يعطيهم النجاه المقترنه بالخلاص و الفلاح، أمَّا بالنسبه إلى الحاله الثانيه فالمعنى يكون (إن الله أنقذهم و نجاهم بسبب إخلاصهم) كناية عن الأعمال الصالحه و الإيمان-.

فى الآيه (٣٨) من السوره هذه وَ لَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ .

و لكنهم ابتلوا بالانحراف فيما يتعلق بمسأله (توحده فى الربوبيه)، فى بعض الأحيان اعتبروا الأصنام هى التى تحفظهم و تحميهم و تدبر أمرهم، و كانوا يلجؤون إليها عند ما يواجهون أى مشكله. و القرآن المجيد- من خلال الآيه المذكوره أعلاه- يشير إلى حقيقه أنّ تدبير أمور الكون و حفظه هى بيد خالقه، و ليس بيد أحد آخر، و لهذا يجب اللجوء إليه دائما.

و قد ذكر «ابن منظور» فى كتاب (لسان العرب) معانى متعدده لكلمه (وكيل) منها: الكفيل، و الحافظ، و المدبر للأمر.

و من هنا يتضح أنّ الأصنام ليست مصدر خير أو شر، و أنّها عاجزه عن حل أبسط عقده، حيث أنّها موجودات ضعيفه و عاجزه، و لا يمكن أن تقدم أدنى فائده للإنسان.

و قد عمد بعض المؤيدين للمذهب الجبرى إلى الاستدلال على بعض الأمور من عباره <sup>□</sup> <sup>□</sup> خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لتأكيد ما جاء فى معتقداتهم المنحرفه، إذ قالوا: إنّ هذه الآيه تشمل الأعمال أيضا، و لهذا فإنّ أعمالنا تعد من خلق الله، رغم أنّ أعضاءنا هى التى تقوم بها.

إنّ خطأ أولئك هو أنّهم لم يدركوا هذه الحقيقه جيدا، و هى أنّ خالقيه الله سبحانه و تعالى لا يوجد فيها أى تعارض مع حريه الإراده و الإختيار لدينا، لأنّ التناسب فيما بينهما طولى و ليس عرضى.

فأعمالنا تتعلق بالله، و تتعلق بنا أيضا، لأنه لا يوجد هناك شىء فى هذا الكون يمكن أن يكون خارج إطار سلطه البارئ عزّ و جلّ، و على هذا الأساس فإنّ أعمالنا هى من خلقه، و إنه أعطانا القدره و العقل و الإختيار و الإراده و حريه العمل، و من هذه الناحيه يمكن أن ننسب أعمالنا إليه، حيث إنه أراد أن نكون

أحرارا و ننفذ الأعمال بأختيارنا، كما أنه وضع كل ما نحتاجه تحت تصرفنا.

لكننا فى الحال ذاته أحرار مخيرون فى تنفيذ الأعمال، و على ذلك فإن أفعالنا منسوبة إلينا و نحن المسؤولون عنها.

فإذا قال أحد: إن الإنسان يخلق أعماله، و لا دخل لله عزّ و جلّ فيها، فإنه قد أشرك لأنه فى هذه الحالة يعتقد بوجود خالقين، خالق كبير و خالق صغير، و إذا قال آخر: إن أعمالنا هى من خلق الله و لا دخل لنا فيها، فقد انحرف، لأنه أنكر بقوله هذا حكمه و عداله الله، إذ لا يصح أن يجبرنا فى الأعمال، ثم يحمّلنا مسئوليتها! لأنّ فى هذه الحالة، يصبح الجزاء و الثواب و الحساب و المعاد و التكليف و المسؤوليه كلّها عبثا.

لذا فإن الاعتقاد الإسلامى الصحيح و الذى يمكن أن يستشف من مجموع آيات القرآن المجيد، هو أن كلّ أعمالنا منسوبة لله و إلينا، و هذه النسبه لا يوجد فيها أى تعارض، لأنها طويله و ليست عرضيه.

أمّا الآيه التالیه فقد تطرقت (توحيد الله فى المالكیه) لتكتمل بحث التوحيد الذى ورد فى الآيات السابقه، إذ تقول: لَهُ مَقَالِدُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ .

«مقاليد»: كما يقول أغلب اللغويين، جمع (مقلید) (مع أن الزمخشري يقول فى الكشاف: إن هذه الكلمه ليس لها مفرد من لفظها) و (مقلید) و (إقلید) كلاهما تعنى المفتاح، و على حدّ قول صاحب كتاب (لسان العرب) و آخرين غيره فإن كلمه (مقلید) مأخوذه من (كليد) الفارسیه الأصل، و من العربيه تستعمل بنفس المعنى، و لذا فإن مَقَالِدُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ تعنى مفاتيح السماوات و الأرض.

هذه العبارة تستخدم ككنايه عن امتلاك شىء ما أو التسلط عليه كأنّ يقول أحد: مفتاح هذا العمل بيد فلان. لذا فإنّ الآيه المذكوره أعلاه يمكن أن تشير إلى (وحدانيه الله فى الملك) و فى نفس الوقت تشير إلى وحدانيته فى التدبير و الربوبيه و الحاكميه على هذا العالم الكونى.

و لهذا السبب أوردت الآيه المذكوره بمثابه استنتاج وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ .

لأنهم تركوا المصدر الرئيسى و المنبع الحقيقى لكل الخيرات و البركات و تاهوا فى صحارى الضلال عند ما أعرضوا بوجوههم عن مالك مفاتيح السماوات و الأرض، و توجهوا نحو موجودات عاجزه تماما عن تقديم أدنى عمل لهم.

و

قد ورد فى حديث عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنه طلب من رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم توضيح معنى كلمه (مقاليد) فقال رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم: «يا على، لقد سئلت عن عظيم المقاليد، هو أن تقول عشرا إذا أصبحت، و عشرا إذا أمسيت، لا إله الاّ الله و الله أكبر و سبحان الله و الحمد لله و استغفر الله و لا قوه إلا بالله (هو) الأوّل و الآخر و الظاهر و الباطن له الملك و له الحمد (يحيى و يميت) بيده الخير و هو على كلّ شىء قدير» (١).

ثم أضاف: «من قالها عشرا إذا أصبح، و عشرا إذا أمسى، أعطاه الله خصالا ستا... أولها يحرسه من الشيطان و جنوده فلا يكون لهم عليه سلطان».

أمّا من ردد هذه الكلمات بصوره سطحيه فإنّه -حتمًا- لا يستحق كل، هذه المكافآت، فيجب الإيمان بمحتواها و التخلق بها.

هذا الحديث يمكن أن يشير إلى أسماء الله الحسنى التى هى أصل الحاكميه و المالكيه لهذا العالم الكونى.

من مجموع كلّ الأمور التى ذكرناها فى الآيات السابقه بشأن فروع التوحيد، يمكن الحصول على نتيجة جيده، و هى أنّ التوحيد فى العباده هو حقيقه لا يمكن نكرانها و على كلّ إنسان عاقل أن لا يسمح لنفسه بالسجود للأصنام، و لهذا فإن

ص: ١٣٩

١-١) -تفسير القرطبى، المجلد الثامن، الصفحه ٥٧١٩، و تفسير أبو الفتوح الرازى، المجلد ٩، الصفحه ٤١٧ ذيل آيات البحث (مع اختصار ذيل الحديث).



البحث ينتهي بآيه تتحدث بلهجه حازمه و متشده قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ .

هذه الآيه -و بالنظر الى أنّ المشركين و الكفرة كانوا أحيانا يدعون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ إلى احترام آلهتهم و عبادتها، أو على الأقل عدم الانتقاص منها أو الهى عن عبادتها،-أعلنت و بمنتهى الصراحة أنّ مسأله توحيد الله و عدم الإشراك به هى مسأله لا تقبل المساومه و الاستسلام أبدا، إذ يجب أن تزال كافه أشكال الشرك و تمحى من على وجه الأرض.

فالآيه تعنى أنّ عبده الأصنام على العموم هم أناس جهله، لأنهم لا يجهلون فقط البارئ عزّ و جلّ، بل يجهلون حتى مرتبه الإنسان الرفيعه.

إنّ التعبير ب«تأمرنى»، الذى ورد فى الآيه الآنفه-يشير إلى أنّ الجهله كانوا يأمرن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ بأن يعبد أصنامهم بدون أى دليل منطقى، و هذا الموقف ليس بعجيب من أفراد جهله.

أليس من الجهل و الغباء أن يترك الإنسان عباره البارئ عزّ و جلّ رغم مشاهدته للكثير من الأدله فى هذا العالم و التى تدلّ على علمه و قدرته و تدبيره و حكمته، ثمّ يتمسّك بعباده موجودات تافهه لا-قيمه لها و عاجزه عن تقديم أدنى مساعده و عون لعبدتها.

ص : ١٤٠

اشاره

وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهُ فَاعِلٌ وَعُكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)

التفسير

اشاره

الشرك محبط للأعمال:

آيات بحثنا تواصل التطرق للمسائل المتعلقة بالشرك و التوحيد و التي كانت قد استعرضت في الآيات السابقة أيضا.

الآية الأولى تتحدث بلهجة قاطعه و شديده حول أخطار الشرك، و تقول:

وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ

و بهذا الترتيب، فإنّ للشرك نتيجتين خطيرتين، تشملان حتى أنبياء الله في مالو أصبحوا مشركين-على فرض المحال-

النتيجة الأولى: إحياء الأعمال، والثانية: الخسران والضياع.

و إحياء الأعمال يعنى محو آثار ثواب الأعمال السابقة، و ذلك بعد كفره و شركه بالله، لأن شرط قبول الأعمال هو الاعتقاد بأصل التوحيد، و لا يقبل أى عمل بدون هذا الاعتقاد.

فالشرك هو النار التى تحرق شجره أعمال الإنسان.

و الشرك هو الصاعقه التى تهلك كل ما جمعه الإنسان خلال فتره حياته.

و الشرك هو عاصفه هو جاء تدمر كل أعمال الإنسان و تأخذها معها، كما ورد فى الآيه (١٨) من سوره إبراهيم مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَيْهِ شَيْئًا ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البُعِيدُ .

لذا

ورد فى حديث عن رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحَاسِبُ كُلَّ خَلْقٍ إِلَّا مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَحَاسِبُ وَ يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ» (١).

و أمّا خسارتهم فإنها بسبب بيعهم أكبر ثروه يمتلكونها، ألا و هى العقل و الإدراك و العمر فى سوق التجاره الدنيويه، و شراؤهم الحسره و الألم بئمنها.

و هنا يطرح هذا السؤال: هل من الممكن أن يسير الأنبياء العظام فى طريق الشرك حتى تخاطبهم الآيه الآنفه بهذه اللهجه؟ الجواب على هذا السؤال واضح، و هو أن الأنبياء لم يشركوا قط، مع أنهم يمتلكون القدره و الإختيار الكاملين فى هذا الأمر، و معصوميتهم لا تعنى سلب القدره و الإختيار منهم، إلا أن علمهم الغزير و ارتباطهم المباشر و المستمر مع البارئ عزّ و جلّ يمنعهم حتى من التفكير و لو للحظه واحده بالشرك، فهل يمكن أن يتناول السمّ طيب عالم و حاذق و مطلع بصوره جيده على تأثير تلك الماده السامه و الخطره، و هو فى حاله طبيعیه؟! الهدف هو اطلاق الجميع على خطر الشرك، فعند ما يخاطب البارئ عزّ و جلّ

ص: ١٤٢

أنبياء العظام بهذه اللهجة الشديده، فعلى الأمة أن تحسب حسابها، هذا الأسلوب من قبيل ما نصّ عليه المثل المعروف (إياك أعنى و اسمعى يا جاره).

و نفس المعنى

ورد فى حديث عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السّلام أثناء إجابته على سؤال وجهه إليه المأمون، إذ قال: يا بن رسول الله ليس من قولك أن الأنبياء معصومون؟ قال عليه السّلام: «بلى» قال: فما معنى قول الله إلى أن قال: فأخبرنى عن قول الله: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ .

قال الرضا عليه السّلام: «هذا ممّا نزل بيّاك أعنى و اسمعى يا جاره، خاطب الله بذلك نبيّه و أراد به أمته» و كذلك قوله: لئن أشركت ليحبطن عملك... و قوله تعالى:

وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَوَكَّنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا قَالَ: صدقت يا ابن رسول الله (١) .

الآية التالية تضيف للتأكيد أكثر بل الله فاعبده وكن من الشاكرين (٢) .

تقديم اسم الجلاله للدلاله على الحصر، و ذلك يعنى أن ذات الله المتزّهه يجب أن تكون معبودك الوحيد، ثم تأمر الآيه بالشكر، لأن الشكر على النعم التى أغدقت على الإنسان هى سلم يودى إلى معرفه الله، و نفى كلّ أشكال الشرك، فالشكر على النعم من الأمور الفطريه عند الإنسان، و قبل الشكر يجب معرفه المنعم، و هنا فإن خط الشكر يودى إلى خط التوحيد، و ينكشف بطلان عباده الأصنام التى لا تهب للإنسان آيه نعمه.

الآيه الأخيره فى بحثنا هذا تكشف عن الجذر الرئيسى لانحرافهم، و تقول:

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ

و لهذا تنزلوا باسمه المقدس حتى جعلوه رديفا للأوثان!! نعم، فمصدر الشرك هو عدم معرفه البارئ عزّ و جلّ بصوره صحيحه، فالذى

ص: ١٤٣

١-١) -المصدر السابق.

٢-٢) - (الفاء) فى (فاعبد) زائده للتأكيد على ما قيل، و قال البعض: إنها (فاء) الجزاء و قد حذف شرطه و التقدير (إن كنت عابدا فاعبد الله)، ثم حذف الشرط، و قدم المفعول مكانه.

يعلم:

أولاً: أن الله مطلق و غير محدود من جميع النواحي.

و ثانياً: أنه خالق كل الموجودات التي تحتاج إليه في كل لحظه من لحظات وجودها.

و ثالثاً: أنه يدير الكون و يحل كل عقد المشاكل، و أن الأرزاق بيده، و حتى الشفاعة إنما يتم بإذنه و أمره، فما معنى توجه من يعلم بكل هذه الحقائق إلى غير الله.

و أساساً فإن وجود مثل هذه الصفات في موجودين اثنين أمر محال، لأنه من غير الممكن عقلاً- وجود موجودين مطلقين من جميع الجهات.

ثم يأتي القرآن بعبارتين كئئيتين بعد العبارة السابقة، و ذلك لبيان عظمه و قدره البارئ عزّ و جلّ، إذ يقول كلام الله المجيد: وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ .

«القبضه»: الشىء الذى يقبض عليه بجميع الكف، تستخدم-عاده- للتعبير عن قدره المطلقه و التسلط التام، مثلما نقول فى الاصطلاحات اليوميه الدارجة:

إن المدينه الفلانيه هى بيدى، أو الملك الفلانى هو بيدى و فى قبضتى.

«مطويات»: من ماده (طى) و تعنى الثنى، و التى تستعمل أحيانا كناية عن الوفاء و انقضاء العمر، أو عن عبور شىء ما.

و العبارة المذكوره أعلاه استخدمت بصوره واضحه بشأن السماوات فى الآية (١٠٤) من سوره الأنبياء يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكُتُبِ .

فالذى يثنى طومارا و يحمله بيده اليمنى يسيطر بصوره كامله على الطومار الذى يحمله بتلك اليد، و انتخبت اليد اليمنى هنا لأن أكثر الأشخاص يؤدون أعمالهم المهمه باليد اليمنى و يحسون بأنها ذات قوه و قدره أكثر.

خلاصه الكلام، أن كل هذه التشبيهات و التعابير هى كناية عن سلطه الله

المطلقة على عالم الوجود فى العالم الآخر، حتى يعلم الجميع أن مفتاح النجاه و حل المشاكل يوم القيامة هو بيد القدره الإلهيه، كى لا يعمدوا إلى عباده الأصنام و غيرها من الآلهه بذريعه أنها ستشفع لهم فى ذلك اليوم.

و لكن هل أن السماء و الأرض ليستا فى قبضته فى الحياه الدنيا؟ فلم الحديث عن الآخره؟ الجواب: إن قدره البارئ عزّ و جلّ تظهر و تتجلى فى ذلك اليوم أكثر من أى وقت مضى، و تصل إلى مرحله التجلى النهائى، و كل إنسان يدرك و يشعر أن كل شىء هو من عند الله و تحت تصرفه. إضافة إلى أن البعض اتجه إلى غير الله بذريعه أن أولئك سينقذونه يوم القيامة، كما فعل المسيحيون، إذ أنهم يعبدون عيسى عليه السلام متصورين أنه سينقذهم يوم القيامة، و طبقا لهذا فمن المناسب التحدث عن قدره البارئ عزّ و جلّ فى يوم القيامة.

و يتّضح بصوره جيده ممّا تقدم أن طابع الكنايه يطغى على هذه العبارات، و بسبب قصور الألفاظ المتداوله فإننا نجد أنفسنا مضطرين إلى صبّ تلك المعانى العميقه فى قو هذه الألفاظ البسيطه، و لا يرد إمكانيه تجسيم البارئ عزّ و جلّ من خلالها، إلا إذا كان الشخص الذى يتصور ذلك ذا تفكير ساذج و عقل بسيط جدّا، حيث نفتقد ألفاظا تبيّن مقام عظمه البارئ عزّ و جلّ بصوره واضحه، إذن فيجب الاستفاده بأقصى ما يمكن من الكنايات التى لها مفاهيم كثيره و متعدده.

على أية حال، فبعد التوضيحات التى ذكرت آنفا، يعطى البارئ عزّ و جلّ فى آخر الآيه نتيجه مركزه و ظاهره، إذ يقول: **سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**.

فلو لم يكن بنو آدم قد أصدروا أحكامهم على ذات الله المقدسه المنزهه وفق مقاييس تفكيرهم الصغيره و المحدوده، لما انجر أحد منهم إلى حبال الشرك و عباده الأصنام.

## ١-مسأله إجابات الأعمال

هل يمكن حقًا أن تحبط الأعمال الصالحه للإنسان بسبب أعمال سيئه يرتكبها؟ و هل أن هذه المسأله لا تتعارض مع عداله البارئ عزّ و جلّ من جهه، و مع ظواهر الآيات التي تقول: **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ؟**

البحث في هذه المسأله طويل و عريض سواء من حيث الأدله العقليه أو النقليه، و قد أوردنا جزء منه في ذيل الآيه (٢١٧) من سوره البقره، و سندكره في نهايه بعض الآيات التي تتناسب مع الموضوع في المجلدات القادمه إن شاء الله.

و ممّا تجب الإشاره إليه هنا هو: إذا كان هناك شك في مسأله (إحباط الأعمال) بسبب المعاصي، فإنه لا ينبغي أن يشكّ أبداً في تأثير الشرك على إحباط الأعمال، لأن آيات كثيره في القرآن المجيد أشير إلى بعضها آنفاً-تقول و بصراحه (إنّ الوفاه على الإيمان) هي شرط قبول الأعمال، و بدونها لا يقبل من الإنسان أى عمل.

فقلب المشرك كالأرض السبخه التي مهما بذرت فيها أنواع بذور الورد، و مهما هطل عليها المطر الذي هو مصدر الحياه، فإنّ تلك البذور سوف لن تنبت أبداً.

## ٢-هل عرف المؤمنون الله؟

قرأنا في الآيات الآنفه أنّ المشركين لم يعرفوا الله حق معرفته، إذ أنّهم لو عرفوه لما ساروا في طريق الشرك و معنى هذا الكلام أن المؤمنين الموحدين هم و حدهم الذين عرفوا الله حق معرفته.

و هنا يطرح هذا السؤال و هو: كيف يتلاءم هذا الكلام مع الحديث المشهور

لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ: «مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ، وَ مَا عِبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ».

و للجواب على هذا السؤال يجب القول: إنّ للمعرفة مراحل، أعلاها هي تلك المعرفة التي تخص ذات الله المقدسه، و التي لا يمكن لأى أحد أن يعرفها أو يطلع عليها غير ذاته المقدسه التي تعرف كنه ذاته المقدسه، و الحديث الشريف المذكور يشير إلى هذا المعنى.

أمّا بقيه المراحل التي تأتي بعد هذه المرحله و التي يمكن للعقل البشرى أن يتعرف عليها، هي مرحله معرفه صفات الله بصوره عامه و معرفه أفعاله بصوره مفصله، و هذه المرحله كما ذكرنا ممكنه بالنسبه للإنسان، و المراد من معرفه الله الوصول إلى هذه المرحله، و الآيه مورد بحثنا تحدثت عن هذه المرحله، حيث أن المشركين يجهلون هذا المقدار من معرفه أيضا.

ص: ١٤٧



اشاره

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يَنْظُرُونَ (٤٨)

التفسير

اشاره

(النفخ في الصور) وموت وإحياء جميع العباد:

الآيات الأخيره في البحث السابق تحدثت عن يوم القيامه، و آيه بحثنا الحالى تواصل الحديث عن ذلك اليوم مع ذكر إحدى الميزات المهمه له، إذ تبدأ الحديث بنهايه الحياه في الدنيا، و تقول: وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ .

يتضح بصوره جيده من هذه الآيه أنّ حادثتين تقعان مع نهايه العالم و عند البعث، في الحادثه الأولى يموت الأحياء فوراً، و في الحادثه الثانيه-التي تقع بعد فتره من وقوع الحادثه الأولى-يعود كلّ الناس إلى الحياه مرّه اخرى، و يقفون بانتظار الحساب.

القرآن المجيد عبّر عن هاتين الحادثتين ب«النفخ في الصور»، و هذا التعبير كناية عن الحوادث المفاجئه و المترامنه التي ستقع و«الصور» بمعنى البوق الذي يتخذ من قرن الثور و يكون مجوفاً عادّه حيث يستخدم مثل هذا البوق في حركه

القوافل أو الجيش و توقفها، وطبعاً هناك تفاوت بين النفخه للحركه و النفخه للتوقف.

كما بيّن هذا التعبير سهوله الأمر و يوضح كيف أن البارئ عزّ و جلّ -من خلال أمر بسيط و هو النفخ في الصور- يمت كلّ من في السماء و الأرض، و كيف أنه يبعثهم من جديد بنفخه صور اخرى.

و قلنا سابقاً إنّ الألفاظ التي نستخدمها في حياتنا اليوميّه عاجزه عن توضيح الحقائق المتعلقة بعالم ما وراء الطبيعه أو نهايه العالم و بدء عالم آخر بدقّه، و لهذا السبب يجب الاستفاده من أوسع معاني الألفاظ الدارجه و المتداوله مع الالتفات إلى القرائن الموجوده.

توضيح: لقد وردت تعبيرات مختلفه في القرآن المجيد عن نهايه الحياه في هذا العالم و بدء حياه اخرى في عالم آخر، حيث ورد الحديث عن (النفخ في الصور) في أكثر من عشر آيات (١).

في إحداها استخدمت عباره النفخ في الناقور فإِذَا نُفِخَ فِي النُّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٢).

و في بعضها استخدمت عباره (القارعه) كما في الآيات (١ و ٢ و ٣ من سوره القارعه) الْقَارِعَةُ، مَا الْقَارِعَةُ، وَ مَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ .

و أخيراً استخدمت في بعضها عباره «صحيحه» و التي تعنى الصوت العظيم، كما ورد ذلك في الآية (٤٩) من سوره يس مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَ هُمْ يَخِصِّمُونَ التي تتحدث عن الصحيحه التي تقع في نهايه العالم و تفاجئ كل بني آدم.

ص: ١٤٩

---

١ - ١) - الآيات التي ورد فيها ما يشير إلى النفخ في الصور هي: (الكهف-٩٩) و (المؤمنون-١٠١)، (يس-٥١)، (الزمر-٦٨)، (ق- ٢٠)، (الحاقه-١٣)، (الأنعام-٧٣)، (طه-١٠٢)، (النمل-٨٧)، (النبأ-١٨).

٢ - ٢) - المدثر، الآية ٨.

أما الآية (٥٣) من سورة يس إن كانتْ إِلَّا صَيْحَهُ وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُخْضَرُونَ فَإِنَّهَا تتحدث عن صيحه (الإحياء) التي تبعث الناس من جديد و تحضرهم إلى محكمه العدل الإلهيه.

من مجموع هذه الآيات يمكن أن يستشف بأن نهايه أهل السموات و الأرض تتم بعد صيحه عظيمه و هي (صيحه الموت) و أنهم يبعثون من جديد و هم قيام بصيحه عظيمه أيضا، و هذه هي (صيحه بعث الحياه).

و أمّا كيف تكون هاتان الصيحتان؟ و ما هي آثار الصيحه الأولى و تأثير الصيحه الثانيه؟ فلا علم لأحد بهما إلا الله سبحانه و تعالى، و لذا ورد في بعض الروايات التي تصف (الصور) الذي ينفخ فيه «إسرافيل» في نهايه العالم، عن علي بن الحسين عليه السلام: «و للصور رأس واحد و طرفان، و بين طرف رأس كلّ منهما إلى الآخر مثل ما بين السماء إلى الأرض» قال: فينفخ فيه نفخه فيخرج الصوت من الطرف الذي بلى الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلا صعق و مات، و يخرج الصوت من الطرف الذي بلى السماوات فلا يبقى في السماوات ذو روح إلا صعق و مات إلا إسرافيل، قال: فيقول الله لإسرافيل: يا إسرافيل، مت، فيموت إسرافيل...» (١).

على أيه حال، فإن أكثر المفسرين اعتبروا (النفخ في الصور) كناية لطيفه عن كيفية نهايه العالم و بدء البعث، و لكن مجموعه قليله من المفسرين قالوا: إن (صور) هي جمع (صوره) و طبقا لهذا القول، فقد اعتبروا النفخ في الصور يعنى النفخ في الوجه، مثل نفخ الروح في بدون الإنسان، و وفق هذا التفسير ينفخ مرّه واحده في وجوه بني آدم فيموتون جميعا، و ينفخ مره اخرى فيبعثون جميعا (٢).

هذا التفسير إضافه إلى كونه لا يتطابق مع ما جاء في الروايات، فإنه

ص: ١٥٠

١-١) - تفسير نور الثقلين، المجلد ٤، الصفحه ٥٠٢.

٢-٢) - يرجى الانتباه إلى أنّ (صور) هي على وزن (نور)، و (صور) هي على وزن (زحل) هما جمع (الصوره).

لا- يتطابق أيضا مع الآيه مورد بحثنا، لأنّ الضمير في عبارته **ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى** مفرد مذكر يعود على الصور، في حين لو كان يراد منه المعنى الثاني لكان يجب استعمال ضمير المفرد المؤنث في عبارته لتصبح (نفخ فيها).

إنّ النفخ في الوجه في مجال إحياء الأموات يعدّ أمرا مناسبا (كما في معجزات عيسى عليه السّلام) إلا أنّ هذا التعبير لا يمكن استخدامه في مجال قبض الأرواح.

## بحوث

## إشاره

### ١- هل أنّ النفخ في الصور يتمّ مرتين، أو أكثر؟

المشهور بين علماء المسلمين أنّه يتمّ مرتين فقط، وظاهر الآيه يوضّح هذا أيضا، كما أنّ مراجعه آيات القرآن الأخرى تبين أنّ هناك نفختين فقط، لكن البعض قال: إنّها ثلاث نفخات، والبعض الآخره قال: إنّهُ أربع.

و بهذا الشكل فالنفخه الأولى يقال لها نفخه (الفرع)، وهذه العبارة وردت في الآيه (٨٧) من سورة النمل **وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ .**

و النفختان الثانيه و الثالثه يعتبرونها للإيمانه و الإحياء، و التي أشير إليها في آيات بحثنا و في آيات قرآنيه اخرى، أولاهما يطلقون عليها نفخه (الصعق) (الصعق تعنى فقدان الإنسان حاله الشعور، أى يغشى عليه، و تعنى أيضا الموت) و الثانيه يطلق عليها نفخه (القيام).

أمّا الذين احتملوا أنّ النفخات أربع، فيبدو أنّهم استشفوا ذلك من الآيه (٥٣) من سورة يس و التي تقول بعد نفخه الإحياء **إِنَّ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ** و هذه النفخه هي (لجمعهم و إحضارهم).

و الحقيقة أنه ليس هناك أكثر من نفختين، و مسأله الفزع و الرعب العام فى الواقع هى مقدمه لموت جميع البشر و الذى يتم بعد النفخه الأولى أو الصيحه الأولى، كما أن نفخه الجميع هى تتمه لنفخه الإحياء و البعث، و بهذا الشكل فلا- يوجد أكثر من نفختين (نفخه الموت) و (نفخه الإحياء)، و هناك شاهد آخر على هذا القول و هو الآيتان (٦ و ٧) من سوره النازعات، اللتان تقولان:  
يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ، تَتَّبِعَهَا الرَّادِفَةُ .

## ٢- ما هو صور إسرائيل:

هناك سؤال يتبادر إلى الذهن، و هو: كيف تملأه أمواج الصور الصوتيه كل العالم فى نفس اللحظة؟ رغم أننا نعلم أن سرعه الأمواج الصوتيه بطيئه و لا- تتجاوز ال (٢٤٠) مترا فى الثانية، فى حين أن سرعه الضوء هى أكثر بمليون مره من هذه السرعه إذ تبلغ (٣٠٠) ألف كيلومتر فى الثانية.

يجب الاعتراف فى البدايه بأن معلوماتنا بشأن هذا الموضوع هى كمعلوماتنا بشأن الكثير من المسائل المتعلقة بيوم القيامه، فهى معلومات عامه لا أكثر، إذ نجهل الكثير من تفاصيل ذلك اليوم كما قلنا.

و التدقيق فى الروايات الوارده فى المصادر الإسلاميه بشأن تفسير كلمه (الصور) تبين عكس ما يتصور البعض من أن (الصور) هو (زماره) أو (مزمار) أو (بوق) اعتيادى.

و

قد جاء فى روايه عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «إن الصور قرن عظيم له رأس واحد و طرفان، و بين الطرف الأسفل الذى يلى الأرض إلى الطرف الأعلى الذى يلى السماء مثل تخوم الأرضين إلى فوق السماء السابعه، فيه أثقاب بعدد أرواح الخلائق» (١).

ص: ١٥٢

فى حديث ورد عن رسول الله، جاء فيه: «الصور قرن من نور فيه أثقاب على عدد أرواح العباد» (١).

طرح مسأله النور هنا بمشابه جواب على السؤال الثانى المذكور أعلاه، و يوضح أن الصيحه العظيمه ليست من قبيل الأمواج الصوتيه الاعتياديه، وإنما هى صيحه أعظم و أعظم، و تكون أمواجهها ذات سرعه فائقه و غير طبيعيه حتى أنها أسرع من الضوء الذى يجتاز السماء و الأرض بفترة زمنيه قصيره جدًا، ففي المره الأولى تكون مميته، فى المره الثانيه تكون باعته للأموات.

أما كيف يتسبب مثل هذا الصوت فى إماته العالمين، فإن كان هذا الأمر عجيبا فى السابق، فإنه غير عجيب اليوم، لأننا سمعنا كثيرا بأن الأمواج الانفجاريه تسببت فى تمزق أجساد البعض و إصابه آخرين بالصميم، و رمى آخرين إلى مسافه بعيده عن مكانهم، و تسببت فى تدمير البيوت أيضا، كما شاهد الكثير منا كيف أن زياده سرعه الطائره و بعبارته اخرى (اختراق حاجز الصوت) يولد صوتا مرعبا و أمواجه مدمره، قد تحطم زجاج نوافذ الكثير من العمارات و البيوت.

فإذا كانت الأمواج الصوتيه الصغيره التى هى من صنع الإنسان تحدث مثل هذا التأثير، فما هى الآثار التى تتركها الصيحه الإلهيه العظيمه، هى بلا شك انفجار عالمى كبير.

و لهذا السبب لا-عجب أيضا إن قلنا بوجود أمواج تقابل تلك الأمواج، و أنها تهز الإنسان و توقظه و تحييه، رغم أنه من العسير علينا تصور هذا المعنى، و لكننا نرى دائما كيف يوقظ النائم من نومه بواسطه الصوت، و كيف يعود الإنسان المغمى عليه إلى حالته الطبيعيه بواسطه عدّه صعقات شديده، و نكرر القول مره اخرى، و نقول: إن علمنا المحدود لا يمكنه إدراك سوى ظلّ هذه الأمور و من بعيد.

ص: ١٥٣

كما مرّ علينا في الآيه المبحوثة عنها فإنّ كلّ أهل السموات والأرض يموتون سوى مجموعه واحده إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ فَمَنْ هِيَ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ؟ هُنَاكَ اخْتِلَافٌ بَيْنَ الْمَفْسِّرِينَ بِشَأْنِ هَذَا الْأَمْرِ:

فمجموعه من المفسّرين قالوا: إنهم ملائكة الله الكبار، كجبرائيل و ميكائيل و إسرافيل و عزرائيل، و قد أشارت روايه إلى هذا المعنى (١).

البعض أضاف إلى أولئك الملائكة الكبار حمله عرش الله (كما وردت في روايه اخرى) (٢).

و مجموعه اخرى قالت: إنّ أرواح الشهداء مستثناه من الموت، ووفقا لما جاء في آيات القرآن المجيد أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ كما ورد في روايه تشير إلى هذا المعنى (٣).

و بالطبع فإنّ هذه الروايات لا تتعارض مع بعضها البعض، و لكن في كلّ الصور فإنّ هذه المجموعه المتبقية تموت في نهايه الأمر، كما أوضحته تلك الروايات، و لا يبقى أحد حيا في هذا العالم سوى البارئ عزّ و جلّ إذ هو الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ .

و عن كيفية موت الملائكة و أرواح الشهداء و الأنبياء و الأولياء، فيحتمل أنّ المراد من موت أولئك هو قطع ارتباط الروح عن قالبها المثالي، أو تعطيل نشاط الروح المستمر.

ص: ١٥٤

١-١) -مجمع البيان ذيل آيات البحث.

٢-٢) -بحار الأنوار، المجلد ٦، الصفحه ٣٢٩.

٣-٣) -نور الثقلين، المجلد ٤، الصفحه ٥٠٣، الحديث ١١٩.

## ٤- فجائيه النفختين:

آيات القرآن الكريم توضح بصوره جيده أنّ النفختين تقعان بصوره مفاجئه، و النفخه الأولى تكون فجائيه بحيث أنّ مجموعه كبيره من الناس تكون منشغله بالتجاره و الجدل و النقاش في أموالهم و بيعهم و شرائهم، و فجأه يسمعون الصيحه، فيسقطون في أماكنهم ميتين، كما صرحت بذلك الآية (٢٩) في سوره يس إن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ .

و أمّا (الصيحه الثانيه) فإنّ آيات القرآن الكريم -و منها الآية التي هي مورد بحثنا- تبين بأنّها تقع فجأه أيضاً.

## ٥- ما هي الفاصله الزمنيه بين النفختين؟

الآيات القرآنيه لم تذكر توضيحا حول هذا الأمر، سوى كلمه (ثم) التي وردت ضمن آيه بحثنا و التي تدل على وجود فاصل زمني بين النفختين، إلاّ أنّ بعض الروايات ذكرت بأن هذه الفاصله مقدارها (٤٠) عاما (١). و المجهول بالنسبه لنا هو معيار هذه السنين، فهل هي سنوات اعتياديه كالتى نعيشها نحن، أم أنّها سنوات و أيام كسنوات و أيام القيامة.

على أيه حال فالتفكر في نفخه الصور و نهايه العالم، و كذلك بالنفخه الثانيه و بدء عالم جديد، و مع ملاحظه الإشارات التي وردت في القرآن المجيد، و التفاصيل الأخرى في الروايات الإسلاميه بهذا الشأن، يعطى دروسا تربويه عميقه للإنسان، و خاصه أنّها توضح هذه الحقيقه، و هي البقاء على استعداد دائم لاستقبال مثل هذا الحادث العظيم و الرهيب في كلّ لحظه، لأنّه لم يحدد لوقوعها تاريخ معين، إذ يحتمل وقوعها في أيه لحظه، إضافة إلى أنّها تقع من دون مقدمات، لذا ورد في ذيل إحدى الروايات الخاصه بنفخ الصور و المذكوره آنفا أنّ

ص: ١٥٥



الراوى قال، عند ما وصل الكلام إلى هذا الأمر «رأيت على بن الحسين يبكى عند ذلك» بكاء شديداً، إذ كان قلقاً جدّاً من مسأله  
نهايه العالم و يوم القيامه، و إحضار الناس للحساب فى محكمه العدل الإلهيه» (١).

ص: ١٥٦

---

١-١) - تفسير الصافي ذيل آيه البحث.

اشاره

وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ۖ وَ وُضِعَ الْكِتَابُ ۖ وَ جِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَدَاءِ ۖ وَ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَ هُمْ لَا يظْلَمُونَ (٦٩) وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَّا يَفْعَلُونَ (٧٠)

التفسير

اشاره

ذلك اليوم الذي تشرق الأرض بنور ربها:

آيتنا بحثنا تواصلان استعراض الحديث عن القيامة و الذي بدأ قبل عدّه آيات، و هاتان الآيتان تضمنان سبع عبارات منسجمه، كلّ واحده تتناول أمرا من أمور المعاد، لتكمل بعضها البعض، أو أنّها تقيم دليلا على ذلك.

في البدايه تقول: وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا .

و قد اختلف المفسرون في معنى إشراق الأرض بنور ربها، إذ ذكروا تفسيرات عديده، اخترنا ثلاثا منها، و هي:

١- قالت مجموعه: إنّ المراد من نور الرب هما الحق و العداله، الذي ينير بهما ربّ العالمين الأرض في ذلك اليوم، حيث قال العلامة المجلسي في بحار الأنوار: «أى أضواءت الأرض بعدل ربها يوم القيامة، لأن نور الأرض

و البعض الآخر اعتبر الحديث النبوي (الظلم ظلمات يوم القيامة) شاهدا على هذا المعنى (٢).

فيما قال «الزمخشري» في تفسير الكشاف: (و أشرقت الأرض بما يقيمه فيها من الحق و العدل و يبسطه من القسط في الحساب و وزن الحسنات و السيئات).

٢- البعض الآخر يعتقد أنه إشاره إلى نور غير نور الشمس و القمر، يخلقه الله في ذلك اليوم خاصة.

٣- أمّا المفسّر الكبير العلامة الطباطبائي أعلى الله مقامه الشريف صاحب تفسير الميزان فقد قال: إنّ المراد من إشراق الأرض بنور ربّها هو ما يخصّ يوم القيامة من انكشاف الغطاء و ظهور الأشياء بحقائقها و بدو الأعمال من خير أو طاعه أو معصيه أو حق أو باطل للناظرين. و قد استدل العلامة الطباطبائي على هذا الرأي بالآية (٢٢) من سوره (ق) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ. و هذا الإشراق- و إن كان عاما لكل شيء يسعه النور- لكن لما كان الغرض بيان ما للأرض و أهلها يومئذ من الشأن خصها بالبيان.

و بالطبع فإن هذه التفاسير لا تتعارض فيما بينها، و يمكن القول بصحتها جميعا، مع أن التفسيرين الأوّل و الثالث أنسب من غيرهما.

و من دون شك فإنّ هذه الآيه تتعلق بيوم القيامة، و إن وجدنا بعض روايات أهل البيت الأطهار (عليهم السلام) تفسّرها على أنّها تعود إلى ظهور القائم المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، فهي في الواقع نوع من التطبيق و التشبيه،

و تأكيد لهذا المعنى، و هو عند ظهور المهدي (عج) تصيح الدنيا نموذجا حيا من مشاهد القيامة، إذ يملأ هذا الإمام بالحق و نائب الرسول الأكرم و خليفه الله الأرض بالعدل إلى الحد الذي ترتضيه الحياه الدنيا.

و

نقل (المفضل بن عمر) عن الإمام الصادق عليه السلام «إذا قام قائمنا أشرقَت الأرض بنور ربِّها و استغنى العباد عن ضوء الشمس و ذهب الظلمه» (١).

العبارة الثانية في هذه الآية تتحدث عن صحائف الأعمال، إذ تقول: وَ وُضِعَ الْكِتَابُ .

الصحائف التي تتضمن جميع صغائر و كبائر أعمال الإنسان، و كما يقول القرآن المجيد في الآية (٤٩) من سورة الكهف لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَ لَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا .

و تضيف العبارات التي تتحدث عن الشهود وَ جِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَدَاءِ .

فالأنبياء يحضرون ليسألوا عن أدائهم لمهام رسالته، كما ورد في الآية (٦) من سورة الأعراف وَ لَسْتُمْ لِنُذُورِ الْمُرْسَلِينَ .

كما يحضر شهداء الأعمال في محكمه العدل الإلهيه ليدلوا بشهاداتهم، صحيح أن الباري عزّ و جلّ مطلع على كلّ الأمور، و لكن للتأكيد على مقام العدالة يدعو شهداء الأعمال للحضور في تلك المحكمه.

ذكر المفسِّرون آراء عديده بشأن أولئك الشهداء على الأعمال، حيث قال البعض: إنهم الصالحون و الطاهرون و العادلون في الأئمة، الذين يشهدون على أداء الأنبياء لرسالتهم، و على أعمال الناس الذين كانوا يعاصرونهم، و (الأئمة المعصومون) هم في طليعه شهداء الأعمال.

ص: ١٥٩

١-١) - إرشاد المفيد و الخبر ذاته في تفسير الصافي و نور الثقلين في ذيل آيات البحث، و نفس المعنى، و ورد في المجلد الثاني و الخمسين الصفحه ٣٣٠ من بحار الأنوار للمرحوم العلامة المجلسي، مع شيء من الاختصار.

فى حىن ىعتقد البعض الآخر بأن الملائكه هم الشهداء على أعمال الإنسان، و الآيه (٢١) فى سوره (ق) تعطى الدليل على هذا المعنى وَ لَجَّاتِ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ .

و قال البعض: إن أعضاء بدن الإنسان و مكان و زمان الطاعه و المعصيه هم الذين يشهدون على الإنسان يوم القيامه.

و يبدو أن كلمه (شهداء) لها معان واسعه، أشار كل مفسر إلى جانب منها فى تفسيره.

و احتمال البعض أنها تخص «الشهداء» الذين قتلوا فى سبيل الله، و لكن هذا الاحتمال غير وارد و بعيد، لأن الحديث هو عن شهداء محكمه العدل الإلهى، و ليس عن شهداء طريق الحق، مع إمكانيه انضمامهم إلى صفوف الشهداء.

العباره الرابعه تقول: وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ .

و الخامسه تضيف: وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ .

فمن البديهيات، عند ما يكون الحاكم هو البارئ عزّ و جلّ، و تشرق الأرض بنور عدالته، و تعرض صحائف أعمال الإنسان التى تبين كل صغيره و كبيره بدقه، و يحضر الأنبياء و الشهود و العدول، فلا يحكم البارئ عزّ و جلّ إلا بالحق، و فى مثل هذا المحاكم لا وجود للظالم و الاستبداد مطلقا.

العباره السادسه فى الآيه التاليه أكملت الحديث بالقول: وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ .

إنّ جزاء الأعمال و عواقبها سترد إليهم، و هل هناك مكافأه و مجازاه أعلى من أن يريد عمل الإنسان بصوره كامله إلى الإنسان نفسه (نلفت الانتباه إلى أن كلمه (وفيت) تعنى الأداء بصوره كامله) و يبقى مرافقا له إلى الأبد.

فالذى يتمكن من تنفيذ مثل هذه المناهج العادله بدقه، هو الذى أحاط علمه

بكل شيء، لهذا فإن العبارة السابعة و الأخيرة في هذا البحث تقول: وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ .

إذن فلا حاجة حتى للشهود، لأن الله هو أعلم من كل أولئك الشهود، و لكن لطفه و عدله يقتضيان إحضار الشهود، نعم فهذا هو مشهد يوم القيامة، فليستعد الجميع لذلك اليوم.

ص: ١٦١

اشاره

وَ سَيَقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢)

التفسير

اشاره

الذين يدخلون جهنم زمرا:

تواصل الآيات هنا بحث المعاد، و تستعرض بالتفصيل ثواب و جزاء المؤمنين و الكافرين الذى استعرض بصورة مختصره فى الآيات السابقه. و تبدأ بأهل جهنم، إذ تقول: وَ سَيَقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا .

فمن الذى يسوقهم إلى جهنم؟ كما هو معروف فإن ملائكه العذاب هى التى تسوقهم حتى أبواب جهنم، و نظير هذه العبارة ورد فى الآيه (٢١) من سوره (ق)، إذ تقول: وَ لَجَأَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ .

عبارة «زمر» تعنى الجماعه الصغيره من الناس، و توضح أن الكافرين يساقون إلى جهنم على شكل مجموعات مجموعات صغيره و متفرقه.

و«سيق» من ماده (سوق) و تعنى (الحث على أسير).

ثم تضيف حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها و قال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم و ينذرونكم لقاء يومكم هذا (١).

يتضح بصوره جيده من خلال هذه العبارة، أن أبواب جهنم كانت مغلقة قبل سوق أولئك الكفرة، و هى كأبواب السجون المغلقة التى تفتح أمام المتهمين الذين يراد سجنهم، و هذا الحدث المفاجئ يوجد رعبا و وحشه كبيره فى قلوب الكافرين، و قبل دخولهم يتلقاهم خزنه جهنم باللوم و التوبيخ، الذين يقولون استهجانا و توبيخا لهم: لم كفرتم و قد هئت لكم كافه أسباب الهدايه، ألم يرسل إليكم أنبياء منكم يتلون آيات الله عليكم باستمرار، و معهم معجزات من خالقكم، و إنذار و إعلام بالأخطار التى ستصيبكم إن كفرتم بالله (٢)؟ فكيف وصل بكم الحال إلى هذه الدرجه رغم إرسال الأنبياء إليكم؟ حقا إن كلام خزنه جهنم يعد من أشد أنواع العذاب على الكافرين الذين يواجهون بمثل هذا اللوم فور دخولهم جهنم.

على أية حال، فإن الكافرين يجيبون خزنه جهنم بعبارة قصيره ملؤها الحسرات، قائلين: قالوا بلى و لكن حقت كلمه العذاب على الكافرين.

مجموعه من المفسرين الكبار اعتبروا كلمه العذاب إشاره إلى قوله تعالى حين هبط آدم على الأرض، أو حينما قرر الشيطان إغواء بنى آدم، كما ورد فى الآيه (٣٩) من سوره البقره و الذين كفروا و كذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.

ص: ١٦٣

١- ١) - «خزنه» جمع (خازن) من ماده (خزن) على وزن (جزم) و تعنى حافظ الشئ، و (خازن) تطلق على المحافظ و الحارس.

٢- ٢) - «يتلون» و «ينذرون»: كليهما فعل مضارع و دليل على الاستمراريه.



و حينما قال الشيطان: لأغوينهم جميع إلا عبادك المخلصين، فأجابه البارئ عزّ و جلّ لأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (١).

و بهذا الشكل اعترفوا بأنهم كذبوا الأنبياء و أنكروا آيات الله، و بالطبع فإن مصيرهم لن يكون أفضل من هذا.

كما يوجد احتمال فى أن المراد من حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ هو ما تعنيه الآية السابعة فى سورة (يس) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ .

و هو إشارة إلى أن الإنسان يصل أحيانا-بسبب كثرة ذنوبه و عداوته و لجأته و تعصبه أمام الحق-إلى درجة يختم معها على قلبه و لا يبقى أمامه أى طريق للعودة، و فى هذه الحالة يصبح مستحقا تماما للعذاب.

و على آية حال، فإن مصدر كلّ هذه الأمور هو عمل الإنسان ذاته، و ليس من الصحيح الاستدلال على معنى الجبر و فقدان حريه الإرادة.

هذا النقاش القصير ينتهى مع اقترابهم من عتبه جهنم قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ .

فأبواب جهنم- كما أشرنا إليها من قبل-يمكن أن تكون قد نظمت حسب أعمال الإنسان، و إن كلّ مجموعه كافره تدخل جهنم من الباب الذى يتناسب مع أعمالها، و ذلك مثل أبواب الجنة التى يطلق على أحد أبوابها اسم «باب المجاهدين» و

قد جاء فى كلام لأمير المؤمنين «إنّ الجهاد باب من أبواب الجنة» (٢).

و الذى يلفت النظر هو أن ملائكة العذاب تؤكّد على مسألة التكبر من بين بقية الصفات الرذيلة التى تؤدى بالإنسان إلى السقوط فى نار جهنم، و ذلك إشارة إلى أن التكبر و الغرور و عدم الانصياع و الاستسلام أمام الحق هو المصدر الرئيسى

ص: ١٦٤

١-١) -الم السجده، ١٣.

٢-٢) -نهج البلاغه، الخطبه (٢٧).

للكفر و الانحراف و ارتكاب الذنب.

نعم، فالتكبر ستار سميك يغطى عيني الإنسان و يحول دون رؤيته للحقائق الساطعه المضيئه، و لهذا نقرأ

في روايه عن الإمامين المعصومين الباقر و الصادق عليهما السلام «لا يدخل الجنه من في قلبه مثقال ذره من كبر» (1).

ص: ١٦٥

---

١-١) -الكافي،المجلد الثاني،باب الكبر الحديث.٦.

اشاره

وَ سَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُهُمْ إِذَا جَاؤُهُمْ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مَنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) وَ تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥)

التفسير

اشاره

المتقون يدخلون الجنة أفواجا!!

هذه الآيات-التي هي آخر آيات سورة(الزمر)-تواصل بحثها حول موضوع المعاد، حيث تتحدث عن كيفية دخول المؤمنين المتقين الجنة، بعد أن كانت الآيات السابقة قد استعرضت كيفية دخول الكافرين جهنم، لتوضح الأمور أكثر من خلال هذه المقارنه.

في البدايه تقول: وَ سَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا .

استعمال عباره(سيق) (و التي هي من ماده(سوق)على وزن(شوق)و تعنى الحث على السير). أثار التساؤل، كما لفت أنظار الكثير من المفسرين، لأن هذا

التعبير يستخدم في موارد يكون تنفيذ العمل فيها من دون أى اشتياق و رغبه فى تنفيذه،و لذلك فإن هذه العبارة صحيحه بالنسبه لأهل جهنم،و لكن لم استعملت بشأن أهل الجنه الذين يتوجهون إلى الجنه بتلهف و اشتياق؟ قال البعض: إن هذه العبارة استعملت هنا لأن الكثير من أهل الجنه ينتظرون أصدقاءهم.

و البعض الآخر قال: إن تلهف و شوق المتقين للقاء البارئ عزّ و جلّ يجعلهم يتحينون الفرصه لذلك اللقاء بحيث لا يقبلون حتى بالجنه.

فيما قال البعض: إن هناك وسيله تنقلهم بسرعه إلى الجنه.

مع أنّ هذه التفسيرات جيده و لا يوجد أى تعارض فيما بينهما، إلا أنّ هناك نقطه اخرى يمكن أن تكون هى التفسير الأصح لهذه العبارة، و هى مهما كان حجم عشق المتقين للجنه، فإن الجنه و ملائكه الرحمه مشتاقه أكثر لوفود أولئك عليهم، كما هو الحال بالنسبه إلى المستضيف المشتاق لضيف و المتلهف لوفوده عليه إذ أنه لا يجلس لانتظاره و إنما يذهب لجلبه بسرعه قبل أن يأتى هو بنفسه إلى بيت المستضيف، فملائكه الرحمه هى كذلك مشتاقه لوفود أهل الجنه.

و الملاحظه أن (زمر) تعنى هنا المجموعات الصغيره، و تبين أن أهل الجنه يساقون إلى الجنه على شكل مجموعات مجموعات كل حسب مقامه.

ثم تضيف الآيه حتى إذا جاؤها و فتحت أبوابها و قال لهم خزنتها سلام عليكم طبتنم فادخلوها خالدين (١).

الملفت للنظر أن القرآن الكريم يقول بشأن أهل جهنم: إنهم حينما يصلون إلى قرب جهنم تفتح لهم الأبواب، و يقول بشأن أهل الجنه، إن أبواب الجنه مفتحه لهم

ص: ١٦٧

١ - ١) - ما هو جواب الجملة الشرطيه (إذا جاؤها)؟ ذكر المفسرون آراء متعدده، أنسبها الذى يقول: إن عبارته (قال لهم خزنتها) جوابها و الواو زائده. كما احتملوا أن جواب الجملة محذوف، و التقدير (سلام من الله عليكم)، أو أن حذف الجواب إشاره إلى أن سعه الموضوع و علوه لا يمكن وصفها، و البعض قال: (فتمت) هى الجواب و (الواو) زائده.

من قبل، وهذه إشارة إلى الاحترام والتبجيل الذي يستقبلون به من قبل ملائكة الرحمة، كالمستضيف المحب الذي يفتح أبواب بيته للضيوف قبل وصولهم، ويقف عند الباب بانتظارهم.

وقد قرأنا في الآيات السابقة أن ملائكة العذاب يستقبلون أهل جهنم باللوم والتوبيخ الشديدين، عند ما يقولون لهم: قد هيئت لكم أسباب الهداية، فلم تركتموها و انتهيتم إلى هذا المصير المشؤوم؟ أمّا ملائكة الرحمة فإنّها تبادر أهل الجنّة بالسلام المرافق للاحترام والتبجيل، و من ثمّ تدعوهم إلى دخول الجنّة.

عبارة «طبتم» من مادة (طيب) على وزن (صيد) وتعنى الطهاره، ولأنّها جاءت بعد السلام و التحية، فمن الأرجح القول بأن لها مفهوما إنشائيا، وتعنى:

لتكونوا طاهرين مطهرين و نتمنى لكم السعادة و السرور.

و بعبارة اخرى: طابت لكم هذه النعم الطاهره، يا أصحاب القلوب الطاهره.

ولكن الكثير من المفسّرين ذكروا لهذه الجملة معنى خيريا عند تفسيرها، وقالوا: إنّ الملائكة تخاطبهم بأنّكم تطهّرتم من كلّ لوث و خبث، و قد تطهّرتم بإيمانكم و بعملكم الصالح قلوبكم و أرواحكم، و تطهّرتم من الذنوب و المعاصي، و نقل البعض روايه تقول: إنّ هناك شجره عند باب الجنّة، تفيض من تحتها عينا ماء صافيتان، يشرب المؤمنون من إحداهما فيتطهر باطنهم، و يغتسلون بماء العين الأخرى فيتطهر ظاهرهم، و هنا يقول خزنة الجنّة لهم: **سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** (١).

الملاحظ أن «الخلود» استخدم بشأن كلّ من أهل الجنّة و أهل النَّار، و ذلك لكى لا يخشى أهل الجنّة من زوال النعم الإلهيه، و لكى يعلم أهل النَّار بأنّه لا سبيل لهم للنجاه من النَّار.

ص: ١٦٨

الآيه التاليه تتكون من أربع عبارات قصار غزيره المعانى تنقل عن لسان أهل الجنه السعاده و الفرح اللذين غمراهم، حيث تقول: وَ قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ .

و تضيف فى العبارة التاليه وَ أَوْزَنَّا الْأَرْضَ .

المراد من الأرض هنا أرض الجنه. و استخدام عبارته (الإرث) هنا، إنما جاء لكونهم حصلوا على كل هذه النعم فى مقابل جهد قليل بذلوه، إذ- كما هو معروف - فإن الميراث هو الشيء الذى يحصل عليه الإنسان من دون أى عناء مبدول.

أو أنها تعنى أن لكل إنسان مكان فى الجنه و آخر فى جهنم، فإن ارتكب عملا استحق به جهنم فإن مكانه فى الجنه سوف يمنح لغيره، و إن عمل عملا صالحا استحق به الجنه، فيمنح مكانا فى الجنه و يترك مكانه فى جهنم لغيره.

أو تعنى أنهم يتمتعون بكامل الحريه فى الاستفادة من ذلك الإرث، كالميراث الذى يحصل عليه الإنسان إذ يكون حرا فى استخدامه.

هذه العبارة- فى الواقع- تحقق عيني للوعد الإلهي الذى ورد فى الآيه (٦٣) من سوره مريم تَلَمَّكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا .

العبارة الثالثه تكشف عن الحريه الكامله التى تمنح لأهل الجنه فى الاستفادة من كافه ما هو موجود فى الجنه الواسعه، إذ تقول: نَبَّوْا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ .

يستشف من الآيات القرآنيه أن فى الجنه الكثير من البساتين و الحدائق و قد أطلقت عليها فى الآيه (٧٢) من سوره التوبه عبارته جَنَّاتٍ عَدْنٍ و أهل الجنه وفقا لدرجاتهم المعنويه يسكنون فيها، و أن لهم كامل الحريه فى التحرك فى تلك الحدائق و البساتين فى الجنه.

أما العبارة الأخيره فتقول: فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ .

و هذه إشاره إلى أن هذه النعم الواسعه إنما تعطى فى مقابل العمل الصالح (المتولد من الايمان طبعاً) ليكون صاحبه لائقاً و مستحقاً لنيل مثل هذه النعم.

و هنا يطرح هذه السؤال و هو: هل أن هذا القول صادر عن أهل الجنة، أم أنه كلام الله جاء بعد كلام أهل الجنة؟ المفسرون وافقوا الرأيين، و لكنهم رجحوا المعنى الأول الذى يقول: إنه كلام أهل الجنة و يرتبط بالعبارات الأخرى فى الآية.

و فى النهايه تخاطب الآية-مورد بحثنا و هى آخر آيه من سوره الزمر- الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله و سلم قائله: وَ تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ وَ يَقْدِّسُونَهُ وَ يَحْمَدُونَهُ.

إذ تشير إلى وضع الملائكة الحافين حول عرش الله، أو أنها تعبر عن استعداد أولئك الملائكة لتنفيذ الأوامر الإلهيه، أو أنها إشاره إلى خفايا قيمه تمنح فى ذلك اليوم للخواص و المقرّبين من العرش الإلهي، مع أنه لا يوجد أى تعارض بين المعانى الثلاثه، إلا أن المعنى الأول أنسب.

و لهذا تقول العبارة التاليه وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ .

و باعتبار هذه الأمور هى دلائل على ربوبيه البارئ عزّ و جلّ و استحقاق ذاته المقدسه و المنزّهه لكل أشكال الحمد و الثناء، فإنّ الجملة الأخيره تقول:

وَ قِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

و هنا يطرح هذا السؤال: هل أن هذا الخطاب صادر عن الملائكة، أم عن أهل الجنة المتقين، أم أنه صادر عن الاثنين؟ المعنى الأخير أنسب من غيره، لأنّ الحمد و الثناء على الله هو منهاج كلّ أولى الألباب، و منهاج كلّ الخواص و المقرّبين، و استعمال كلمه (قيل) و هى فعل مبنى للمجهول يؤيد ذلك.

نهايه سوره الزمر

ص: ١٧٠

## سوره المؤمن

### اشاره

مكيه و عدد آياتها خمس و ثمانون آيه

ص: ١٧١





## نظرة مختصرة في محتوى السوره:

سوره المؤمن هي طليعه الحواميم، و الحواميم في القرآن الكريم سبع سور متتاليه يلي بعضها بعضا، نزلت جميعا في مكه، و هي تبدأ ب«حم».

هذه السوره كسائر السور المكيه، تثير في محتواها قضايا العقيدة، و تتحدث عن أصول الدين الإسلامى و مبانيه و فى ذلك تلبى حاجه المسلمين فى تلك المرحله إلى تشييد و إقامة قواعد الدين الجديد.

و محتوى هذه السوره يضم بين دفتيه الشده و اللطف، و يجمع فى نسيجه بين الإنذار و البشاره... السوره -إذا- مواجهه منطقيه حاده مع الطواغيت و المستكبرين، كما هي نداء لطف و رحمه و محبه بالمؤمنين و أهل الحق.

و تمتاز هذه السوره أيضا بخصوصيه تنفرد بها دون سور القرآن الأخرى، إذ تتحدث عن «مؤمن آل فرعون» و هو مقطع من قصه موسى عليه السلام، و قصد مؤمن آل فرعون لم ترد فى كتاب الله سوى فى سوره «المؤمن».

إن قصه «مؤمن آل فرعون» هي قصه ذلك الرجل المؤمن المخلص الذى كان يتحلى بالذكاء و المعرفة فى الوقت الذى هو من بطانه فرعون، و محسوب -ظاهرا- من حاشيته -لقد كان هذا الرجل مؤمنا بما جاء به موسى عليه السلام، و قد احتل و هو يعمل فى حاشيه فرعون- موقعا حساسا مميزا فى الدفاع عن موسى عليه السلام و عن دينه، حتى أنه -فى الوقت الذى تعرضت فيه حياه موسى عليه السلام

للخطر-تحرك من موقعه بسلو ك فطن و ذكى و حكيم لكي يخلص موسى من الموت المحقق الذي كان قد أحاط به.

إن اختصاص السوره باسم «المؤمن» يعود إلى قصه هذا الرجل الذي تحدّث عشرون آيه منها عن جهاده، أى ما يقارب ربع السوره.

يكشف الأفق العام أنّ حديث السوره عن «مؤمن آل فرعون» ينطوى على أبعاد تربويه لمجتمع المسلمين فى مكّه، فقد كان بعض المسلمين ممّن آمن بالإسلام يحافظ على علاقات طيبه مع بعض المشركين و المعاندين، و فى نفس الوقت فإن إسلامه و انقياده لرسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم ليس عليهما غبار.

لقد كان الهدف من هذه العلاقه مع المشركين هو توظيفها فى أيام الخطر لحمايه الرساله الجديده و دفع الضر عن أتباعها، و فى هذا الإطار يذكر التاريخ أنّ أبا طالب عليه السّلام عمّ رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم كان من جمله هؤلاء، كما يستفاد ذلك من بعض الروايات الإسلاميه المرويه عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام (1).

و بشكل عام يمكن النظر إلى محتوى السوره فى إطار ما تثيره النقاط و الأقسام الآتيه:

القسم الأوّل: و هو يضم طليعه آيات السوره التى تتحدّث عن بعض من أسماء الله الحسنى، خصوصا تلك التى ترتبط ببعث معانى الخوف و الرجاء فى القلوب، مثل قوله تعالى: **غَافِرِ الذَّنْبِ وَ شَدِيدِ الْعِقَابِ**.

القسم الثّانى: تهديد الكفّار و الطواغيت بعذاب هذه الدنيا الذى سبق و أن نال أقواما اخرى فى ماضى التاريخ، بالإضافة إلى التعرّض لعذاب الآخره، و تتناول بعض الصور و المشاهد التفصيليه فيه.

القسم الثّالث: بعد أن وقفت السوره على قصه موسى و فرعون، بدأت بالحديث-بشكل واسع- عن قصه ذلك الرجل المؤمن الواعى الشجاع الذى

ص: ١٧٤

اصطلح عليه بـ«مؤمن آل فرعون» وكيف واجه البطانه الفرعونيّه و خلّص موسى عليه السّلام من كيدها.

القسم الرّابع: تعود السوره مرّه اخرى للحديث عن مشاهد القيامة، لتبعث في القلوب الغافله الروح و يقظه.

القسم الخامس: تتعرض السوره المباركه فيه إلى قضيتي التوحيد و الشرك، بوصفهما دعامتين لوجود الإنسان و حياته، و في ذلك تتناول جانبا من دلائل التوحيد، بالإضافة إلى ما تقف عليه من مناقشه لبعض شبهات المشركين.

القسم السادس: تنتهي السوره- في محتويات القسم الأخير هذا- بدعوه رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم للتحمل و الصبر، ثمّ تختم بالتعرض إلى خلاصات سريعه ممّا تناولته مفصلا من قضايا ترتبط بالمبدأ و المعاد، و كسب العبره من هلاك الأتوام الماضيه، و ما تعرضت له من أنواع العذاب الإلهي في هذه الدنيا، ليكون ذلك تهديدا للمشركين. ثمّ تخلص السوره في خاتمتها إلى ذكر بعض النعم الإلهيه.

لقد أشرنا فيما مضى إلى أنّ تسميه السوره بـ«المؤمن» يعود إلى اختصاص قسم منها بالحديث عن «مؤمن آل فرعون». أما تسميتها بـ«غافر» فيعود إلى كون هذه الكلمه هي بدايه الآيه الثالثه من آيات السوره المباركه.

### فضيله تلاوه السوره:

في سلسله الرّوايات الإسلاميه المرويّه عن رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم و عن أئمّه أهل البيت عليهم السّلام، نرى كلاما واسعا من فضل تلاوه سور «الحواميم» و بالأخص سوره «غافر» منها.

ففي بعض هذه الأحاديث نقرأ

عن رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم قوله: «الحواميم تاج

و عن ابن عباس ممّا يحتمل نقله

عن رسول الله صَلَّى الله عليه و اله و سلمّ أو عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام قال: «لكلّ شيء لباب و لباب القرآن الحواميم» (٢).

و

في حديث عن الإمام الصادق نقرأ قوله عليه السّلام: «الحواميم ريحان القرآن، فحمدوا الله و اشكروه بحفظها و تلاوتها، وإنّ العبد ليقوم يقرأ الحواميم فيخرج من فيه أطيب من المسك الأذفر و العنبر، و إنّ الله ليرحم تاليها و قارئها، و يرحم جيرانه و أصدقاءه و معارفه و كلّ حميم أو قريب له، و إنّّه في القيامه يستغفر له العرش و الكرسي و ملائكته الله المقربون» (٣).

و

في حديث آخر عن رسول الله صَلَّى الله عليه و اله و سلمّ: «الحواميم سبع، و أبواب جهنّم سبع، تجيء كلّ «حاميم» منها فتقف على باب من هذه الأبواب تقول: اللهم لا تدخل من هذا الباب من كان يؤمن بي و يقرأني» (٤).

و في قسم من

حديث مروى عن رسول الله صَلَّى الله عليه و اله و سلمّ: «من قرأ «حاميم المؤمن» لم يبق روح نبى و لا صديق و لا مؤمن إلا صلوا عليه و استغفروا له» (٥).

و من الواضح أنّ هذه الفضائل الجزيله ترتبط بالمحتوى الثمين للحواميم، هذا المحتوى الذى إذا واظب الإنسان على تطبيقه فى حياته و العمل به، و الالتزام بما يستلزمه من مواقف و سلوك، فإنّه سيكون مستحقا للثواب العظيم و الفضائل الكريمة التى قرأها.

و إذا كانت الروايات تتحدث عن فضل التلاوه، فإنّ التلاوه المعنيه هى التى

ص: ١٧٦

١-١) - هذه الأحاديث فى مجمع البيان فى بدايه تفسير سوره المؤمن.

٢-٢) - المصدر السابق

٣-٣) - مجمع البيان أثناء تفسير السوره

٤-٤) - البيهقى طبقا لما نقله عنه الآلوسى فى روح المعانى، المجلد ٢٤، صفحه ٣٦.

٥-٥) - مجمع البيان فى مقدمه تفسير السوره.

تكون مقدمه للاعتقاد الصحيح، فيما يكون الإعتقاد الصحيح مقدمه للعمل الصحيح. إذا التلاوه المعنيه هي تلاوه الإيمان و العمل، وقد رأينا في واحد من الأحاديث-الآنفه الذكر-المنقوله

عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تعبير «من كان يؤمن بي و يقرأني».

ص: ١٧٧

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَهُ الْمَصِيرُ (٣)

التفسير

اشاره

صفات تبعث الأمل فى النفوس:

تواجهنا فى مطلع السوره الحروف المقطعه و هى هنا من نوع جديد لم نعهده فى السور السابقه، حيث افتتحت السوره بـ «ب» و «م» و «م».

و بالنسبه للحروف المقطعه فى مطلع السور كانت لنا بحوث كثيره فى معانيها و دلالاتها، تعرضنا إليها أثناء الحديث عن بدايه سوره «البقره»، و سوره «آل عمران» و «الأعراف» و سور اخرى.

الشيء الذى تضيفه هنا، هو أنّ الحروف التى تبدأ به سوره المؤمن التى نحن الآن بصدددها، تشير - كما يستفاد ذلك من بعض الروايات و من آراء المفسرين - إلى أسماء الله التى تبدأ بحروف هذه السوره، أى «حميد» و «مجيد» كما ورد ذلك

عن الامام الصادق عليه السلام (١).

البعض الآخر ذهب إلى أنّ «ح» إشارته إلى أسمائه تعالى مثل «حميد» و «حليم» و «حنان»، بينما «م» إشارته إلى «ملك» و «مالك» و «مجيد».

و هناك احتمال في أن حرف «الحاء» يشير إلى الحاكميه، فيما يشير حرف «الميم» إلى المالكيه الإلهيه.

عن ابن عباس، نقل القرطبي «في تفسيره» أن «حم» من أسماء الله العظمى (٢).

و يتضح في نهايه فقره أنّ ليس ثمة من تناقض بين الآراء و التفاسير الآنفه الذكر، بل هي تعمد جميعا إلى تفسير الحروف المقطعه بمعنى واحد.

في الآيه الثانيه - كما جرى على ذلك الأسلوب القرآني - حديث عن عظمه القرآن، و إشاره إلى أنّ هذا القرآن بكل ما ينطوي عليه من عظمه و إعجاز و تحدّ، إنّما يتشكّل في مادته الخام من حروف الألف باء... و هنا يمكن معنى الإعجاز.

يقول تعالى: تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ .

إنّ قدرته تعالى تعجز الأشياء الأخرى عن الوقوف إزاءه، فقد رته ماضيه في كل شيء، و عزته مبسوطه، أمّا علمه تعالى فهو في أعلى درجات الكمال، بحيث يستوعب كلّ احتياجات الإنسان و يدفعه نحو التكامل.

و الآيه التي بعدها تعدّد خمسا من صفاته تعالى، يبعث بعضها الأمل و الرجاء، بينما يبعث البعض الآخر منها على الخوف و الحذر.

و يقول تعالى: غَافِرِ الذَّنْبِ .

قَابِلِ التَّوْبِ

(٣)

ص: ١٧٩

١-١ - يلاحظ «معاني الأخبار» للشيخ الصدوق، صفحه ٢٢، باب معنى الحروف المقطعه في أوائل السور.

٢-٢ - تفسير القرطبي أثناء تفسير الآيه.

٣-٣ - «توب» يمكن أن تكون جمع «توبه» و أن تكون مصدرا (يلاحظ مجمع البيان).



لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ

أجل إن من له هذه الصفات هو المستحق للعباده و هو الذى يملك الجزاء فى العقاب و الثواب.

### ملاحظات

تنطوى الآيات الثلاث الآنفه الذكر على مجموعه من الملاحظات، نقف عليها من خلال النقاط الآتية:

أولاً- فى الآيات أعلاه (آيه ٢ و ٣) بعد ذكر الله و قبل ذكر المعادِ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ اشتملت الآيتان على ذكر سبع صفات للذات الإلهيه، بعضها من «صفات الذات» و البعض الآخر منها من «صفات الفعل» التى انطوت على إشارات للتوحيد و القدره و الرحمه و الغضب، ثم ذكرت «عزیز» و «علیم» و جعلتهما بمثابة القاعده التى نزل الكتاب الإلهى (القرآن) على أساسهما.

أما صفات «غافر الذنب» و «قابل التوب» و «شديد العقاب» و «ذی الطول» فهى بمثابة المقدمات اللازمه لتربيته النفوس و تطويعها لعباده الواحده الأحد.

ثانياً: ابتدأت الصفات الآنفه الذكر بصفه «غافر الذنب» أولاً و «ذی الطول» أخيراً، أى صاحب النعمه و الفضل كصفه أخيره. و فى موقع وسط جاءت صفه «شديد العقاب» و هكذا ذكرت الآيه الغضب الإلهى بين رحمتين. ثم إننا نلاحظ أنّ

ص: ١٨٠

١- ١) - «طول» على وزن «قول» بمعنى النعمه و الفضل، و بمعنى القدره و القوه و المكنه و ما يشبه ذلك. بعض المفسرين يقول: إنّ «ذی الطول» هو الذى يبذل النعم الطويله و الجزيله للآخرين، و لذلك فإن معناها أخص من معنى «المنعم» كما يقول صاحب مجمع البيان.

الغضب الإلهي جاء وسط حديث الآيه عن ثلاث صفات من صفات الرحمة الإلهيه، و في كل ذلك دليل على المعنى الممكنون في

«يا من سبقت رحمته غضبه».

ثالثا: لا يقتصر المعنى في جملة إِلَيْهِ الْمَصِيرُ على عوده الجميع و رجوعهم كافة إليه تعالى في يوم القيامة، وإنما تشير أيضا إلى الانتهاء المطلق لكل الأمور في هذا العالم و العالم الآخر إليه تعالى، و انتهاء سلسله الوجود إلى قدرته و إرادته.

رابعا: جاء تعبير لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ في ختام الصفات، و هو حكاية عن مقام التوحيد و العبوديه الذي لا يليق بغير الله تعالى، حيث تنتهي أمام عبوديته كل العبوديات الأخرى. و هكذا يكون تعبير «لا- إله إلا- هو» بمثابة النتيجة النهائيه الأخيره للبيان القرآني في هذا المورد.

و لذلك نقرأ في حديث عن ابن عباس أنه تعالى: غَافِرِ الذَّنْبِ للشخص الذي يقول: لا إله إلا الله و هو تعالى: قَابِلِ التَّوْبِ للذي يقَرُّ بالعبوديه و يقول: لا إله إلا الله. و هو شَدِيدِ الْعِقَابِ للذي لا يقَرُّ و لا يقول: لا إله إلا الله. و هو ذِي الطَّوْلِ و غنى عن الشخص الذي لا يقول: لا إله إلا الله.

من كل ذلك يتضح أن محور الصفات المذكوره هو التوحيد، الذي يدور مدار الاعتقاد الصحيح و العمل الصالح.

خامسا: من وسائل الغفران في القرآن:

ثمّه في كتاب الله أمور كثيره تكون أسبابا و عناوين للمغفره و محو الذنوب و السيئات، و فيما يلي تشير إلى بعض هذه العناوين:

١- التوبه: إذ في آيه (٨) من سوره التحريم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ .﴾

٢- الإيمان و العمل الصالح: حيث نقرأ في سوره (محمد- آيه ٢) قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْنَا مِنْ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ .﴾

ص: ١٨١

٣-التقوى: و نرى مصداقها فى قوله تعالى: **إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ (١)**.

٤-الهجره و الجهاد و الشهاده: و مصداقها قوله تعالى فى الآيه (١٩٥) من سوره «آل عمران»: **فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أُذُوا فِي سَبِيلِي وَ قَاتَلُوا وَ قُتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ**.

٥-صدقه السر: و ذلك قوله تعالى: **إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَ إِنْ تُخْفُوهَا وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ يُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ (٢)**.

٦-الإقراض: كما فى قوله تعالى: **إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ (٣)**.

٧-اجتناب كبائر الذنوب: حيث يقول تعالى فى **(٤)**: **إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**.

و هكذا يتبين لنا أن أبواب المغفره الإلهيه مفتوحه من كل مكان، و أن عباد الله بوسعهم طرق هذه الأبواب و الولوج إلى المغفره الإلهيه. و قد رأينا فى الآيات الآنفه الذكر سبعة من هذه الأبواب التى تضمن الخلاص لمن يلج أى واحد منها، أو كلها جميعا.

ص: ١٨٢

١-١) - الأنفال، آيه ٢٩.

٢-٢) - البقره، آيه ٢٧١.

٣-٣) - التغابن، الآيه ١٧.

٤-٤) - النساء، آيه ٣١.

اشاره

مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْزُوكَ تَقْلُتُهُمْ فِي الْأَبْلَادِ (٤) كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْرَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥) وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٦)

التفسير

اشاره

الأمر الإلهي الحاسم:

بعد أن تعرضت الآيات السابقة إلى نزول القرآن، و إلى بعض الصفات الإلهيه التي تستهدف بعث الخوف و الرجاء، ورد كلام في الآيات التي بين أيدينا عن قوم امتازوا بالمجادله و المنازعه حيال آيات الله...الآيه الكريمه توضح مصير هذه المجموعه ضمن تعبير قصير و قاطع، فتقول: مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا .

صحيح أنّ هذه المجموعه قد تملك العده و العدد، إلا أنّ ذلك لن يدوم إلا لفترة، فلا تغتر و تنخدع إذا لتحركهم في البلاد و تنقلهم في المدن المختلفه،

و استعراضهم لقوتهم: فَلَا يَغْرُزُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ .

إنها أيام تنقضى بين الكرّ و الفرّ، ثم تنتهى هذه الضججه لتزول معها هذه المجموعه و تمحى تماما، كما تزول الفقاعات من على سطح الماء، أو كما يتلاشى الرماد عند هبوب العواصف! «يجادل» مشتقّه من «جدل» و هى فى الأصل تعنى لف الجبل و إحكامه، ثم عمّ استخدامها فى الأبنيه و الحديد و ما شابه، و لهذا فإنّ كلمه (مجادله) تطلق على عمل الأشخاص المتقابلين و يريد كلّ شخص أن يلقى حجه و يثبت كلامه و يغلب خصمه.

و لكن ينبغى الانتباه إلى أنّ كلمه (المجادله) لا تعتبر مذمومه دائما فى اللغه العربيه، بل تعتبر إيجابيه و مطلوبه إذا كانت المجادله فى طريق الحق و تستند على المنطق، و تهدف إلى تبين الحقائق و إرشاد الأشخاص الجهله... أما إذا كانت على أسس واهيه من التعصب و الجهل و الغرور، و تستهدف خداع هذا و ذاك، فتكون عند ذلك مذمومه.

القرآن الكريم استخدم كلمه (المجادله) فى كلا مورديهما، إذ نقرأ فى الآيه (١٢٥) من سوره النحل قوله تعالى: وَ لِّجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .

إلاّ أنّه فى موارد اخرى- كما فى الآيه أعلاه و فيما بعدها- وردت (المجادله) لغرض الذم، و هناك بحث حول الجدل و المجادله ستعرض له فيما بعد إن شاء الله.

«تقلب» مشتقّه من «قلب» و تعنى التغيير، و «تقلب» هنا بمعنى التصرف فى المناطق و البلاد، المختلفه للسيطره و التسلّط عليها، و تعنى الذهاب و الإياب فيها أيضا.

إنّ هدف الآيه تحذير للرسول صلّى الله عليه و اله و سلّم و المؤمنين به- فى بدايه البعثه- من الذين كانوا من الطبقة المستضعفه المحرومه، بأن لا يركنوا إلى الإمكانيات المالىه

أو القوّة السياسيّه و الاجتماعيّه للكفار، و يعتبرونها دليلاً على حقانيتهم أو سبباً لقوتهم الحقيقيه، إذ هناك الكثير منهم في تاريخ هذه الدنيا، و قد انكشف ضعفهم و سقطت عنهم سراويل القوّة المزعومه ليبيّن عجزهم حيال العقاب الإلهي، ليسقطوا كما تسقط الأوراق الخريفية الذابله في العواصف الهوجاء.

إننا في عالم اليوم نشاهد الكفار و المستكبرين و الظالمين و هم يقومون بشتى المحاولات، من زيارات و مؤتمرات و أحلاف و تكتلات و مناورات عسكريه، و توقيع لاتفاقات سياسيّه و عسكريه، و اعتماد لوسائل القمع و الإرهاب إزاء المستضعفين و المحرومين في العالم، و لكي يسلكوا من خلال ذلك طريقاً إلى تحقيق أهدافهم المشؤومه. لذلك ينبغي للمؤمنين أن يكونوا يقظين و حذرين حتى لا يروحوا ضحيه هذه الأساليب القديمه و حتى لا يسكتهم الرعب و الخوف فيفتنون بهذا الوضع.

لذلك توضح الآيه التي بعدها عاقبه بعض الأمم السابقه التي ضلّت الطريق و انكفأت عن جاده الحق و الصواب، فتقول في عبارات قاطعه واضحه تحكى عاقبه قوم نوح و حالهم و من تلاهم من أقوام و جماعات: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ الْأَخْرَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ .

المقصود من «الأحزاب» هم قوم عاد و ثمود و حزب الفراعنه و قوم لوط، و أمثال هؤلاء ممّن أشارات إليهم الآيتان (١٢-١٣) من سوره «ص» في قوله تعالى: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عَادٌ وَ فِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ وَ ثَمُودُ وَ قَوْمُ لُوطٍ وَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَخْرَابُ .

هؤلاء هم «الأحزاب» الذين تآزروا و وقفوا ضدّ دعوات الأنبياء الإلهيين، لتعارض مصالحهم مع روح هذه الدعوات و مضامينها الربانيه.

إنهم لم يقتنعوا بمجرد الوقوف ضدّ الدعوات النبويه الكريمه، بل خططت كلّ أمّه منهم لأن تمسك بنيها فتسجنه و تؤذيه، بل و حتى تقتله: وَ هَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ

ثم لم يكتفوا بهذا القدر أيضا، بل لجأوا إلى الكلام الباطل لأجل القضاء على الحق و محوه، و أصروا على إضلال الناس و صدّهم عن شريعته الله: وَ جَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ (١).

إلا أن هذا الوضع لم يستمر طويلا، و لم يبق لهم الخيرا دوما، إذ حينما حان الوقت المناسب جاء الوعد الإلهي: فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ .

لكم-أيها الناس- أن تشاهدوا خرائب مدنهم حين سفركم و أثناء تجوالكم... انظروا عاقبتهم المشؤومه المظلمه مدونه على صفحات التاريخ و فى صدور أهل العلم، فانظروا و اعتبروا! ليس هناك أفضل من هذا المصير الذى ينتظر أشقياء مكّه من الكفار و المشركين الظالمين، إلا أن يثوبوا إلى أنفسهم و يعيدوا تقييم أعمالهم.

إذا، الآيه أعلاه تلخص برنامج «الأحزاب» الطاغية و مخططهم فى ثلاثه أقسام هى: (التكذيب و الإنكار) ثم (التآمر للقضاء على رجال الحق) و أخيرا (الدعايه المستمره لإضلال عامه الناس).

أما مشركو العرب على عهد البعته النبويه فقد قاموا بتكرار هذه الأقسام الثلاثه حيال رسول الإسلام صلى الله عليه و اله و سلم و حيال رسالته، لذلك فليس ثمه من عجب أن يهددهم القرآن الكريم بما حلّ بأسلافهم و بمن سبقهم من الأحزاب... نفس العاقبه و نفس الجزاء! الآيه الأخيره- فى المقطع الذى بين أيدينا- تشير إلى الجزاء الأخرى الذى ينتظر هؤلاء، بالإضافة إلى قسطهم من العقاب الدنيوى كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ .

إنّ المعنى الظاهرى للآيه واسع، يشمل جميع الكفار و المعاندين من جميع

ص: ١٨٦

الأقوام، والآيه بهذا المعنى لا تختص بكفار مكه، كما يتصور بعض المفسرين.

إنّ حتمية العقاب الإلهي لهؤلاء القوم يعود إلى ذنوبهم المستمره، والأعمال التي يقومون بها بملء إرادتهم خلافا لرسالة الله...و لكن العجيب أنّ بعض المفسرين-كالفخر الرازي-يتصور أنّ هذه الآيه هي من أدله عقيدة الجبر و المصير الجبري الإلزامي للأقوام المختلفه، و دليل سلب الإراده عنهم، في حين أنّنا لو دققنا في نفس الآيه مع ترك التعصّب المذهبي جانبا، فسيتوضح لنا أنّ هذا المصير الإلهي الذي ينتظرهم هو بسبب سلوكهم لطريق الانحراف المظلم، و بسبب إصرارهم على السير، بهذا الطريق بأرجلهم و بكامل حريتهم و ملء إرادتهم.

## بحثان

## اشاره

### أولا: استعراض الكفار لقواهم الظاهريه

يواجهنا في الآيات القرآنيه و في أماكن متعدده مؤدى يفيد أنّ المؤمنين المحرومين ينبغي لهم أن لا- يتصوروا أنّ الإمكانات الكبيره و القوى الظاهره الواقعه في حوزة الظالمين و الكفار، هي دليل على سعادتهم، أو شرط لانتصارهم في نهايه المطاف.

- و من أجل القضاء على هذا التصور المنحرف الخاطئ الذي يلازم في العاده الضعفاء ذوى الأفكار المحدوده و الأفق الإيماني الضيق، و من الذين يرون في إمكانات الخصم دليلا- معنويا على حقانيته، فالقرآن يعالج هذه الظاهره من خلال تفحص و استعراض تاريخ الأقوام السابقه، و يشير في استعراضه لهم إلى نماذج واضحه و معروفه منهم كالفراعنه في مصر، و النمارده في بابل، و أقوام نوح و عاد و ثمود في العراق و الحجاز و الشام، حتى لا- يشعر المؤمنون المستضعفون بالضعف و الهوان، و لكي يأسوا من جدوى مواجهه في حرب هي سجال بين



الطرفين، لكنّها بالوعد الإلهي الحتمي لا بدّ أن تنتهي لصالح أهل الحق.

إنّ القانون الإلهي لا يقضى دائما بتعجيل العقوبه الآنيه لكل من يرتكب عملا منافيا، أو لمن يخرج عن جاده الصواب و يحيد عن سبيل الرشد، و إنّما الأمر كما تقول الآيه (٥٩) من سوره الكهف، وَ جَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا .

و في مكان آخر من الكتاب الإلهي العظيم نقراً قوله تعالى: فَمَهَّلِ الْكَافِرِينَ أَمَّهُلُهُمْ رُؤْيِدًا (١).

و في الآيه (١٧٨) من «آل عمران» نلتقى في هذا المورد مع قوله تعالى: إِنَّمَا نُؤْمِلِي لَهُمْ لِيُرِدَادُوا إِنَّمًا .

نستطيع أن ننهي القول في أنّ الهدف من هذا «الإمهال» هو إما لإتمام الحججه على الكافرين، أو لاختبار المؤمنين، أو قد يكون زياده في ذنوب الذين قطعوا جميع طرق العوده على أنفسهم.

و في عالمنا اليوم تشبه هذه الحاله الشعور بالدونيه و الحقاره الذي تعيشه بعض الشعوب المسلمه المختلفه ماديا إزاء الدول الكبرى و المتقدمه، و لكن ينبغي مكافحه هذا الشعور بشده بأسلوب المنطق القرآني أعلاه.

علاوه على هذا يجب على هؤلاء أن يدركوا أنّ أشكال التخلف و الحرمان المادي إنّما تعود بدرجة كبيره إلى ظلم الظالمين، فإذا ما تحطمت سلاسل الظلم و العبوديه أمكن تجاوز التخلف بالمتابره و الكدح.

### ثانيا: المجادله في القرآن الكريم

لقد وردت كلمه «المجادله» خمس مرات في هذه السوره المباركه، و هي جميعا تختص بالمجادله السلبيه الباطله، و الآيات التي اشتملت على ذكر المجادله هي (٤،٥،٣٥،٥٦،٦٩) و بهذه المناسبه لا بأس بالتعرّض إلى بحث عن

ص: ١٨٨

الجدال من وجهه النظر القرآنيه.

«الجدال» و«المراء» موضوعان وردا كثيرا فى الآيات القرآنيه، و فى الأحاديث و الروايات الإسلاميه أيضا. و كتوطئه للبحث ينبغى أولا أن نميِّز أقسام الجدال (الجدال الإيجابى و الجدال السلبي) و ما هو المقصود من كل واحد منها، و علائم كل واحد منها، و أخيرا أضرار «الجدال السلبي» و كذلك عوامل الغلبه فى «الجدال الإيجابى».

و فى هذا الصدد أمامنا النقاط و العناوين الآتيه:

### أ- مفهوم «جدال» و «مراء»

«الجدال» و«المراء» و«الخصام» ثلاث مفردات متقاربه من حيث المعنى، و فى نفس الوقت يوجد ثمه اختلاف بينها (1).

«الجدال» يعنى فى الأصل اللغوى لف الحبل، ثم أخذ يطلق بعد ذلك على لف الطرف المقابل و النقاش الذى يتضمّن الغلبه.

«مراء» على وزن «حجاب» و تعنى الكلام فى شىء ما فيه مريه أو شك.

أمّا «الخصومه» و المخاصمه فتعنى فى الأصل إمساك شخصين كل منهما للآخر من جانبه، ثم أطلقت بعد ذلك على التشاجر اللفظى و الأخذ و الرد فى الكلام.

و كما يقول العلامة المجلسى فى (بحار الأنوار) فإنّ الجدال و المراء أكثر ما يستخدمان فى القضايا العلميه، فى حين تستخدم المخاصمه فى الأمور و المعاملات الدنيويه.

و يحدّد بعضهم الاختلاف بنى الجدال و المراء فى أنّ هدف المراء هو إظهار الفضل و الكمال، فى حين أنّ الجدال يستهدف تعجيز و تحقير الطرف المقابل.

ص: ١٨٩

وقالوا أيضا في الفرق بينهما: إن الجدل في القضايا العلمية، والمرء أعم من ذلك.

وقالوا أخيرا: إن المرء ذو طابع دفاعي في قبال هجوم الخصم، بينما الجدل أعم من الدفاع و الهجوم.

### ب:الجدال السلبي و الإيجابي

يظهر من الآيات القرآنية أنّ للفظ الجدل معانى واسعه،و يشمل كلّ أنواع الحديث و الكلام الحاصل بين الطرفين،سواء كان إيجابيا أم سلبيا،ففى الآيه (١٢٥)من سوره «النحل»نقرأ أمر الخالق تبارك و تعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه و اله و سلم فى قوله تعالى: وَ لَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .

و فى الآيه (٧٤)من سوره «هود»نقرأ عن إبراهيم عليه السلام: فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَ جَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ و الآيه تشير إلى النوع الإيجابي من المجادله.

و لكن أغلب الإشارات القرآنيه حول المجادله تشير إلى النوع السلبي منها، كما نرى ذلك واضحا فى سوره «المؤمن»التي نحن بصددھا،حيث أشارت إلى «المجادله»بمعناها السلبي خمس مرّات.

و فى كلّ الأحوال يتبيّن أنّ البحث و الكلام و الاستدلال و المناقشه لأقوال الآخريّن،إذا كان لإحقاق الحقّ و إبانه الطريق و إرشاد لجاهل،فهو عمل مطلوب يستحق التقدير،و قد يندرج أحيانا فى الواجبات.

فالقراّن لم يعارض أبدا البحث و النقاش الاستدلالي و الموضوعى الذى يستهدف إظهار الحق،بل حث ذلك فى العديد من الآيات القرآنيه.

و فى مواقف معينه طالب القراّن المعارضين بالإتيان بالدليل و البرهان فقال:

و فى المواقف التى كانت تتطلب إظهار البرهان و الدليل، ذكر القرآن أدله مختلفه، كما نقرأ ذلك فى آخر سورة «يس» حين جاء ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم و هو يمسك بيده عظما فقال له سائلا: مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ (٢) فذكر القرآن عددا من الأدله على لسان الرسول الأكرم فى المعاد و قدره الخالق على إحياء الموتى.

و فى القرآن نماذج اخرى واضحه على الجدال الإيجابى، كما فى الآيه (٢٥٨) من سورة البقره، التى تعكس كلام إبراهيم عليه السلام و أدلته القاطعه أمام نمرود.

و الآيات (٤٧-٥٤) من سورة «طه» تعكس تحاجج موسى و فرعون.

و كذلك نجد القرآن ملء بالأدله المختلفه التى أقامها رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم مقابل عبده الأصنام و المشركين و أصحاب الذرائع.

و من جهه اخرى يذكر القرآن الكريم نماذج اخرى من مجادلات أهل الباطل لإثبات دعاواهم الباطله من خلال استخدام السفسطات الكلاميه و الحجج الواهيه لابطال الحق و غوايه عوام الناس.

إنّ السخريه و الاستهزاء و التهديد و الافتراء و الإنكار الذى لا يقوم على دليل، هى مجموعه من الأساليب التى يعتمدها الظالمون الضالّون إزاء الأنبياء و دعواتهم الكريمه، أمّا الاستدلال الممزوج بالعاطفه و الحبّ و الرأفه بالناس فهو أسلوب الأنبياء، رسل السماء إلى الأرض.

فى الروايات الإسلاميه و التأريخ الإسلامى آثار كثيره و غنيه عن مناظرات الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله و سلم و أئمّه أهل البيت عليهم السلام مع المعارضين، و إذا ما توفر جهد معين

ص: ١٩١

١-١) -البقره، الآيه ١١١.

٢-٢) -سوره يس، الآيه ٧٨.

على جمعها و تصنيفها فإنها ستشكل كتابا كبيرا و ضخما للغاية.(و قد قام العلامة الشيخ الطبرسى بجمع بعضها فى كتابه «الإحتجاج»).

و بالطبع لم ينحصر مقام المجادله بالتي هى أحسن و مناظره الخصوم على المعصومين، بل إن الأئمة عليهم السّلام كانوا يحثون من يجدون فيه قدره الكافيه و المنطق القوى المتين للقيام بهذه الوظيفه، و الّا فقد تضعف جبهه الحق و يقوى عود خصومها، و يجدون فى أنفسهم الجراء فى مواجهه الحق و التمادى فى عنادهم.

و فى هذا الاتجاه نقرأ فى حديث، أنّ أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السّلام يلقّب ب«الطيار» و يدعى (حمزه بن محمّد) جاء إلى الإمام الصادق عليه السّلام و قال له: «بلغنى أنك كرهت مناظره الناس» فأجابه الإمام عليه السّلام

بقوله: «أما مثلك فلا يكره، من إذا طار يحسن أن يقع، و إن وقع يحسن أن يطير، فمن كان هذا لا نكرهه» (١).

كلام جميع يشير بوضوح كاف إلى القوه و المتاننه فى قدره الاستدلال و المناظره و خصم الطرف المقابل لمن يريد خوض المناظره مع الخصوم، كى يكون بمقدوره استخلاص النتائج و إنهاء البحث، فلا بدّ من حضور اشخاص مستعدين و لهم تسلط كاف على البحوث الاستدلاليه، حتى لا يحسب ضعف منطقتهم بأنّه من ضعف دينهم و مذهبهم.

### ج: الآثار السيئه للجدال السلبى

صحيح أنّ البحث و النقاش هو مفتاح لحل المشاكل، إلّا أنّ هذا الأمر يصح فى حال رغبه الطرفين فى نشدان الحق و البحث عن الطريق الصحيح، أو على الأقل يكون أحد الطرفين متمسكا بالحق و مستهدفا السبيل إليه فيما يخوض من

ص: ١٩٢

أمّا أن يكون النقاش و الجدل بين الطرفين بهدف التفاخر و استعراض القوه، و فرض الرأى على الطرف الثانى عن طريق إثارة الضجه، فإنّ عاقبه هذا الأمر لا تكون سوى الابتعاد عن الحق و عشعشه الظلمه فى القلوب و تجذّر العداة و الحقد لا غير.

و لهذا السبب نهت الروايات و الأحاديث الإسلاميه عن المراء و الجدل الباطل، و فى هذه المرويات إشارات كبيره المعنى إلى الآثار السيئه لهذا النوع من الجدل.

ففى حديث عن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب نقرأ قوله عليه السّلام: «من ضنّ بعرضه فليدع المراء» (١). لأنّ فى هذا النوع من النقاش سوف ينحدر بالكلام تدريجيا ليصل إلى مناحى الاستهانه و عدم الاحترام و تبادل الكلام المبتذل القبيح، و ترامى الاتهامات الباطله.

و

فى حديث آخر عن أمير المؤمنين أيضا نقرأ وصيته عليه السّلام إذ يقول:

«إياكم و المراء و الخصومه فإنّهما يمرضان القلوب على الإخوان، و ينبت عليهما النفاق» (٢).

إنّ مثل هذا النوع من الجدل و الذى يكون عاده فاقدا للالتزام بالأصول الصحيحه للبحث و الاستدلال، سيقوى روح اللجاجه و التعصّب و العناد لدى الأشخاص، بحيث يستخدم كلّ طرف-بهدف التغلب على خصمه و الانتصار لنفسه- كلّ الأساليب حتى تلك التى تنطوى على الكذب و التهمه، و مثل هذا العمل لا يمكن أن تكون عاقبته إلاّ السوء و الحقد و تنميه جذور النفاق فى الصدور.

ص: ١٩٣

١- (١) -نهج البلاغه، الكلمات القصار، رقم ٣٦٢.

٢- (٢) -أصول الكافى، المجلد الثانى، باب المراء و الخصومه، الحديث الأول.

إنّ واحده من المفاسد الكبيره الأخرى للجدال السلبي المنهئ عنه، هو تمسك الطرفين بانحرافاتهم و أخطائهم و إصرارهم على اشتباهاتهم، فى موقف عنيد بعيد عن الحق و الصواب، ذلك لأنّ كلّ طرف يحاول ما استطاع التمسك بأى دليل و التشبث بالباطل لفرض رأيه و إثبات كلامه، و هو فى ذلك مستعد لأنّ يتجاهل الكلام الحق الذى يصدر من خصمه، أو أنه ينظر إليه بعدم الرضا و القبول.

و هذا بحدّ ذاته يزيد من الانحراف و الاشتباه و الخطأ.

### **د: أسلوب المجادله بالتي هي أحسن:**

لا يستهدف «الجدال الإيجابي» تحقير الطرف الآخر أو الانتصار عليه، بل يهدف النفوذ إلى عمق أفكاره و روحه، لهذا فإنّ أسلوب المجادله بالتي هي أحسن يختلف كلياً عن الجدال السلبي أو الباطل.

و لكى يؤثر الطرف المجادل معنويان على الطرف الآخر، عليه الاستفادة من الأساليب الآتية التى أشار إليها القرآن الكريم بشكل جميل:

١- ينبغى عدم الإصرار على الطرف المقابل بقبول الكلام على أنّه هو الحق، بل على المجادل إذا استطاع أن يجعل الطرف المقابل يعتقد بأنّه هو الذى توصل إلى هذه النتيجة، و هذا الأسلوب سيكون أكثر تأثيراً. بعبارة أخرى: من المفيد للطرف المقابل أن يعتقد بأنّ النتيجة أو الفكرة نابعه من أعماقه و هي جزء من روحه، كى يتمسك بها أكثر و يدعن لها بشكل كامل.

و قد يكون هذا الأمر هو سر ذكر القرآن للحقائق المهمّة كالتوحيد و نفي الشرك و غير ذلك على شكل استفهام، أو أنّه بعد أن ينتهى من استعراض و ذكر

أدله التوحيد يقول: أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ (١).

٢- يجب الإمتناع عن كل من ما يثير صفة العناد و اللجاجه لدى الطرف الآخر، إذ يقول القرآن الكريم: وَلَا تَسْتَبِيحُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ (٢). كى لا يصر هؤلاء على عنادهم و يهينوا الخالق جل و علا بتافه كلامهم.

٣- يجب مراعاة منتهى الإيضاح فى النقاش مع أى شخص أو أى مجموعه، كى يشعر الطرف المقابل بأن المتحدث إليه يبغي حقًا توضيح الحقائق لا- غير، فعند ما يتحدث القرآن عن مساوى الخمر و القمار، فهو لا- يتجاهل المنافع الثانويه الماديه و الاقتصاديه التى يمكن أن يحصل عليها البعض منهما، فيقول:

قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا .

إن هذا الطراز من الحديث يحمل آثارا إيجابيه كبيره على المستمع.

٤- يجب عدم الرد بالمثل حيال المساوى و الأحقاد التى قد تطفح من الخصم، بل يجب سلوك طريق الرأفه و الحب و العفو ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلا، إذ أن الرد بهذا الأسلوب الودود يؤثر كثيرا فى تليين قلوب الأعداء المعاندين، كما يقول القرآن الكريم و يحث على ذلك: إِذْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣).

و الخلاصه، إننا عند ما ندقق فى أسلوب نقاشات الأنبياء عليهم السلام مع الأعداء و الظالمين و الجبارين، كما يعكسها القرآن الكريم، أو كما تعكسها تلك المناظرات العقائديه بين رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم أو أئمه أهل البيت المعصومين عليهم السلام و بين أعدائهم و خصومهم، ننتهى إلى دروس تربويه فى هذا المجال تطوى فى تضاعيفها

ص: ١٩٥

١- ١) - النمل، آيه ٦٠.

٢- ٢) - الأنعام- ١٠٨.

٣- ٣) - فصلت، الآيه ٣٤.



أدق الأساليب و الوسائل النفسيه التي تسهّل لنا النفوذ إلى أعماق الآخرين.

و بهذا الخصوص ينقل العلامه المجلسى فى (بحار الأنوار) روايه مفصّله عن رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم يضمنها مناظره طويله بين الرسول الأ-كرم و بين خمسه مجاميع مخاصمه هى: اليهود و النصارى و الدهريين و الثنوين (أتباع عقديه التثنيه فى التأليه) و مشركى العرب، تنتهى بسبب الأسلوب الحكيم الجميل و المؤثر الذى استخدمه رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم إلى قبول هؤلاء بالحق و إذعانهم و تسليمهم له.

إنّ هذه المناظره المريبه بإمكانها أن تكون لنا درسا بناء فى مناظراتنا و أساليب جدلنا و مناقشاتنا مع الآخرين (1).

ص: ١٩٦

---

١-١) - يمكن ملاحظه نصّها الكامل فى بحار الأنوار، المجلد التاسع، صفحه ٢٥٧ فما بعد.

اشاره

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩)

التفسير

اشاره

دعاء حملة المستمر للمؤمنين:

يتضح من أسلوب الآيات السابقة أنها نزلت في فتره كان فيها المسلمون قلّه محرومه، بينما كان الأعداء في أوج قوتهم، يتمتعون بالإمكانات الكبيره و يسيطرون على السلطه.

بعد ذلك نزلت الآيات التي نحن بصدددها لتكون بشرى للمؤمنين الحقيقيين

و الصابرين، بأنكم لستم وحدكم، فلا تشعروا بالغربه أبداً، فحمله العرش الإلهي و المقربون منه، و كبار الملائكة معكم يؤيدونكم، إنهم في دعاء دائم لكم، و يطلبون لكم من الله النصر في الدنيا و حسن الثواب في الآخرة... و هذا هو أفضل أسلوب للتعاطف مع المؤمنين في ذلك اليوم، و هذا اليوم، و غدا.

فالقرآن يقول: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا .

أما قولهم و دعاؤهم فهو: رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاثِقْ بِعِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَ رَحِيمٌ بِهِمْ فَاعْفُ عَنَّا رَبَّنَا وَ اتَّبِعُوا سَبِيلَكَ وَ قِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ .

يوضح هذا الكلام للمؤمنين بأنكم لستم وحدكم الذين تعبدون الله و تسبحونه و تحمدونه، فقبلكم الملائكة المقربون و حمله العرش و من يطوف حوله، يسبحون الخالق جلّ و علا و يحمدونه.

و هي من جانب آخر تحذر الكفار و تقول لهم: إن إيمانكم أو عدمه ليس مهماً، فالله غني عن العباد لا يحتاج إلى إيمان أحد، و هناك الملائكة يسبحون بحمده و يحمدونه و هم من الكثرة بحيث لا يمكن تصوّرهم بالرغم من أنه غير محتاج إلى حمد هؤلاء و تسيبهم.

و من جانب ثالث، في الآية إخبار للمؤمنين بأنكم لستم وحدكم في هذا العالم- بالرغم من أنكم أقلية في محيطكم- فأعظم قوه غيبية في العالم و حمله العرش هم معكم و يساندونكم و يدعون لكم، و هم في نفس الوقت يسألون الله أن يشملكم بعفوه و رحمته الواسعة، و أن يتجاوز عن ذنوبكم و ينجيكم من عذاب الجحيم.

و في هذه الآية تواجهنا مره اخرى كلمه (العرش) حيث ورد كلام عن حملته و الملائكة الذين يحيطون به، و بالرغم من أننا تحدثنا عن هذا الموضوع في تفسير

بعض السور، فإننا سنقف عليه مرّة أخرى في باب البحوث إن شاء الله (١).

في الآية التي تليها استمرار دعاء حملة العرش للمؤمنين، يقول تعالى:

رَبَّنَا وَادْخُلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ

و أيضا: وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ (٢).

لماذا؟ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

هذه الآية التي تبدأ بكلمة (ربّنا) التي يطلب حملة العرش والملائكة المقربون بها من خالقهم- بإصرار- أن يتلطف بعباده المؤمنين، ويركزون في هذا الطلب على مقام ربوبيته تعالى، وهؤلاء لا يريدون من خالقهم انقاذ المؤمنين من عذاب القيامة و حسب، بل إدخالهم في جنات خالده، ليس وحدهم وإنما مع آبائهم وأزواجهم وأبنائهم السائرين على خطهم في الاستقامة والإيمان... إنهم يطلبون الدعم من عزّته وقدرته، أما الوعد الإلهي الذي أشارت إليه الآية فهو نفس الوعد الذي ورد مرارا على لسان الأنبياء لعامة الناس.

أمّا تقسيم المؤمنين إلى مجموعتين، فهو في الواقع يكشف عن حقيقة أنّ هناك مجموعة تأتي بالدرجة الأولى، وهي تحاول أن تتبع الأوامر الإلهية بشكل كامل.

أمّا المجموعة الأخرى فهي ليست بدرجة المجموعة الأولى ولا- في مقامها، وإنما بسبب انتسابها إلى المجموعة الأولى و محاولتها النسبية في اتباعها سيشملها دعاء الملائكة.

بعد ذلك تذكر الآية الفقرة الرابعة من دعاء الملائكة للمؤمنين: وَ قِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ .

ثم ينتهي الدعاء بهذه الجملة ذات المعنى الكبير: وَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

ص: ١٩٩

١- ١) - كما في نهايه الآية (٥٤) من الأعراف، نهايه الآية (٧) من هود، و نهايه الآية (٢٥٥) من البقره.

٢- ٢) - جمله (من صلح) معطوفه على الضمير في جمله «و أدخلهم».

هل هناك فوز أعظم من أن تغفر ذنوب الإنسان، و يتعد عنه العذاب لتشمله الرحمه الإلهيه و يدخل الجنه الخالده، و ثم يلتحق به أقرباؤه الذين يودهم؟

**بحوث**

**أشاره**

### **أولاً: الأدعيه الأربعة لحمله العرش**

قد يطرح هنا هذا السؤال: ما هو التفاوت الموجود بين الأدعيه الأربعة؟ أليس بعضها مكرراً؟ عند التأمل و التدقيق يتبين أنّ كلّ واحد منها يشير إلى موضوع مختلف. ففي البدايه يطلب الملائكه غسل المؤمنين و تطهيرهم من آثار الذنوب، و هذا الأمر إضافه لكونه مطلوباً بذاته، فهو يعتبر مقدمه للوصول إلى أى نعمه كبيره. و إلاّ فهل هناك موهبه أعلى من أن يشعر الإنسان بأنّه أصبح طاهراً مطهراً، و أنّ خالقه جلّ و علا راض عنه، و هو أيضاً راض عن خالقه الكريم؟ إنّ هذا الإحساس -بغض النظر عن قضيه الجنه و النار يعتبر أمراً عظيماً و فخراً كبيراً بالنسبه للعباد.

فى مرحله ثانيه يطلب حمله العرش و الملائكه إبعاد المؤمنين و إنقاذهم من عذاب جهنّم. و هذا الأمر بحد ذاته يعتبر من أهم وسائل تحقيق الراحة و الرضا النفسيين.

المرحله الثالثه تنطوى على دعاء الملائكه و حمله العرش للمؤمنين فى طلب الجنه لهم و لأقربائهم أيضاً، حيث يعتبر هؤلاء الأقرباء الصالحون عاملاً من عوامل الراحة و الاستقرار النفسى.

و بسبب وجود (مؤذيات) اخرى مهمه فى يوم القيامه غير نار جهنّم، كهول المطّلع و المحشر، و الفضيحه أمام الخلائق، و طول الوقفه للحساب و أمثال ذلك، لذا

ص: ٢٠٠

طلبت الملائكة و حملة العرش فى أدعتهم الأخرى أن يحفظ الله المؤمنين و يقيهم من أى سوء أو مكروه فى ذلك اليوم، كى يدخلوا جنّه الخلد براحه بال و اطمئنان و احترام كامل.

### ثانيا: آداب الدعاء

فى هذه الآيات يعلم حملة العرش و الملائكة المؤمنين أسلوب الدعاء.

ففى البدايه ينبغى بالتمسك بكلمه «ربنا».

ثم مناداته تعالى بصفات الجلال و الجمال، و طلب العون من مقام رحمته المطلقه و علمه غير المتناهى: وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةٌ وَعِلْمًا.

و أخيرا الدعاء و طلب الحاجه بحسب أهميتها و بشروط توفّر الأرضيه للاستجابه: فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ .

ثم ينتهى الدعاء بذكر صفاته تعالى الجماليه و الجليليه، و التوسّل برحمته تعالى مرّه اخرى.

و الطّريف فى الأمر أنّ حملة العرش الإلهى يعتمدون على خمسة أوصاف إلهيه مهمّه فى دعائهم و هى: الربوبيه، و الرحمه، و القدره، و العلم، و الحكمه.

### ثالثا: لماذا تبدأ الأدعيه بكلمه «ربنا»؟

عند قراءه آيات القرآن الكريم نرى أنّ أولياء الله-سواء منهم الأنبياء أو الملائكه أو الصالحون- كانوا يبدأون كلامهم ب «ربنا» أو «ربى» عند الدعاء...

فآدم عليه السلام يقول: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا .

و نوح عليه السلام يقول: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِوَالِدَيَّ وَ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقول: رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَ لِوَالِدَيَّ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ .

أما يوسف عليه السلام فيقول: رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ .

و موسى الكليم عليه السلام يقول: رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً لِلْمُجْرِمِينَ .

أما سليمان عليه السلام فيقول: رب هب لي ملكاً لا يتبغى لأحدٍ من بعدي .

أما عيسى المسيح عليه السلام فيقول: رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ (١) .

و الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله و سلم يقول: رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٢) .

و على لسان المؤمنين نقرأ في أماكن متعدده كلمه «رَبَّنَا» في فاتحه الدعاء، ففي آخر سوره «آل عمران» نرى دعائهم: رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً .

من خلال هذه النماذج و المواقف نستنتج أنّ أفضل الدعاء هو ما يبدأ بالربوبيه صحيح أنّ الاسم المبارك «الله» هو أكثر شموليه لأسماء الخالق، و لكن لارتباط الحاجات بمقام الربوبيه، هذا المقام الذى يرتبط به الإنسان منذ اللحظة الأولى من وجوده و حتى آخر عمره، و تستمر بعد ذلك صفه الارتباط ب«الربوبيه» التى تغرق الإنسان بالألطف الإلهيه، لذا فإنّ ذكر هذه الكلمه فى بدايه الأدعيه يعتبر أكثر تناسبا من باقى الأسماء الأخرى (٣) .

#### رابعاً: ما هو العرش الإلهي؟

لقد أشرنا مرارا إلى أن ألفاظنا-الموضوعه أصلا لتوضيح مشخصات الحياه المحدوده-لا تستطيع أن توضّح عظمه الخالق، أو حتى أن تحيط بعظمه مخلوقاته جلّ و علا، لهذا السبب فليس أمامنا سوى استخدام ألفاظ و معانى للكنايه عن تلك العظمه.

و فى طليعه الألفاظ التى يشملها هذا الوضع كلمه (العرش) التى تعنى لغويا (السقف) أو (السرير ذا المسند المرتفع) فى قبال (الكرسى) الذى هو (سرير ذو

ص: ٢٠٢

١-١) -المائده، الآيه ١١٤.

٢-٢) -المؤمنين، الآيه ٩٧.

٣-٣) -التفسير الكبير، الفخر الرازى فى نهايه الآيه مورد البحث.

مسند منخفض). ثم استخدمت هذه الكلمه لتشمل (عرش) القدره الإلهيه.

و للمفسرين و الفلاسفه و المناطقه كلام كثير حول المقصود بالعرش، و ما ينطوى عليه من معنى كئائى.

فأحيانا فسروا العرش بمعنى (العلم اللامتناهى لله تبارك و تعالى).

و اخرى قالوا بأن المعنى هو (المالكيه و الحاكميه الإلهيه).

و فسروا العرش أيضا بأنه إشاره إلى أى واحده من الصفات الكماليه و الجلاليه لله تبارك و تعالى، لأن كل واحده من هذه الصفات توضح عظمه منزلته جلّ و علا، كما أنّ عرش السلطان (و الأمثال تضرب و لا تقاس) يوضح عظمته.

فالخالق جلّ و علا يملك عرش العلم، و عرش القدره، و عرش الرحمانيه، و عرش الرحيميه.

و طبقا للتفسير و الآراء الثلاثه هذه، فإنّ مفهوم (العرش) يعود إلى صفات الخالق جلّ و علا، و لا يعنى وجود خارجى آخر له.

و فى بعض الزوايات الوارده عن أهل البيت عليه السّلام، ما يشير إلى هذا المعنى، ففى روايه عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه أجاب عند ما سئل عن معنى قوله تعالى: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ شأنه (1).

و فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السّلام أيضا أنّه فسّر (العرش) بأنه «العلم» الذى كشفه و علّمه الله للأنبياء عليهم السلام، بينما (الكرسى) هو «العلم» الذى لم يعلمه لأحد و لم يطلع عليه أحد (2).

و بين أيدينا تفاسير اخرى استندت إلى روايات إسلاميه، ففسّرت العرش و الكرسي بأنهما موجودات عظيمه من مخلوقات الله تبارك و تعالى.

قالوا-مثلا- إنّ المقصود بالعرش هو مجموع عالم الوجود.

ص: ٢٠٣

١-١) -بحار الأنوار، المجلد ٥٨، صفحه ٢٨، الحديث رقم ٤٦، ٤٧.

٢-٢) -المصدر السابق.



وقالوا أيضا: هو مجموع الأرض و السماء المتجسده ضمن هذا الكرسي، بل إنّ السماء و الأرض كالخاتم في الصحراء الواسعه  
مقايسه بينهما و بين (الكرسي) ثم قالوا: إنّ «الكرسي» في مقابل العرش كالخاتم في الصحراء الواسعه.

و في تفاسير اخرى تستند بدورها إلى روايات إسلاميه، أطلقوا كلمه (العرش) للكنايه عن قلوب الأنبياء و الأوصياء و المؤمنين  
التامين الكاملين، كما جاء ذلك

في الحديث: «إنّ قلب المؤمن عرش الرحمن» (١).

و

في حديث قدسي نقرأ قوله تعالى: «لم يسعني سمائي و لا أرضي، و وسعني قلب عبدي المؤمن» (٢).

أما أفضل الطرق لإدراك معنى العرش - بمقدار ما تسمح به قابليه الإنسان و استيعابه - فهو أن نبحث موارد استعمال هذه الكلمه  
في القرآن الكريم، و نتفحص مدلولاتها بشكل متأن.

في آيات كثيره من كتاب الله نلتقى مع هذا التعبير، كما في قوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ (٣). ثم يرد تعبير يُدَبَّرُ الْأَمْرَ فِي  
بعض الآيات التي تأتي بعد مفاد الآيه أعلاه (آيه العرش) أو ترد جمل اخرى تعبّر عن علم الله و درايه الخالق جلّ و علا.

في آيه اخرى من القرآن الكريم يوصف العرش بالعظمه: وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٤).

و أحيانا نتحدث الآيه عن حملة العرش، كما في الآيه التي نحن بصدددها.

و من الآيات ما نتحدث عن الملائكه المحيطه بالعرش، كما في قوله تعالى:

ص: ٢٠٤

١-١ - بحار الأنوار، المجلد ٥٨، صفحه ٣٩.

٢-٢ - بحار الأنوار، المجلد ٥٨، صفحه ٣٩.

٣-٣ - الأعراف، الآيه ٥٤.

٤-٤ - التوبه، الآيه ١٢٩.

و فى آيه اخرى نقرأ قوله تعالى: وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ .

من خلال مجموع هذه الموارد، و التعابير الأخرى الواردة فى الأحاديث و الروايات الإسلاميه، نستنتج بشكل واضح أنّ كلمه (العرش) تطلق على معانى مختلفه بالرغم من أنّها تشترك فى أساس واحد.

فأحد معانى العرش هو مقام (الحكومه و المالكيه و خلق عالم الوجود) إذ تلاحظ أنّ الاستخدام الشائع للعرش يدلل -من خلال الكنايه- على سيطره الحاكم على أمور دولته، فنقول مثلاً: «فلان شلّ عرشه» و التعبير كنايه عن انهيار قدرته و حكومته.

و المعنى الآخر من معانى العرش هو، «مجموع عالم الوجود» لأنّ كلّ الوجود هو دليل على العظمه.

و أحياناً يستخدم العرش بمعنى «العالم الأعلى» و الكرسي بمعنى «العالم الأدنى».

و يستخدم العرش أحياناً بمعنى (عالم ما وراء الطبيعه) و الكرسي بمعنى (مجموع عالم ماده) بما فى ذلك الأرض و السماء، كما جاء فى آيه الكرسي:

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ .

و لأنّ علم الخالق لا ينفصل عن ذاته المنزهه، لذا فإنّ كلمه (عرش) تطلق أحياناً على «علم الله».

و إذا أطلق وصف (عرش الرحمن) على القلوب الطاهره لعباد الله المؤمنين، فذلك يعود إلى أنّ هذا المكان هو محل معرفه الذات الإلهيه المنزهه، و هو بحدّ ذاته أحد أدله عظمته و قدرته جلّ و علا.

من كلّ ذلك يتضح أنّ كافه معانى العرش -التي وردت آنفا- توضح عظمه

الخالق جلّ و علا.

و فى الآيه التى نحن بصدد بحثها يمكن أن يكون المقصود من العرش هو نفس حكومه الله تعالى و تدبيره لعالم الوجود، و حملة العرش يقومون بتنفيذ إرادته الله الحاكمه فى الخلق.

و يمكن أن يكون المعنى هو مجموع عالم الوجود أو عالم ما وراء الطبيعه. أمّا حملة العرش الإلهى فهم الملائكه الذين تقع عليهم مسئوليه تدبير أمر هذا العالم بأمر الله تعالى.

ص: ٢٠٦

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (١٠) قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْنَا  
إِثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١١) ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَخِدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ  
الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢)

التفسير

اشاره

اعترفنا بذنوبنا فهل من خلاص؟

تحدثت الآيات السابقة عن شمول الرحمة الإلهية للمؤمنين، أما مجموعه الآيات التي بين أيدينا فهي تتحدث عن «غضب» الله تعالى على الكافرين، كى يكون بالمستطاع المقارنه بين صورتين و مشهدين متقابلين.

فى البدايه تقول الآيه: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ .

من الذى ينادى هؤلاء بهذا النداء؟ يبدو أن ملائكة العذاب ينادونهم بهذا النداء لتوبيخهم و فضحهم، فى مقابل ما

تفعله ملائكة الرحمة من إكرام المؤمنين و الصالحين.

و يحتمل أن يكون هذا النداء من نوع التخاطب و التخاصم الذى يقوم بين الكفار فى القيامة، لكن المعنى الأول أرجح كما يبدو، و على كل حال سينطلق هذا النداء يوم القيامة، كما أنّ الآيات اللاحقه شاهد على هذا المعنى.

«المقت» تعنى فى اللغه البغض و العداوه الشديده. و هذه الآيه تبين أن غضب الله تعالى على الكافرين هو أشد من عداوتهم لأنفسهم أما فيم يتعلق بمقت الكفار لأنفسهم، فهناك تفسيران:

الأول: يتمثل فى ارتكاب هؤلاء فى الحياه الدنيا لأكبر عداوه إزاء أنفسهم برفضهم لنداء التوحيد، فهم لم يهملوا مصابيح الهدايه و حسب، بل عمدوا إلى تحطيمها. فهل ثمه عداه للنفس أكثر من أن يغلق الإنسان أمامه أبواب السعاده الأبدية، و يفتح على نفسه أبواب العذاب.

و طبقا لهذا التفسير يكون قوله تعالى: إِذْ تَدْعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ بيانا لكيفيه مقت و عداوه الكافرون أنفسهم.

الثانى: أن يكون المقصود بغضبهم و عداوتهم لأنفسهم هو أن تصيبهم حاله من الألم و الندم الشديد عند ما يشاهدون يوم القيامة نتيجة أعمالهم و ما اقترفت أيديهم فى هذه الدنيا، حيث ترتفع آهاتهم و صرخاتهم، و يعضون على أناملهم من الندم، و لات ساعه مندم يقول تعالى: وَ يَوْمَ يَعَضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ (١). و يتمنون أن يكونوا ترابا: وَ يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (٢).

و فى ذلك اليوم تفتح آفاق البصر: فَبَصُرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٣) و تنكشف الأسرار و الحقائق الخفيه: يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٤). و فى ذلك اليوم تنشر الصحف و تكشف

ص: ٢٠٨

١-١ - فرقان، الآيه ٢٧.

٢-٢ - نبأ، الآيه ٤٠.

٣-٣ - سوره ق، الآيه ٢٢.

٤-٤ - الطارق، الآيه ٩.

الأعمال: وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١). و عندها تكون النتيجة: كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (٢). لذلك سيلوم هؤلاء أنفسهم بشده و يتنفرون منها و سيكون على مصيرهم.

و هنا يأتي النداء: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَادَوْنَ لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ .

و طبقا لهذا التفسير تكون جملة: إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ بيانا لدليل شدة الغضب الإلهي عليهم (٣).

بالطبع فإن كلا التفسيرين مناسب، إلا أن التفسير الأول بلحاظ بعض الأمور -أرجح.

عند ما يشاهد المجرمون أوضاع يوم القيامة و أهوالها، و يرون مشاهد الغضب الإلهي حيالهم، سيستبهون من غفلتهم الطويلة و يفكرون بطريق للخلاص، فيعترفون بذنوبهم و يقولون: قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ .

عند ما تزول حجب الغرور و الغفلة، و ينظر الإنسان بالعين الحقيقية، فلا سبيل عندها سوى الاعتراف بالذنوب! إن هؤلاء كانوا يصرون على إنكار المعاد، و يستهزئون بوعيد الأنبياء لهم،

ص: ٢٠٩

١-١) -التكوير، آيه ١٠.

٢-٢) -الإسراء، الآيه ١٤

٣-٣) -طبقا للتفسير الأول تكون (إذ) ظرفيه و متعلقه ب«مقتكم أنفسكم» أمّا طبق التفسير الثاني فتعتبر (إذ) تعليليه و متعلقه ب«مقت الله» و الجدير بالملاحظة أن المقتين الواردين في الآية أعلاه يرتبطان بأربعة احتمالات هي: الأول: أن يكون مكان الإثنين في يوم القيامة. الثاني: أن يكون مكانهما في هذه الدنيا. الثالث: أن يكون المقت الأول في الدنيا و الثاني في الآخرة. أما الرابع: فهو عكس الثالث. و لكن الأفضل وفقا للتفسير أعلاه أن يختص الأول بالآخرة. و الثاني بالدنيا، أو أن يختص الاثنان بالآخرة.

و لكن بعد توالى الموت و الحياه لا يبقى مجال للإنكار، و قد يكون سبب تكرارهم للموت و الحياه، أنهم يريدون القول: يا خالقنا الذى تملك الموت و الحياه، أنت قادر على أن تعيدنا إلى الدنيا مره اخرى كى نعوض ما مضى.

ذكر المفسرون عدّه تفاسير حول المقصود من قوله تعالى: **أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ** و من بين هذه التفاسير هناك ثلاثه آراء نقف عليها فيما يلى:

أولاً: أن يكون المقصود من **أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ** هو الموت فى نهايه العمر، و الموت فى نهايه البرزخ. أمّا المقصود من **أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ** فهى الإحياء فى نهايه البرزخ و الإحياء فى القيامة.

و لتوضيح لذلك، نرى أن للإنسان حياه اخرى بعد الموت تسمى الحياه البرزخيه، و هذه الحياه هى نفس حياه الشهداء التى يحكى عنها قوله تعالى: **بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١)**، و هى نفس حياه النبى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ** و الأئمه من أهل البيت عليهم السلام، حيث يسمعون سلامنا و يردون عليه.

و هى أيضا نفس حياه الطغاه و الأشقياء كالفراعنه الذين يعاقبون صباحا و مساء بمقتضى قوله تعالى: **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَ عَشِيًّا (٢)**.

و من جانب آخر نعرف أن الجميع، من الملائكه و البشر و الأرواح، ستموت فى نهايه هذا العالم مع أول نفخه من الصور: **فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ (٣)**. و لا يبقى أحد سوى الذات الإلهيه (بالطبع على خلاف ما أوضحناه فى نهايه الآيه (٨٦) من سوره الزمر بين موت و حياه الملائكه و الأرواح، و بين موت و حياه الإنسان).

ص: ٢١٠

١-١) - آل عمران، الآيه ١٦٩.

٢-٢) - غافر، الآيه ٤٦.

٣-٣) - الزمر، الآيه ٦٨.

و على هذا الأساس فإنَّ هناك حياه جسمانيه و حياه برزخيه، ففي نهايه العمر يحل الموت بحياتنا الجسمانيه، لكن فى نهايه العالم يحل بحياتنا البرزخيه.

يترتب على ذلك أن تكون هناك حياتان بعد هذين الموتين: حياه برزخيه، و حياه فى يوم القيامه.

و هنا قد يطرح البعض هذا السؤال: إننا فى الواقع نملك حياه ثالثه هى حياتنا فى هذه الدنيا، و هى غير هاتين الحياتين، و قبلها أيضا كُنَّا فى موت قبل أن نأتى إلى هذه الدنيا، و بهذا سيكون لدينا ثلاث موتات و ثلاثه إحياءات.

و لكن الجواب يتوضح عند التدقيق فى نفس الآيه، فالموت قبل الحياه الدنيا (أى فى الحاله التى كُنَّا فيها ترابا) يعتبر «موتا» لا «إماته» و أمَّا الحياه فى هذه الدنيا فالبرغم من أنَّها مصداق للإحياء، إلا أنَّ القرآن لم يشر إلى هذا الجانب فى الآيه أعلاه، لأنَّ هذا الإحياء لا- يشكّل عبره كافيه بالنسبه للكافرين، إذ الشىء الذى جعلهم يعون و يعترفون بذنوبهم هو الحياه البرزخيه أولًا، و الحياه عند البعث ثانيًا.

ثانيا: إنَّ المقصود بالحياتين، هو الإحياء فى القبر لأجل بعض الأسئلة، و الإحياء فى يوم القيامه، و إنَّ المقصود بالموتتين، هما الموته فى نهايه العمر، و الموته فى القبر.

لذلك اعتبر بعض المفسرين هذه الآيه دليلا على الحياه المؤقته فى القبر.

أمَّا عن كيفيه حياه القبر، و فيما إذا كانت جسمانيه أو برزخيه. أو نصف جسمانيه، فهذه كَلِّها بحوث ليس هنا مجال الخوض فيها.

ثالثًا: إنَّ المقصود بالموته الأولى، هو الموت قبل وجود الإنسان فى هذه الدنيا، إذ أنَّه كان ترابا فى السابق، لذا فإنَّ الحياه الأولى هى الحياه فى هذه الدنيا، و الموت الثَّانى هو الموت فى نهايه هذا العالم، فيما الحياه الثانيه هى الحياه عند



و الذين يعتقدون بهذا التفسير يستدلون بالآيه (٢٨) من سوره «البقره» حيث قوله تعالى: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .

إلا أن الآيه التي نبحتها تتحدث عن إمامتين، في حين أن آيه سوره البقره تتحدث عن حياه واحده و إمامته واحده (١) .

يتضح من مجموع التفاسير الثلاثه هذه أن التفسير الأول هو الأرجح.

و لا بأس أن نشير إلى أن بعض مؤيدى «التناسخ» أرادوا الاستدلال بهذه الآيه على الحياه و الموت المكرر للإنسان، و عوده الروح إلى الأجساد الجديده في هذه الدنيا، في حين أن الآيه أعلاه تعتبر إحدى الأدله الحيه على نفى التناسخ، لأنها تتحدّد الموت و الحياه في مرتين، إلا أن أنصار عقيدته «التناسخ» يقولون بالموت و الحياه المتعدّده و المتوالى، و يعتقدون بأن روح الإنسان الواحد يمكن أن تتجسد و تحل مرأت اخرى في أجساد جديده، و نطف جديده و ترجع إلى هذه الدنيا.

من الطبيعي أن يكون الجواب على طلب الكافرين بالعوده إلى هذه الدنيا للتكفير عمّا فاتهم هو الرفض. و هذا الرفض من الوضوح بحيث لم تشر إليه الآيات التي نبحتها.

لكن نستطيع أن نعتبر الآيه التي بعدها دليلا على ما نقول، إذ نقول: ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَ إِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا .

فعند ما يدور الكلام عن التوحيد و التقوى و الأوامر الحقه تشمئزون و تحزنون، أما إذا دار الحديث عن الكفر و النفاق و الشرك فستفرحون و تنبسط

١-١) -احتمل بعض المفسرين أن الآيه أعلاه تشير إلى «الرجعه» إلا أن مراعاة عموميه الآيه و شمولها لجميع الكافرين، و عدم ثبوت عموميه الرجعه لهم جميعا، يجعل هذا التفسير قابلا للنقاش.

أسارىركم، لذلك ستكون عاقبتكم ما رأيتم.

و هنا نطرح هذا السؤال: كيف نربط هذا الجواب مع طلبهم العوده إلى هذه الدنيا؟ إن الآيه تفيد أنّ حقيقه أعمال هؤلاء لم تكن محدوده بزمن معين، و لم تكن مؤقتة، بل كانت دائميّه، لذلك فلو عادوا إلى الحياه مرّه اخرى فإنهم سيستمرون على هذا الوضع، أمّا هذا الإيمان و التسليم و الإذعان الذى رأيناه منهم يوم القيامه، فهو اضطرارى و ليس عن قناعه حقيقيه.

ثمّ إنّ اعتقادات هؤلاء و أعمالهم و نياتهم السابقه تستوجب خلودهم فى الجحيم، لذا فلا يمكن عوده هؤلاء إلى الدنيا مع هذا الوضع.

و هذا الوضع يختص بالأفراد الذين تجذّر الكفر و الشر و الذنب فى أعماقهم، و هؤلاء هم الذين يصفهم القرآن بأنّ نفوسهم تشمئز عند ذكر الله تعالى وحده، و يفرحون عند ذكر الأصنام: **وَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ إِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١)**.

إنّ هذا الوصف لا يختص بالمشركين فى زمن رسول الله صلى الله عليه و اله و سلّم فحسب، إذ يشهد زماننا مثل هؤلاء من ذوى القلوب الميتة، الذين يفرون من الإيمان و التوحيد و التقوى، و يقبلون على الكفر و النفاق و الفساد.

لذلك نقرأ فى بعض الروايات عن أهل البيت عليهم السّلام، فى تفسير هذه الآيه، أنّها تختص بقضيه (الولاية) إذ يتأذى البعض عند سماعها (أى الولاية) و يفرحون عند سماع أسماء أعداء أهل البيت عليهم السّلام هذا التفسير هو من باب انطباق المفهوم، العام على المصداق، و ليس من باب تقييد كلّ المفهوم الذى تطويه الآيه بهذا المصداق).

و فى نهايه الآيه، و من أجل أن لا ييأس هؤلاء المشركون ذوو القلوب

ص: ٢١٣

المظلمه، تقول الآيه إِنَّ الْحَاكِمِيه تَخْتَص بِذَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ إذ لا يوجد غيره قاض و حاكم فى محكمه الآ-خره، و لا- يوجد غيره على و كبير، فلا- يستطيع أحد أن يغلبه أو أن يؤثر عليه أو على حكمه بفديه أو غرامه أو وساطه، فالحاكم المطلق هو، و الجميع يطيعونه، و لا يوجد طريق للهرب من حكمه.

ملاحظه

اشاره

### الدعاء البعيد عن الإجابة!

ليست هذه المره الأولى التى تواجهنا فيها طلبات أهل النار أو الكفار الذين يريدون العوده إلى هذه الدنيا، فىكون الجواب بالنفى. لقد طرحت الآيات بالقرآنيه هذا الموضوع عدّه مرّات.

فى سورة الشورى الآيه (٤٤) نقرأ أن الظالمين بعد أن يروا العذاب يقولون:

هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ .

و فى الآيه (٥٨) من سورة الزمر، ورد على لسان المذنبين و غير المؤمنين عند رؤيتهم العذاب: أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَىٰ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ .

و فى الآيه (١٠٧) من سورة «المؤمنون» نقرأ قوله تعالى حكاية على لسان أمثال هؤلاء القوم: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ .

مجموعه أخير عند ما يحل بها الموت و ترى ملائكه الموت تطلب من الله تعالى العوده فتقول: رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ (١) .

إلا أن هذه الطلبات تردع دوما بكلمه «كلا» أو ما شابه ذلك.

ص: ٢١٤

و بذلك يتضح أنّ المفهوم القرآنى يؤكّد على أنّ الحياه فى هذه الدنيا هى تجربه لا يمكن تكرارها بالنسبه للشخص، لذا يجب إبعاد هذا الوهم من العقول بأننا إذا متنا و واجهنا العذاب فسوف نعود الى هذه الدنيا و نجبر ما فات حيث لا إمكان للعوده إلى هذه الحياه بعد الموت.

و ملاك هذا الأمر واضح، ففى قانون التكامل لا- يمكن الرجوع و العوده، كما لا- يمكن عوده الطفل إلى بطن أمه وفقا لهذا القانون، سواء كان هذا الطفل قد اكتمل نموه فى بطن أمه أو لم يكتمل و ولد ناقصا، إذ العوده غير ممكنه أصلا.

كذلك الموت الذى هو فى الواقع ولاده ثانويه، و انتقال من عالم الدنيا هذه إلى عالم آخر، و هناك تعتبر العوده ضربا من المحال.

إضافه إلى ذلك لا- يمكن اعتبار اليقظه الاضطراريه التى تنتاب الناس-الذين تتحدث عنهم الآيه-دليلا على الاقتناع أو اليقظه الحقيقيه، إذ عند ما تخف أسبابها سيعود النسيان و الغفله مره اخرى، و سيتم تكرار نفس الأعمال، كما نرى ذلك واضحا فى هذه الدنيا لدى الكثير من الناس الذين يتوجهون إلى خالقهم عند ما تضيق عليهم الحياه، و يلجئون أبواب التوبه، إلا أنّهم بمجرد هدوء العواصف ينسون كل شىء و كأنّهم لم يدعوا الله إلى ضر مسّهم!!

اشاره

هُوَ الَّذِي يُرِيكُم آيَاتِهِ وَيُنزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ (١٣) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ  
(١٤) رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥)

التفسير

اشاره

ادع الله وحده رغما على الكافرين:

هذه الآيات المتضمنه للنصيحه و التهديد و الإنذار استدلال على المسائل المطروحه فى الآيات السابقه،فهى استدلال على التوحيد و الربوبيه و نفى الشرك و عباده الأصنام.

تقول الآيه أولا: هُوَ الَّذِي يُرِيكُم آيَاتِهِ .

فهى نفس الآيات و العلائم الآفاقية و الأنفسية التى تملأ عالم الوجود، و تستوعب بإشراقها أركانه،و تضع بصماتها و آثارها العجيبه على جدران الوجود و جميع أرجاءه.

ثم توضح واحده من هذه الآيات: وَ يُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا .

قطرات المطر تعطى الحياه، و نور الشمس يحيى الكائنات، و الهواء سرّ الوجود و الحياه، حياه جميع الكائنات، حيوانات نباتات، أناس... كلّها تنزل من السماء. و تشكّل هذه الأثافي الثلاث فيما بينها قوام الحياه، حيث تتفرع الأشياء الأخرى من أصولها.

بعض المفسّرين أطلق على السماء اسم «عالم الغيب» و على الأرض اسم «عالم الشهود» و نزول الرزق من السماء إلى الأرض هو بمعنى الظهور من عالم الغيب إلى عالم الشهود.

و لكن هذا التفسير فضلا عن منافاته لظاهر الآيه، لم نعثر له على دليل و شاهد، صحيح أنّ الوحي و الآيات، هما غذاء الروح، ينزلان من سماء الغيب، و أنّ المطر و الشمس و النور التي تعتبر غذاء الجسد تنزل من السماء الظاهريه، و هما متناسقان مع بعضهما. و لكن ينبغي أن لا- نتصوّر أن عبارته (آياته) التي نحن بصددنا تشير إلى مفهوم أوسع، أو تشير بالخصوص إلى الآيات التشريعيه، لأنّ عبارته يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وردت مرارا في القرآن الكريم، و هي عادة ما تطلق على الآيات الداله على التوحيد في عالم الوجود.

مثلا في أواخر هذه السوره (المؤمن) و بعد ذكر النعم الإلهيه، من قبيل الزواحف و الفلك تقول: **و يُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ (١)**.

إنّ تعبير «يريككم» ينسجم في العاده مع الآيات التكوينيّه، بينما جرت العاده في الآيات التشريعيه على استخدام تعابير مثل (أوحى) و (يأتاكم).

من هنا يتبيّن أنّ اعتبار هذه الآيات بمعنى الآيات التشريعيه، و أنّها أعم من التشريعيه و التكوينيّه، كما يذهب بعض كبار المفسّرين القدماء و المحدثين إلى ذلك، لا يستند إلى دليل، و لا تقوم عليه حجّه.

و لكن من الضروري أن نلتفت إلى أنّ القرآن يختار الإشاره إلى آيه الرزق

ص: ٢١٧

من بين آيات الله المبهوثه فى السماء و الأرض و فى وجود الإنسان، ذلك لأنّ الرزق هو أكثر ما يشغل البال و الفكر، و أحيانا نرى الإنسان يستنجد بالأصنام من أجل زياده الرزق، و إنقاذه من وضعه المتردى، لذا يأتى القرآن ليؤكد أن جميع الأرزاق هى بيد الله و لا تستطيع الأصنام أو غيرها أن تفعل أى شىء .

و أخيرا تضيف الآيه الكريمة: برغم جميع هذه الآيات البينات التى تسود هذا العالم الواسع، و تغمد الوجود بضياؤها، إلا أنّ العيون العمياء و القلوب المحجوبه لا- تكاد ترى شيئا، و إنّما يتذكر فقط- من ينبى إلى خالقه و يغسل قلبه و روحه من الذنوب: وَ مَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ .

□  
الآيه التى بعدها ترتب نتيجة على ما سبق فتقول: فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ انهضوا و اضربوا الأصنام و حطموها بفؤوس الإيمان، و امحوا آثارها من ذاكره الفكر و الثقافه و المجتمع.

و من الطبيعى أنّ وفتكم الربانيه هذه ستؤذى الكافرين و المعاندين، لكن عليكم أن لا- تسمحو للخوف أن يسترب الى قلوبكم، أخلصوا تياتكم: وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ .

ففى المجتمع الذى يشكل فيه عبده الأصنام الغاليه، يكون طريق أهل التوحيد موحشا فى بادئ الأمر، مثل شروق الشمس فى بدايات الصباح الأولى وسط عالم الظلام و الخفافيش، لكن عليكم أن لا تركنوا إلى ردود الأفعال غير المدروسه، تقدموا بحزم و إصرار، و ارفعوا رايه التوحيد و الإخلاص، و انشروها فى كل مكان.

تصف الآيه التى تليها خالق الكون و مالك الحياه و الموت، بعض الصفات المهمه، فتقول: رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ فهو تعالى يرفع درجات العباد الصالحين كما فى قوله تعالى: يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ (١) .

ص: ٢١٨

وحتى بين النبيين فقد فضل الله بعضهم على بعض بسبب اجتيازهم للامتحان و الاختبار أكثر من غيرهم، فأخلصوا لله تعالى بمراتب أعلى و أفضل: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ (١).

لقد استخلف الله الإنسان في هذه الأرض، و جعل منه خليفته، و فضل البعض على البعض الآخر وفقا لاختلاف الخصائص و القابليات لدى الإنسان: وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَ رَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ (٢).

فإذا كانت الآيه السابقه قد دعت إلى الإخلاص في الدين، فإن الآيه التي بين أيدينا تقول: إن الله تبارك و تعالى سوف يرفع درجاتكم بمقدار إخلاصكم، فهو رفيع الدرجات.

إن صحه كل هذه المعاني منطوه بتفسير (رفيع) بالرافع، إلا أن البعض ذهب إلى أن (رفيع) في الآيه بمعنى (المرتفع) و بناء على هذا المعنى فإن رفيع الدرجات تشير إلى الصفات العاليه الرفيعه لله تعالى، فهو رفيع في علمه، و في قدرته، و في جميع أوصافه الكماليه و الجماليه، هو تعالى رفيع في أوصافه بحيث أن عقل الإنسان برغم قابليته و استعداده لا يستطيع أن يدركها.

و بحكم أن اللغة تعطى صلاحيه متساويه للمعنيين الآنفين لكلمه (رفيع) فإن التفسيرين واردان، و لكن لأن الآيه تتحدث عن إعطاء الأجر لعباد الله الصالحين، و الذي هو الدرجات الرفيعه، لذا فإن المعنى الأول أظهر.

لكن لا- مانع من الجمع بين التفسيرين، لأننا نعتقد جواز استخدام اللفظ لأكثر من معنى، خصوصا في إطار الآيات التي تشمل ألفاظها على معاني كبيره و واسعه.

تضيف الآيه بعد ذلك قوله تعالى: ذُو الْعَرْشِ .

ص: ٢١٩

١- ١) -البقره، الآيه ٢٥٣.

٢- ٢) -الأنعام، الآيه ١٦٥.



فكل عالم الوجود تحت حكمته و في قبضته، و لا منازع له في حكمته، و هذا بحد ذاته دليل على أنّ تحديد درجات العباد حسب أفضليتهم إنّما يتمّ بقدرته تعالى.

و بما إنّنا تحدثنا بالتفصيل عن «العرش» فلا حاجة هنا للتكرار.

و في وصف ثالث تضيف الآيه أنّه هو تعالى الذي: يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِ عَلِيٍّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ و هذه الروح هي نفس القرآن و مقام النبوه و الوحي، حيث تحيي هذه الأمور القلوب، و تكون في الإنسان كالروح بالنسبه لجسد الإنسان.

إنّ قدرته من جانب، و درجاته الرفيعه من جانب آخر، تقتضى أن يعلن عزّ و جلّ عن برنامجه و تكاليفه عن طريق الوحي، و هل ثمّه تعبير أجمل من الروح، هذه الروح التي هي سرّ الحياه و الحركة و النشاط و التقدم.

لقد ذكر المفسرّون احتمالات متعدده لمعنى الروح، لكن من خلال القرائن الموجوده في الآيه، و ممّا تفيدّه الآيه (٢) من سوره «النحل» التي تقول: يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ عَلِيٍّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ و كذلك ممّا تفيدّه آيه (٥٢) من سوره «الشورى» التي تخاطب الرسول صلّى الله عليه و اله و سلّم و توضح له نزول القرآن و الإيمان و الروح بقوله تعالى: وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ مِنْ كَلِّ ذَلِكَ يَتَبَيَّنُ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالرُّوحِ فِي الْآيَةِ الَّتِي نَحْنُ بِصَدِّدِهَا، هُوَ الْوَحْيُ وَالْقُرْآنُ وَ التَّكْلِيفُ الْإِلَهِيُّ.

تفيد عبارته (من أمره) أنّ ملك الوحي المكلف بإبلاغ هذه الروح، إنّما يتحدث و يتكلم بأمر الله لا من عند نفسه.

أمّا قوله تعالى: عَلِيٍّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فلا- تعنى أنّ هبه الوحي تعطى لأى كان، لأن مشيئته تعالى هي عين حكمته، و كل من يجده مؤهلا لهذا المنصب يخصه بهذا الأمر، كما نقرأ في الآيه (١٢٤) من سوره الأنعام حيث قوله تعالى: اللَّهُ أَعْلَمُ

حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ .

و عند ما نجد بعض الروايات المرويه عن أهل البيت عليهم السّلام تفسّر الروح فى الآيه أعلاه ب«روح القدس» و تخصّصها بالنبي صلى الله عليه و اله و سلّم و الأئمّه المعصومين من أهل البيت عليهم السّلام، فإنّ ذلك لا يتعارض مع ما قلناه، لأنّ «روح القدس» هى نفس الروح العلويه المقدسه و المنصب المعنوى العظيم الذى يتجسّد كاملا فى الأنبياء و الأئمّه المعصومين عليهم السّلام، و كثيرا ما يتجلّى جزء منها فى الأشخاص الآخرين الذى متى ما ساعدتهم فيوضات روح القدس فإنّه سيقومون بأعمال مهمّه، و تنطق لسانهم بالحكمه. (لمزيد من التوضيح يمكن مراجعه تفسير الآيه ٨٧ من سوره البقره).

و الملفت للنظر هنا أنّ الآيات السابقه كانت تتحدث عن رزق الأجساد من مطر و نور و هواء، فيما تتحدث هذه الآيات عن الرزق «الروحي» و المعنوى المتمثل فى نزول الوحي.

و الآن لنرى ما هو الهدف من إنزال روح القدس على الأنبياء عليهم السّلام، و لماذا يسلك الأنبياء هذه الطرق الطويله المليئه بالعقبات و الصعاب.

الإجابة يقدمها القرآن فى نهايه الآيه بقوله: لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ .

إنّه اليوم الذى يلتقى فيه العباد بخالقهم...

إنّه اليوم الذى يلتقى فيه السابقون باللاحقين...

إنّه اليوم الذى يجمع على ساحه القيامه بين رموز الحق و قاداته، و رموز الباطل و زعامته و أنصاره...

إنّه يوم لقاء المستضعفين بالمستكبرين...

إنّه يوم التقاء الظالم و المظلوم...

هو يوم التقاء الإنسان و الملائكه...

و أخيرا، يوم التلاق، هو يوم التقاء الإنسان مع أعماله و أقواله فى محكمه

العدل الإلهى.

إذا، هدف بعثه الأنبياء و نزول الكتب السماويه هو تحذير الإنسان من يوم التلاقى الكبير...إنه لاسم عجيب (يوم التلاق)الذى  
انتخبته الآيه اسما ليوم القيامة!

ص: ٢٢٢

### اشاره

يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧)

### التفسير

### اشاره

### يوم التلاقى!

هذه الآيات و التي تليها، هي توضيح و تفسير (يوم التلاق) و هو اسم ليوم القيامة.

في هاتين الآيتين تم ذكر بعض خصوصيات القيامة و كل واحد أكثر إثارة من الأخرى.

يبين تعالى أن يوم التلاقى، هو: يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ... إنه اليوم الذى تزول فيه جميع الحجب و الأستار، و كتوطئه له ستزول الموانع الماديه كالجبال الراسيات مثلا، و تصبح الأرض قاعاً صَفْصَفاً كما يصفها القرآن فى الآية (١٠٦) من سوره طه.

و من جانب آخر سيخرج الناس من قبورهم، ثم تنكشف الأسرا الباطنيه

والمخفيه: يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (١).

و يوم تخرج الأرض ما تطويه في بطونها: وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢).

و يوم تنشر صحف الأعمال و ينكشف محتواها: وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (٣).

في يوم التلاق تتجسد الأعمال التي اقترفها الإنسان و تبدو حاضره أمامه:

يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ

(٤)

و في ذلك اليوم تنكشف الأسرار التي كان يطويها الإنسان بداخله و يتكنم عليها: بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ (٥).

و في ذلك اليوم المهول ستشهد الأعضاء على أعمال الإنسان، و ستشهد- أيضا- الأرض و تكشف ما ارتكب عليها: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٦).

في ذلك اليوم سيطوى الكون، و سيظهر الإنسان بكل وجوده، و يبرز الكون و ما عليه، و لا تبقى من خافيه: وَ بَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا (٧).

إنه منظر مهول و مشهد موحش!! و يكفينا لتصور هول ذلك اليوم نتخيل... و لو للحظه واحده... منظر هذه الدنيا و قد حلت بها شرائط القيامة؟ لنرى أى فرع سينتاب البشريه و تحل بها! و كيف تتقطع العلاقات و الروابط في ذلك اليوم لذلك على الإنسان أن يستعد، و أن يعيش بشكل لا يخشى فيه انكشاف المستور من أوضاعه، و أن تكون أعماله و أفعاله بحيث لا يقلق منها لو ظهرت و انكشفت أمام الملائ.

الوصف الثانى لذلك اليوم المهول، هو انكشاف أمر الناس بحيث لا يخفى

ص: ٢٢٤

١-١ (١) - الطارق، الآيه ٩.

٢-٢ (٢) - الزلزال، الآيه ٢.

٣-٣ (٣) - التكوير، الآيه ١٠.

٤-٤ (٤) - النبأ، الآيه ٤٠.

٥-٥ (٥) - الأنعام، الآيه ٢٨.

٦-٦ (٦) - الزلزال، الآيه ٤.



شئ منها على الله تعالى: لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ .

بالطبع... في هذه الحياه لا يخفى من أمر الإنسان شئ على الله العالم المطلق، إذ يتساوى لدى ذاته المطلقه غير المتناهيه المخفى والظاهر، والشاهد والغائب. فلما ذا- إذا- ذكر القرآن الجملة أعلاه على أنها تفسير لجملة يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ؟ إن سبب ذلك يعود إلى أنّ «البروز» في ذلك اليوم يكون مؤكداً أكثر، بحيث أنّ الآخرين سيطلعون على أسرار بعضهم البعض. أمّا بالنسبه لله فالمسأله لا تحتاج إلى بحث أو كلام.

الخصوصيه الثالثه ليوم التلاقى هو انبساط الحاكميه المطلقه لله تعالى، و يظهر ذلك من خلال نفس الآيه التي تسأل عن الحكم و الملك في ذلك اليوم: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟ يأتي الجواب: لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ .

من الذي يطرح السؤال، و من الذي يجيب عليه؟ الآيه لا تتحدّث عن ذلك، و التفاسير مختلفه في هذا الصدد.

ذهب البعض الى أنّ السؤال يطرح من قبل الله جلّ و علا، أمّا الجواب فيأتي من الجميع، مؤمنين و كافرين (١).

و ذهب آخرون الى أنّ السؤال و الجواب كلاهما من قبل الخالق عزّ و جلّ (٢).

قسم ثالث يعتقد أنّ «المنادى الإلهي» هو الذي يطرح السؤال، و هو الذي يجيب عليه.

و لكن يبدو من الظاهر أنّ هذا السؤال و جوابه لا يطرحان من قبل فرد معين، بل هو سؤاله يطرحه الخالق و المخلوق، الملائكه و الإنسان، المؤمن و الكافر،

ص: ٢٢٥

١-١) -مجمع البيان، أثناء تفسير الآيه.

٢-٢) -الميزان: ذيل الآيه مورد البحث.

تطرحه جميع ذرات الوجود، وكلهم يجيئون عليه بلسان حالهم، بمعنى أنك أينما تنظر تشاهد آثار حاكميته، وأينما تدقق ترى علائم قاهريته واضحه.

فلو أصحت السمع إلى أى ذره من ذرات الوجود، لسمعتها تقول: لِمَنِ الْمُلْكُ و فى الجواب تسمعها نفسها تقول: لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ .

وقد نرى فى هذه الدنيا نموذجا مصغرا لذلك، فعند ما ندخل إلى بيت أو مدينه أو بلد معين، فإننا نحسن بقدره شخص معين، و بانسباط حاكميته، و كأن الجميع يقولون- كل بلسان حاله- إن المالك أو الحاكم هو فلان، و تشهد على ذلك حتى الجدران!! و بالطبع، فى هذا اليوم أيضا تطغى الحاكميه الإلهيه على كل شىء، و تبسط قدرتها فى كل الأرجاء، لكن فى يوم القيامه سيكون لها ظهور و بروز من نوع جديد، فهناك لا يوجد كلام عن حكومه الجبارين، و لا نسمع ضجيج الطواغيت السكارى، و لا نرى أثرا لإبليس و جنوده و جيوشه من الإنس و الجن.

الخصوصيه الرابعه لذلك اليوم، هو كونه يوم جزاء: الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ . أجل، إن ظهور و بروز الاحاطه العلميه لله تعالى و حاكميته و مالكيته و قهاريته كلها أدله واضحه على هذه الحقيقه العظيمه المنخيفه من جهه، و المفرحه من جهه اخرى.

أما الخصوصيه الخامسه لذلك اليوم، فهى ما يختصره قوله تعالى: لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ .

و كيف يمكن أن يحصل الظلم، فى حين أن الظلم إما أن يكون عن جهل، و الله عز و جل قد أحاط بكل شىء علما.

و إمّا أن يكون عن عجز، و الله عز و جل هو القاهر و المالك و الحاكم على شىء، لذا لا مجال لظلم أحد فى محضر القدس الإلهى و فى ساحه القضاء الإلهى العادل.



الصفه السادسه و الأخيره ليوم التلاقى،هى سرعه الحساب لأعمال العباد، كما نقرأ ذلك فى قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ .

و سرعه الحساب بالنسبه لله تعالى تجرى كلمح البصر،و هى بدرجة بحيث نقرأ عنها

فى حديث: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحْسَبُ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ فِى مَقْدَارِ لَمَحِ الْبَصْرِ» (١).

و أساسا فإنه مع القبول بمسأله تجسّم الأعمال و بقاء آثار الخير و الشر فإن مسأله الحساب مسأله محلولة؟فهل أن الأجهزه المتطوره فى هذه الدنيا التى تحسب مقدار العمل فى أثناء العمل بحاجه الى زمان؟! و قد يكون الغرض من تكرار سَرِيعِ الْحِسَابِ فى مواضع مختلفه من القرآن الكريم هو عدم انخداع الناس العاديين بوساوس الشيطان و إغوائته،و من يتبعه من الذين يثيرون الشكوك بإمكانيه محاسبه الخلائق على أعمالهم التى قاموا بها خلال آلاف سحيقه من السنين و عصور التأريخ.

إضافه إلى أن هذا التعبير يستبطن معنى التحذير لجميع الناس بأنّ ذلك اليوم لا مجال فيه للمجرمين و الظالمين و القتله،و لا تعطى لهم الفرصه كما يحصل فى هذه الدنيا،حيث يترك ملف الظلمه و القتله لشهور و سنين.

ص: ٢٢٧

---

١-١) - فى مجمع البيان،نهايه الحديث عن الآيه (٢٠٢) من سوره البقره.

اشاره

وَ أَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠)

التفسير

اشاره

يوم تبلغ القلوب الحناجر:

هذه الآيات تستمر- كالأيات السابقة- فى وصف القيامة- يوم التلاقى- و تحدّد سبع خصائص للقيامة و الحوادث المهوله و المدهشه التى تدفع بكل انسان مؤمن نحو التفكير و التأمل بالحياه و المصير.

يقول تعالى: وَ أَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ .

«الآزفه» باللغه بمعنى (القريب) و يا لها من كنايه عجيبيه، حيث أطلق سبحانه على يوم القيامة يوم الآزفه كى لا يظن الجهله أن هناك فتره طويله تفصلهم عن ذلك اليوم، فلا ينبغى- و الحال هذه- أن ينشغل المرء بالتفكير به! و إذا نظرنا بتأمل فسنجد أن عمر الدنيا بأجمعه لا يعادل سوى لحظه زائله

حيال يوم القيامة، ولأنَّ الله تبارك و تعالی لم يذكر أىَّ تاريخ لهذا اليوم المهول، حتى للأنبياء عليهم السّلام، لذا يجب الاستعداد دائماً لاستقبال ذلك اليوم.

الوصف الثّانى ليوم الأزقه هو: إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ مِنْ شَدَةِ الْخَوْفِ.

فعند ما تواجه الإنسان الصعوبات يشعر و كأنَّ قلبه يفر من مكانه، و كأنَّه يريد أن يخرج من حنجرته، و العرب فى ثقافتها اللغويه التى نزل بها القرآن تطلق على هذه الحاله وصف «بلغت القلوب الحناجر».

و يمكن أن يكون (القلب) كناية عن (الروح) بمعنى أنَّ روحه بلغت حنجرته هلعا و خوفا، كأنما تريد أن تفارق بدنه تدريجيا و لم يبق منها سوى القليل.

إنَّ هول الخوف من الحساب الإلهى الربانى الدقيق، و الخشيته من الافتضاح و انكشاف الستر و الحجب أمام جميع الخلائق، و تحمّل العذاب الأليم الذى لا يمكن الخلاص منه، كلّ هذه أمور سيواجهها الإنسان و لا يمكن وصفها و شرحها بأى بيان.

الصفه الثّالثه لذلك اليوم تعبر عنها الآيه ب كَاطِمِينَ أَي إِنَّ الْهَمَّ وَ الْغَمَّ سَيَشْمَلُ كُلَّ وَجُودِهِمْ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ إِظْهَارَ ذَلِكَ أَوْ إِبْدَاءَهُ.

«كاطم» مشتقّه من «كظم» و هى فى الأصل تعنى غلّتى فوهه القربه المملوءه بالماء، ثمَّ أطلقت بعد ذلك على الأشخاص المملوئين غضبا إلاَّ أنّهم لا يظهره لاسبب من الأسباب.

قد يستطيع الإنسان المغموم المحزون أن يهدأ او يستريح بالصراخ، لكن المصيبه حينما لا- يستطيع هذا الإنسان حتى عن الصراخ... فما ذا ينفع الصراخ فى محضر الخالق جلّ و علا و فى ساحه عدله و عند ما تنكشف جميع الأسرار امام جميع الخلائق.

الصفه الرّابعه ليوم التلاقى هو يوم: مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ. أى صديق نعم، أنّ تلك المجموعه من الأصدقاء الكاذبين التى تحيط بالشخص كذبا و تملقا- كما

يحيط بالذباب بالحلويات-طمعا في مقامه و قدرته و جاهه و ماله. إن هؤلاء في هذا اليوم مشغولون بأنفسهم لا ينفعون أحدا...و هو يوم لا تنفع فيه لا صداقه و لا خله.

الصفه الخامسة تقول عنها الآيه: **وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ**.

ذلك أن شفاعه الشفعاء الحقيقيين كالأنبياء و الأولياء إنما تكون بإذن الله تعالى، و على هذا الأساس لا مجال لتلك التصورات السقيمه لعبده الأصنام، الذين كانوا يعتقدون في الحياه الدنيا أن أصنامهم ستشفع لهم في حضره الله جلّ و علا.

و في المرحله السادسه تذكر الآيه أحد صفات الخالق جلّ و علا، و التي تعتبر في نفس الوقت وصفا لكيفيه القيامه، حيث تقول: **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١)**.

إنّ الله تبارك و تعالى يعلم الحركات السريه للعيون و ما تخفيه الصدور من أسرار، و سيقوم تعالى بالحكم و القضاء العادل عليها، و هو بعلمه سيجعل صباح الظالمين المذنبين مظلما.

و عند ما سئل الإمام الصادق عليه السلام عن معنى الآيه فأجاب:

«ألم تر إلى الرجل ينظر إلى الشيء و كأنه لا ينظر إليه، فذلك خائنه الأعين» (٢). أى يوهم أنه لا ينظر إليه.

قد يتأول البعض بنظره إلى أعراض الناس و إلى ما يحرم النظر إليه، و قد يستطيع الفاعل أن يخفى فعلته عن الآخرين، لكن ذلك لا يخفى عن علم الله المحيط بكل ذرات الوجود إذ: **لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ**

ص: ٢٣٠

١ - ١) - هناك احتمالان من حيث التركيب النحوي لجمله «يعلم خائنه الأعين»: الأول: أن (خائنه) لها معنى مصدرى و تعنى الخيانه (مثل كاذبه و لاغيه بمعنى كذب و لغو). و يحتمل أن تكون (اسم فاعل) من باب تقديم الصفه، أى أنها تعنى فى الأصل (الأعين الخائنه).

٢ - ٢) - تفسير الصافى أثناء الحديث عن الآيه.

وقد روى أنه (لما جىء بعبد الله بن أبي سرح إلى رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم بعد ما اطمأن أهل مكّه و طلب له الأمان عثمان صمت رسول الله طويلا ثم قال (نعم) فلما انصرف

قال رسول الله لمن حوله: «ما صمت طويلا- إلا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه» فقال رجل من الأنصار: فهلا أو أومأت إلى يا رسول الله، فقال: «إن النبي لا تكون له خائنه الأعين» (٢).

و بالطبع فإنّ لخيانه العين أشكال مختلفه، إذ تتمثل في بعض الأحيان باستراق النظر إلى ما يحرم كالنساء و غيرهن، و أحيانا تتمثل بإشارات معينه للعين تهدف تحقير الآخرين و الاستهزاء بكلامهم. و قد تكون حركات العين مقدمه المخططات شيطانيه ضدّ الآخرين.

إنّ من يؤمن بالحساب الدقيق في الآخرة، عليه أن يراعى حدود التقوى في خائنه الأعين و خطرات الفكر، و واضح أنّ استحضار عناصر الرقابه هذه لها مؤداهها التربوي الكبير في سلوك الإنسان و حياته.

و في قصص الوعظ المتداوله في مجالس العلماء، يقال أن أحد كبار العلماء عند ما أنهى دراسته الدينيه في النجف الأشرف، طلب من أستاذه عند ما أراد الرجوع إلى بلده أن يعظه و ينصحه، فقال له الأستاذ: بعد كلّ هذا التعب و تحمّل مضايق الدراسه و التحصيل فإنّ آخر نصيحتي لك هي أن لا تنسى أبدا قوله تعالى أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (٣).

المؤمن الحقيقي يعتبر العالم كلّه حاضرا عند الله تعالى، و إنّ كلّ الأعمال تتم في حضوره، و ينبغي لهذا الحضور الإلهي أن يكون رادعا كافيا للخجل و الكف

ص: ٢٣١

١-١) - سبأ، الآية ٣.

٢-٢) - تفسير القرطبي ذيل الآية.

٣-٣) - العلق، الآية ١٤.

□  
الآيه التى تليها تتحدث عن صفه سابعه للقيامه تتمثل فى قوله تعالى: وَ اللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ .

□  
أما غيره: وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ .

فى ذلك اليوم يختص الله وحده بالقضاء، و هو جلّ جلاله لا يقضى إلاّ بالحق، لأنّ القضاء بغير الحق -بالظلم مثلا و الانحياز- إما أن يعود إلى الجهل و عدم المعرفة، و الله محيط بكل شىء، حتى بما يموج فى الضمائر و ما تكنه السرائر. أو أنه يكون نتيجة للعجز و الاحتياج، و هذه صفات هى أبعد ما تكون عن ذات الله جلّ جلاله.

إنّ هذا التعبير يحمل فى مؤداه دليلا كبيرا على توحيد المعبود و العباده، لأنّ من يكون له حق القضاء فى النهايه يستحق العباده حتما أما الأصنام التى لا تنفع شيئا فى هذا العالم، و لا تكون فى القيامه مرجعا للحكم و القضاء، فكيف تستحق العباده.

و من الضرورى أن نشير أيضا إلى أنّ للحكم و القضاء بالحقّ معانى واسعه، إذ هى تشمل عالم التكوين و عالم التشريع، حيث، و ردت كلمه «قضى» فى الآيات القرآنيه لتشمل المعنيين، ففى مكان نقرأ قوله تعالى: وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ (١) حيث تنطوى الآيه على القضاء التشريعى. و فى آيه اخرى نقرأ قوله تعالى: إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٢).

و فى الختام و للتأكيد على المطالب المذكوره فى الآيات السابقه تضيف الآيه (إن الله هو السميع البصير).

١-١) -الإسراء، الآيه ٢٣.

٢-٢) -آل عمران، الآيه ٤٧.

فهو تعالى سميع و بصير بمعنى الكلمه،أى إنّ كلّ المسموعات و المبصرات حاضره عنده،و هذا تأكيد على إحاطته و علمه بكل شىء،و قضاوته بالحق،إذ ما لم يكن الشخص سميعا و بصيرا مطلقا فلا يستطيع أن يقضى بالحق،

ص: ٢٣٣

اشاره

أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ آثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (٢١) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاكْفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٢)

التفسير

اشاره

اعتبروا بعاقبه أسلافكم الظالمين:

إنَّ أسلوب القرآن الكريم في كثير من الآيات أنه بعد أن يتعرض لكليات القضايا الحساسه و المهمه يمزجها ببعض المسائل الجزئيه و المحسوسه و يأخذ بيد الإنسان ليريه الحوادث الماضيه و الحاليه. لذلك فإن الآيات التي بين أيدينا تتحدث عن أحوال الأمم الظالمه السابقه و منهم فرعون و الفراعنه و ما حلَّ بهم من جزاء أليم، و تدعوا الناس للاعتبار بمصير أولئك، بعد ما كانت الآيات السابقه قد حدَّثتنا عن يوم القيامه و صفاته و طبيعه الحساب الدقيق الذي ينطوى عليه.

يقول تعالى: أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا



إِنَّ الذى تحكيه الآيات و تدعوننا للاعتبار به ليس تاريخاً مدوناً نستطيع أن نشكك فى طبيعه الوثائق و النصوص المكوّنه له، و إنما هو تاريخ حى ينطق عنه نفسه، و ينبض بالعبره و العظمه، فهذه قصور الظالمين الخربه، و ما تركوه، من جنات و عيون، و هذه مدن الأشقياء التى نزل بساحتها العذاب و الانتقام الإلهى، و ها هى عظامهم النخره التى يطويها التراب، و القصور المدفونه تحت الأرض... ها هى كلّها تحكى عظمه الدرس، و عظيم العبره، خصوصاً و أنّ القرآن يزيدنا معرفه بهؤلاء فيقول عنهم: **كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ آثَاراً فِي الْأَرْضِ .**

كانوا يملكون السلطات القويه، و الجيوش العظيمه، و المدينه الباهره التى لا يمكن مقايستها بحياه مشركى مكه.

إنّ تعبير **أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً** يكشف عن قوتهم السياسيه و العسكريه، و عن قوته الاقتصاديه و العلميه أيضاً.

أمّا التعبير فى قوله تعالى: **آثَاراً فِي الْأَرْضِ** فلعله إشاره إلى تقدمهم الزراعى العظيم، كما ورد فى الآية (٩) من سوره «الروم» فى قوله تعالى: **أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ آثَارُوا الْأَرْضَ وَ عَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا .**

و قد يكون التعبير القرآنى إشاره إلى البناء المحكم العظيم للأمم السابقه، ممّا قاموا به فى أعماق الجبال و بين السهول، كما يصف القرآن ذلك فى حال قوم «عاد»: **أَتَتُّونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبُوثُونَ وَ تَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١) .**

و لكن عاقبه هؤلاء القوم، بكل ما انطوت عليه حياتهم من مظاهر قوه و حياه و نماء، هى كما يقول تعالى: **فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِمَذُنُوبِهِمْ وَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ .**

فلم تنفعهم كثرتهم و لم تمنعهم أموالهم و قدرتهم و شوكتهم من العذاب الإلهى

عند ما نزل بساحتهم.

لقد وردت كلمه «أخذ» مرارا فى القرآن الكرىم بمعنى العقاب، وهى إشاره إلى «أخذ» القوم أو الجماعه قبل أن ينزل بها العقاب، تماما كما يقبض أولا على الشخص المجرم، ثم يتم عقابه.

الآيه التى بعدها فيها تفصيل لما قيل سابقا بإيجاز، بقوله تعالى: **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا** . فلم يكن الأمر أنهم كانوا غافلين و لم يعرفوا الأمر، و لم يكن كفرهم و ارتكابهم الذنوب بسبب عدم إتمام الحجّه عليهم، فلقد كانت تأتيهم رسلهم تترأ، كما يستفاد من قوله تعالى: **كَانَتْ تَأْتِيهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَخْضَعُوا لِلْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ**، كانوا يحطمون مصابيح الهدايه، و يديرون ظهورهم للرسول، و كانوا-أحيانا- يقتلونهم! و حينئذ: **فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ** و عاقبتهم أشد العقاب- **إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ** . إذ هو فى مواطن الرأفه أرحم الراحمين و فى مواضع الغضب أشد المعاقبين.

ص: ٢٣٦

اشاره

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ قَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَ اسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَ مَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٥) وَ قَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَ لْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ (٢٦) وَ قَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧)

التفسير

اشاره

ذروني أقتل موسى!!

بعد أن أشارت الآيات السابقة إلى العقابه الأليمه للأقوام السابقه، فقد شرعت الآيات التي بين أيدينا بشرح واحده من هذه الحوادث، من خلال قصه موسى و فرعون، و هامان و قارون.

قد يبدو للوهله الأولى أن قصه موسى عليه السلام مكرره في أكثر من سوره من سور

القرآن الكريم، و لكن التأمل في هذه الموارد يظهر خطأ هذا التصور، إذ يتبين أن القرآن يتطرق الى ذكر القصة في كل مره من زاويه معينه، و في هذه السوره يتعرض القرآن للقصة من زاويه دور «مؤمن آل فرعون» فيها. و الباقي هو بمشابه أرضيه ممهده لحكاية هذا الدور.

يقول تعالى وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُّبِينٍ .

أرسله تعالى: إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ قَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ .

لقد ذكر المفسرون عدّه تفاسير في الفرق بين «الآيات» و «السلطان المبين» فالبعض اعتبر «الآيات» الأدله الواضحه، بينما «السلطان المبين» هي المعجزات.

و البعض الآخر اعتبر «الآيات» آيات التوراه، بينما «السلطان المبين» المعجزات.

و احتمال البعض الثالث أن «الآيات» تشمل كل معجز موسى عليه السّلام، أمّا «السلطان المبين» فهو المعجز الكبيره كالعصا و اليد البيضاء، التي تسببت في غلبته الواضحه على فرعون.

و منهم من اعتبر «الآيات» المعجزات، بينما فسّر «السلطان المبين» بالسلطه القاهره و النفوذ الإلهي لموسى عليه السّلام و الذي كان سببا في عدم قتله و عدم فشل دعوته.

لكن الملاحظ أنّ هذه الآراء بمجموعها لا تقوم على أدله قويه واضحه، و لكن نستفيد من الآيات القرآنيه الأخرى أنّ «السلطان المبين» يعنى -في العاده- الدليل الواضح القوي الذي يؤدي إلى السلطه الواضحه، كما نرى ذلك واضحا في الآيه (٢١) من سوره النمل «أثناء الحديث عن قصه سليمان عليه السّلام و الهدهد حيث يقول تعالى على لسان سليمان: وَ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْيِدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ، لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ فَالسلطان المبين هنا هو الدليل الواضح للغيبه.

و فى الآيه (١٥) من سوره الكهف قوله تعالى: لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ .

أما «الآيات» فقد وردت فى القرآن مرارا بمعنى المعاجز.

و بناء على هذا فإن «آيات» فى الآيه التى نحن بصددھا تشير إلى «معجزات موسى» بينما يشير «سلطان مبین» إلى منطق موسى عليه السلام القوى و أدلته القاطعه فى مقابل الفراعنه.

إن موسى عليه السلام كان يزواج بين منطق العقل، و بين الأعمال الإعجازيه التى تعتبر علامه كافيه على ارتباطه بعالم الغيب و بالله تعالى، و لكن فى المقابل لم يكن للفراعنه من منطق سوى اتهامه بالسحر أو الكذب. لقد اتهموه بالسحر فى مقابل الآيات و المعجزات التى أظهرها، و كذبوه مقابل منطقهم و استدلاله العقلانى على الأمور. و هذا ما يؤيد الرأى الذى اخترناه فى تفسير «آيات» و «سلطان مبین».

و بالنسبه للطواغيت و الفراعنه لا يملكون أصلا سوى منطق الاتهام، و أسلوب إطلاق الشبهات على رجال الحق و دعائه.

و الذى يلفت النظر فى الآيه الكريمه إشارتها إلى ثلاثه أسماء، كل واحد منها يرمز لشيء معين فى سياق الحاله السائده آنذاك، و التى يمكن أن تجد مماثلاتها فى أى عصر.

«فراعون» نموذج للطغاه و العصاه و حكام الظلم و الجور.

«هامان» رمز للشيطنه و الخطط الشيطانيه.

«قارون» نموذج للأثرياء البغاه، و المستغلين الذين لا يهمهم أى شيء فى سبيل الحفاظ على ثروتهم و زيادتها.

و بذلك كانت دعوه موسى عليه السلام تستهدف القضاء على الحاكم الظالم، و المخططات الشيطانيه لرموز السياسه فى حاشيه السلطان الظالم، و بتر تجاوزات الأثرياء المستكبرين، و بناء مجتمع جديد يقوم على قواعد العداله الكامله فى

المجالات السياسيّه و الثقافيّه و الاقتصاديّه. و لكن من وقعت مصالحوه اللامشروعو في خطر! قصدوا لمقاومه هذه الدعوه الإلهيه.

الآيه التي بعدها تتعرض إلى بعض مخططات هؤلاء الظلمه في مقابل دعوه النبي موسى عليه السلام: فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَ اسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ .

و ما نستفيدو من الآيه هو أنّ قضيه قتل الأبناء و الإبقاء على النساء فقط لم يقتصر-كأسلوب طاغوتي-على الفتره التي سبقت ولاده موسى عليه السلام فحسب، و إنّما تمّ تكرار هذه الممارسه أثناء نبوه موسى عليه السلام، فالآيه (١٢٩) من سوره الأعراف تؤيد هذا الرأي، حيث تحكى على لسان بنى إسرائيل قولهم لموسى عليه السلام:

أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَ مِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا .

لقد صدر هذا القول عن بنى إسرائيل بعد أن قام فرعون بقتل أبناء المؤمنين منهم بدعوه موسى عليه السلام.

و في كلّ الأحوال، يعبر هذا الأسلوب عن واحده من الممارسات و الخطط المشؤومه الدائمه للقدرات الشيطانيه الظالمه التي تستهدف إباده و تعطيل الطاقات الفعّاله، و ترك غير الفاعلين للإفاده منهم في خدمه النظام.

لقد كان «بنور إسرائيل» قبل موسى عليه السلام عبدا للفراعنه، لذلك لم يكن من العجيب أن تبادر سلطات فرعون بعد بعثه موسى عليه السلام و شيوع دعوته إلى اعتماد الخطه المعاديه في قتل الأبناء و استحياء النساء، بهدف الانتقام و الإباده الشديده لبنى إسرائيل كي تتعطل فيهم عوامل الصمود و المقاومه.

و لكن ما هي نتيجه كلّ هذا الكيد؟ القرآن يجيب: وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ .

أعمالهم سهام تطلق في ظلام الجهل و الضلال فلا تصيب سوى الحجاره! لقد قضى الله تعالى بمشيئته أن ينتصر الحق و أهله، و أن يزهد الباطل و أنصاره.

لقد اشتد الصراع بين موسى عليه السّلام و أصحابه من جانب، و بين فرعون و أنصاره من جانب آخر. و وقعت حوادث كثيرة، لا يذكر القرآن عنها كثيرا في هذه الفقرة، و لتحقيق هدف خاص يذكر القرآن أنّ فرعون قرّر قتل موسى عليه السّلام لمنع انتشار دعوته و للحيلولة دون ذبوعها، لكنّ المستشارين من «الملا» من القوم عارضوا الفكرة.

يقول تعالى: **وَ قَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ .**

نستفيد من الآيه أنّ أكثره مستشاريه أو بعضهم على الأقل كانوا يعارضون قتل موسى، لخوفهم أن يطلب عليه السّلام من ربّه نزول العذاب بساحتهم، لما كانوا يرون من معجزاته و أعماله غير العاديه، إلا أنّ فرعون -بدافع من غروره- يصير على قتله مهما تكن النتائج.

و بالطبع، فإنّ سبب امتناع «الملا» عن تأييد فكره فرعون في قتل موسى غير معلوم، فهناك احتمالات كثيرة قد يكون بعضها أو كلّها صحيحة....

فقد يكون الخوف من العذاب الإلهي -كما احتملنا- هو السبب.

و قد يكون السبب خشية القوم من تحوّل موسى عليه السّلام بعد استشهاده إلى هاله مقدّسه، و هو ممّا يؤدي إلى زيادة عدد الأتباع و المؤمنين بدعوته، خاصة إذا ما وقعت حادثه قتله بعد قضيه لقاء موسى مع السحرة و انتصاره الإعجازي عليهم.

و ما يؤكّد هذا المعنى هو أنّ موسى جاء في بدايه دعوته بمعجزتين كبيرتين (العصا و اليد البيضاء) و قد دعا هذا الأمر فرعون إلى أن يصف موسى عليه السّلام بالساحر، و أن يدعوه للمنازله مع السحرة في ميقات يوم معلوم (يوم الزينه) و كان يأمل الانتصار على موسى عليه السّلام عن هذا الطريق، لذا بقى في انتظار هذا اليوم.

و بمشاهده هذا الوضع ينتفى احتمال أن يكون فرعون قد صمّم على قتل

موسى قبل حادث يوم الزينه خشيه من تبدل دين اهل مصر (١).

خلاصه القول: إن هؤلاء يعتقدون أن موسى عليه السلام مجرد حادث صغير و محدود، بينما يؤدي قتله في مثل تلك الظروف إلى أن يتحول إلى تيار... تيار كبير يصعب السيطرة عليه.

البعض الآخر من المقربين لفرعون ممن لا يميل إليه، كان يرغب ببقاء موسى عليه السلام حيا حتى يشغل فكر فرعون دائما، كي يتمكن هؤلاء من العيش بارتياح بعيدا عن عيون فرعون، و يفعلون ما شاؤوا من دون رقابته.

و هذا الأمر يعبر عن «سليقه» في بلاط السلاطين، إذ يقوم رجال الحاشيه- من هذا النوع- بتحريك بعض أعداء السلطه حتى ينشغل الملك أو السلطان بهم، و ليأمنوا هم من رقابته عليهم، كي يفعلوا ما يريدون! و قد استدل فرعون على تصميمه في قتل موسى عليه السلام بدليلين، الأول ذو طابع ديني و معنوي، و الآخر ذو طابع دنيوي و مادي، فقال الأول، كما يحكى القرآن ذلك: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ .

و في الثاني: أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ .

فإذا سكّت أنا و كفتت عن قتله، فسيظهر دين موسى و ينفذ في أعماق قلوب أهل مصر، و ستبدل عباده الأصنام التي تحفظ منافعكم و وحدتكم، و إذا سكّت اليوم فإنّ الزمن كليل بزياده أنصار موسى عليه السلام و أتباعه، و هو أمر تصعب معه مجاهدته في المستقبل، إذ ستجر الخصومه و الصراع معه إلى إراقه الدماء و الفساد و شيوع القلق في البلاد، لذا فالمصلحه تقتضى أن أقتله أسرع ما يمكن.

بالطبع، لم يكن فرعون يقصد من الدين شيئا سوى عبادته أو عباده الأصنام،

ص: ٢٤٢

١ - ١) - ورد في تفسير الميزان عند الحديث عن الآية (٣٦) من سوره الشعراء: **قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ إِنَّ الْآيَةَ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ هُنَاكَ مَجْمُوعَهُ مَنَعَتْ فِرْعَوْنَ مِنْ قَتْلِ «مُوسَى» عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا أَنَّ التَّدْقِيقَ فِي الْآيَاتِ الْخَاصَّةِ بِقِصَّةِ مُوسَى تَظْهَرُ أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ نِيَّةُ قَتْلِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَ إِنَّمَا كَانَ الْهَدَفُ اخْتِبَارَ النُّوَايَا لِمَعْرِفَةِ الصَّادِقِ مِنَ الْكَاذِبِ، أَمَا التَّصْمِيمُ عَلَى الْقَتْلِ فَقَدْ كَانَ بَعْدَ حَادِثَةِ السِّحْرِ وَ انْتِصَارِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِمْ وَ نَفُوضِ تَأْثِيرِهِ فِي أَعْمَاقِ قُلُوبِ أَهْلِ مِصْرَ، حَيْثُ خَشِيَ فِرْعَوْنَ الْعَوَاقِبَ.**



و هذا الأسلوب فى استخدام لباس الدين و اسمه و تبنى شعاراته، يستهدف منه السلطان (فرعون) تحذير الناس و تجهيلهم من خلال إعطاء طابع الدين على مواقفه و كيانه و سلطته.

أمّا الفساد فهو من وجهه نظر فرعون يعنى الثوره ضدّ استكبار فرعون من أجل تحرير عامّه العباد، و محو آثار عباده الأصنام، و إحياء معالم التوحيد، و تشييد الحياه على أساسها.

إنّ استخدام لباس الدين و رفع شعاراته، و كذلك «التدليس» على المصلحين بالاتهامات، هما من الأساليب التى يعتمد هما الظلمه و الطغاه فى كلّ عصر و مصر، و عالمنا اليوم يموج بالأمثله على ما نقول! و الآن لنر كيف كان رد فعل موسى عليه السلام و الذى يبدو أنّه كان حاضر المجلس؟ يقول القرآن فى ذلك: **وَ قَالَ مُوسَىٰ إِنَّي عُذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ .**

قال موسى عليه السلام هذا الكلام بقاطعيه و اطمئنان يستمدان جذورهما من إيمانه القوى و اعتماده المطلق على الله تعالى، و أثبت بذلك بأنّه لا يهتز أو يخاف أمام التهديدات.

و يستفاد من قول موسى عليه السلام أيضا أنّ من تحل فيه صفتا «التكبر» و «عدم الإيمان بيوم الحساب» فهو إنسان خطر، علينا أن نستعيد بالله من شرّه و كيده.

فالتكبر يصبح سببا لأن لا يرى الإنسان سوى نفسه و سوى أفكاره، فهو يعتبر كما فى حال فرعون- الآيات و المعجزات الإلهيه سحرا، و يعتبر المصلحين مفسدين، و نصيحه الأصدقاء و المقربين ضعفا فى النفس.

أمّا عدم الإيمان بيوم الحساب فيجعل الإنسان حرا طليقا فى أعماله و برامجّه، لا يفكر بالعواقب، و لا يرى لنفسه حدودا يقف عندها، و سيقوم بسبب

انعدام الضوابط و فقدان الرقابه بمواجهه كلّ دعوه صالحه و يحارب الأنبياء.

و لكن ماذا كان عاقبه تهديد فرعون؟ الآيات القادمه تنبئنا بذلك، و تكشف كيف استطاع موسى عليه السّلام أن يفلت من مخالبا هذا الرجل المتكبر المغرور.

ص: ٢٤٤

اشاره

وَ قَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصَِّبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩)

التفسير

اشاره

أقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله!

مع هذه الآيات تبدأ مرحلة جديدة من تأريخ موسى عليه السلام و فرعون، لم تطرح في أي مكان آخر من القرآن الكريم. المرحلة التي نقصدها هنا تتمثل بقصه «مؤمن آل فرعون» الذي كان من المقربين إلى فرعون، و لكنه اعتنق دعوه موسى التوحيديه من دون أن يفصح عن إيمانه الجديد هذا، و إنما تكتم عليه و اعتبر نفسه.

من موقعه فى بلاط فرعون-مكلفا بحمايه موسى عليه السلام من أى خطر يمكن أن يتهدد من فرعون أو من جلاوزته.

فعند ما شاهد أنّ حياه موسى فى خطر بسبب غضب فرعون،بادر بأسلوبه المؤثر للقضاء على هذا المخطط.

يقول تعالى: **وَ قَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ .**

**أ تَقْتُلُوهُ فِي حِينِ أَنَّهُ: وَ قَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ .**

هل فيكم من يستطيع أن ينكر معاجزه،مثل معجزه العصا و اليد البيضاء؟أ لم تشاهدوا بأعينكم انتصاره على السحرة،بحيث أن جميعهم استسلموا له و أذعنوا لعقيدته عن قناعه تامه،و لم يرضحوا لا- لتهديدات فرعون و وعيده،و لا لإغراءاته و أمنياته،بل استرخصوا الأرواح فى سبيل الحق،فى سبيل دعوه موسى،و إله موسى...هل يمكن أن نسمي مثل هذا الشخص بالساحر؟ فكروا جيدا،لا تقوموا بعمل عجول، تحسبوا لعواقب الأمور و إلا فالندم حليفكم.

ثم إنّ للقضية بعد ذلك جانبين: **وَ إِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ .**

إنّ حبل الكذب قصير- كما يقولون-و سينفضح أمره فى النهايه إذا كان كاذبا، و ينال جزاء الكاذبين،و إذا كان صادقا و مأمورا من قبل السماء فإنّ توعده لكم بالعذاب حاصل شتم أم أبيتم،لذا فإنّ قتله فى كلا الحالين أمر بعيد عن المنطق و الصواب.

ثم تضيف الآيات: **إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ .**

فإذا كان موسى سائرا فى طريق الكذب و التجاوز فسوف لن تشمله الهدايه الإلهيه،و إذا كنتم أنتم كذلك فستحرمون من هدايته.

و لنا أن نلاحظ أنّ العبارة الأخيره برغم أنّها تحمل معنيين إلا أنّ «مؤمن آل فرعون» يهدف من خلالها إلى توضيح حال الفراعنه.

و التعبير الذى يليه يفيد أنّ فرعون، أو بعض الفراعنه-على الأقل- كانوا يؤمنون بالله، و إلاّ فإنّ تعبير «مؤمن آل فرعون» فى خلاف هذا التأويل سيكون دليلاً على إيمانه بإله موسى عليه السلام و تعاونه مع بنى إسرائيل، و هذا ما لا يتطابق مع دوره فى تكتمه على إيمانه، و لا يناسب أيضاً مع أسلوب «التقيه» التى كان يعمل بها.

و بالنسبه للتعبير الآنف الذكر وَ إِنَّ يَكُ كَاذِبًا... فقد طرح المفسّرون سؤالين:

الأوّل: إذا كان موسى عليه السلام كاذباً، فإنّ عاقبه كذبه سوف لن تقتصر عليه و حسب، و إنّما سوف تنعكس العواقب السيئه على المجتمع برمته.

الثانى: أما لو كان صادقاً، فستتحقق كلّ تهديداته و وعيده لا- بعض منها، كما فى تعبير «مؤمن آل فرعون»؟ بالنسبه للسؤال الأوّل، نقول: إنّ المراد هو معاقبه جريمه الكذب التى تشمل شخص الكذاب فقط و يكفينا العذاب الالهى لدفع شرّه. و إلاّ فكيف يمكن لشخص أن يكذب على الله، و يتركه سبحانه لشأنه كى يكون سبباً لإضلال الناس و إغوائهم؟ و بالنسبه للسؤال الثانى، من الطبيعى أن يكون قصد موسى عليه السلام من التهديد بالعذاب، هو العذاب الدنيوى و الآخرى، و التعبير ب«بعض» إنّما يشير إلى العذاب الدنيوى، و هو الحد الأدنى المتيقن حصوله فى حاله تكذيبكم إياه.

و فى كلّ الأحوال تبدو جهود «مؤمن آل فرعون» واضحه فى النفود بشتى الوسائل و الطرق إلى أعماق فرعون و جماعته لتشيهم عن قتل موسى عليه السلام.

و نستطيع هنا أن نلخص الوسائل التى اتبعها بما يلى:

أوضح لهم أولاً أن عمل موسى عليه السلام لا يحتاج إلى ردّه فعل شديده كهذه.

ثم عليكم أن لا تنسوا أن الرجل يملك «بعض» الأدله، و يظهر أنّها أدله معتبره، لذا فإنّ محاربه مثل هذا الرجل تعتبر خطراً واضحاً.

و الموضوع برمته لا- يحتاج إلى موقف منكم، فإذا كان كاذباً فسينال جزاءه من قبل الله، و لكن يحتمل أن يكون صادقاً، و عندها لن يتركنا الله لحالنا.

و لم يكتف «مؤمن آل فرعون» بهذا القدر، و إنّما استمرّ يحاول معهم بلين و حكمه، حيث قال لهم كما يحكى ذلك القرآن من أنّه قال لهم أن بيدكم حكمه مصر الواسعه مع خيراتها و نعيمها فلا تكفروا بهذه النعم فيصيبكم العذاب الالهى.

يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا

و يحتمل أن يكون غرضه: إنكم اليوم تملكون كلّ أنواع القوه، و تستطيعون اتخاذ أى تصميم تريدونه اتجاه موسى عليه السلام، و لكن لا تغرنكم هذه القوه، و لا تنسوا النتائج المحتمله و عواقب الأمور.

و يظهر أنّ هذا الكلام أثر فى حاشيه فرعون و بطانته، فقلل من غضبهم و غيظهم، لكن فرعون لم يسكت و لم يقتنع، فقطع الكلام بالقول: قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَ هُوَ إِنِّي أَرَىٰ مِنَ الْمِصْلِحَةِ قَتْلَ مُوسَىٰ وَ لَا حَلَّ لِهَذِهِ الْمَشْكِلَةِ سِوَىٰ هَذَا الْحَلِّ.

ثم إننى: وَ مَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ .

و هذه هو حال كافه الطواغيت و الجبارين على طول التاريخ، فهم يعتبرون كلامهم الحق دون غيره، و لا يسمحون لأحد فى إبداء وجهه نظر مخالفه لما يقولون، فهم يظنون أن عقلهم كامل، و أن الآخرين لا يملكون علماً و لا عقلاً...

و هذا هو منتهى الجهل و حماقه.

## أولاً: من هو مؤمن آل فرعون؟

نستفيد من الآيات القرآنية أن «مؤمن آل فرعون» هو رجل من قوم فرعون آمن بموسى عليه السلام، و يظلّ يتكتم على إيمانه، و يعتبر نفسه مكلفاً بالدفاع عنه عليه السلام.

لقد كان الرجل - كما يدل عليه السياق - ذكياً و لبقاً، يقدر قيمة الوقت، ذا منطق قوى، حيث قام فى اللحظات الحساسة بالدفاع عن موسى عليه السلام و إنقاذه من مؤامره كانت تستهدف حياته.

تتضمن الروايات الإسلامية و تفاسير المفسرين أوصافاً أخرى لهذا الرجل سنتعرض لها بالتدرج.

البعض مثلاً يعتقد أنه كان ابن عم - أو ابن خاله - فرعون، و يستدل هذا الفريق على رأيه بعبارة (آل فرعون) إذ يرى أنها تطلق على الأقرباء، بالرغم من أنها تستخدم أيضاً للأصدقاء و المقربين.

و البعض قال: إنه أحد أنبياء بنى إسرائيل كان يعرف اسم «حزقيل» أو «حزقييل» (١).

فيما قال البعض الآخر: إنه خازن خزائن فرعون، و المسؤول عن الشؤون المالية (٢).

و ينقل عن ابن عباس أنه قال: إن هناك ثلاثة رجال من بين الفراعنة آمنوا بموسى عليه السلام، و هم آل فرعون، و زوجته فرعون، و الرجل الذى أخبر موسى قبل نبوته بتصميم الفراعنة على قتله، حينما أقدم موسى على قتل القبطى، و نصحه بالخروج من مصر بأسرع وقت:

ص: ٢٤٩

١ - ١) - يستفاد هذا المعنى من روايته عن رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم (تلاحظ فى أمالى الصدوق طبقاً لنقل نور الثقلين، المجلد الرابع، ص ٥١٩) و لكن بما أن الشائع أن «حزقييل» هو أحد أنبياء بنى إسرائيل، فعندها سيضعف هذا الاحتمال، إلا إذا كان «حزقييل» هذا غير النبى المعروف فى بنى إسرائيل. ثم إن الرواية ضعيفة السند.

٢ - ٢) - ورد هذا المعنى فى تفسير على بن إبراهيم، كما نقل صاحب نور الثقلين فى المجلد الرابع، صفحته ٥١٨.

وَلَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ

(١)

لكن القرائن تفيد أن ثمة مجموعه قد آمنت بموسى عليه السلام بعد مواجهه موسى مع السحرة، و يظهر من السياق أن قصه مؤمن آل فرعون كانت بعد حادثه السحرة.

و البعض يحتمل أن الرجل كان من بنى إسرائيل، لكنه كان يعيش بين الفراعنه و يعتمدون عليه، إلا أن هذا الاحتمال ضعيف جدا، و لا يتلاءم مع عباره «آل فرعون» و أيضا نداء «يا قوم».

و لكن يبقى دوره مؤثرا فى تاريخ موسى عليه السلام و بنى إسرائيل حتى مع عدم وضوح كل خصوصيات حياته بالنسبه لنا.

### ثانيا: التقية أداء مؤثره فى الصراع

(التقيه) أو (كتمان الاعتقاد) ليست من الضعيف أو الخوف كما يظن البعض، بل غالبا ما توظف كأسلوب مؤثر فى إداره مع الظالمين و الجبارين و الطغاه، إذ أن كشف أسرار العدو لا يمكن أن يتم إلا عن طريق الأشخاص الذين يعملون بأسلوب التقية.

و كذلك الضربات الموجهه و المباغته للعدو، لا تتم إلا عن طريق التقية و كتمان الخطط و أساليب الصراع.

لقد كانت «تقيه» مؤمن آل فرعون من أجل خدمه دين موسى عليه السلام، و الدفاع عنه فى اللحظات الصعبه. ثم هل هناك أفضل من أن يحظى الإنسان بشخص مؤمن بقضيته و دعوته يزرعه فى جهاز عدوه بحيث يستطيع من موقعه أن ينفذ إلى أعماق تنظيمات العدو، و يحصل على المعلومات و الأسرار ليفيد بها قضيته و دعوته، و يخبر بها أصحابه و قد تقضى الضروره النفوذ فى ذهنيه العدو أيضا و تغييرها لمصالح قضيته و دعوته ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

ص: ٢٥٠



الآن نسأل: هل كان بوسع مؤمن آل فرعون إسداء كل هذه الخدمات لدعوه موسى عليه السّلام لو لم يستخدم أسلوب التقيه؟  
لذلك كلّ

ورد في حديث عن الإمام الصادق قوله عليه السّلام: التقيه ديني و دين آبائي، و لا- دين لمن لا- تقيه له، و التقيه ترس الله في الأرض، لأنّ مؤمن آل فرعون لو أظهر الإسلام لقتل» (١).

إنّ فاعليه هذا المبدأ تكتسب أهميه استثنائية في الوقت الذي يكون فيه المؤمنون قلّه خاضعه للأكثرية التي لا ترحم و لا تتعامل وفق المنطق، فالعقل لا يسمح بإظهار الإيمان (باستثناء الضرورات) و التفريط بالطاقات الفعّاله، بل الواجب يقضى بكتمان العقيدة و التخفي على المعتقد في مثل هذا الوضع لكي يصار إلى تجميع الطاقات و القوى و الإفاده منها لتسديد الضربه النهائيه و القاصمه في الوقت و الظرف المناسبين.

إنّ الرّسول الأعظم صلّى الله عليه و اله و سلّم التزم بنفسه هذا المبدأ، حينما أبقى دعوته سرّيه لبضع سنوات، و حينما ازداد أتباعه و تشكّلت النواه الإيمانيه القادره للحفاظ على الدعوه الجديده صدع صلّى الله عليه و اله و سلّم بأمره تعالى أمام القوم.

و من بين الأنبياء الآخرين نرى إبراهيم عليه السّلام الذي استخدم أسلوب التقيه، و وظّف هذا المبدأ في عمله الشجاع الذي حطّم فيه الأصنام، و إلّا فلولا التقيه لم يكن بوسعه أن ينجح في عمله أبدا.

كذلك استفاد أبو طالب عم الرسول من أسلوب التقيه في حمايه رسول الله و دعوته الناشئه، إذ لم يعلن عن صريح إيمانه برسول الله و بالإسلام إلّا في فترات و مواقف خاصّه، كي يستطيع من خلال ذلك نهوض بأعباء دوره المؤثر في حفظ حياه رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم حيال مكائد و طغيان الشرك القرشي.

من هنا يتبيّن خطأ رأى من يعتقد بأنّ «التقيه» كمبدأ و كأسلوب، تختص

ص: ٢٥١

بالشيعة دون غيرهم، أو أنّها كدليل على الضعف و الجبن، فيما هي موجودة في جميع المذاهب دون استثناء.

و لمزيد من التوضيح، باستطاعه القارئ الكريم أن يرجع إلى بحثنا في تفسير الآيه ٢٨ من آل عمران و الآيه ١٠٦ من النحل.

### ثالثاً: من هم الصديقون؟

في الحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الصديقون ثلاثة: (حبيب النجار) مؤمن آل يس الذي يقول: اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَ (حزقيل) مؤمن آل فرعون و (علي بن أبي طالب و هو أفضلهم)».

و الملاحظ في هذا الحديث أنه يروى في مصادر الفريقين (١).

إنّ تأريخ النبوات يظهر مكانه هؤلاء في دعوات الرسل، إذ صدّقوهم في أخرج اللحظات، و كانوا في المقدمه، فاستحقوا لقب «الصديق» خاصه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي وقف منذ مطلع عمره الشريف و حتى نهايته مناصراً لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في حياته و بعد رحلته و ذابا عن الدعوه الجديده، و استمرّ في كلّ المراحل و الأشواط في تقديم التضحيات بمنتهى الإخلاص.

ص: ٢٥٢

---

١-١) - يلاحظ الصدوق في «الأمالي» و ابن حجر في الفصل الثاني الباب التاسع من «الصواعق».

اشاره

وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُؤَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣)

التفسير

اشاره

التحذير من العاقبه!

كان الشعب المصرى آنذاك يمتاز نسبيا بمواصفات التمدن و الثقافه، وقد اطلع على أقوال المؤرخين بشأن الأقوام السابقه، أمثال قوم نوح و عاد و ثمود الذين لم تكن أرضهم تبعد عنهم كثيرا، و كانوا على علم بما آل إليه مصيرهم.

لذلك كله فكر مؤمن آل فرعون بتوجيه أنظار هؤلاء إلى أحداث التاريخ و أخذ يحذرهم من تكرار العواقب الأليمه التي نزلت بغيرهم، عساهم أن يتيقظوا و يتجنبوا قتل موسى عليه السلام يقول القرآن الكريم حكاية على لسانه: وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ .

ثم أوضح مراده من هذا الكلام بأنى خائف عليكم عن العادات و التقاليد السيئه التى كانت متفشيه فى الأقوم السالفه. مثل دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ (١).

لقد نالت هذه الأقوم جزاء ما كانت عليه من الكفر و الطغيان، إذ قتل من قتل منهم بالطوفان العظيم، و أصيب آخرون منهم بالريح الشديده، و بعضهم بالصواعق المحرقه، و مجموعه بالزلازل المنخربه.

و اليوم يخاطبهم مؤمن آل فرعون: ألا تخشون أن تصيبكم إحدى هذه البلايا العظيمه بسبب إصراركم على الكفر و الطغيان؟ هل عندكم ضمان بأنكم لستم مثل أولئك، أو أن العقوبات الإلهيه لا تشملكم، ترى ماذا عمل أولئك حتى أصابهم ما أصابهم، لقد اعترضوا على دعوه الأنبياء الإلهيين، و فى بعض الأحيان عمدوا إلى قتلهم... لذلك كله فىنى أخاف عليكم مثل هذا المصير المؤلم!؟ و لكن ينبغى أن تعلموا أن ما سيصيبكم و يقع بساحتكم هو من عند أنفسكم و بما جنت أيديكم: وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ .

لقد خلق الله الناس بفضله و كرمه، و وهبهم من نعمه ظاهره و باطنه، و أرسل أنبياءه لهدايتهم، و لصدّ طغيان العتاه عنهم، لذلك فإنّ طغيان العباد و صدّهم عن السبيل هو السبب فيما ينزل بهم من العذاب الأليم.

ثم تضيف الآيه على لسانه: وَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ أى يوم تطلبون العون من بعضكم البعض، إلا أصواتكم لا تصل إلى أى مكان.

«التناد» مأخوذه أصلا من كلمه «ندا» و تعنى «المناداه» (و هى فى الأصل (التنادى) و حذفت الياء و وضعت الكسره فى محلّها) و المشهور بين المفسرين أنّ

ص: ٢٥٤

١- ١) - «داب» على وزن (ضرب) تعنى فى الأصل الاستمرار فى السير، و (دائب) تطلق على الكائن الذى يستمر فى سيره ثم أصبحت بعد ذلك تستعمل لأى عاده مستمره... و المقصود هنا من (دأب قوم نوح) هو قيامهم و استمرارهم و اعتيادهم على الشرك و الطغيان و الظلم و الكفر.

(يوم التناد) هو من أسماء يوم القيامة، وقد ذكروا أسبابا لهذه التسميه متشابهه تقريبا، فمنهم من يقول: إن ذلك يعود إلى مناداه أهل النار لأهل الجنة، كما يقول القرآن: وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ فَجَاءَهُمُ الْجَوَابُ: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ (١) (٢). أو أن التسميه تعود إلى مناداه الناس بعضهم لبعض طلبا للعون و المساعدة.

و هناك من قال: إن سبب التسميه يعود إلى أن الملائكة تناديهم للحساب، و هم يطلبون العون من الملائكة.

أو لأن منادى المحشر ينادى: أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٣).

وقال بعضهم: إن السبب يعود إلى أن المؤمن عند ما يشاهد صحيفه أعماله ينادى برضى و شوق: هَاؤُمُ أَقْرُوا كِتَابِيَهٗ (٤) بينما الكافر من شده خوفه و هول ما يحلّ به يصرخ و ينادى: يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهٗ (٥).

و لكن يمكن تصور معنى أوسع للآيه، بحيث يشمل «يوم التناد فى هذه الدنيا أيضا، لأن المعنى - كما رأينا - يعنى (يوم مناداه البعض بعض الآخر) و هذا المعنى يعبر عن ضعف الإنسان و عجزه عند ما تنزل به المحن و تحيطه المصاعب و الملمات، و ينقطع عنه العون و أسباب المساعدة، فيبدأ بالصراخ و لكن بغير نتيجة.

و فى عالمنا هذا ثمه أمثله عديده على «يوم التناد» مثل الأيام التى ينزل فيها العذاب الإلهى، أو الأيام التى يصل فيها المجتمع إلى طريق مسدوده لكثرة ما ارتكب من ذنوب و خطايا، و قد نستطيع أن نتصور صوراً أخرى عن يوم التناد فى حياتنا من خلال الحالات التى يمرّ بها الناس بالمشاكل و الصعاب المختلفه حيث

ص: ٢٥٥

١-١) - الأعراف، الآيه ٥٠.

٢-٢) - ورد هذا المعنى أيضا فى حديث للإمام الصادق عليه السلام فى كتاب «معانى الأخبار» للصدوق.

٣-٣) - هود، الآيه ١٨.

٤-٤) - الحاقه، الآيه ١٩.

٥-٥) - الحاقه، الآيه ٢٥.

يصرخ الجميع عندها طالبين للحل و النجاه! الآيه التاليه تفسر يوم التناد بقولها: يَوْمَ تُولَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ .

و مثل هؤلاء حق عليهم القول: وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ إِنَّ هَؤُلاءِ الَّذِينَ ضَلُّوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بَاتِعَادِهِمْ عَنْ سَبِيلِ الرَّشَادِ وَ الْهُدَايَةِ وَ تَنكِبِهِمْ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، سَيُضَلُّونَ فِي الْآخِرَةِ عَنِ الْجَنَّةِ وَ الرِّضْوَانِ وَ النِّعَمِ الْإِلَهِيَةِ الْكُبْرَى.

و قد يكون فى التعبير القرآنى إيماءه خفيفه إلى قول فرعون: مَا أَهْدَيْكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ .

اشاره

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنَ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (٣٤) الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥)

التفسير

اشاره

عجز المتكبرين عن الإدراك الصحيح!

هذا المقطع من الآيات الكريمة يستمر في عرض كلام مؤمن آل فرعون، و من خلال نظره فاحصه في سياق الآيات، يظهر أنّ مؤمن آل فرعون طرح كلامه في خمسة مقاطع، كلّ منها اكتسى بلون من المخاطبه، و شكل من الدليل، الذي يستهدف النفوذ إلى قلب فرعون و المحيطين به، بغية محو الصدأ و آثار الكفر السوداء منها كي تدعن لله و رسالاته و أنبيائه، و تترك التكبر و الطغيان:

المقطع الأوّل: راعى فيه مؤمن آل فرعون الاحتياط، و دعا القوم إلى الحذر من الأضرار المحتمله من جهتين: (قال لهم: لو كان موسى كاذبا فسينال جزاء

كذبه، أما لو كان صادقاً فيشملنا العذاب، إذا عليكم أن لا تتركوا العمل بالاحتياط).

المقطع الثاني: وفيه وجه مؤمن آل فرعون الدعوه إلى التأميل بما حلّ بالأقوام السابقه و ما نال الأمم الداثره من المصير و الجزاء، كى يأخذوا العبره من ذلك المصير! المقطع الثالث: كأمن فى الآيات القرآنيه التى بين أيدينا، إذ تذكرهم الآيات -من خلال خطاب مؤمن آل فرعون- بجزء من تأريخهم، هذا التاريخ الذى لا يبعد كثيرا عنهم، و لم تمحى بعد أواصر الارتباط الذهنى و التاريخى فيما بينهم و بينه، و هذا الجزء يتمثل فى نبوه يوسف عليه السلام، الذى يعتبر أحد أجداد موسى، حيث يبدأ قصه التذكير معهم بقوله تعالى: **وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ (١)** و بالدلائل الواضحه لهدايتكم و لكنكم: **فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ .**

و شككم هنا ليس بسبب صعوبه دعوته أو عدم اشتمالها على الأدله و العلائم الكافيه، بل بسبب غروركم حيث أظهرتم الشك و التردد فيها.

و لأجل أن تتصلوا من المسؤوليه، و تعطوا لأنفسكم الذرائع و المبررات، قلتم: **حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا .** بناء على ذلك كله لم تشملكم الهدايه الإلهيه بسبب أعمالكم و مواقفكم:

**كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ**

لقد سلكتم سبيل الإسراف و التعدى على حدود الله تعالى كما قتمتم بالتشكيك فى كل شىء، حتى غدا ذلك كله سببا لحرمانكم من اللطف الإلهى فى الهدايه، فسدرتم فى وادى الضلال و الغى، كى تنتظروكم عاقبه هذا الطريق الغاوى. و اليوم- و السياق ما زال يحكى خطاب مؤمن آل فرعون لهم- اتبعتم نفس

ص: ٢٥٨

١- ١) -تعتبر هذه الآيه هى الوحيدة فى القرآن الكريم التى تشير صراحه إلى نبوه يوسف عليه السلام، و إن كنا لا نعدم إشارات متفرقه لهذه النبوه فى سياق آيات قرآنيه اخرى.



الأسلوب حيال دعوته موسى عليه السلام، إذ تركتم البحث في أدلته نبوته و علائم بعثته و رسالته، فابتعدت عنكم أنوار الهداياه، و ظلت قلوبكم سوداء محجوبه عن إشعاعاتها الهداياه الوضاء.

الآيه الكريمه التي تليها تعرّف «المسرف المرتاب» بقول الله تبارك و تعالى:

الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ

(١)

هؤلاء يرفضون آيات الله البيّنات من دون أى دليل واضح من عقل أو نقل، بل يستجيبون فى ذلك إلى أهوائهم المغرضه و وساوسهم المضلّه الواهيه، كى يستمروا فى رفع رايه الجدل و المعارضه.

و للكشف عن قبح هذه المواقف عند الله و عند الذين آمنوا، تقول الآيه: كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا (٢).

ذلك لأنّ الجدل بالباطل (الجدال السلبي) و اتخاذ المواقف ضدّ الوقائع و الآيات القائمه على أساس الدليل المنطقي، يعتبر أساسا لضلال المجادلين و تنكبهم عن جاده الهداياه و الصواب، و كذلك فى إغواء للآخرين، حيث تنطفئ أنوار الهداياه فى تلك الأوساط، و تتقوى أسس و دعائم حاكميه الباطل.

فى النهايه، و بسبب عدم تسليم هؤلاء أمام الحق، تقرّر الآيه قوله تعالى: كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣).

أجل، إنّ العناد فى مقابل الحق يشكّل ستارا مظلما حول فكر الإنسان، و يسلب منه قابليته على التشخيص الهداى الصحيح، بحيث ينتهى الأمر إلى أن

ص: ٢٥٩

١-١) - (الذين) هنا بدل عن «مسرف مرتاب» إلا أنّ المبدل عنه مفرد، فى حين أنّ البدل جاء على صيغه الجمع! السبب فى ذلك أنّ الخطاب لا يستهدف شخصا معينا و إنّما يشتمل على النوع.

٢-٢) - فاعل «كبر» هو (الجدال) حيث نستفيد ذلك من الجملة السابقه، أمّا «مقتا» فهى تمييز، فيما يرى بعض المفسّرين أنّ الفاعل هو «مسرف مرتاب» إلا أنّ الرأى الأوّل أفضل.

٣-٣) - «متكبر جبار» وصف للقلب، و ليست وصفا لشخص، بالرغم من أنّها مضافه. اشاره الى أنّ أساس التكبر و التجبر إنما ينبع من القلب، و لأنّ القلب يسيطر على كلّ أعضاء و وجود الإنسان، فإنّ كلّ الوجود الإنسانى سيكتسى هذا الطابع الفاسد البدىء.

يتحول القلب إلى مثل الإناء المغلق،الذى لا يمكن افراغه من محتواه الفاسد،و لا إدخال المحتوى الهادى الصحيح.

إنَّ الأشخاص الذين يقفون فى وجه الحق و أهله بسبب اتصاف بصفتى التكبر و التجبر،فإنَّ الله تعالى سوف يسلب منهم روح طلب الحقيقه الى درجه أن الحق سيكون مرا فى مذاقهم،و الباطل حلوا.

و فى كلِّ الأحوال،لقد قام مؤمن آل فرعون بعمله من خلال الوسائل التى وقفنا عليها آنفا،فانتهى-كما سيظهر فى الآيه اللاحقه- إلى أجهاض مخطط فرعون فى قتل موسى عليه السَّلام،أو على الأقل وقر الوقت الكافى فى تأخير تنفيذ هذا لمخطط إلى أن استطاع موسى عليه السَّلام أن يفلت من الخطر.

لقد كانت هذه مهمِّيه عظيمه أنجزها هذا الرجل المؤمن الشجاع،الذى انصب جهده فى هذه المرحله الخطيره من الدعوه الموسويه على إنقاذ حياه كلیم الله عليه السَّلام:

و كما سيتضح لاحقا من احتمال أن هذا الرجل ضحى بحياته أيضا فى هذا السبيل.

اشاره

وَ قَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي اُبْلُغُ الْاَسْبَابَ (٣٦) اَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَاطَّلَعَ اِلَى اِلٰهِ مُوسَىٰ وَ اِنِّي لَاطْنُهُ كَاذِبًا وَ كَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَ صَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَ مَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ اِلَّا فِي تَبَابٍ (٣٧)

التفسير

اشاره

**أريد أن أطلع إلى إله موسى!!**

بالرغم من النجاح الذى أحرزه مؤمن آل فرعون فى أثناء عزم فرعون عن قتل الكليم، عليه السلام، إلا أنه لم يستطع أن يثنيه عن غروره و تكبره و تعاليه إزاء الحق، لأن فرعون لم يكن ليملك مثل هذا الاستعداد أو اللياقه الكافيه للهدايه، لذلك نراه يواصل السير فى نهجه الشرير، إذ يأمر وزيره هامان ببناء برج للصعود إلى السماء (!! )كى يجمع المعلومات عن إله موسى، يقول تعالى فى وصف هذا الموقف: وَ قَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي اُبْلُغُ الْاَسْبَابَ . أى لعلى أحصل على وسائل و تجهيزات توصلنى الى السماوات.

اَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَاطَّلَعَ اِلَى اِلٰهِ مُوسَىٰ وَ اِنِّي لَاطْنُهُ كَاذِبًا

و لكن ماذا كانت النتيجة؟! كَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَ صُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَ مَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ .

«الصرح» فى الأصل تعنى الوضوح، و«التصريح» بمعنى التوضيح، ثم عمم معنى الكلمه على الأبنيه المرتفعه و القصور الجميله العالیه، و ذلك لأنها واضحه و مميزه بشكل كامل، و قد ذكر هذا المعنى العديد من المفسرين و اللغويين.

«تباب» تعنى الخساره و الهلاك.

إن أول ما يطالعا هنا هو السؤال عن الهدف الذى كان فرعون يرغب بتحقيقه من خلال عمله هذا.

هل كان فرعون بهذا المقدار من الغباء و الحماقه و السذاجه بحيث يعتقد أن إله موسى موجود فعلا فى مكان ما من السماء؟ و إذا كان موجودا فى السماء، فهل يستطيع الوصول إليه بواسطه إقامه بناء مرتفع يعتبر ارتفاعه تافها إزاء جبال الكره الأرضيه؟ إن هذا الاحتمال ضعيف للغاية، ذلك لأن فرعون بالرغم من غروره و تكبره، فقد كان يمتاز بالذكاء و القدره السياسيه التى أهلته للسيطره على شعب كبير لسنين مديده من خلال أساليب القهر و القوه و الخداع.

لذلك كله نرى الموقف يدعونا إلى تحليل هذا التصرف الفرعونى لمعرفة دواعيه و أهدافه الشيطانيه.

فمن خلال عمليه التأمل و التمحيص، يمكن أن تنتهى إلى ثلاثه أهداف كانت تكمن وراء هذا التصرف و الأهداف هذه هى:

أولا: أراد فرعون أن يختلق وضعاً يعمد من خلاله إلى إلهاء الناس و صرف أذهانهم عن قضيه نبوه موسى عليه السلام و ثوره بنى إسرائيل. و قضيه بناء مثل هذا الصرح المرتفع يمكن أن تحوز على اهتمام الناس، و تهيمن على اهتماماتهم الفكرية، و بالتالى إلى صرفهم عن القضيه الأساسيه.

و فى هذا الإطار يلاحظ بعض المفسرين أن فرعون خصص لبناء صرحه مساحه واسعه من الأراضى، و وظف فى إقامته خمسين ألفا من العمال و البنائين المهرة، بالإضافة إلى من انشغل بتهيئه وسائل العمل و التمهيد لتنفيذ المشروع، و كلما كان البناء يرتفع أكثر كلما ازداد تأثيره فى الناس، و أخذ يجلب إليه الاهتمام و الأنظار أكثر، إذ أصبح الصرح حديث المجالس، و الخير الأول الذى يتناقله الناس، و فى مقابل ذلك يتناسون قضيه انتصار موسى عليه السلام على السحرة- و لو مؤقتا- خصوصا مع الأخذ بنظر الإعتبار ذلك الاهتزاز العنيف الذى ألحق بجهاز فرعون و أساط الناس.

ثانيا: استهدف فرعون من خلال تنفيذ مشروع الصرح اشتغال أكبر قطاع من الناس، و على الأخص العاطلين منهم، لكى يجد هؤلاء فى هذا الشغل عزاء- و لو مؤقتا- عن مظالم فرعون و ينسون جرائمه و ظلمه. و من ناحيه ثانيه فإنّ اشتغال مثل هذا العدد الكثير يؤدى إلى ارتباطهم بخزانة فرعون و أمواله، و بالتالى ارتباطهم بنظامه و سياساته! ثالثا: لقد كان من خطه فرعون بعد انتهاء بناء الصرح، أن يصعد إلى أعلى نقطه فيه، و يرمق السماء ببصره، أو يرمى سهما نحو السماء، و يرجع الى الناس فيقول لهم: لقد انتهى كلّ شيء بالنسبه لإله موسى. و الآن انصرفوا إلى أعمالكم براحه بال!! أما بالنسبه إلى فرعون نفسه، فقد كان يعلم أنه حتى لو ارتقى الجبال الشامخات التى تتناول فى علوها على صرحه، فإنه سوف لن يشاهد أى شيء آخر يفترق عما يشاهده و هو يقف على الأرض المستويه يتطلع نحو السماء! و الطريف فى الأمر هنا أنّ فرعون بعد قوله: فَأَطَّلَعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ رَجَعَ خَطْوَهُ إِلَىٰ الْوَرَاءِ فَنَزَلَ عَنِ يَمِينِهِ إِلَىٰ الشَّكْ، حيث قال بعد ذلك: وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا إِذْ اسْتخدم تعبير «أظن»!

وَالْجَدِيرُ بِالْإِشَارَةِ هُنَا أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مِنْ خِلَالِ قَوْلِهِ تَعَالَى: كَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ذَكَرَ ثَلَاثَ قَضَايَا ذَاتَ مَحْتَوَى كَبِيرٍ بِجَمَلٍ قَصِيرَةٍ، حَيْثُ قَالَ أَوْلَا: إِنَّ السَّبَبَ الرَّئِيسِيَّ فِي انْحِرَافِ فِرْعَوْنَ عَنْ جَادِهِ الصَّوَابِ يَعُودُ إِلَى تَرْيِينِ عَمَلِهِ الْقَبِيحِ فِي نَظَرِهِ بِسَبَبِ غُرُورِهِ وَتَكْبَرِهِ.

ثم تناول بعد ذلك نتيجة ذلك متمثله بالضلال عن طريق الحق والهدى والنور.

و في الجملة الثالثة لخصت الآيه مال مخططات فرعون، هذا المآل الذي تمثل بالفشل الذريع والتباب والخسران.

طبعاً، يمكن للخطط السياسيه والمواقف المضلله أن تخدع الناس شطراً من الزمان، و تؤثر فيهم لفترة من الوقت، إلا أنها تنتهي بالفشل على المدى البعيد.

فقد ورد في بعض الروايات أن «هامان» قد زاد في ارتفاع الصرح الفرعوني إلى الدرجه التي باتت الرياح الشديده مانعا عن الاستمرار بالعمل و عندها اعتذر هامان لفرعون عن الاستمرار بالبناء.

و لكن لم تمض فترة وجيزه من الزمن حتى حطمت الرياح الشديده ذلك البناء (١).

و اتضح أن قوه فرعون متعلقه في ثباتها بالرياح.

ص: ٢٦٤

---

(١- ١) - يمكن ملاحظه ذلك في بحار الأنوار، المجلد ١٣، صفحه ١٢٥، نقلاً عن تفسير علي بن إبراهيم.

اشاره

وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠)

التفسير

اشاره

اتبعون اهدكم سبيل الرشاد:

أشرنا آنفا إلى أنّ مؤمن آل فرعون أوضح كلامه في مجموعه من المقاطع، و في هذه المجموعه من الآيات الكريمه نقف أولا على المقطع الرابع، بعد أن أشرنا في الآيات السابقه إلى ثلاثه منها.

إنّ هذا المقطع من كلام مؤمن آل فرعون ينصب في مضمونه على إلفات نظر القوم إلى الحياه الدنيويه الزائله، و قضيه المعاد و الحشر و النشر، إذ أنّ تركيز هذه القضايا في حياه الناس له تأثير جذري في تربيتهم.

يقول تعالى: وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ .

لقد قرأنا سابقا أنّ فرعون كان يقول: إنّ ما أقوله هو طريق الرشد و الصلاح، إلا أنّ مؤمن آل فرعون أبطل هذا الادّعاء الفارغ، و أفهم الناس زوره، و حذرهم أن يقعوا فريسه هذا الادّعاء، إذ أنّ خططه ستفشل و سيصاب بسوء العاقبه، فالطريق هو ما أقوله، إنّهُ طريق التقوى و عباده الله.

ثم تضيف الآيه: يَا قَوْمِ إِنَّمَا هِيَ هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ .

يريد أن يقول لهم: لنفرض أنّنا انتصرنا ببذل الحيل و التوسّل بوسائل الخداع و المكر، و تركنا الحق وراء ظهورنا، و ارتكبنا الظلم و تورطنا بدماء الأبرياء، ترى ما مقدار عمرنا في هذا العالم؟ إنّ هذه الأيام المعدوده ستنتهى و سنقع فى قبضه الموت الذى يجرننا من القصور الفخمه إلى تحت التراب و تكون حياتنا فى مكان آخر.

إنّ القضيّه ليست فناء هذه الدنيا و بقاء الآخره و حسب، بل الأهم من ذلك هى قضيّه الحساب و الجزاء، حيث يقول تعالى: مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ .

إنّ مؤمن آل فرعون- بكلامه هذا- آثار أولاً قضيّه عداله الله تبارك و تعالى، حيث يقاضى الإنسان بما اكتسبت يده خيرا أو شرا.

و من جهه ثانيه أشار فى كلامه إلى الثواب و الفضل الالهى لذوى العمل الصالح، إنّهُ الجزاء الذى لا يخضع لموازن الحساب الكميّه، إذ يهب الله تبارك و تعالى للمؤمنين بغير حساب، ممّا لم تره عين أو تسمعه أذن و لا يخطر على فكر إنسان.

و من جهه ثالثه أشار للتلازم القائم بين الإيمان و العمل الصالح.

و رابعه يشير أيضا إلى مساواه الرجل و المرأه فى محضر الله تبارك و تعالى،



و فى القىم الإنسانىه.

لقد استخلص مؤمن آل فرعون من خلال طرحه الآنف الذكر فى أنّ الحىاه الدنيا و إن كانت متاعا لا يغنى شىئا عن الحىاه الأخرى، إلاّ أنّه يمكن أن يكون وسيله للجزاء اللامتاهى هى و العطايا التى تصدر عن المطلق جلّ و علا. إذن هل هناك تجاره أربح من هذا؟ كما ينبغى أن نقول: إنّ عباره «مثلهها» تشير إلى أنّ العقاب فى العالم الآخر يشبه نفس العمل الذى قام به الإنسان فى هذه الدنيا، متشابهه كامله بكل ما للكلمه من دلالة و معنى.

أمّا تعبير «غير حساب» فىمكن أن يكون إشاره إلى حساب العطايا يختص بالاشخاص من ذوى المواهب المحدوده، أمّا المطلق (جلّ و علا) الذى لا تنقص خزائنه مهما بذل للآخرين (لأنّ كلّ ما يؤخذ من اللانهايه ببقى بلا نهايه) لذلك فهو عطاء لا يحتاج إلى حساب.

و بقيت مسأله بحاجه إلى جواب، و هى: هل ثمه تعارض بين هذه الآيه و ما جاء فى الآيه (١٦٠) من سوره الأنعام، حيث قوله تعالى: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ .

فى الجواب على هذا التساؤل نقول: إنّ «عشر أمثالها» إشاره للحد الأدنى من العطاء الإلهى، إذ هناك الجزاء الذى يصل إلى (٧٠٠) مرّه و أكثر، ثمّ قد يصل العطاء الإلهى إلى مستوى الجزاء ب «غير حساب» و هو ممّا لا يعلم حدّه و لا يمكن تصوره.

ص: ٢٦٧

اشاره

وَيَا قَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاهِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ أُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَ لَا فِي الْآخِرَةِ وَ أَنَّنَا مَرَدُّنَا إِلَى اللَّهِ وَ أَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسَيَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَ أَوْضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكَّرُوا وَ حَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَ عَشِيًّا وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)

التفسير

اشاره

الكلام الأخير:

في خامس-و آخر-مرحله يزيل مؤمن آل فرعون الحجب و الأستار عن هويته، إذ لم يستطع التكنم ممّا فعل، فقد قال كلّ ما هو ضرورى، أمّا القوم من ملأ

فرعون، فكان لهم - كما سنرى ذلك - قرارهم الخطير بشأنه! يفهم من خلال القرائن أنّ أولئك المعاندين و المغرورين لم يسكتوا حيال كلام هذا الرجل الشجاع المؤمن، و إنّما قاموا بطرح «مزايا» الشرك في مقابل كلامه، و دعوه كذلك إلى عباده الأصنام.

لذا فقد صرخ قائلاً: وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاهِ وَ تَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ .

إننى أطلب سعادتكم و أنتم تطلبون شقائى، إننى أهدىكم إلى الطريق الواضح الهادى و أنتم تدعوننى إلى الانحراف و الضلال! نعم، إنكم: تَدْعُونَنِي لِأَكْفَرِ بِاللَّهِ وَ أَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيمِ الْغَفَّارِ .

نستفيد من الآيات القرآنية المختلفه، و من تأريخ مصر، أنّ هؤلاء القوم لم يقتصروا فى عبادتهم و شركهم و ضلالهم على الفراعنه و حسب، و إنّما كانت لهم أصنام يعبدونها من دون الواحد القهار، كما نستفيد ذلك بشكل مباشر من قوله تعالى فى الآيه (١٢٧) من سوره «الأعراف» حيث قوله تعالى: أ تَدْرُ مُوسَىٰ وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ يَذَرُكَ وَ آلِهَتِكَ وَ الْآيَةَ تحكى خطاب أصحاب فرعون و الملائ من قومه لفرعون.

و قد تكرر نفس المضمون على لسان يوسف عليه السلام، إذ قال لرفاقه فى سجن الفراعنه: أَرَبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١) .

لقد ذكرهم مؤمن آل فرعون من خلال مقارنه واضحه أنّ دعوتهم إلى الشرك لا تستند على دليل صحيح، و الشرك طريق و عر مظلم محفوف بالمخاطر و سوء العاقبه و المصير، بينما دعوته (مؤمن آل فرعون) دعوه للهدى و الرشاد و سلوك طريق الله العزيز الغفار.

إنّ عبارته (العزيز) و (الغفار) تشير من جانب إلى مبدأ (الخوف و الرجاء) و من

ص: ٢٦٩

جانب ثان تشير إلى إلغاء ألوهية الأصنام و الفراعنه، حيث لا يملكون العزه و لا العفو.

ينتقل الخطاب القرآنى-على لسان مؤمن آل فرعون-إلى قوله تعالى: لَا جَرَمَ أَنَّكَ تَدْعُونِنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ (١) فهذه الأصنام لم ترسل الرسل إلى الناس ليدعوهم إليهم، و هى لا تملك فى الآخره الحاكميه على أى شىء.

إنّ هذه الموجودات لا تملك الحس و الشعور، إنّها أصنام لا تتكلم و لا تضر و لا تنفع، و إنّ عليكم أن تعلموا: وَ أَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ .

فهو سبحانه و تعالى الذى أرسل رسله إلى النسا لأجل هدايتهم، و هو الذى يشيهم و يعاقبهم على أعمالهم.

و يجب أن تعلموا أيضا: وَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ .

و هكذا كشف مؤمن آل فرعون ما كان يخفى من إيمانه، و بذلك فقد انكشف هنا خطّه الإيماني التوحيدي، و انفصل علينا عن خط الشرك الملوث الذى يصبغ بآثامه و أحواله الحكّام الفراعنه و من يلف حولهم، لقد رفض الرجل دعوتهم و وقف لوحده إزاء باطلهم و انحرافهم.

فى آخر كلامه-و بتهديد ذى مغزى-يقوله لهم: فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ .

إنّ ما قلته لكم ستذكرونه فى الدنيا و الآخره، و ستعلمون صدقى عند ما تصيبكم المصائب، و ينزل بساحتكم الغضب الإلهي، لكن سيكون ذلك كلّه بعد فوات الأوان، فإن كان فى الآخره فلا طريق الرجوع، و إن كان فى الدنيا فهو لا يتم إلّا حين يحل بكم العذاب الإلهي، و عندها ستغلق جميع أبواب التوبه.

ص: ٢٧٠

١ - ١) -قلنا سابقا: إنّ «لا- جرم» مركبه من (لا-) و (جرم) على وزن (حرم) و هى فى الأصل تعنى القطف و اقتطاف الثمر، و هى ككلمه مركبه تعنى: لا- يستطيع أى شىء أن يقطع هذا العمل أو يمنعه. لذلك تستخدم بشكل عام بمعنى (حتما) و تأتى أحيانا بمعنى القسم.

ثم تضيف الآية على لسان الرجل المؤمن: وَ أَفَوَّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ .

لهذا كله لا أخشى تهديداتكم، ولا أرهب كثرتكم و قوتكم، و لا تخيفنى وحدتى بين أيديكم، لأنى وضعت نفسى بين يدى المطلق ذى القدره اللامتناهيه، و المحيط علمه بكل شىء، و بأحوال عبادہ أينما كانوا و حلّوا.

إنّ هذا التعبير يستبطن فى طياته دعاء مهذبا انطلق من الرجل المؤمن الذى وقع أسيرا فى قبضه هؤلاء الأشقياء الظالمين. لذلك طلب بشكل مؤدب من خالقه (جلّ و علا) أن يحميه بحمايته و ينقذه ممّا هو فيه.

اللّٰه تبارك و تعالى لم يترك عبده المؤمن المجاهد وحيدا و إنّما: فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكَّرُوا .

إنّ التعبير ب سَيِّئَاتٍ مَّا مَكَّرُوا يفيد أنّهم وضعوا خططا مختلفه ضده... ترى ما هى هذه الخطط؟ فى الواقع، إنّ القرآن لم يذكرها بل تركها مجهوله، لكنّها-حتمًا-لا- تخرج عن ألوان العقاب و التعذيب ينزلونه بالرجل قبل أن يحل به القتل و الإعدام، إلا أنّ اللطف الإلهى أبطل مفعولها جميعا و أنجاه منهم.

تفيد بعض التفاسير أنّ مؤمن آل فرعون انتهز فرصه مناسبه فالتحق بموسى عليه السّلام، و عبّر البحر مع بنى إسرائيل. و قيل أيضا: أنّه هرب إلى الجبل عند ما صدر عليه قرار الموت، و بقى هناك مختفيا عن الأنظار (1).

و من الطبيعى أن لا يكون هناك تعارض بين الرأيين، إذ يمكن أن يكون قد هرب إلى الجبل أولا، ثمّ التحق بنى إسرائيل.

و قد يكون من مؤامراتهم عليه، محاولتهم فرض عبادہ الأصنام عليه و إخراجہ من خط التوحيد، إلا أن الله تبارك و تعالى أنجاه من مكرهم و رسخ قدمه

ص: ٢٧١

---

١-١) -يراجع تفسير مجمع البيان فى نهايه الحديث عن الآيه مورد البحث.

أما القوم الظالمون فقد كان مصيرهم ما يرسمه لنا القرآن الكريم: وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (١).

إنَّ العذاب و العقاب الإلهى أليم بمجمله، إلاَّ أنَّ تعبير «سوء العذاب» يظهر أنَّ الله تبارك و تعالى انتخب لهم عذابا أشدَّ إيلا ما من غيره، و هو ما تشير إليه الآية التى بعدها، حيث قوله تعالى: النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا (٢) ثم: وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ .

و هنا نلفت النظر إلى الملاحظات الثلاث الآتية:

أولاً- استخدام تعبير (آل فرعون) إشاره إلى العائله و الأنصار و الأصحاب الضالين، و عند ما يكون هذا هو مصير الآل، ترى ماذا يكون مصير نفس فرعون؟ ثانيا: تقول الآية: إنهم يعرضون على النار صباحا و مساء، ثم تقول: فى يوم القيامة يكون العذاب أشد ما يمكن. و هذا دليل على أنَّ العذاب الأول يختص بعالم البرزخ، و هو ممَّا يلى موت الإنسان و مغادره روحه جسده، و يقع قبل يوم القيامة... إنَّ العرض على نار جهنم يهز الإنسان و يجعله يرتعد خوفا و هلعاً.

ثالثاً: إن تعبير ب(الغدو) و(العشى) قد تكون فيه إشاره إلى استمرار العذاب.

أو قد يفيد انقطاع العذاب البرزخى ليقصر على (الغدو) و(العشى) أى الصبح و المساء، و هو الوقت الذى يقترن فى حياه الفراعنه و أصحابهم و مع أوقات لهوهم و استعراضهم لقوتهم و جبروتهم فى حياتهم الدنيا.

و ينبغى أن لا- نتعجب هنا من كلمتى (الغدو) و(العشى) فنسأل: و هل فى البرزخ ثمه صباح و مساء؟ لأنَّ الصبح و الليل موجودان حتى فى يوم القيامة، كما

ص: ٢٧٢

١- ١) - (حاق) بمعنى أصاب و نزل، و لكن احتملوا أيضا أن يكون أصلها (حق) فتغيرت إحدى القافين فيها إلى ألف فأصبحت (حاق) [يلاحظ ذلك فى مفردات الراغب كلمه حاق]. ضمنا فإنَّ (سوء العذاب) من قبيل إضافه الصفه إلى الموصوف، إذ كانت فى الأصل (العذاب السوء).

٢- ٢) - «النار» بدل عن (سوء العذاب).

نقرأ فى قوله تعالى: وَ لَ هُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١).

و هذا الأمر لا يتعارض مع دوام نعم الجنة و استمرارها، كما جاء فى الآيه (٣٥) من سورة (الرعد) حيث قوله تعالى: أَ كُلُّهَا دَائِمٌ وَ ظِلُّهَا حيث يمكن أن تشمل الألفاظ الإلهيه أهل الجنة فى خصوص هذين الوقتين، بينما تكون نعم الجنة دائمه باقيه.

**بحوث**

**اشاره**

### **أولاً: مؤمن آل فرعون و الدرس العظيم فى مواجهه الطواغيت**

إن القليل من الناس يؤمنون بالأديان الإلهيه و المذاهب السماويه فى بدايه الأمر و يقومون بتحدى الجبابره و الطواغيت، و إذا توجست هذا القله المخلصه خوفاً من أعدائها، أو أنها شكت بأن كثره دليل على حقانيتهم، فلن يكون بمقدور الأديان الإلهيه أن تمتد و تنتشر فى الدنيا.

إن الأساس الذى يتحكم فى منطلق هذه البرامج الهاديه و الأطروحات الوضاه، هو

قول أمير المؤمنين على عليه السلام: «أيها الناس، لا تستوحشوا فى طريق الهدى لقله أهله» (٢).

لقد كان مؤمن آل فرعون نموذجاً لهذه المدرسه، و كان من الأوائل فى هذا الطريق، و أثبت أن الإنسان المؤمن يستطيع بعزمه و إرادته القويه-النابعه من إيمانه بالله تعالى-التأثير حتى فى إرادته الفراعنه الجبابره؛ بل و أن يوفر سبل النجاه لنبى كبير من أنبياء أولى العزم.

إن تاريخ حياه هذا الرجل الشجاع الذكى، يثبت ضروره أن تكون خطوات

ص: ٢٧٣

١-١) -مريم-٦٢.

٢-٢) -نهج البلاغه، الخطبه رقم ٢٠١.

أهل الدعوه و الحق على غاية قصوى من الدقه و الحذر، إذ يجب أحيانا التكتم على الإيمان و إخفاء القناعات الحقه، كما يجب فى أحيان اخرى الجهر بدعوه الحق و إظهار الإيمان.

إنّ التقيه ليست سوى إخفاء اعتقاد الإنسان و التكتم عليه فى فتره معينه فى سبيل الأهداف المقدسه.

و كما يعتبر التسلّح بالسلاح المادى الظاهرى من ضرورات المنعه و أسباب دحر العدو، كذلك فإنّ المنطق القوى و الحجّه البالغه هى سلاح ضرورى قد يعادل فى تأثيره السلاح المادى عده مرّات. لذا فإنّ العمل الذى قام به (مؤمن آل فرعون) بواسطه منطقه و قوه حجته و حكمه تصرفه لم يكن ليعادله أى سلاح آخر.

ثم إنّ قصه هذا الرجل المؤمن تظهر أنّ الله جلّ و علا لا يترك عباده المؤمنين و حيددين، بل يحميهم بلطفه عن الأخطار.

و أخيرا فإن من الضرورى أن نشير إلى حياه مؤمن آل فرعون انتهت كما فى بعض الروايات إلى الاستشهاد، و أنّ ما يقوله القرآن من حفظ الله له و وقايته له يمكن تأويله بإنقاذه من براثن خططهم الشيطانيه فى إغوائه و جزّه إلى ساحه الضلال و الشرك، و أنّ الله أنجاه من سوء المنقلب و انحراف العقيدته (1).

### ثانيا: تفويض الأمور إلى الله

فيما يخص التفويض إلى الله تبارك و تعالى يكفى أن نفتتح الحديث

بقول لأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام، جاء فيه: «الإيمان له أربعه أركان: التوكل على الله، و تفويض الأمر إلى الله عزّ و جلّ و الرضى بقضاء الله، و التسليم لأمر

ص: ٢٧٤

---

١ - ١) - جاء فى كتاب (محاسن البرقى): عن الإمام الصادق عليه السّلام فى تفسير قوله تعالى: فَوْقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا قَوْلَهُ عَلَيْهِ السّلام: «أما لقد سطوا عليه و قتلوه و لكن أ تدرّون ما وقاه؟ وقاه أن يفتنوه فى دينه» نور الثقلين، المجلد الرابع، ص ٥٢١.



و في حديث آخر

عن الإمام الإمام الصادق أنه عليه السَّلام قال: «المفوض أمره إلى الله في راحه الأبد، والعيش الدائم الرغد، والمفوض حقًا هو العالى عن كلِّ همه دون الله» (٢).

«التفويض» كما يقول الراغب في مفرداته، يعنى «التوكل»، لذا فإنَّ تفويض الأمر إلى الله يأتى بمعنى توكيل الأعمال إليه، وهذا لا يعنى أن يترك الإنسان الجِدَّ والجهد، إذ أنَّ هذا السلوك ينطوى على فهم محزّف لمعنى التفويض، بل عليه أن يبذل كلَّ جهده ولا يتخوّف الصعاب التى تواجهه، أو يترك العمل إذعانا لها، بل عليه أن يسلم أمره و عمله إلى الله، ويستمر في بذل الجهد بعزم راسخ و همه عالى.

و بالرغم من أنَّ «التفويض» يشبه «التوكل» إلى حد كبير، إلاَّ أنه يعتبر مرحلة أفضل منه. لأنَّ حقيقة (التوكل) هى أن يعتبر الإنسان الله تبارك و تعالى و كيلا عنه، لكن التفويض يعنى التسليم المطلق لله تعالى. و فى حياتنا العمليه نرى أنَّ الإنسان الذى يتخذ لنفسه و كيلا- يواصل إشرافه على عمله. إلاَّ- أنه فى حالة التفويض لا- يبقى أى مجال لإشراف من أى نوع، بل تترك الأمور إلى من فوّضت إليه.

### ثالثا: عالم البرزخ

«البرزخ»- كما يدل عليه اسمه- هو عالم يتوسط بين عالمنا هذا و العالم الآخر. و فى القرآن الكريم يكثر الحديث عن العالم الآخر، و لكنّه قليل عن عالم البرزخ. و لهذا السبب هناك هاله من الغموض و الإبهام تحيط بالبرزخ، و بالتالى لا نعرف الكثير من خصائصه و جزئياته، و لكن عدم معرفه التفاصيل الجزئيه لا تؤثر على أصل الاعتقاد بالبرزخ الذى صرّح القرآن بأصل وجوده.

ص: ٢٧٥

١- ١) -بحار الأنوار، المجلد ٦٨، صفحه ٣٤١.

٢- ٢) -سفينه البحار، المجلد الثانى، صفحه ٣٨٤، ماده «فوض».

إن الآيات أعلاه تعتبر من الآيات التي عبّرت بصراحه عن وجود هذا العالم، حينما قالت: إن آل فرعون يعرضون صباحا و مساء على النار قبل القيامة، وذلك كنوع من العقاب البرزخى لهم.

من جانب آخر، فإن الآيات التي تتحدث عن حياه الشهداء الخالده بعد الموت، و الثواب العظيم الذى ينالهم، تدل هى الأخرى على وجود (البرزخ).

و

فى حديث عن رسول صلى الله عليه و اله و سلم قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداه و العشى، إن كان من أهل الجنة فمن الجنة، و إن كان من أهل النار فمن النار، يقال: هذا مقعدك حيث يبعثك الله يوم القيامة» (١).

أما

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فيقول عن البرزخ: «ذلك فى الدنيا قبل يوم القيامة لأن فى نار القيامة لا يكون غدو و عشى» ثم قال: «إن كانوا يعذبون فى النار غدوا و عشيا فبيما بين ذلك هم من السعداء، لا- و لكن هذا فى البرزخ قبل يوم القيامة، ألم تسمع قوله عزّ و جلّ: و يوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب» (٢).

الإمام عليه السلام لم يقل بعدم وجود الصباح و السماء فى القيامة، بل يقول: إن نار جهنم أبدية خالده لا تعرف الصباح و المساء. أمّا العقاب الذى له مواقيت فى الصباح و السماء فهو عالم البرزخ، ثم يدل على السلام على الجملة التى بعدها و التى تتحدث عن القيامة، على أنها قرينه باختصاص الجملة السابقه بالبرزخ.

لقد تعرضنا إلى عالم البرزخ مفصلا أثناء الحديث عن الآية (١٠٠) من سوره «المؤمنون».

ص: ٢٧٦

١ - ١) - ينقل هذه الروايه كل من البخارى و مسلم فى صحيحيهما (طبقا كما يذكره الطبرسى و صاحب الدر المنثور و القرطبي، أثناء حديثهم عن الآية المذكوره أعلاه) أما صحيح مسلم فيعقد بابا حول الروايات المتعلقة بالبرزخ، إذ يمكن مراجعته فى المجلد الرابع، صفحه ٢١٩٩.

٢ - ٢) - مجمع البيان، المجلد الثامن، صفحه ٥٢٦.

اشاره

وَإِذِ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِذَا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠)

التفسير

اشاره

نقاش الضعفاء و المستكبرين في جهنم:

لقد لفت مؤمن آل فرعون في نهايه كلامه نظر القوم إلى القيامه و العذاب و جهنم، لذلك جاءت هذه المجموعه من الآيات الكريمه و هي تقف بشكل رائع دقيق على تحاجج و تخاصم أهل النار فيما بينهم، و بالذات تحاجج المستضعفين مع المستكبرين.

يقول تعالى: وَإِذِ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا

لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا نَصِيحًا مِنَ النَّارِ

(١)

المراد من «الضعفاء» هنا هم أولئك الذين يفتقدون العلم الكافي والاستقلال الفكري، إذ كان هؤلاء يتبعون زعماء الكفر الذي يطلق عليهم القرآن اسم المستكبرين، وكانت التبعية مجرد انقياد أعمى بلا تفكير أو وعى.

ولكن هؤلاء الأتباع يعلمون أنّ العذاب سيُشمل زعماءهم ولا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، فلما ذا إذن يستغيثون بهم و يلجأون إليهم كي يتحملوا عنهم قسطا من العذاب.

ذهب البعض إلى أنّ ذلك يحصل تبعا لعادتهم في الانقياد إلى زعمائهم في هذه الدنيا، لذلك تكون استغاثتهم بهم في الآخرة كنوع من الانقياد اللإرادى وراء قادتهم.

ولكن الأفضل أن نقول: إن الاستغاثه هناك هي نوع من السخرية والاستهزاء واللوم، يوم يثبت أنّ كلّ ادعاءات المستكبرين مجرد تقولات زائفه عاربه عن المضمون والحقيقه (٢).

(و فى الحقيقه فان الإمام أمير المؤمنين -يحذر بهذا الكلام أولئك الذين سمعوا وصايا رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم فى يوم الغدير- أو أنّها وصلتهم بطريق صحيح- ثم اعتذروا بأنهم نسوها ليتبعوا أناسا آخرين).

إنّ المستكبرين لم يسكتوا على هذا الكلام و ذكورا جوابا يدل على ضعفهم الكامل و ذلتهم فى ذلك الموقف المهول، إذ يحكى القرآن على لسان قولهم: قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ .

يريدون أن يقولوا: لو كان بمستطاعتنا حل مشاكلكم فالأحرى بنا والأجدر

ص: ٢٧٨

١-١) -يتصور البعض أنّ الضمير فى «يتحاجون» يعود إلى آل فرعون، إلا أنّ القرائن تفيد أنّ الآية تنطوى على مفهوم عام يشمل جميع الكفار.

٢-٢) -«تبعاً» جمع تابع، والبعض يحتمل أن تكون مصدرا، خصوصا و أنّ إطلاق المصدر على الأشخاص الموصوفين بصفه معينه أمر متعارف. و المعنى فى هذه الحال هو: إنّنا كنا لكم عين التبعية.

أن نحل مشاكلنا و ما حلّ بنا،و لكننا لا نستطيع أن نمنع العذاب عن أنفسنا و لا عنكم،و لا أن نحتمل عنكم جزاء من العقاب! و الملاحظ هنا أنّ الآية (٢١) من سوره «إبراهيم» تتضمن نفس هذا الاقتراح من قبل الضعفاء إزاء المستكبرين،الذين قالوا جوابا على هذا: لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْزَعْنَا أَمْ صَبْرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ .

و المقصود بالهدايه هنا هي الهدايه الى طريق الخلاص من العذاب.

و هكذا يظهر أنّ هذين الجوابين لا يتعارضان فيما بينهما،بل يكمل أحدهما الآخر.

و عند ما تغلق في وجههم السبل،سبل النجاه و الخلاص،يتوجه الجميع إلى خزنه النار: وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (١).

إنهم يعلمون أنّ العذاب الإلهي لا يرتفع،لذلك يطلبون أن يتوقف عنهم و لو ليوم واحد كي يرتاحوا قليلا...إنهم قانعون بهذا المقدار! لكن إجابته الخزنه تأتي منطقيه واضحه: قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رَسُولُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ؟ و في الجواب قالوا: قَالُوا بَلَى .

فيستطرد الخزنه: قَالُوا فَادْعُوا مَا دُعَاءَ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ .

إنكم بأنفسكم اعترفتم بأنّ الأنبياء و الرسل جاءوا بالدلائل الواضحه، و لكنكم كفرتم بما جاءكم و كذبتهم الأنبياء.لذلك لا ينفعكم الدعاء،لأنّ الله لا يستجيب لدعاء الكافرين.

بعض المفسرين يرى في تفسير الجمله الاخيريه أنّ المراد هو أننا لا نستطيع الدعاء لكم بدون اذن من الله تعالى،فادعوا أنتم بذلك،و ذلك اشاره الى انغلاق

ص: ٢٧٩

(١-١) - «خزنه» جمع خازن،و تعنى الحارس.

سبل النجاه أمامكم.

صحيح أنّ الكافر يصبح مؤمنا فى يوم القيامة، إلاّ أنّ هذا الإيمان لا يقلل من آثار كفره، لذلك يلازمه لقب الكافر.

لكن يبدو أنّ التفسير الأوّل أفضل و أكثر قبولا.

ص: ٢٨٠

اشاره

إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعِيدَتُهُمْ وَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ  
الذَّارِ (٥٢) وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَ أَوْزَنَّا بَيْنَ إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَ ذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ (٥٤) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ  
حَقٌّ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٥٥)

التفسير

اشاره

الوعد بنصر المؤمنين:

بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن تحاجج أهل النار و عجزهم عن أن ينصر أحدهم الآخر، و بعد أن تحدثت الآيات التي سبقتها عن مؤمن آل فرعون و حمايه الله له من كيد فرعون و آل فرعون، عادت هذه المجموعه من الآيات البيئات تتحدث عن شمول الحمايه و النصر الإلهي لأنبياء الله و رسله و للذين آمنوا، في هذه الدنيا و في الآخرة.

إنها تتحدث عن قانون عام تنطق بمضمونه الآيه الكريمه: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا

إنَّها الحماية المؤكَّده بأنواع التأكيد، والتي لا ترتبط بقيد أو شرط، والتي يستتبعها الفوز و النصر، النصر في المنطق و البيان، و في الحرب و الميدان، و في إرسال العذاب الإلهي على القوم الظالمين، و في الإمداد الغيبي الذي يقوى القلوب و يشد الأرواح و يجذبها إلى بارئها جلّ و علا.

إنَّ الآيه تواجها باسم جديد ليوم القيامة هو: يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ .

«أشهاد» جمع «شاهد» أو «شهيد» (مثل ما أن أصحاب جمع صاحب، و أشراف جمع شريف) و هي تعنى الذى يشهد على شىء ما.

لقد ذكرت مجموعه من الآراء حول المقصود بالأشهاد، نستطيع اجمالها بما يلى:

١- الأشهاد هم الملائكة الذين يراقبون أعمال الإنسان.

٢- هم الأنبياء الذين يشهدون على الأمم.

٣- هم الملائكة و الأنبياء و المؤمنون الذين يشهدون على أعمال الناس.

أمّا احتمال أن تدخل أعضاء الإنسان ضمن هذا المعنى، فهو أمر غير وارد، بالرغم من شموليه مصطلح «الأشهاد» لأنَّ تعبير يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ لا يتناسب و هذا الاحتمال.

إنَّ التعبير يشير إلى معنى لطيف، حيث يريد أن يقول أن: يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ الذى تنبسط فيه الأمور فى محضر الله تبارك و تعالى، و تنكشف السرائر و الأسرار لكافه الخلائق، هو يوم تكون الفضيحة فيه أفضح ما تكون، و يكون الانتصار فيه أروع ما يكون... إنَّه اليوم الذى ينصر الله فيه الأنبياء و المؤمنين و يزيد فى كرامتهم.

إنَّ يوم الأشهاد يوم افتضح الكافرين و سوء عاقبه الظالمين، هو: يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ .



فمن جهه هو يوم لا تنفع المعذره فيه،و لا يحول شىء دون افتضاح الظالمين أمام الأَشهاد.

و من جهه اخرى هو يوم تشمل اللعنه الإلهيه فيه الظالمين،و اللعنه هنا البعد عن الرحمه.

و من جهه ثالثه هو يوم ينزل فيه العذاب الجسمانى على الظالمين،و يوضعون فى أسوأ مكان من نار جهنم.

### سؤال:

إن الآيه تفتح المجال واسعا للسؤال التالى،:إذا كان الله(تبارك و تعالى)قد وعد حتما بانتصار الأنبياء و المؤمنين،فلما ذا نشاهد،- على طول التاريخ-مقتل مجموعه من الأنبياء و المؤمنين على أيدي الكفار؟و لماذا ينزل بهم الضيق و الشده من قبل أعداء الله،ثم لماذا تلحق بهم الهزيمه العسكريه؟و هل يكون ذلك نقضا للوعد الإلهى الذى تتحدث عنه الآيه الكريمه؟ الجواب على كل هذه الأسئلة المتشعبه يتضح من خلال ملاحظه واحده هي:

إن أكثر الناس ضحيه المقاييس المحدوده فى تقييم مفهوم النصر،إذ يعتبرون الانتصار يتمثل فقط فى قدره الإنسان على دحر عدوه،أو السيطرة على الحكم لفترة وجيزه! إن مثل هؤلاء-لا يرون أى اعتبار لانتصار الهدف و تقدم الغايه،أو تفوق و انتشار المذهب و الفكره،هؤلاء-لا ينظرون إلى قيمه المجاهد الشهيد الذى يتحول إلى نموذج و قدوه فى حياه الناس و على مدى الأجيال.و لا ينظرون إلى القيمه الكبرى التى يستبطنها مفهوم العزه و الكرامه و الرفعه التى ينادى بها أحرار البشر و القرب من الله تعالى و نيل رضاه.

و بديهى إن الانحباس فى إطار هذا التقييم المحدود يجعل من العسير الجواب

على ذلك الاشكال، أما الانطلاق إلى أفق المعانى الواسعه الوضاه لمفهوم النصر الإلهى و الأخذ بنظر الاعتبار القيم الواقعيه للنصر سيؤدى بنا الى معرفه المعنى العميق للآيه.

ثمّه كلام لطيف لسيد قطب فى تفسيره «فى ظلال القرآن» يناسب هذا المقام، إذ يورد فيه ذكرى بطل كربلاء الإمام الحسين عليه السلام كمثال على المعنى الواسع لمفهوم النصر فيقول: «... والحسين-رضوان الله عليه و هو يستشهد فى تلك الصوره العظيمه من جانب، المفجعه من جانب، أ كانت هذه نصرا أم هزيمه؟ فى الصوره الظاهره و بالمقياس الصغير كانت هزيمه. فأما فى الحقيقه الخالصه و بالمقياس الكبير فقد كانت نصرا. فما من شهيد فى الأرض تهتز له الجوانح بالحب و العطف و تهفوا له القلوب و تجيش بالغير و الفداء كالحسين رضوان الله عليه، يستوى فى هذا المتشيعون و غير المتشيعين من المسلمين و كثير من غير المسلمين» (١).

و ينبغى أن نضيف إلى هذا الكلام أن شيعه أهل البيت عليهم السلام يشاهدون كل يوم بأعينهم آثار الخير من حياه سيد الشهداء الإمام أبى عبد الله الحسين عليه السلام و يلمسون آثار استشهاد و استشهاد صحبه البرره من أهل بيته و أصحابه؛ إن مجالس العزاء التى تقام للحديث عن مناقب الحسين و صحبه الكرام هى ينبوع الخير لحركه عظيمه تزه ما زال عطاؤها لم و لن ينضب! لقد شاهدنا بأعيننا و من خلال النموذج الثورى الذى شهدته أرض إيران المسلمه، كيف استطاع الملايين من أبناء الإسلام أن يتحركوا فى أيام عاشوراء للقضاء على الظلم و الطغيان و الاستكبار.

لقد شاهدنا بأعيننا كيف استطاع هذا الجيل المضحى الذى تربى فى مدرسه أبى الشهداء الحسين عليه السلام و تغذى ممّا تدره مجالس عزائه، أن يحطم بأيد خاليه عرش أقوى السلاطين الجبارين.

ص: ٢٨٤

نعم، لقد شاهدنا دم الحسين الشهيد و قد سرى فى العروق عزه و حركه و انتفاضه، و غيرت الحسابات السياسيه و العسكريه للدول الكبرى.

بعد كل ذلك، و مع كل العطاء الثر الهادى الذى استمدته كل الأجيال-خلال التاريخ-من ذكرى الطف و سيد الشهداء، ألا يعتبر الحسين عليه السلام منتصرا حتى باتت آثار نصره الظافر حاضره فينا بالرغم من مرور أكثر من ثلاثه عشر قرنا على استشهاده!؟

### سؤال آخر

ثمه سؤال آخر يتبلور من المقابله بين الآيه التى بين أيدينا و الآيه (٣٦) من سوره «المرسلات» إذ نقرأ الآيه التى نحن بصددھا أن اعتذار الظالمين لا يؤثر و لا ينفعهم يوم القيامه، فيما تنص الآيه من سوره المرسلات على أنه لا يسمح لهم بالاعتذار أصلا، حيث قوله تعالى: **وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ** فكيف يا ترى نوفق بين الإثنين؟ قبل الإجابة ينبغى الانتباه إلى ملاحظتين:

الأولى: أن ليوم القيامه مواقف معينه تختلف شرائطها، ففي بعضها يتوقف اللسان عن العمل و تنطق الأرجل و الأيدي و الجوارح، و تقوم بالشهاده على عمل الإنسان. و فى مواقف اخرى ينطلق اللسان بالنطق و الكلام (كما تحكى ذلك الآيه ٦٥ من سوره «يس» و الآيات السابقه فى هذه السوره التى تحدث عن تحاجج أهل النار).

بناء على هذا، فلا-مانع من عدم السماح لهم بالاعتذار فى بعض المواقف، فى حين يسمح لهم فى مواقف اخرى، و إن كان الاعتذار لا يجدى شيئا و لا يغير من المصير.

الملاحظه الثانيه: إن الإنسان يتحدث فى بعض الأحيان بكلام لا فائده منه،

ففى مثل هذه الموارد يكون الشخص كمن لم يتكلم أصلاً. بناء على هذا يمكن أن تكون الآيه الداله على عدم السماح لهم بالاعتذار تقع وفق هذا المعنى، أى أنّ اعتذارهم برغم خروجه من أفواههم، إلاّ أنّه لا فائده ترجى منه.

تنتقل الآيات الكريمة بعد ذلك للحديث عن أحد الموارد التى انتصر فيها الرسل نتيجة الحمايه الإلهيه و الدعم الرّياني لهم، فتحدث عن النّبي الكليم عليه السّلام:

وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَ أَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ

إنّ هدايه الله لموسى تنطوى على معانى واسعه إذ تشمل مقام النبوه و الوحى، و الكتاب السماوى (التوراه) و المعاجز التى وقعت على يديه عليه السّلام أثناء تنفيذه لرسالات ربّه و تبليغه إياها.

إن استخدام كلمه «ميراث» بالنسبه إلى التوراه يعود إلى أنّ بنى إسرائيل توارثوه جيلاً بعد جيل، و كان بإمكانهم الاستفادة منه بدون مشقه، تماماً مثل الميراث الذى يصل إلى الإنسان بدون عناء و تعب، و لكنهم فرّطوا بهذا الميراث الإلهي الكبير.

الآيه التى بعدها تضيف: هُدَىٰ وَ ذِكْرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ (١).

الفرق بين «الهدايه» و «الذكري» أنّ الهدايه تكون فى مطلع العمل و بدايته، أما التذكير فهو يشمل تنبيه الإنسان بأمر سمعها مسبقاً و آمن بها لكنّه نسيها.

و بعبارة اخرى: إنّ الكتب السماويه تعتبر مشاعل هدايه و نور فى بدايه انطلاقه الإنسان، و ترافقه فى أشواط حياته تبث من نورها و هداها عليه.

و لكن الذى يستفيد من مشاعل الهدى هذه هم «أولو الألباب» و أصحاب العقل، و ليس الجهله و المعاندون المتعصبون.

الآيه الاخيريه- من المقطع الذى بين أيدينا- تنطوى على وصايا و تعليمات

ص: ٢٨٦

١- ١) - يمكن أن تكون «هدى و ذكري» مفعولاً- لأجله أو مصدراً بمعنى الحال، أى (هاديا و مذكراً لأولى الألباب) لكن البعض احتمال أن تكون بدلاً أو خيراً لمبتدأ محذوف، إلاّ أن ذلك غير مناسب كما يبدو.

مهّمه للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ فِي وَاقِعِهَا تَعْلِيمَاتٌ عَامَةٌ لِجَمِيعٍ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْمَخَاطَبَ بِهَا هُوَ شَخْصُ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

يقول تعالى: فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ .

عليك أن تصبر على عناد القوم و لجاجه الأعداء.

عليك أن تصبر حيال جهل بعض الأصدقاء و المعارف، و تتحمل أحيانا أذاهم و تخاذلهم.

و عليك أيضا أن تصبر إزاء العواطف النفسية.

إن سر انتصارك في جميع الأمور يقوم على أساس الصبر و الاستقامه.

ثم اعلم أن وعد الله بنصرك و أمتك لا- يمكن التخلف عنه، و إيمانك- و إيمانهم -بحقانيه الوعد الإلهي يجعلك مطمئنا و مستقيما في عملك، فتتهون الصعاب عليك و على المؤمنين.

لقد أمر الله تعالى رسوله مرّات عديده بالصبر، و الأمر بالصبر جاء مطلقا في بعض الموارد، كما في الآيه التي بصددها، و جاء مقيدا في موارد اخرى و يختص بأمر معين، كما في الآيتين (٣٩-٤٠) من سوره «ق»: فَاصْبِرْ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ .

و كذلك يخاطبه تعالى في الآيه (٢٨) من سوره الكهف بقوله تعالى: وَ اصْبِرْ نَفْسَ كَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاهِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَ لَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ لَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَ كَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا .

إن جميع انتصارات الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و المسلمين الأوائل إنما تمت بفضل الصبر و الاستقامه و اليوم لا بد أن نسير على خطى رسول الله، و نصبر كما صبر الرسول و أصحابه إذ لولاه لما حالفنا النصر مقابل أعدائنا الألداء.

الفقره الأخرى من التعليمات الربانيه تقول: وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ .

واضح أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ معصوم لم يرتكب ذنبا و لا معصيه، لكننا قد أشرنا

فى غير هذا المكان إلى أن أمثال هذه التعابير فى القرآن الكريم، و التى تشمل فى خطابها الرسول الأكرم و سائر الأنبياء، إنما تشمل ما نستطيع تسميته بـ«الذنوب النسبية» لأن من الأعمال ما هو عباده و حسنه بالنسبه للناس العاديين، بينما هى ذنب للرسول و الأنبياء لأن: (حسنات الأبرار سيئات المقربين).

فالغفله-مثلا- لا تليق بمقامهم، و لو لحظه واحده. و كذلك الحال بالنسبه لترك الأولى، إذ أن منزلتهم الرفيعه و معرفتهم العاليه تتوجب أن يحذروا هذه الأمور و يستغفروا منها متى ما صدرت عنهم.

و ما ذهب إليه البعض من أن المقصود بالذنوب هى ذنوب المجتمع، أو ذنوب الآخرين التى ارتكبوها بشأن رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم أو أن الاستغفار تعبدى فهو بعيد.

الفقره الأخيره فى الآيه الكريمه تقول: **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ**.

«العشى» فتره ما بعد الظهر إلى قبل غروب الشمس، أما «الإبكار» فهو ما بين الطلوعين.

و يمكن أن تطلق لفظتا (العشى و الإبكار) على الوقت المعين بالعصر و الصباح، حيث يكون الإنسان مهياً للحمد و تسبيح خالقه تبارك و تعالى بسبب عدم شروعه بعد بعمله اليومى، أو أنه قد انتهى منه.

و قد اعتبر البعض أن هذا الحمد و التسبيح إشاره إلى صلاه الصبح و العصر، أو الصلوات اليوميه الخمس، فى حين أن ظاهر الآيه ينطوى على مفهوم أوسع من ذلك الصلوات هى إحدى مصاديقها.

فى كل الأحوال تعتبر التعليمات الثلاث الآنفه الذكر شامله بناء الإنسان و إعداده للرقى فى ظل اللطف و الرعايه الإلهيه، و هى إلى ذلك زاده فى سيره للوصول نحو الأهداف الكبيره.

فهناك أولا- و قبل كل شىء- التحمل و الصبر على الشدائد

و الصعوبات، ثم تطهير النفس من آثار الذنوب. و أخيرا تكليل كل ذلك بذكر الله، حيث تسيحه و حمده يعنى تنزيهه من كل عيب و نقص، و حمده فوق كل حسن و كمال.

إن الحمد و التسيح الذى يكون لله تعالى يؤثر فى قلب الإنسان و يطهره من جميع العيوب، و من سيئات الغفلة و اللهو، و يجعله يتصف باليقظة و الكمال.

ص: ٢٨٩

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦)  
لَخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمَسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨) إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٩)

التفسير

اشاره

ما يستوى الأعمى والبصير!

دعت الآيات السابقة رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم إلى الصبر و الاستقامه أمام المعارضين و أكاذيبهم و مخططاتهم الشيطانيه، و الآيات التي نحن بصددھا تذكر سبب مجادلتهم للحق.

يقول تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنَّ فِي



«المجادله»- كما أشرنا سابقا- تعنى العناد فى الكلام و إطالته بأحاديث غير منطقيه، و إن كانت تشمل أحيانا فى معناها الواسع الحق و الباطل.

أما قوله تعالى: بِعَیْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ فَهَى للتأكيد على ما استفاد من معنى المجادله حيث تعنى «سلطان»الدليل و البرهان الذى يكون سببا لهيمنه الإنسان على خصمه.

أما «آتاهم» فهى إشاره إلى الأدله و البراهين التى أوحى الله بها إلى أنبيائه عليهم السلام، و لا ريب أن الوحي هو أفضل الطرق و أكثرها اطمئنانا لإثبات الحقائق.

أما المقصود بـ «آيات الله» التى كانوا يجادلون فيها، فهى معجزات و آيات القرآن و الأحاديث المختصه بالمبدأ و المعاد، حيث كانوا يعتبرونها سحرا، أو أنها علامات الجنون، أو أساطير الأولين! من ذلك يتبين أن ليس لهؤلاء من دليل حى و منطقى فى المجادله سوى التعالى و الغرور و التكبر عن الانصياع إلى الحق، لذلك كانوا يرون أن أفكار الآخرين و عقائدهم باطله و أن عقائدهم و أفكارهم حقه! تشير كلمه (إن) إلى أن السبب الوحيد لعنادهم فى هذه الموارد هو الغرور و التكبر، و إلا كيف يصرّ الإنسان على كلامه و موقفه دون دليل أو برهان.

«الصدور» تشير هنا إلى القلوب، و المقصود بالقلب هو الفكر و الروح، حيث ورد هذا المعنى مرّات عدّه فى آيات الكتاب المبين.

أما كلمه (كبر) فى الآيه فقد فسّرها بعض المفسّرين بالحسد.

و بذلك اعتبر هؤلاء أن سبب مجادلتهم لرسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم هو حسدهم له و لمنزلته و مقامه المعنوى الظاهرى.

لكن «كبر» لا تعنى فى اللغه المعنى الآنف الذكر، لكنّه يمكن أن يلازمها، لأنّ

من يتكبر يحسد، إذ لا يرى المتكبر المواهب إلا لنفسه، و يتألم إذا انصرفت لغيره حسدا منه و جهلا.

ثم تضيف الآية: مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ .

إنَّ هدفهم أن يروا أنفسهم كبارا، يفاخرون بذلك و يفتخرون على غيرهم، لكنَّهم لن يحصدوا سوى الذله و الخسران، و لن يصلوا بطريق التكبر و الغرور و العلو و المجادله بالباطل إلى ما يبتغونه (١).

فى نهايه الآيه تعليمات قيمه لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بأن يستعيد بالله من شر هؤلاء المتكبرين المغرورين الذين لا منطوق لهم، حيث يقول تعالى: فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ .

فهو-تعالى- يسمع أحاديثهم الباطله الواهيه، و ينظر إلى مؤامراتهم و أعمالهم القبيحه و خططهم الشريره.

و الاستعاذه بالله لا تنبغى لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وحده و حسب، و إنما تجب على كل السائرين فى طريق الحق عند ما تتعاضم الحوادث و يستعر الصدام مع المتكبرين عدمى المنطق! لذلك نرى استعاذه يوسف عليه السَّلام عند ما تواجهه العاصفه الشديده المتمثله بشهوه «زليخا» يقول: مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ فكييف أخون عزيز مصر الذى أكرمنى و أحسن وفادتى.

و فى آيات سابقه من نفس هذه السوره نقرأ أنَّ كليم الله موسى عليه السَّلام قال:

ص: ٢٩٢

١- ١) - ثمه بين المفسرين كلام حول مرجع الضمير فى قوله: «بالغيه» أشهره قولان. الأول: أن يعود الضمير إلى «كبر» و تكون «ما هم بالغيه» جمله وصفيه ل(كبر) و يكون المعنى هكذا: إنهم لا يصلون إلى مقتضى و هدف تكبرهم (فى الواقع حذف هنا المضاف و التقدير «ما هم بالغيه مقتضى كبرهم»). الثانى: أن يعود الضمير إلى «جدال» الذى يستفاد من جمله «يجادلون» و المعنى أنهم لن يصلوا إلى هدف جدالهم المتمثل بإبطال الحق. و لكن فى هذه الحاله لا تستطيع أن نقول: إن جمله صفه (كبر) بل ينبغى أن نعطفها على ما سبقها مع حذف العاطف.

إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ

(١)

إن قضية المعاد و عوده الروح للإنسان بعد موته، تعتبر من أكثر القضايا التي يجادل فيها الكفار، و يعاندون بها رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم لذلك تنتقل الآية التالية إلى التذكير بهذه القضية، و إعاده طرحها وفق منطق قرآني آخر، إذ يقول تعالى: لَخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ .

إن خالق هذه المجرات العظيمة و مدبرها يستطيع-بصوره أولى- أن يحيى الموتى، و إلا- كيف يتسق القول بخلقه السماوات و الأرض و عجزه من إعاده الإنسان إلى الحياه بعد الموت؟ إن هذا المنطق يعبر عن جهل هؤلاء الذين لا يستطيعون إدراك هذه الحقائق الكبرى! أغلب المفسرين اعتبر هذه الآية ردًا على مجادله المشركين بشأن قضية المعاد، بينما احتل البعض أنها رد على كبر المتكبرين و المغرورين الذين كانوا يتصورون أن ذواتهم و أفكارهم عظيمه غير قابله للرد أو النقص، في حين أنها تافهه بالقياس إلى عظمه عالم الوجود (٢) .

هذا المعنى غير مستبعد، و لكن إذا أخذنا بنظر الإعتبار الآيات التي بعدها يكون المعنى الأول أفضل.

لقد تضمنت الآية الكريمه سببا آخر من أسباب المجادله متمثلا بـ«الجهل» في حين طرحت الآيات السابقه عامل «الكبر». و العاملين يرتبطان مع بعضهما، لأن أصل و أساس «الكبر» هو «الجهل» و عدم معرفه الإنسان لحدوده و قدره، و لعدم تقديره لحجم علمه و معرفته.

الآيه التي بعدها، و في إطار مقارنه واضحه تكشف عن الفرق بين حال

ص: ٢٩٣

١-١) -المؤمن- ٢٧.

٢-٢) -يلاحظ الرأي الأول في مجمع البيان، تفسير الفخر الرازي، الكشاف، روح المعاني، الصافي و روح البيان.

المتكبرين الجهله إزاء المؤمنين الواعين، حيث يقول: **وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ** (١).

إلا أنكم بسبب جهلكم و تكبركم: **قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ** (٢).

إن المبصرين يرون صغر أنفسهم إزاء عظمه العالم المحيط بهم، وبذلك فهم يعرفون قدر أنفسهم و معرفتهم و موقعهم، إلا أن الأعمى لا يدرك موقعه أو حجمه في الزمان و المكان و في عموم الوجود المحيط به. لذلك فهو يخطئ دائما في تقييم أبعاد وجوده، و يصاب بالكبر و الغرور و الوهم الذي يدفعه إلى ما هو قبيح و سيء.

و نستفيد أيضا من خلال ارتباط الجملتين ببعضهما البعض أن الإيمان و العمل الصالح ينور بصائر القلب و الفكر بنور المعرفة و التواضع و الاستقرار، بعكس الكفر و العمل الطالح الذي يجعل الإنسان أعمى فاقدًا لبصيرته، مشوّها في رؤيته للأشياء و المقاييس.

الآية الأخيرة في المجموعه القرآنيه التي بين أيدينا تتعرض إلى وقوع القيامة و قيام الساعه حيث يقول تعالى: **إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ**.

«إن» و «اللام» في (لا-تية) و جملة (لا-ريب فيها) كلها للتأكيد المكرر الذي يستهدف تأكيد المضمون و المعنى المراد، و هو قيام القيامة.

لقد عالجت الرؤية القرآنيه قضيه القيامة في أكثر من مكان و مورد، بمختلف الأدله و وسائل الإقناع، ذلك نرى بعض الآيات تذكر قيام الساعه و القيامة بدون مقدمات أو دليل، مكتفيه بما ورد من أدله و مقدمات في أماكن اخرى من الكتاب

ص: ٢٩٤

١-١) - النظره الأوليه في الآيه قد لا توجب معنى ل«لا النافيه» في قوله تعالى: **وَلَا الْمُسِيءُ** و لكن تأكيد النفي من ناحيه، و تجليه المقصود من الجملة من ناحيه ثانيه، أو جوب تكرار النفي، مضافا إلى أن طول الجملة قد يؤدي إلى نسيان الإنسان للنفي الأول، الأمر الذي يوجب التكرار.

٢-٢) - «ما» في قوله تعالى: **قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ** زائده، و هي للتأكيد.

«الساعة» كما يقول «الراغب» في «المفردات» هي بمعنى: أجزاء من أجزاء الزمان.

إنّ الإشارة التي يطويها هذا الاستخدام لكلمه (الساعة) يشير إلى السرعة التي يتم فيها محاسبه الناس هناك.

لقد استخدمت الكلمه عشرات المرّات في القرآن الكريم، لتدل بشكل عام على المعنى الآنف الذكر، لكنّها تعنى في بعض الأحيان نفس القيامه، فيما تعنى في أحيان اخرى الإشارة إلى انتهاء العالم و مقدمات البعث و النشور. و بسبب من الارتباط القائم بين الحدثين و القضيتين، و أنّ كلاهما يحدث بشكل مفاجئ، لذا تمّ استخدام كلمه «الساعة». (يمكن للقارىء الكريم أن يعود إلى بحث مفصل حول «الساعة» في تفسير سوره الروم).

أما سبب القول: بَ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ فلا- يعود إلى أن قيام القيامه من القضايا المجهوله و المبهمه، بل ثمّه ميل في الإنسان نحو «الحرية» في الاستفاده غير المشروطه أو المقيده من ملذات الدنيا و شهواتها، بالإضافة إلى الأمل الطويل العريض الذي يلازم الإنسان فينساق مع الحياه، و يغفل عن التفكير بالقيامه، أو الاستعداد لها.

#### ملاحظه

#### اشاره

#### اليهود المغرورون:

لقد ذكر بعض المفسّرين في سبب نزول الآيه الأولى- من مجموعه الآيات التي بين أيدينا- بحثاً مفاده أن اليهود كانوا يقولون: سيخرج المسيح الدجال فنعيه على محمّد و أصحابه و نستريح منهم، و نعيد الملك إلينا (مجمع البيان- الجزء

يمكن أن يشمل هذا السبب فيما يتضمّن من ادعاءات اليهود معينين:الأول:

أنّهم أرادوا أن ينتصر المسيح على الدّجال، من خلال ادعائهم أنّ «المسيح المنتظر» هو منهم و تطبيق الدّجال، و العياذ بالله، على النّبي الأكرم صلّى الله عليه و اله و سلّم.

أو أنّهم كانوا حقا في انتظار الدّجال الذى كانوا يعتبرونه من أنفسهم.

ذلك أنّ المسيح و كما ذكر «الراغب» في «المفردات» و ابن منظور في «لسان العرب» تطلق على «عيسى» عليه السّلام بسبب سيره و سياحته في الأَرْض، أو بسبب شفائه للمرضى بأمر الله عند ما كان يمسخ بيده عليهم. و كانت تطلق أيضا على «الدجال» لأنّ الدجال له عين واحدة، بينما كان مكان العين الأخرى ممسوحا.

و يحتمل أن يكون اليهود ينتظرون خروج الدجال ليتعاونوا معه في دحر المسلمين الذين هزموهم مرات عديدة ممّا أثار غضبهم على رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم.

و قد يكونوا في انتظار المسيح، كما يستفاد من قاموس الكتاب المقدس حيث يظهر أنّ المسيحيين و اليهود ينتظرون خروج المسيح، لأنّهم يعتقدون بأنّ المسيح سيحارب الدجال و يقضى عليه. لذلك أرادوا تطبيق هذا المعنى على ظهور الإسلام.

و قد استنتج بعض المفسّرين من سبب نزول هذه الآية على أنّها مدنيه دون غيرها من آيات السوره المكيه. و لكن عدم ثبوت سبب النّزول، كما أن عدم وضوح مفاد الآية و إبهامها تستوجب ضعف هذا الاستنتاج.

إشارة

وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٦١) ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَنِي تُؤَفَّكَونَ (٦٢) كَذَلِكَ يُؤَفِّكُ الَّذِينَ كَانُوا بِالآيَاتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ (٦٣)

التفسير

إشارة

ادعوني أستجب لكم:

لقد تضمنت الآيات السابقة ألوان الوعيد و التهديد لغير المؤمنين من المتكبرين و المغرورين،المجموعه التي بين أيدينا من الآيات الكريمة تفيض حبا إليها و لطفًا،و تنتجس بالرحمة الشاملة للتائبين.

يقول تعالى أولاً: وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ .

لقد فسّر الكثير من المفسّرين «الدعاء» بمعناه المعروف، و ما يؤكّد ذلك هو جملة «استجب لكم»بالإضافة إلى ما تفيدته الروايات العديده الوارده بخصوص

هذه الآيه و ثواب الدعاء،و التي سنشير إلى بعض منها فيما بعد.

و لكن بعض المفسرين تبع (ابن عباس) في رأيه بأن الدعاء هنا بمعنى التوحيد و عباده الخالق جلّ و علا، أي «اعبدوني و اعترفوا بوحديتي» إلا أنّ التفسير الأوّل هو الأطهر.

و نستفيد من الآيه أعلاه مجموعه ملاحظات هي:

١- أنّ الله يحب الدعاء و يريده و يأمر به.

٢- لقد وعد الله بإجابته الدعاء، لكن هذا الوعد مشروط و ليس مطلقا. فالدعاء واجب الإجابة هو ما اجتمعت فيه الشروط اللازمه للدعاء و الداعي و موضوع الدعاء.

و في هذا الإطار شرحنا ما يتعلق بهذا الموضوع في تفسير الآيه (١٨٦) من سوره البقره.

٣- الدعاء في نفسه نوع من العباده، لأنّ الآيه أطلقت في نهايتها صفه العباده على الدعاء.

تتضمّن الآيه في نهايتها تهديدا قويا للذين يستنكفون عن الدعاء، حيث يقول تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (١).

### أهميه الدعاء و شروط الاستجابة

ثمّه تأكيد كبير على أهميه الدعاء في الروايات المنقوله عن رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم و الأئمّه المعصومين عليهم السلام:

١-

في حديث عن رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم أنّه قال: «الدعاء هو العباده» (٢).

ص: ٢٩٨

١- (١) - داخر من «دخور» و تعنى الذله، و هذه الذله هي عقوبه ذلك التكبر و الاستعلاء.

٢- (٢) - مجمع البيان، المجلد الثامن، صفحه ٥٢٨.



فى حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه سئل: ما تقول فى رجلين دخلا المسجد جميعا، كان أحدهما أكثر صلاة، والآخر دعاء فأيهما أفضل؟ قال «كلّ حسن».

لكن السائل عاد و سأل الإمام عليه السّلام: قد علمت، و لكن أيهما أفضل؟ أجاب الإمام عليه السّلام:

«أكثرهما دعاء، أما تسمع قول الله تعالى: اذْعُونِي اَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ. ثم أضاف بعد ذلك: «هى العباده الكبرى» (١).

فى حديث عن الإمام الباقر عليه السّلام أنّه أجاب عن أفضل العبادات بقوله: «ما من شىء أفضل عند الله من أن يسأل و يطلب ممّا عنده، و ما أحد أبغض إلى الله عزّ و جلّ ممن يستكبر عن عبادته، و لا يسأل ما عنده» (٢).

فى حديث آخر عن الإمام جعفر الصادق أنّه عليه السّلام قال: «إنّ عند الله عزّ و جلّ منزله لا تنال إلاّ بمسأله، و لو أنّ عبدا سدّ فاه و لم يسأل لم يعط شيئا فاسأل تعط، إنّه ليس من باب يقرع إلاّ يوشك أن يفتح لصاحبه» (٣).

٥-لقد ورد فى بعض الرّوايات أنّ الدعاء أفضل حتى من تلاوه القرآن، كما أشار إلى ذلك الرّسول الأعظم صلّى الله عليه و اله و سلّم و حفيده من أئمة المسلمين الإمام الباقر و الصادق عليهما السّلام، حيث قالوا:

«الدعاء أفضل من قراءه القرآن» (٤). و فى نطاق تحليل قصير نستطيع أن ندرك عمق مفاد هذه الأحاديث، فالدعاء يقول الإنسان من جانب إلى معرفه الله تبارك و تعالى، و هذه المعرفه هى أفضل رصيد للإنسان فى وجوده.

و من جانب آخر يدفع الدعاء الإنسان إلى الإحساس العميق بالفقر و الخضوع

(١-١) -مجمع البيان، المجلد الثامن، صفحه ٥٢٩.

(٢-٢) -الكافى، مجلد ٢، باب: فضل الدعاء و الحث عليه. صفحه ٣٣٨.

(٣-٣) -الكافى، المجلد الثانى، (باب فضل الدعاء و الحث عليه) ص: ٣٣٨.

(٤-٤) -مكارم الأخلاق، طبقا للميزان، المجلد ٢، ص ٣٤.

تجاه خالقه جلّ و علا و يبعده عن التعالى و الغرور اللذين يعدّان الأرضيه المناسبه للمجادله فى آيات الله و الانحراف عن جاده الصواب و الوقوع فى المهالك.

من جانب ثالث يعمق الدعاء لدى الإنسان الشعور بأنّه جلّ و علا منبع النعم و مصدره و يدفعه إلى العشق و الارتباط العاطفى مع الله جلّ جلاله.

و من جانب رابع يشعر الإنسان بالحاجه الى الله تعالى و انه رهين نعمته، و لذلك فهو موظف بطاعته و تنفيذ أوامره، و يرهف إحساسه بالعبوديه لله تعالى.

و خامس بما أنه يعلم أنه للإجابة شروطها، و من شروطها خلوص النيه، و صفاء القلب، و التوبه من الذنوب، و قضاء حوائج المحتاجين، و السعى فى مسائل الناس من الأقرباء و الأصدقاء و غيرهم، فلذلك يهتم ببناء الذات و إصلاح النفس و تربيتها.

و سادس يركّز الدعاء فى نفس الإنسان الداعى عوامل المنعه و الإراده و الثقه، و يجعله أبعد الناس عن اليأس و القنوط أو التسليم للعجز (و قد تحدثنا عن الدعاء و فلسفته و شرائطه ذيل الآيات ٧٧ من سوره الفرقان).

ثمّه ملاحظه مهمّه هنا، هى أن الدعاء لا يلغى بذل الوسع و الجهد من قبل الإنسان، و إنّما حسبما تفيد الروايات و الأحاديث فى هذا الشأن -على الإنسان أن يسعى و يبذل و يجهد، و يترك الباقي على الله تعالى. لذا لو جعل الإنسان الدعاء بديلا عن العمل و الجهد فسوف لا يجاب إلى مطلبه حتما.

لذلك نقرأ

فى حديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السّلام أنّه قال: «أربعة لا- تستجاب لهم دعوه: رجل جالس فى بيته يقول: اللهم ارزقنى، فيقال له: ألم آمرك بالطلب؟ و رجل كانت له امرأه فدعا عليها، فيقال له: ألم أجعل أمرها إليك؟ و رجل كان له مال فأفسده، فيقول: اللهم ارزقنى، فيقال له: ألم آمرك بالاقتصاد؟ ألم آمرك بالإصلاح؟ و رجل كان له مال فأدانه بغير بينه، فيقال له: ألم آمرك

ص: ٣٠٠

بالشهادة؟! (١).

و من الواضح أنّ الموارد التي يتحدّث عنها الحديث الشريف، إنّما منع فيها الإنسان عن إجابته دعوته لعدم بذله قصارى جهده و سعيه، فعليه أن يتحمّل تبعه تفصيله و تفريطه.

من هنا يتضح أنّ أحد عوامل عدم استجابته الدعاء يتمثل في التباطؤ و ترك الجهد المناسب للعمل و اللجوء إلى الدعاء و قد جرت سنه الله تعالى على عدم إجابته مثل هذه الدعوات.

طبعاً، هنا عوامل و أسباب أخرى لعدم استجابته بعض الأدعية. فمثلاً عادة ما يحدث أن يخطئ الإنسان في تشخيص مصالحة و مفاصله، إذ يصير أحياناً على موضوع معين و يطلبه من الخالق جلّ و علا في حين ليس من مصلحته ذلك. و لكنّه يفهم ذلك فيما بعد.

و هذا الأمر يشبه إلى حد كبير الطفل أو المريض الذي يطلب بعض الأَطعمه و الأَشربه و يشتهيها، فلا يجاب لطلبه و لا تلبى رغبته، لأنّها قد تؤدي إلى مضاعفه الخطر على صحته أو حتى المجازفه بحياته. ففي مثل هذه الموارد لا يستجيب الله تعالى لدعاء العبد، بل يدخر له الثواب يوم القيامة، مضافاً إلى أن لاجابه الدعاء شروطاً مذكوره في الآيات و الروايات الشريفه و قد بحثنا هذا الموضوع مفصلاً في المجلد الأوّل من هذا التفسير (٢).

### موانع استجابته الدعاء

لقد ذكرت بعض الروايات ذنوباً متعدّده إذا ارتكبها الإنسان تحول بينه و بين إجابته دعائه، مثل سوء النيه، النفاق، تأخير الصلاه عن وقتها، اللسان البذيء الذي

ص: ٣٠١

١-١) -أصول الكافي، المجلد الثّاني، باب من لا يستجاب له دعوه الحديث رقم (٢).

٢-٢) -البقره، الآيه ١٨٦.

يخشاه الناس، الطعام الحرام، وترك الصدقه و الإنفاق فى سبيل الله تعالى (١).

و فى إطار هذه النقطة بالذات تمه حديث جامع عن الإمام الصادق عليه السلام ينقله «الشيخ الطبرسى» فى «الإحتجاج» أنه سئل: أليس يقول الله: أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ و قد نرى المضطر يدعو و لا يجاب له، و المظلوم يستنصره على عدوه فلا ينصره؟

قال: «و يحكك! ما يدعو أحد إلا استجاب له، أما الظالم فدعاؤه مردود إلى أن يتوب، و أمّا المحقق فإذا دعا استجاب له و صرف عنه» البلايا من حيث لا يعلمه، أو ادخر له ثوابا جزيلًا ليوم حاجته إليه، و إن لم يكن الأمر الذى سأل العبد خير له إن أعطاه، أمسك عنه» (٢).

نعود الآن إلى الآيه الكريمة... فبما أن الدعاء و طلب الحوائج من الله تعالى يعتبر فرعا لمعرفته، لذا تتحدث الآيه التى تليها عن حقائق تؤدى إلى ارتقاء مستوى معرفه لدى الإنسان، و تزيد شروطا جديدا لإجابته الدعاء، متمثلا بالأمل فى الإجابة، بل و انتظار تنجز الحاجه و تمامها.

يقول تعالى: <sup>□</sup>اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَشْكُنُوا فِيهِ .

إنّ ظلمه الليل و هدوءه و سكونه يعتبر-من جانب- سببا قهريا لتعطيل الحركة اليومية لعمل الإنسان السوى و نشاطه. و الظلمه-من ناحيه اخرى- تمحو عن الإنسان تعب النهار، و تدفعه إلى الاستقرار و الرفاه لجسده و أعصابه، فى حين يعتبر النور و النهار أساس الحياه و الحركة.

لذلك يضيف تعالى قوله تعالى: <sup>□</sup>وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا .

فى النهار المبصر يضاء محيط الحياه و تدب الحركة و النشاط فى روح الإنسان و كيانه.

و الطريف أنّ «مبصرًا» تعنى الذى يبصر. و عند ما يوصف النهار بهذا الوصف،

ص: ٣٠٢

١-١) -معانى الأخبار. طبقا لما أورده نور الثقلين فى المجلد الرابع. صفحه (٥٣٤) و أصول الكافى.

٢-٢) -تفسير الصافى أثناء تفسير الآيه الكريمة.

فانه فى الحقيقه نوع من التأكيد فى جعل الناس مبصرين. (ثم بحث عن فلسفه النور و الظلام و الليل و النهار، ورد أثناء الحديث عن الآيات (١)).

ثم تضيف الآيه: إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ .

إنّ النظام الدقيق كتناوب الليل و النهار و الظلمه و النور، يعتبر واحدا من مواهب الله تبارك و تعالى و عطاياه لعباده، و سر من أسرار الحركه فى الحياه و فى منظومه الوجود الكونى.

فبدون النور ليس ثمه حياه أو حركه، و من دون أن يتناوب الليل و النهار-أو الظلام و النور- سيؤدى إلى تعطيل حركه الحياه، بل و جعلها مستحيله. فشدّه النور -مثلا-ستشل الموجودات و تعطّل نمو النبات، و كذلك الظلمه الدائمه لها أضرارها. و لكن الناس- و بدواعى العاده و الألفه-لم يلتفتوا إلى هذه المواهب الإلهيه و ما تستبطنه من منافع لهم.

و الملفت للنظر أن القاعده تقتضى أن يكون هناك «ضمير» بديل «الناس» الثانيه، فيكون القول: لكن أكثرهم لا يشكرون، إلا أنّ ذكر «الناس» بدلا عن الضمير كأنه يشير إلى أن طبع الإنسان الجاهل هو كفران النعم و ترك الشكر، كما نقرأ ذلك واضحا فى الآيه (٣٤) من سوره إبراهيم، فى قوله تعالى: إِنَّ الْإِنْسَانَ لَطَلُومٌ كَفَّارٌ. (يلاحظ هذا المعنى فى تفسير الميزان و روح المعانى).

أمّا إذا ملك الإنسان عينا بصيره و قلبا عارفا بحيث يرى النعم الإلهيه اللامتناهيه فى كل مكان يحل به، و ينظر إلى فيض النعم و العطايا و المواهب الربانيه، فسيضطر طبيعيا إلى الخضوع و العبوديه و الشكر، و يرى نفسه صغيرا مدينا إلى خالق هذه العظمه و واهب هذه العطايا. (عن معنى الشكر و أقسامه يمكن مراجعه البحث الخامس فى تفسير الآيه (٧) من سوره إبراهيم).

ص: ٣٠٣

الآيه التي تليها تبدأ من توحيد الربوبية و تنتهى بتوحيد الخالقيه و الربوبية.

فتقول أولاً: ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَ مَرِيكُمْ الَّذِي مِنْ صِفَاتِهِ أَنَّهُ: خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ .

وَ لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .

فى الواقع إن وجود كل هذه النعم دليل على الربوبية و التدبير، و خالق كل شىء عنوان لصفه التوحيد فى الربوبية، لأن الخالق هو المالك و المربى. و من المعلوم أن الخلق يستدعى الرعايه الدائمه لأن الخالقيه لا تعنى أن الله يخلق الخلق و يتركها و شأنها، بل لا بدّ و أن يكون الفيض الالهى مستمرا فى كل لحظه على جميع الموجودات. و لذلك فهذه الخالقيه لا تنفصل عن الربوبية.

و من الطبيعى أن هذا الإله هو الوحيد الذى يستحق العباده، و أن ترجع إليه الأشياء.

لذا فإن جملة خالق كل شىء تعتبر الدليل ل ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَ إِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ هى النتيجة لذلك.

و تتساءل الآيه فى نهايتها: كيف يسوغ الإنسان لنفسه الانحراف و التنكب عن الجاده المستقيمه؟ فيقول تعالى: فَأَنى تُؤْفَكُونَ (١).

و لماذا تتركون عبادته الله الواحد الأحد إلى عبادته الأصنام؟ و الملاحظ أن «تؤفكون» صيغه مجهول، بمعنى أنها تحرفكم عن طريق الحق، و كأن المراد هو أن المشركين فاقدون للإرادته الى درجه أنهم يساقون فى هذا المسير دون اختيار أى نسبه من الحريه و الإراده و الإختيار فى هذا المجال! الآيه الأخيره- من مجموع الآيات التى نبحثها- تأتى و كأنها تأكيد لمواضيع الآيات السابقه، فيقول تعالى: كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ .

«يجحدون» مشتقه من ماده «جحد» و هى فى الأصل تعنى إنكار الشىء

ص: ٣٠٤

١ - ١) - «تؤفكون» من «إفك» و تعنى الانحراف و الرجوع عن طريق الحق و جاده الصواب. و لهذا السبب يقال للرياح المضاده «المؤفكات». و يعبر عن «الكذب» ب «الإفك» بسبب ما فيه من انحراف عن بيان الحق.

الموجود فى القلب و النفس.بمعنى أنّ الإنسان يقر فى نفسه و قلبه بعقيدته أو نشىء ما،و فى نفس الوقت ينفيه و يتظاهر بعكسه أو يعتقد بعدمه فى نفسه و يثبته فى لسانه.

و يطلق وصف الجحود على البخلاء و الذين لا يؤمل منهم الخير و يتظاهرون بالفقر دائما.أما«الأرض الجحده»فهى التى لا ينبت فيها النبات إلا قليلا (١).

بعض علماء اللغة أوجز فى تفسير«جحد»و«جحود»بقولهم:الجحود الإنكار مع العلم (٢).

و بناء على ما تقدم فإن الجحود يتضمّن فى داخله نوعا من معانى العناد فى مقابل الحق،و من الطبيعى أن من يتعامل مع الحقائق بهذا المنظور لا يمكن أن يستمر فى طريق الحق،فما لم يكن الإنسان باحثا عن الحقيقة و طالبا لها و مدعنا أمام منطقها فسوف لن يصل إليها مطلقا.

لذا فإنّ الوصول إلى الحق يحتاج مسبقا إلى الاستعداد و البناء الذاتى،أى التقوى قبل الإيمان،و هو الذى أشار إليه تعالى فى مطلع سورة البقره: **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** .

ص: ٣٠٥

---

١-١) -الراغب فى المفردات ماده«جحد».

٢-٢) -لسان العرب نقلا عن«الجوهري»

اشاره

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَبَارِكْ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٤٤) هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥) قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا لَجَأْنِي إِلَى إِلَهِ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦)

التفسير

اشاره

ذلكم الله ربكم:

تستمر هذه المجموعه من الآيات الكريمة بذكر المواهب الإلهيه العظيمة و شمولها للعباد، كى تهب لهم المعرفه، و تربى فى نفوسهم الأمل بالدعاء و التسليم و طلب الحوائج من الله تعالى.

و الطريف فى الأمر هنا أن الآيات السابقه كانت تتحدث عن «النعم الزمانيه» من ليل و نهار، بينما تتحدث هذه المجموعه عن «النعم المكانيه» أى الأرض القرار، و السقف المرفوع (السماء) حيث تقول: اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ



لقد خلق الله للإنسان الأرض كى تكون مقرًا هادئًا و مستقرًا آمنًا له إنه المكان الخالى من المعوقات الصعبة، متناسق فى تشكيلته مع تكوين الإنسان الروحى و الجسدى، حيث تتوفر فى الأرض المصادر المختلفه للحياه و الوسائل المتنوعه و المجانيه التى يحتاجها لمعيشته.

ثم تضيف الآيه: وَ السَّمَاءَ بِنَاءً أَى كَالسَّقْفِ وَ الْقَبَةِ فَوْقَكُمْ.

و«بناء» كما يقول «ابن منظور» فى لسان العرب، تعنى البيوت التى كان عرب البادية يستفيدون منها و يستظلون تحتها كالخيم و ما يستظل الإنسان تحته.

إنه تعبير جميل و دال حيث يصور السماء كالخيمه التى تغطى أطراف الأرض و لا- تنقص منها شيئًا. و المقصود السماء هنا الغلاف الجوى الذى يحيط بالأرض.

إن الخيمه الإلهيه الكبيره هذه تقلل من شدّه أشعه الشمس، و عدمها يعرض الأرض إلى الأشعه الكونيه الحارقه القاتله لجميع الكائنات الحيه الموجوده على الأرض، لذلك نرى أنّ رواد الفضاء مضطرين لارتداء ملابس خاصه تحميهم من هذه الإشاعات.

إضافه إلى ما تقدم، تمنع الخيمه السماويه سقوط الأحجار التى تنجذب من السماء نحو الأرض، حيث تقوم بإحراقها بمجرد وصولها إلى غلاف الأرض ليصل رمادها بهدوء الى الأرض.

و إلى هذا المعنى تشير الآيه (٣٢) من سوره الأنبياء، حيث يقول تعالى:

وَ جَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا .

ثم ينتقل الحديث من آيات الآفاق إلى آيات الأنفس، فيقول تعالى:

وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ

القامه متوازنه خاليه من الانحراف، وجه فى تقاطيع جميله لطيفه و فى منتهى النظم و الاستحكام، إذ يمكن بلمحه واحده التمييز بين الكائن البشرى و بين الموجودات و الكائنات الأخرى.

إنَّ الهيكل الإنساني الخاص يؤهل الإنسان لإنجاز مختلف الأعمال من الصناعة و الزراعة و التجاره و الإراده، و هو بامتلاكه للأعضاء المختلفه يعيش مرتاحا مستفيدا من مواهب الحياه و عطايا الخالق.

الإنسان على خلاف أغلب الحيوانات التي تشرب الماء بفتحها، فإنه يحمل المشروبات و المأكولات بيديه، و يقوم بشرب الماء فى منتهى الدقه و اللطافه، و هذا الأمر يجعل الإنسان أقدر على انتخاب ما يشاء من الأشربه و الأطمعه.

و يجعل ما يتناوله نظيفا غير مخلوط مع غيره. فهو مثلا يقشّر الفاكهه و يهدبها قبل تناولها، و يرمى الأجزاء الزائده.

لقد ذهب بعض المفسرين فى تفسير: وَ صَيَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ إِلَى معنى أوسع من الصوره و الشكل الظاهرى و التكوين الداخلى، فقال: إن المعنى يتضمن كل الاستعدادات و الأذواق التي خلقها الله فى الإنسان و أودعها فيه، ففضله بها على كثير ممن خلق.

و فى آخر الحديث عن سلسله هذه العطايا و المواهب الإلهيه، تتحدث الآيه عن النعمه الرابعه، و هى الرزق الطيب بقوله تعالى: وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ .

«الطيبات» تشمل على معنى وسيع جدًا، و هى تشمل الجيد من الطعام و اللباس و الزوجه و المسكن و الدواب، و هى أيضا تشمل الكلام و الحديث الطيب الزكى النافع.

الإنسان يقوم بسبب جهله و غفلته بتلوّث هذه المواهب الطاهره و الطيبات اللذيذه، إلا أنّ الله أبقى على نقائها و طهرها فى عالم الوجود.

بعد بيان هذه المجموعه الرباعيه من النعم الإلهيه التي تتوزع بين الأرض و السماء و بين خلق الإنسان، تعود الآيه للقول: ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ

إن هذه المواهب تعود لله مدبر الكون خالق السماوات والأرض، لذلك فهو الذى يليق بمقام الربوبية لا غير.

الآية التى بعدها تستمر فى إثارة قضية توحيد العبودية من طريق آخر.

فتؤكد انحصار الحياه الواقعيه بالله تعالى و تقول: هُوَ الْحَيُّ .

إن حياته عين ذاته، ولا تحتاج إلى الغير. حياته (جل و تعالى) أبدية لا يطالها الموت، بينما جميع الكائنات الحيه تتمتع بحياه مقرونه بالموت و حياتها محدوده و موقته تسترقد هذه الحياه من الذات المقدسه.

لذلك ينبغي للإنسان الفانى المحدود المحتاج أن يرتبط فى عبادته بالحي المطلق، من هنا تنتقل الآية مباشره إلى تقرير معنى الوجدانيه فى العبوديه من خلال قوله تعالى: لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .

و على أساس هذه الوجدانيه تتقرر قضية اخرى يتضمنها قوله تعالى:

فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

و اتركوا جانبا كل شىء غيره. لأنها جميعا فانيه، و حتى فى حال حياتها فهى فى تغير دائم «فالذى لا يتغير هو الله تعالى فقط.

و الذى لم يمت و لن يموت هو سبحانه فحسب».

ثم تنتهى الآية بقوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

و التعبير القرآنى درس للعباد بأن يتوجهوا الشكر و الحمد إلى الخالق جل و علا- دون غيره، فهو جزيلا عطايا كثير المواهب مطلق النعم على عباده، خاصه نعمه الحياه و الوجود بعد العدم.

الآيه الأخيره من المجموعه القرآنيه، هى فى الواقع خلاصه لكل البحوث

التوحيدية الآنفه، وجاءت لكي تقضى على أدنى بارقه أمل قد يحتمل وجودها في نفوس المشركين، إذ يقول تعالى موجهًا كلامه إلى النبي الأكرم صلى الله عليه و اله و سلم: قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي

و لم ينهاني ربي عن عباده غيره فحسب، بل: وَ أُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. نهى عن عباده الأصنام يتبعه-مباشره-بدليل منطقي من البراهين و البينات و من العقل و النقل، في أن يسلم ل: «رب العالمين» و في هذه العبارة أيضا دليل آخر على المقصود لأن كونه رب العالمين دليل كاف على ضروره التسليم في مقابله.

و من الضروري أن نشير إلى افتراق الأمر و النهي في هذه الآية، فهناك أمر بالتسليم لله جلّ و علا، و نهى عن عباده الأصنام، و قد يعود السبب في التفاوت بين النهي و الأمر إلى أنّ الأصنام قد تختص بصفه «العبادة» و حسب، لذلك جاء النهي عن عبادتها. أما بالنسبة لله تعالى فبالإضافة إلى عبادته يجب التسليم له و الانصياع و الانقياد إلى أوامره و تعليماته.

لذلك نقرأ في الآيتين (١١-١٢) من سورة «الزمر» قوله تعالى: قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُعْبِدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَ أُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ .

إنّ أمثال هذه الصيغ و الأساليب المؤثره يمكن أن نلمسها في كلّ مكان من كتاب الله العزيز، فهي تجمع الليونة و الأدب حتى إزاء الأعداء و الخصوم، بحيث لو كانوا يملكون أدنى قابليه لقبول الحق فسيثأثرون بالأسلوب المذكور.

ينبغي أن نلاحظ أيضا التعبير في قوله تعالى: أُمِرْتُ ... إِنِّي نُهَيْتُ أَيْ عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ أَنْ تَحَاسَبُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ دُونِ أَنْ يَشِيرَ فِيهِمْ حَسَّ اللجاجه و العناد.

الكلام الأخير في هذه المجموعه من الآيات هو أنّها أعادت وصف الخالق ب«رب العالمين» في ثلاث آيات متتاليه:

تقول أولا: فَبَارِكْ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

ثم: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

و أخيرا: أُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ .

إنه نوع من أنواع الترتيب المنطقي الذي يصل بين أجزائها و جوانبها فالآية الأولى تشير إلى البركة و ديموميتها، و الثانية إلى اختصاص الحمد و الثناء بذاته المقدسه دون غيره، و أخيرا تخصيص العبوديه و حصرها به دون غيره عز اسمه.

ص: ٣١١

اشاره

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَ لِيَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٤٧) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٨)

التفسير

اشاره

المراحل السبع لخلق الإنسان:

تتميماً لما تحدثت به الآيات السابقة عن قضيه التوحيد، تستمر الآيات التي بين أيدينا في إثارة نفس الموضوع من خلال الحديث عن «الآيات الأنفسيه» و المراحل التي تطوى خلق الإنسان و تطوره، من البدء إلى النهايه.

الآيه الكريمه تتحدث عن سبع مراحل تكشف عن عظمه الخالق جلّ و علا و جزيل مواهبه و نعمه على العباد.

يقول تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَ لِيَبْلُغُوا أَجَلًا

يتضح من سياق الآيه الكريمه أنّ المرحله الأولى أو بدايه الإنسان فى مسيره الخلق و الوجود تكون من التراب، حيث خلق الله أبانا الأول آدم عليه السلام من تراب، أو أنّ جميع البشر خلقوا من التراب، ذلك أنّ المواد الغذائيه التى تشكل قوام الإنسان و وجوده، بما فى ذلك النطفه، سواء كانت حيوانيه أم نباتيه كلّها تستمد أساسها و أصولها من التراب.

المرحله الثانيه، هى مرحله النطفه التى تشمل جميع البشر كأصل ثان فى وجودهم عدا آدم و زوجته حواء.

المرحله الثالثه التى تتكامل فيها النطفه و تنمو بشكل مستمر و تتحول إلى قطعه دم و المسمى بمرحله «العلقه».

بعد ذلك تتحول «العلقه» إلى «مضغه» أشبه ما تكون باللحم «الممضوغ» مرحله ظهور الأعضاء، ثمّ مرحله الحس و الحركه، و الآيه لا تشير هنا إلى هذه المراحل الثلاث، لكن الآيات الأخرى أشارت إلى ذلك بشكل واضح.

المرحله الرابعه تتمثل فى ولاده الجنين. بينما تتمثل المرحله الخامسه فى تكامل القوه الجسميه التى قيل إنها تتم فى سن الثلاثين، حيث سيحرز الجسم الإنسانى أكبر قدر ممكن من نموه و تكامل قواه.

و قال البعض: إنّ الإنسان يصل هذه المرحله قبل هذا السن، و من الممكن أن تختلف هذه المرحله عند الأشخاص إلى أن يحرز الإنسان فيها مرحله «بلوغ الأشد» حسب التعبير القرآنى.

بعد ذلك تبدأ مرحله الرجوع القهقرى إلى الوراء، فيفقد الإنسان قواه تدريجياً، فيصل إلى الشيب الذى يعتبر المحطه السادسه من محطات الإنسان.

أخيراً، تنتهى حياه كلّ إنسان فى الأرض بالموت و الانتقال إلى العالم الآخر.

بعد كلّ هذه التغيرات و التطورات، هل ثمّه من شك فى قدره و عظمه مبدئ

عالم الوجود، وألطف الله و مواهبه على الخلق؟! الطريف أن الآيه تستخدم فى الإشاره إلى المراحل الأربع الأولى تعبیر «خلقكم» لأنّ ليس للإنسان أى دور فيها، حيث يتطور من التراب إلى النطفه ثم إلى العلقه فطفلا صغيرا من دون أن يكون له أى دور فى هذه التحولات. لكن فى المراحل الثلاث التى تلى الولاده، أى مرحله الوصول إلى أقصى القوه الجسميه ثم مرحله الشيب و انتهاء العمر، استخدمت الآيه تعبیر «لتبلغوا» و«لتكونوا» و فيها إشاره إلى كيان الإنسان الحرّ و فيها أيضا ما يشير إلى الحقيقه التى تقول: إنّ نمو الإنسان و وجوده عبر هذه المراحل الثلاث، و تقدمه باطراد أو تأخره، و يرتبط بشكل أو بآخر بحسن تدبير الإنسان أو سوء تدبير، حيث يبلغ من الشيخوخه أو يموت مبكرا، و هذا يدل على مدى الدقه فى استخدام التعبیر القرآنيه الآنفه الذكر.

و سبق أن أشرنا إلى أنّ التعبير ب«يتوفى» الذى يتضمن معنى الموت، لا يعنى الفناء التام وفق المنطق القرآنى، بل إنّ ملك الموت يمسك الروح و يقبضها بإذنه تعالى و بحسب الأجل الإلهى المحتوم، فتنتقل الأرواح إلى عالم آخر ألا و هو عالم «البرزخ».

إن تكرار مفاد هذا التعبير فى القرآن الكريم، يبيّن بوضوح نظره الإسلام تجاه الموت، هذا المفهوم الذى يخرج عن نطاق الفهم المادى الضيق الذى يقرن الموت بالفناء و العدم، بينما الموت لا يعتبر إلاّ عن انتقال الروح من هذا العالم إلى عال آخر هو عالم البقاء.

و قوله تعالى: **وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلُ** قد يكون إشاره إلى حصول الموت قبل مرحله الشيخوخه، أو قد يعنى الإشاره إلى المراحل السابقه بأجمعها، بمعنى أنّ الموت قد يصيب الإنسان قبل أن يبلغ إلى مرحله من المراحل السابقه.

و من الضرورى أن نشير هنا إلى أنّ جميع المراحل، عدا المرحله الأخيره (أى بلوغ نهايه العمر و حلول الوفاه) قد عطفت ب«ثم» و هى إشاره إلى السياق



التسلسلى الترتيبى فى سياق وجودها فى حياه الإنسان، فمرحله «المضغه» لا تسبق -مثلا- مرحله «النطفه» و هكذا. و فى هذا النوع من العطف إشاره أيضا إلى وجود الفاصله بين مرحله و اخرى.

أما عطف مرحله الأخيره ب(الواو) فقد يكون السبب فيه أنّ نهايه العمر لا تكون بالضروره بعد انتهاء مرحله الشيخوخه، إذ كثيرا ما يموت الإنسان قبل بلوغه إلى مرحله الشيخوخه (هناك بحث عن «الأجل المسمى» ذيل الآيه ٢ سوره الأنعام و الآيه ٣٤ من سوره الأعراف و الآيه ٦١ من سوره النحل).

الآيه الأخيره فى هذا البحث تتحدث عن أهم مظهر من مظاهر قدره الله تبارك و تعالى متمثله بقضيه الحياه و الموت، هاتان الظاهرتان اللتان لا تزالان بالرغم من تقدم العلم و تطوره فى نطاق الأمور الغامضه و المجهوله فى معرفه الإنسان و علمه.

قول تعالى: هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ .

إنّ الحياه و الموت -بالمعنى الواسع للكلمه- بيد الله، سواء تعلق ذلك بالإنسان أو النبات أو أنواع الحيوان و الموجودات الأخرى التى تتجلى فيها الحياه بأشكال متنوعه.

إنّ نماذج الحياه تعتبر أكثر النماذج تنوعا فى عالم الوجود و كل الكائنات تنتهى بأجل معين إلى الموت، سواء فى ذلك الكائن ذو الخليه الواحده أو الحيوانات الكبيره، أو التى تعيش فى الأعماق المظلمه للمحيطات و البحار، أو الطيور التى تعانق السماء، و من الاحياء احاديه الخليه السابجه فى أمواج المحيطات إلى الأشجار التى يبلغ طولها عشرات الأمتار، فإنّ لكل واحد منها حياه خاصه و شرائط معينه، و بهذه النسبه تتفاوت عمليه موتها، و بدون شك فإن اشكال الحياه هى أكثر اشكال الخلقه تنوعا و أعجبها.

إنّ الانتقال من عالم إلى آخر، من الوجود المادى الى الحياه، و من الحياه فى

هذه الدّنيا الى ما بعد الموت يستبطن أسراراً و عجائب بليغه تحكى عظمه الخالق و مدى قدرته فى هذه الخليقه العجيبه المتنوعه و كل واحده من هذه القضايا المعقده و المتنوعه لا- تعتبر مشكله و عسيره فى متناول قدره الخالق جلّ و علا، حيث تتحقق بمجرد إرادته.

لذلك تقول الآيه فى نهايتها بيانا لهذه الحقيقه: فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ .

إنّ كلمه «كن» و بعدها «فيكون» هى من باب عدم قدره الألفاظ على استيعاب حقيقه الإراده و القدره الإلهيه، و إلا فليس ثمّه من حاجه إلى هذه الجملة، لأنّ إرادته الله هى نفسها حدوث الكائنات و وجودها (١) بدون فصل

ص: ٣١٤

---

١-١) -راجع تفسير قوله تعالى: كُنْ فَيَكُونُ فى أثناء الحديث عن الآيه (١١٧) من سوره البقره.

اشاره

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرِفُونَ (٤٩) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (٧٤) ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥) أُدْخِلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِيئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٦)

التفسير

اشاره

عاقبه المعاندين المغرورين:

مره اخرى تعود آيات الله البيّنات للحديث عن الذين يجادلون في آيات الله و لا يخضعون إلى منطق الحق و دلائل النبوه و مضامين دعوات الأنبياء و الرسل.

هذه الآيات تتحدث عن مصير هؤلاء، فتقول: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ

إنّ هذه المجادله بالباطل المقترنه مع التعصب الأعمى جعلتهم يحدون عن الصراط المستقيم، لأنّ الحقائق لا تظهر أو تبين إلا في الروح الباحثة عن الحقيقه و من ثمّ الإذعان لمنطقها.

إنّ طرح هذه القضية من قبل رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم بصيغه الاستفهام يؤكّد أنّ من يتمتع بذوق سليم و منطوق قويم يثيره العجب من إنكار هذه الفئه لكل هذه الآيات البيّنات و الدلائل و المعجزات.

ثم تنتقل الآيات إلى بيان أمرهم عند ما تقول: الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَ بِمَا أُرْسِلْنَا بِهِ رُسُلْنَا .

من الضروري أن نشير أولاً إلى أنّ السوره التي بين أيدينا تحدّثت أكثر من مرّه عن الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ جَاءَ ذَلِكَ فِي الْآيَاتِينَ (٣٥) و (٥٦) و هذه الآيه. و نستفيد من القرائن أنّ المقصود بـ «آيات الله» هي دلائل النبوه و علائقها على الأكثر، بالإضافة إلى ما تحويه الكتب السماويه. و طالما تتضمّن الكتب السماويه آيات التوحيد، و المسائل الخاصه بالمبدأ و المعاد، لذا فإنّ هذه القضايا مشموله بجدال القوم و خصومتهم للحق.

و هل يستهدف التكرار تأكيد قضيه هذا الموضوع، أم أنّ كلّ آيه تختص بطرح و موضوع يختلف عن أختها؟ الاحتمال الثّاني أقرب الى المراد. إذ يلاحظ أنّ لكل آيه موضوع خاص.

فالآيه (٥٦) تتحدث عن دواعي المجادله و أهدافها أي الكبر و الغرور في حين تتحدث الآيه (٣٥) عن عقابهم الدنيوي متمثلاً بأن ختم الله على قلوبهم.

أمّا الآيه التي نتحدث عنها الآن فهي تتحدث عن العقاب الأخرى، و أوصافهم في النار ذات السعير.

من الضروري أن نشير أيضاً إلى أنّ «يجادلون» فعل مضارع يدل على

الاستمرار. و هذه إشاره إلى أنّ مثل هؤلاء الأفراد الذين يكذبون بآيات الله لتبرير عقائدهم و أعمالهم السيئه المشينه، إنّما يقومون بالمجادله بشكل مستمر من خلال الأقوال و الذرائع الواهيه.

و تنتهى الآيه بتهديد من خلال قوله تعالى: فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ أى سوف يعلمون نتيجة أعمالهم و عاقبه أعمالهم السيئه و ذلك فى وقت إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَ السَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ أَى يلقى بهم فى الماء المغلى ثمّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (١).

«يسجرون» من كلمه «سجر» على وزن «فجر» و تعنى إشعال النار و زياده لهيبتها- كما ذهب إليه الراغب فى مفرداته- أمّا الآخرون من أرباب اللغه و التفسير فيقولون: إنها تعنى ملء التنور بالنار (٢).

لذلك يذهب بعض المفسرين إلى أنّ هذه المجموعه من الكفار تصبح وقودا للنار، كما نقرأ ذلك فى الآيه (٢٤) من سوره البقره: فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ .

البعض الآخر يقول: إنّ معنى الآيه هو أنّ هؤلاء ستملاً النار كلّ وجودهم و تستوعب كامل كيانهم. (طبعاً ليس ثمّه تعارض بين المعنيين).

هذا النوع من العقاب للمعاندين و المتكبرين و المجادلين يعتبر فى الواقع انعكاس لأعمالهم فى هذه الدنيا، حيث كذبوا بآيات الله بسبب كبرياتهم

ص: ٣١٩

١- ١) - (الأغلال) جمع «غل» و تعنى الطوق حول العنق أو الرجل. و هى فى الأصل مأخوذه من كلمه «غلل» على وزن «أجل» بمعنى الماء الذى يجرى بين الأشجار. و يطلق على «الخيانه» (غلول) و على الحراره الناشئه من العطش «غليل» و ذلك بسبب نفوذها تدريجاً إلى داخل أعماق الإنسان. «السلاسل» فهى جمع «سلسله»، و «يسحبون» من كلمه «سحب» على وزن (سهو).

٢- ٢) - يلاحظ ذلك فى «تفسير الصافى» و «روح المعانى» و «الكشاف» فى نهايه الآيات التى نبحتها. و فى لسان العرب: المعنى الأصلي ل «سجر» هو الملء. فيقال «سجرت النهر» أى ملأته ماء.

و غرورهم، و قيدوا أنفسهم بسلاسل التقليد الأعمى، و فى يوم الجزاء و القيامة ستطوقهم السلاسل من الأعناق بمنتهى الذلّه، و سيسحبون أذلاء إلى نار جهنم و بئس المصير.

إضافه إلى هذا العذاب الجسمانى سيعاقبون بمجموعه من أنواع العذاب الروحى و النفسى كما تشير إليه الآيه التاليه، حيث يقول تعالى: **ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟! أَى أَيْنَ شِرْكَائِكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَى يَنْقُذُوكُمْ مِنْ هَذَا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَ أَمْوَاجِ النَّارِ الْمُتَلَاطِمَةِ؟ أَلَمْ تَقُولُوا: إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُهُمْ وَ نَطِيعُونَهُمْ وَ نَتَّخِذُونَهُمْ أَرْبَابًا لِشَفَعَتِهِمْ الْآنَ؟! فَيَجِيبُونَ بِخُضُوعٍ يَغْشَاهُمْ وَ ذَلِكَ يَعْزِلُهُمْ: قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا (١) أَى اخْتَفَوْا وَ هَلَكُوا وَ أَبِيدُوا بِحَيْثُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَثَرٌ.**

و لا ريب، فإنّ من كانوا يدعونهم من دون الله هم فى نار جهنم، و قد يكونون بجانبهم، إلا أنّهم لا ينفعون و لا يؤثرون و كأنّهم قد اختلفوا! و عند ما يرى هؤلاء أنّ اعترافهم بعباده الأصنام أصبح عارا عليهم و علامه تميزهم، فإنّهم يبدأون بالإنكار فيقولون: **لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا .**

لقد كانت الأصنام مجرد أوام، لكننا كنّا نظن أنّها تمثل حقائق ثابتة، لكنّها أصبحت كالسراب الذى يتصوره العطشان ماء. أمّا اليوم فقد ثبت لنا أنّها لم تكن سوى أسماء من غير مسمى و ألفاظ ليس لها معنى، و أنّ عبادتها لم تنفعنا بشىء سوى الضلال. لذلك فهؤلاء اليوم بمواجهه الواقع الذى لا سبيل إلى إنكاره.

هناك احتمال آخر فى تفسير الآيه، هو أنّهم سيكذبون لينقذوا أنفسهم من الفضيحة، كما نقرأ ذلك فى الآيتين (٢٣) و (٢٤) من سورة الأنعام:

ص: ٣٢٠

---

١ - ١) - لقد ذكر المفسرون معنيين لكلمه «ضلوا» فالبعض اعتبرها بمعنى ضاعوا و هلكوا، بينما قال البعض الآخر: إنها بمعنى «غابوا» كقولنا «ضلت الدابه» أى غابت فلم يعرف مكانها.

ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ .  
و أخيرا يقول تعالى: كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ .

إنَّ كفرهم و عنادهم سيكون حجابا على قلوبهم و عقولهم، و لذلك ستركون طريق الحق و يسلكون سبيل الباطل، فيحرمون يوم  
القيامة من الجنَّة و ينتهى مصيرهم إلى النَّار. و هكذا يضلُّ الله الكافرين.

الآية التي بعدها تشير إلى عله مصائب هذه المجموعه، حيث يقول تعالى:

ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ

كانوا يفرحون بمعارضه الأنبياء و قتل المؤمنين و التضيق على المحرومين، و كانوا يشعرون بالعظمه عند ارتكاب الذنوب و  
ركوب المعاصى. و اليوم عليهم أن يتحملوا ضريبه كلِّ ذلك الفرح و الغفله و الغرور من خلال هذه النيران و السلاسل و السعير.

«تفرحون» من «فرح» و تعنى السرور و الابتهاج. و قد يكون الفرح ممدوحا و مطلوبا فى بعض الأحيان، كما تفيد الآيتان (٤) و (٥) من  
سوره «الروم» فى قوله تعالى: وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ .

و فى بعض الأحيان يكون الفرح مذموما و باطلا، كما ورد فى قصه قارون، الآية (٧٦) من سوره «القصص» حيث نقرأ قوله تعالى: إِذْ  
قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ .

طبعا ينبغى التفريق بين الموردین من خلال القرائن، و لا ريب من أن «الفرح» فى الآية التي نببحثها من النوع الثانى.

«تمرحون» مشتقة من «مرح» على وزن «فرح» و هى كما يقول اللغويون و المفسرون، تأتي بمعنى شدة الفرح، و قال آخرون: إنها تعنى  
الفرح بسبب بعض القضايا الباطله.

فى حىن ذهبت جماعه ثالثه إلى اعتبارها حاله من الفرح المتزامن مع نوع من الطرب و الاستفاده من النعم الإلهيه فى طريق الباطل.

و الظاهر أنّ هذه المعانى جميعا تعود إلى موضوع واحد، ذلك أنّ شدّه الفرح و الإفراط فيه يشمل جميع المواضيع و الحالات السابقه. و فى نفس الوقت فهو يتزامن مع أنواع الذنوب و الآثام و الفساد و الشهوه (1).

إنّ هذه الأفراح المتزامنه مع الغرور و الغفله و الشهوه، تبعد الإنسان بسرعه عن اللّٰه تبارك و تعالى و تمنعه من إدراك الحقيقه، فتكون الحقائق لديه غامضه و المقاييس معكوسه.

و لمثل هؤلاء يصدر الخطاب الإلهى: **أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ**.

هذه الآيه تؤكّد مرّه اخرى على أنّ التكبر هو أساس المصائب، ذلك أنّ التكبر هو قاعده الفساد، و يحجب البصائر عن رؤيه الحق و يجعل الإنسان يخالف دعوه الأنبياء عليهم السّلام.

ثم تشير الآيه إلى أبواب جهنّم بقوله تعالى: **أَبْوَابَ جَهَنَّمَ**.

و لكن هل الدخول من أبواب جهنّم يعنى أن لكل مجموعه باب معين تدخل منه، أو أنّ كلّ مجموعه منهم تدخل من أبواب متعدّده؟ أى أنّ جهنّم تشبه السجون المخيفه التى تتداخل فيها الأبواب و الدهاليز و الممرات و الطبقات، فبعض الضالين المعاندين يجب أن يسلوكوا كلّ هذه الأبواب و الممرات و الطبقات قبل أن يستقروا فى قعر جهنّم.

و ممّا يؤيد هذا التفسير ما

يروى عن الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام أنّه أجاب عن سؤال فى تفسير قوله تعالى:

ص: ٣٢٢

١ - ١) - يقول الراغب فى المفردات: «الفرح: انشراح الصدر بلذه عاجله، و أكثر ما يكون ذلك فى اللذات البدنيه. و المرح شده الفرح و التوسع فيه».



لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ : (١) أنه قال: إِنَّ جَهَنَّمَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، أَطْبَاقٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَوَضَعَ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى، فَقَالَ هَكَذَا» (٢).

و ثمه تفسير آخر نستطيع أن نقف على خلاصته بالشكل الآتي: إِنَّ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ - كأبواب الجنة - إشارة إلى العوامل المختلفه التي تؤدي بالإنسان إلى دخولها، فكل نوع من الذنوب أو نوع من أعمال الخير يعتبر بابا.

و ثمه ما يشير الى ذلك في الروايات الإسلاميه، و وفق هذا المعنى فإنّ العدد (٧) هو كناية عن الكثرة، و ما ورد في القرآن الكريم من أنّ للجنة ثمانية أبواب هو إشارة إلى ازدياد عوامل الرحمة على عوامل العذاب (راجع ذيل الآية ٤٤ سورة الحجر).

و هذان التفسيران لا يتعارضان فيما بينهما.

ص: ٣٢٣

١ - ١) - الحجر، الآية ٤٤.

٢ - ٢) - مجمع البيان، المجلد ٥-٦، صفحہ ٣٣٨، نهاية الآية ٤٤ من سورة الحجر. هناك روايات اخرى ذكرها العلامة المجلسي في المجلد ٨، من بحار الأنوار، صفحہ ٢٨٩، و ٣٠١ و ٢٨٥.

اشاره

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَأِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّا يُرْجِعُونَ (٧٧) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصِصْ عَلَيْكَ وَ لَمَّا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (٧٨)

التفسير

اشاره

فاصبر... حتى يأتيك وعد الله:

بعد سلسلة البحوث السابقه عن جدال الكافرين و غرورهم و تكذيبهم الآيات الإلهيه و الدلائل النبويه، تأتي هاتان الآيتان لمواساه النبي الأكرم صلى الله عليه و اله و سلم و تأمرانه بالصبر و الاستقامه فى مواجهه المشاكل و الصعاب.

يأتى الأمر أولاً فى قوله تعالى: فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ .

إنَّ وعده بالنصر حق، و وعده بمعاقبه المستكبرين المغرورين حق، و كلاهما سيتحققان، على أعداء الحق أن لا- يظنوا بأنهم يستطيعون الهروب من العذاب الإلهي بسبب تأخر عقابهم، لذلك تضيف الآية: فَأِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ

إنَّ مسئوليتك هي التبليغ البليغ وإتمام الحجج على الجميع، حتى تنتور القلوب اليقظه ببلاغك، ولا يبقى للمعاندين عذر! عليك أن تهتم بإنجاز مهمتك ولا تنتظر أن تحقق الوعيد عاجلا بإنزال العقاب على هذه الفئة الضاله.

و الكلام يتضمّن تهديدا إلى تلك الفئة لكي يعلموا أنّ العذاب لا بدّ مصيبيهم، و نازل بساحتهم، فكما نال بعضهم العقاب الذي يستحقونه في هذه الدنيا في «بدر» و غيرها، فهناك أيضا يوم القيامة و العذاب المنتظر.

ثم تشير الآيه الكريمة إلى الوضع المشابه الذي واجهه الرسل و الأنبياء قبل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ كي تكون في هذه الذكرى مواساه أكثر للرسول الكريم، حيث واجه الأنبياء السابقين مثل هذه المشاكل، إلا أنّهم استمروا في طريقهم و احتفظوا بمسارهم المستقيم.

يقول تعالى: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ .

لقد واجه كلّ منهم ما تواجهه أنت اليوم، فصبروا و كان حليفهم النصر و الغلبه على الظالمين.

و من جهة ثانيه كان الجميع يطلبون من الرسل الإتيان بالمعجزه، و مشركو مكّه لم يشذوا على غيرهم في طلب المعاجز من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ لذلك يخاطب الله تعالى رسوله الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ بقوله: وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ .

إنّ جميع المعاجز هي من عند الله و بيده، و بذلك فهي لا تخضع إلى أمزجه الكفّار و المشركين، بل إنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ لا ينبغي له الاستسلام أمام «معجزاتهم المقترحه» بل ما يكون من المعجزه ضروريا لهدايه الناس و إحقاق الحق يظهره

اللّٰه على أيدي الأنبياء.

ثم تهذّب الآية من كان يقول: لماذا لا يشملنا العذاب الإلهي إذا كان هذا الرسول صادقاً؟ فتقول الآية: فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللّٰهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ .

في ذلك اليوم المهول تغلق أبواب التوبه، ولا تنفع الآهات و الصرخات، و يخسر أهل الباطل صفقتهم، و يشملهم العذاب الإلهي الأليم، إذا فلما ذا كلّ هذا الإصرار على مجيء ذلك اليوم؟! وفقاً لهذا التفسير ينصرف معنى الآية و المقصود بالعذاب فيها إلى «عذاب الاستئصال».

و لكن بعض المفسرين اعتبر هذه الآية بمثابة بيان للعذاب في يوم القيامة.

فهناك يكون القضاء الحق بين الجميع، و يشاهد أنصار الباطل خسرانهم المرعب.

إنّ فيما تضمّنته الآية (٢٧) من سورة «الجاثية» يؤكّد هذا التفسير، إذ يقول تعالى: وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ .

و لكن تمّ استخدام «أمر الله» و ما شابهها في الآيات المتعدّده التي تختص بعذاب الدنيا (١).

و يحتمل أن يكون للآية معنى أوسع يشمل عذاب الدنيا و الآخرة، و في المشهدين يتوضح خسران المبطلين.

و من الضروري هنا الإشارة إلى الحديث الذي

رواه الشيخ الصدوق رحمه الله في أماليه بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السّلام «قال: كان في المدينة رجل يضحك الناس، فقال: قد أعيانى هذا الرجل أن أضحكه-يعنى على بن الحسين عليه السّلام-قال: فمرّ عليه السّلام و خلفه موليان له، فجاء الرجل حتى انتزع رداءه من رقبتة، ثم مضى فلم يلتفت إليه الإمام عليه السّلام فاتبعوه و أخذوا الرداء منه، فجاءوا به فطرحوه عليه فقال لهم: من:

ص: ٣٢٦

هذا؟ فقالوا: هذا رجل بطل يضحك أهل المدينة، فقال: قولوا له إن لله يوماً يخسر فيه المبطلون» (١).

### ملاحظه فى عدد الأنبياء!!

للمفسرين كلام كثير حول عدد أنبياء الله و رسله.

و الروايه المشهوره فى هذا المجال تذكر أن عددهم مائه و عشرون ألف نبى، فى حين تقتصر روايات اخرى على ثمانيه آلاف، أربعه آلاف منهم هم أنبياء بنى إسرائيل، و الباقون من غيرهم (٢).

و

قد جاء فى حديث عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام أن النبى صلى الله عليه و اله و سلم قال:

«خلق الله عزّ و جلّ مائه ألف نبى و أربعه و عشرين ألف نبى، أنا أكرمهم على الله و لا فخر، و خلق الله عزّ و جلّ مائه ألف وصى و أربعه و عشرين ألف وصى، و على أكرمهم على الله و أفضلهم» (٣).

و

فى روايه اخرى عن أنس بن مالك أن رسول الله قال: «بعثت على أثر ثمانيه آلاف نبى، منهم أربعه آلاف من بنى إسرائيل» (٤).

هذان الحديثان لا يتناقضان فيما بينهما، إذ يمكن أن يكون الحديث الثانى قد أشار إلى الأنبياء العظام، كما يذكر ذلك العلامة المجلسى فى توضيح هذا الكلام.

و فى حديث آخر أن رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم أجاب على سؤال لأبى ذر رضى الله عنه عن عدد الأنبياء قائلاً بأنهم (١٢٤) ألف نبى، و عن سؤال حول عدد الرسل منهم، أنهم

ص: ٣٢٧

١-١) -نور الثقلين، ج ٤، ص ٥٢٧، حديث ١١٨.

٢-٢) -مجمع البيان: أثناء الحديث عن هذه الآيه.

٣-٣) -بحار الأنوار، مجلد ١١، صفحه ٣٠، حديث رقم ٢١.

٤-٤) -بحار الأنوار، مجلد ١١، صفحه ٣١، حديث رقم ٢٢.

في حديث آخر أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد أن ذكر العدد (١٢٤) ألف قال:

خمسة منهم أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (٢).

و هناك روايات اخرى في هذا المجال تؤيد العدد المذكور أعلاه.

من هنا يتضح أنّ هذه الرواية (حول عدد الأنبياء) ليست خبرا واحدا كما يقول «برسوئي» نقلا عن بعض العلماء في تفسير «روح البيان»، بل هناك روايات متعدده و مستفيضه تؤكد أنّ عدد الأنبياء الإلهيين كان (١٢٤) ألف نبي. و أنّ مثل هذه الروايات موجوده في المصادر الإسلاميه المختلفه.

و الطريق في الأمر أن عدد الأنبياء الذين صرح القرآن بأسمائهم هو (٢٦) نبي فقط هم: آدم-نوح-إدريس-صالح-هود-إبراهيم-إسماعيل-إسحاق-يوسف-لوط-يعقوب-موسى-هارون-زكريا-شعيب-يحيى-عيسى-داود-سليمان-إلياس-اليسع-ذو الكفل-أيوب-يونس-عزير-و محمد (عليهم الصّلاه و السلام).

و لكن هناك أنبياء آخرون أشار إليهم القرآن و إن لم يذكر أسماءهم صراحة مثل «أشموئيل» الذي ورد ذكره في الآية (٢٤٨) من سوره «البقره» في قوله تعالى: **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ**.

و النبي «أرميا» الوارد في الآية (٢٥٩) من سوره البقره في قوله تعالى: **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ... (٣).**

و «يوشع» المذكور في الآية (٦٠) من سوره «الكهف» في قوله تعالى: **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتَاءَ**.

ص: ٣٢٨

١-١) -بحار الأنوار، مجلد ١١، صفحه ٣٢، حديث رقم ٢٤.

٢-٢) -بحار الأنوار، مجلد ١١، صفحه ٤١، حديث رقم ٢٤.

٣-٣) -ثمّه بحث بين المفسرين عن اسم هذا النبي، إذ فيهم من قال: إنّه «أرميا» و البعض قال: إنّه «الخضر» و قال جمع: إنّه «عزير».

و«الخضر» الوارد ذكره إشاره في الآية (٦٥) من سورة الكهف في قوله تعالى: فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا .

و ورد ذكر لأسباط بني إسرائيل، وهم زعماء قبائل بني إسرائيل كما في قوله تعالى: وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ (١) .

و إذا كان هناك أنبياء من بين إخوه يوسف عليه السلام فقد أشير إليهم مرات عديدة في سورة يوسف.

و خلاصه القول هنا أنّ القرآن أشار إلى قصص و حوادث ترتبط بأكثر من (٢٦) نبيا و هم المصرح بأسمائهم مباشرة في القرآن الكريم.

و يستفاد من بعض الروايات الواردة في مصادر السنه و الشيعة أنّ الله بعث بعض الأنبياء من ذوى البشره السوداء، كما يقول العلامة الطبرسي مثلا في «مجمع البيان»

روى عن على أنه قال: «بعث الله نبيا أسود لم يقص قصته» (٢) .

ص: ٣٢٩

١-١ - النساء-١٦٣.

٢-٢ - مجمع البيان نهايه الآية التي تبحثها. و في هوامش تفسير الكشاف هناك روايات عديدة في هذا المجال. يلاحظ المجلد الرابع، صفحه ١٨٠، طبعه دار الكتاب العربى.

اشاره

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩) وَ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَ لِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَ عَلَيْهَا وَ عَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٨٠) وَ يُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ (٨١)

التفسير

اشاره

منافع الأنعام المختلفه:

تعود الآيات التي بين أيدينا للحديث مره اخرى عن علائم قدره الخالق (جلّ و علا) و مواهبه العظيمه لبنى البشر، و تشرح جانبا منها كى تزيد من وعى الإنسان و معرفته بالله تعالى، و ليندفع نحو الثناء و الشكر فيزداد معرفه بخالقه.

يقول تعالى: اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ .

فبعضها يختص بالغذاء كالأغنام، و بعضها للركوب و الغذاء كالجمل التي تعتبر بحق سفن الصحارى.

«أنعام» جمع «نعم» على وزن «قلم» و تطلق فى الأصل على الجمال، لكنّها توسعت فيما بعد لتشمل الجمال و البقره و الأغنام، و المصطلح مشتق من «النعمة»



بسبب أن أحد أكبر النعم على الإنسان هي هذه الأنعام. و في يومنا هذا- بالرغم من تقدم التكنولوجيا في مجال النقل البرى و الجوى- إلا أن الإنسان ما زال يستفيد من الأنعام، خصوصا في الأماكن الصحراويه الرملية، التي يصعب فيها استخدام وسائل النقل الأخرى. و يتم استخدام الأنعام و الحيوانات في بعض المضايق و المناطق الجبلية، حيث يتعذر استخدام غيرها من وسائل النقل الحديث.

لقد خلق الله الأنعام بأشكال مختلفه، و بروح تستسلم للإنسان و تنصاع إليه و تخضع لأوامره و تلبى له احتياجاته، في حين أن بعضها أقوى من أقوى الناس، و هذا الانصياع في حد ذاته دليل من أدله الخالق العظيم الذى سخر لعباده هذه الأنعام.

إن من الحيوانات الصغيره ما يكون خطره مميتا للإنسان، في حين أن قافله من الجمال يكفى صبي واحد لقيادها! إضافة لما سبق تقول الآية التى بعدها: إن هناك منافع اخرى: وَ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ .

الإنسان يستفيد من لبنها و صوفها و جلدها و سائر أجزائها الأخرى، بل يستفيد حتى من فضلاتها في تسميد الأرض و إخصاب الزرع. و خلاصه القول: إنه لا- يوجد شىء غير نافع في وجود هذه الأنعام، فكل جزء منها مفيد و نافع، حتى أن الإنسان بدأ يستخلص بعض الأدوية من امصال هذه الحيوانات، و الملفت أن «منافع» جاءت نكره في الآية لتبين أهميه ذلك).

ثم تضيف الآية: وَ لِيَتَّبِعُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ .

احتمل بعض المفسرين أن معنى الآية ينصرف إلى حمل الأثقال الذى يتم بواسطه الأنعام، لكن يحتمل أن يكون المقصود بقوله تعالى: حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ الإشارة إلى بعض المقاصد و الأهداف و الرغبات الشخصيه، إذ استفاد من الإنعام

فى الترفيه و الهجره و السياحه و التسابق و التفاخر، و ما إلى ذلك من رغبات تنطوى عليها نفس الإنسان.

و لأنّ الأنعام تعتبر وسيله سفر على اليابسه، لذلك تقول الآيه فى نهايتها:

وَ عَلَيَّهَا وَعَلَى الْفُلُوكِ تُحْمَلُونَ

هناك بحث عن منافع الحيوانات يمكن مراجعته أثناء الحديث عن الآيه الخامسه من سوره النحل).

لقد جاء التعبير القرآنى «عليها» (أى الأنعام) بالرغم من الإشاره المباشره إليها سابقا، ليكون مقدمه لذكر (الفلوك). و المعنى أنّ الله جلّ و علا سخر لكم الوسائل فى البر و البحر للانتقال و لحمل الأثقال كى تستطيعوا أن تبلغوا مقاصدكم بسهوله.

لقد جعلت للسفينه صفه خاصه بحيث تستطيع أن تبقى على سطح الماء بالرغم من الأثقال و الأوزان الكبيره التى عليها، و جعل الله تعالى الحركه فى الريح بحيث تستطيع الفلوك الاستفاده منها لتحديد وجهه سفر الإنسان و مقصده.

الآيه الأخيره هى قوله تعالى: وَ يُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ هل تستطيعون إنكار آياته فى الآفاق و فى أنفسكم؟ أم هل تنكرون آياته فى خلقكم من تراب و تحويلكم عبر مراحل الخلق إلى ما أنتم عليه، أم أنكم تنكرون آياته فى الحياه و الموت و المبدأ و المعاد؟ و هل يمكنكم إنكار آياته فى خلق السماء و الأرض أو الليل و النهار، أو خلقه لأمر مساعد فى استمرار حياتكم كالأنعام و غيرها؟ أينما تنظر و تمد البصر فثمه آيات الله و آثار العظمه فى خلقه سبحانه و تعالى:

«عميت عين لا تراك».

يقول المفسّر الكبير العلامه «الطبرسى» فى تفسيره «مجمع البيان» فى جوابه على هذا السؤال: ما هو سبب مثل هذا الإنكار مع وضوح الدلائل و العلامات؟ يقول: إنّ ذلك يمكن أن يعود إلى ثلاثه أسباب هى:

١-عباده الأهواء و الانقياد إليها، لأن ذلك يؤدي إلى حجب الإنسان عن رؤيه الحق،(و ينساق وراء غرائزه، لأن الحق يحدّد هذه الغرائز من خلال فرض التكاليف و الوظائف الربانيه.لذلك يعمد هؤلاء إلى إنكار الحق برغم دلائله الواضحه).

٢-التقليد الأعمى للآخرين-خصوصا السابقين-و هذا أمر يحجب الإنسان عن الحق.

٣-الأحكام و الإعتقادات الباطله المترسخه فى وعى الإنسان،فيذعن لها و تحجبه عن دراسه الحق و الانفتاح على آيات الله تبارك و تعالى.

ص: ٣٣٣

اشاره

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ  
مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَقَّ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا  
بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سِئِنَّا اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي  
عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)

التفسير

اشاره

لا ينفع الإيمان عند نزول العذاب:

هذه الآيات هي آخر مجموعه من سوره المؤمن، و نستطيع أن نعتبرها نوعا من الاستنتاج للبحوث السابقه، فبعد بيان كل الآيات الإلهيه في الآفاق و الأنفس، و كل تلك المواعظ اللطيفه التي تحدثت عن المعاد، و محكمه البعث الكبيره، هددت هذه الآيات الكافرين المستكبرين و المنكرين المعاندين تهديدا شديدا،

و واجهتهم بالمنطق و الاستدلال، و أوضحت لهم عاقبه أعمالهم.

فأولا تقول: أ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ .

فإذا كان عندهم شك في صحه التأريخ المدون على الأوراق، فهل عندهم شك فيما يلمسونه من الآثار الموجوده على سطح الأرض، من القصور الخربه للملوك، و العظام النخره تحت التراب، أو المدن التي أصابها البلاء و العذاب و بقيت آثارها شاهده على ما جرى عليها؟! فأولئك: <sup>□</sup> كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَ أَشَدَّ قُوَّةً وَ آثَارًا فِي الْأَرْضِ . حيث يمكن معرفه عددهم و وقتهم من آثارهم المتمثله في قبورهم و قصورهم و مدنهم.

عبارة: آثَارًا فِي الْأَرْضِ - سبق تفسيرها في الآيه (٢١) من نفس السوره - فلعلها إشاره إلى تقدمهم الزراعى، كما جاء في الآيه (٩) من سوره الروم، أو إشاره إلى البناء العظيم للأقوام السابقين في قلب الجبال و السهول (١).

و مع هذه القوه و العظمه التي كانوا يتمتعون بها، فإنهم لم يستطيعوا مواجهه العذاب الإلهى: <sup>□</sup> فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ <sup>□</sup> مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٢)

بل إنَّ كلَّ قواهم و قدراتهم أبيدت خلال لحظات قصيره، حيث خربت القصور و هلكت الجيوش التي كان يلوذ بها الظالمون... و سقطوا كما تسقط أوراق الخريف، أو أغرقوا في خضم الأمواج العاتيه.

فإذا كان هذا هو مصير أولئك السابقين مع كلِّ ما لديهم، فبأى مصير - يا ترى - يفكر مشركو مكه و هم أقل من أولئك؟! الآيه التي بعدها تنتقل للحديث عن تعاملهم مع الأنبياء و معاجز الرسل البينه،

ص: ٣٣٥

١ - ١) - كما تذكره الآيات (١٢٨) و (١٢٩) من سوره الشعراء.

٢ - ٢) - هناك احتمالاين في (ما) في جمله «ما أغنى» فإمّا نافية أو استفهاميه، لكن يظهر أنّ الأوّل هو الصحيح، و هناك أيضا احتمالاين في «ما» في جمله (ما كانوا يكسبون) فإما موصوله أو مصدرية و لكن الأوّل هو المرجح

حيث يقول تعالى: فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ (١) أَيْ إِنَّهُمْ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ وَ الْأَخْبَارِ، وَ صَرَفُوا وَجُوهَهُمْ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ وَ أَدْلَتَهُمْ. وَ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ سَبِيحًا لِأَنَّ نَزْلَ بِهِمُ الْعَذَابِ الْإِلَهِيِّ: وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ .

و ذكر المفسِّرون احتمالات عديدة عن حقيقة العلم الذي كان عندهم، و الذي اغتروا به و شعروا معه بعدم الحاجة إلى تعليمات الأنبياء، و الاحتمالات هذه هي:

أولاً: لقد كانوا يظنون أنّ الشبهات الواهية و السفسطه الفارغه هي العلم، و يعتمدون عليها. لقد ذكر القرآن الكريم أمثله متعدده لهذا الاحتمال، كما في قوله تعالى: مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ (٢) وَ الْآيَةُ حِكَايَةُ عَلِيٍّ لِسَانِهِمْ.

و ممّا حكاه القرآن عنهم أيضاً، قوله تعالى: أِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٣) .

و قولهم في الآية (٢٤) من سورة الجاثية: مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيَا وَ مَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ .

و هناك أمثله اخرى لإعاءاتهم.

ثانياً: المقصود بها العلوم المرتبطة بالدنيا و تدبير أمور الحياه، كما كان يدعى «قارون» مثلاً، كما يحكى عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَيَّ عِلْمٍ عِنْدِي (٤) .

ثالثاً: المقصود بها العلوم ذات الأدله العقلية و الفلسفيه، حيث كان يعتقد البعض ممن يمتلك هذه العلوم أنّ لا حاجة له للأنبياء، و بالتالى فهو لا ينصاع لنبواتهم

ص: ٣٣٦

١ - ١) - احتمال البعض أن يعود الضمير في (جاءتهم) إلى الأنبياء، لذا يكون المقصود بالعلوم علوم الأنبياء، بينما المقصود من (فرحوا) هو ضحكك و استهزاء الكفار بعلوم الأنبياء، لكن هذا التفسير احتمالاً بعيد.

٢ - ٢) - سورة يس، الآية ٧٨.

٣ - ٣) - السجده، الآية ١٠.

٤ - ٤) - القصص، الآية ٧٨.

و دلائل إعجازهم.

التفاسير الأنفه الذكر لا تتعارض فيما بينها، لأنها جميعا تقصد اعتماد البشر على ما لديهم، و استعلاءهم بهذه «المعرفة» على دعوات الرسل و معاجز الأنبياء.

بل و اندفع هؤلاء حتى إلى السخرية بالوحى و المعارف السماويه.

لكن القرآن الكريم يذكر مآل غرور هؤلاء و علوهم و تكبرهم إزاء آيات الله، حينما يقول: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّةً  
وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ .

ثم تأتي النتيجة سريعا فى قوله تعالى: فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا .

لماذا؟ لأنه عند نزول «الاستئصال» تغلق أبواب التوبه، و عاده ما يكون مثل هذا الإيمان إيمانا اضطراريا ليس له ثمره الإيمان الاختيارى، إذ أنه تحقق فى ظل شروط غير عاديه، لذا من المحتمل جدا أن يعود هؤلاء إلى سابق وضعهم عند ما ترتفع الشروط الاستثنائية التى حلت بهم.

لذلك لم يقبل من «فرعون» إيمانه و هو فى الأنفاس الأخيره من حياته و عند غرقه فى النيل.

و هذا الحكم لا يختص بقوم دون غيرهم، بل هو: سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ .

ثم تنتهى الآية بقوله تعالى: وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ .

ففى ذلك اليوم عند ما ينزل العذاب بساحتهم سيفهم هؤلاء بأن رصيدهم فى الحياه الدنيا لم يكن سوى الغرور و الظنون و الأوهام، فلم يبق لهم من دنياهم سوى التبعات و العذاب الإلهى الأليم، و هل ثمه خسران أكبر من هذا؟! و هكذا تنتهى السوره المباركه (المؤمن) التى بدأت بوصف حال الكافرين المغرورين، ببيان نهايه هؤلاء و ما آل إليه مصيرهم من العذاب و الخسران.

فى الآيات المختلفه لهذه السوره المباركه- كما أوضحنا ذلك- يتبين أنّ أساس انحراف قسم كبير من الناس هو التكبر و الغرور.

قد يكون امتلاك المال من أسباب العلو و التكبر، أو كثره الأفراد و امتلاك القدرات العسكريه. أو كميّه محدوده من المعلومات فى فرع من فروع المعرفه، يظن الإنسان أنّها كبيره و كثيره، فتدفعه إلى العلو و الاستغناء السخريه.

إنّ حاله عصرنا الراهن تعكس نموذج «الغرور العلمى» بشكل جلى واضح، ففى ظل التقدم السريع الذى أحرزته المجتمعات الماديه فى المجالات العلميه و التقنيه، نراها عمدت إلى إلغاء دور الدين من الحياه، و قد سيطر الغرور العلمى على بعض علماء الطبيعه الى درجه أنّهم تصوروا أن لا- يوجد فى هذا العالم شىء خارج اطار علومهم و معارفهم، و بما أنّهم لم يروا الله فى مختبراتهم أنكروا وجوده و جحدوا نعمته.

لقد ذهب بهم الغرور إلى أكثر من ذلك عند ما أصبحوا يجهرّون أن الدين و وحى الأنبياء إنّما كانا بسبب الجهل أو الخوف، أما و قد حلّ عصر التقدم العلمى فإنّ الحاجه إلى مثل هذه المسائل انعدمت تماما، بل و عمدوا إلى فرض تفسير معين لتطوّر الحياه يماشى ادعاءهم هذا، فقالوا: إنّ الحياه الفكرية للبشر مرّت عبر المراحل الآتية:

١-مرحله الأساطير.

٢-مرحله الدين.

٣-مرحله الفلسفه.

٤-مرحله العلم، و المقصود بها العلوم الطبيعیه.

بالطبع، نحن لا ننكر أنّ السلطه الديكتاتوريه للكنيسه على عقول الناس فى أوروبا، و شيوع الخرافات و أنواع التفكير الأسطورى لقرون مديده فى تاريخ تلك



القاره،بالإضافه إلى القمع الذى كانت تمارسه طبقه رجال الدين الكنسى (الإكليروس)هناك؛كلّ هذه العوامل ساهمت-إلى درجه كبيره-فى نمو المذاهب التى تقوم على أساس رفض الدين و الإيمان و الغيب،و الاعتماد بدلا عنها على أسس الماده و التجربه و الإلحاد.

و لحسن الحظ لم تستمر هذه المرحله طويلا،إذا اجتمعت مجموعه عوامل و ساعدت للقضاء على مثل هذه التصورات المنحرفه،و كأنّ العذاب قد مسّهم عند ما ركبهم الغرور و العلو.

فمن ناحيه أظهرت الحرب العالميه الأولى و الثانيه أنّ التقدم العلمى و الصناعى قد جعل البشريه على حافه السقوط و الدمار.

و من ناحيه ثانيه،فإنّ ظهور المفاسد الأخلاقيه و الاجتماعيه و القتل و الإباده و أنواع الأمراض النفسيه،و سلسله الاعتداءات الماليه و الجنسيه،كلّ ذلك كشف عن عجز العلوم و قصورها لوحدها عن بناء الحياه الإنسانيه بشكل سليم صحيح.

من جانب ثالث،عملت المساحات المجهوله فى وعى الإنسان العلمى و قصوره عن الإحاطه بكافه أسباب الظواهر الطبيعيه و الحياتيه إلى اعترافه بالعجز عن إدراك مطلق لأسباب المعرفه من خلال العلم وحده،فعاد الكثير من العلماء إلى ساحه الإيمان و جادّه الدين،و ضعفت نوازع الدعاوى الإلحاديه.

و فى المعترك الصعب هذا تألق الإسلام بتعليماته الشامله و الجامعه،و بدأت موجات العوده نحو الإسلام الأصيل.

و نأمل أن تكون هذه اليقظه عميقه شامله قبل أن يشمل البأس الإلهى مرّه اخرى أجزاء من هذا العالم،و نأمل أن تزول آثار ذلك الغرور باسم العلم حتى لا يكون مدعاه للخسران الكبير.

اللهم احفظنا من الغرور و من التكبر و العناد و حبّ الذات الذى يقودنا إلى الهلاك و سوء العاقبه و الافتضاح.

إلهى،اهد المجتمعات البشريه فى عصرنا الحاضر إلى ظل تعليمات أنبيائك، قبل أن يشملهم بأسك الشديد أناس هذا العصر.

اللهم،اجعلنا ممن يأخذ العبره من مصير الأتوام السالفه لكى لا نمسى عبره للآخرين...

أمين رب العالمين نهايه سوره المؤمن

ص : ٣٤٠

## سوره فصّلت

### اشاره

مكّيه و عدد آياتها أربع و خمسون آيه

ص: ۳۴۱



## نظرة فى المحتوى العام للسوره:

سوره «فصلت» من السور المكيه، وهى بذلك لا تخرج فى مضامينها الأساسيه عن مثيلاتها، بل تعكس فى محتواها كامل خصائص السور المكيه، من التأكيد على المعارف الإسلاميه التى تتصل بالعقيد و بالحساب و الجزاء، و الوعيد و الإنذار، و بالبشرى للذين آمنوا.

لكن كون السوره مكّيه لا يعنى عدم اختصاصها بمواضيع معينه قد لا نجدها فيما سواها من السور القرآنيه الأخرى.

بشكل عام يمكن الحديث عن محتويات السوره من خلال الخطوط العريضه الآتيه:

أولاً- التركيز على موضوع القرآن و ما يتصل به من بحوث، كالإشاره الصريحه إلى حاكميه القرآن فى جميع الأدوار و العصور، و صيانتته من أى تحريف، و قوّه منطقته و تماسكه بحيث رأينا أعداء الله يخشون حتى من الاستماع إلى آياته، بل و يمنعون الناس من مجرد الإنصات إليه.

الآيتان (٤١) و (٤٢) من السوره تتحدثان عن هذه النقطه بوضوح كامل، إذ يقول تعالى: **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ .**

ثانياً: إثارة قضيه خلق السماء و الأرض، خاصه ما يتعلق ببدايه العالم الذى

خلق من مادّه (الدخان) ثمّ مراحل نشوء الكره الأرضيه و الجبال و النباتات الحيوانات.

ثالثا: ثمّ في السوره إشارات إلى عاقبه الأقسام المغرورين الأشقياء من الأمم السابقه، مثل قوم عاد و ثمود، و هناك إشاره قصيره إلى قصه موسى عليه السّلام.

رابعا: تتضمّن السوره تهديد المشركين و إنذار الكافرين، مع ذكر آيات القيامة و ما يتعلق بشهاده أعضاء جسم الإنسان عليه، و توبيخ الله تبارك و تعالى لأمثال هؤلاء.

خامسا: تتناول السوره قسما من أدله البعث و القيامة و خصوصياتهما.

سادسا: المواعظ و النصائح المختلفه التي تبعث في الروح الحياه من خلال الدعوه إلى الاستقامه في طريق الحق، و توجيه المؤمن نحو أسلوب التعامل المنطقي مع الأعداء و كيفيه هدايتهم نحو الله.

سابعا: تنتهى السوره ببحث لطيف قصير عن آيات الآفاق و الأنفس، و تعود كره اخرى إلى قضيه المعاد.

### فضيله تلاوه السوره:

ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم قوله: «من قرأ «حم السجده» أعطى بكل حرف منها عشر حسنات» (١).

و

في حديث آخر حول فضيله قراءه هذه السوره، قال الإمام الصادق عليه السّلام:

«من قرأ «حم السجده» كانت له نورا يوم القيامة مد بصره و سرورا، و عاش في هذه الدنيا مغبوطا محمودا» (٢).

و

في حدث عن «سنن البيهقي» أنّ «خليل بن مرّه» كان يقول: إنّ النّبي لم ينم

ص: ٣٤٤

١- ١) -مجمع البيان مطلع الحديث عن السوره، المجلد ٩، صفحه ٢.

٢- ٢) -مجمع البيان مطلع الحديث عن السوره، المجلد ٩، صفحه ٢.

ليه من الليالى قبل أن يقرأ سورتي «تبارك» و«حم السجده». (١)

و طبيعى أنّ هذه السوره المباركه بكل ما تتضمن فى مضامينها العالیه من أنوار و معارف و مواعظ إنّما تكون مؤثره فيما لو تحولت تلاوتها إلى نور ينفذ إلى أعماق النفس، فتتحول فى حياه الإنسان المسلم إلى دليل من نور يقوده فى يوم القيامه نحو الصراط و الخلاص، لأنّ التلاوه مقدمه للتفكير، و التفكير مقدمه للعمل. إنّ تسميه السوره ب«فصلت» مشتق من الآيه الثالثه فيها. و إطلاق «حم السجده» عليها لأنّها تبدأ ب«حم» و الآيه (٣٧) فيها هى آيه السجده.

ص: ٣٤٥

---

١-١) -روح المعانى، المجلد ٢٤، ص صفحه ٨٤.

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ (٥)

التفسير

اشاره

عظمه القرآن:

تذكر الروايات أنّ رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم كان لا يكف عن عيب آلهه المشركين، و يقرأ عليهم القرآن فيقولون: هذا شعر محمد. و يقول بعضهم: بل هو كهانه. و يقول بعضهم: بل هو خطب.

و كان الوليد بن المغيرة شيخا كبيرا، و كان من حكام العرب يتحاكمون إليه في الأمور، و ينشدونه لأشعاره فما اختاره من الشعر كان مختارا، و كان له بنون لا يبرحون من مكّه، و كان له عبيد عشره عند كلّ عبد ألف دينار يتجر بها، و ملك القنطار في ذلك الزمان (القنطار: جلد ثور مملوء ذهباً) و كان من المستهزئين برسول الله صلى الله عليه و اله و سلم.



و فى يوم سأل أبو جهل الوليد بن المغيرة قائلاً له:

يا أبا عبد شمس، ما هذا الذى يقول محمّد؟ أسحر أم كهان أم خطب؟ فقال: دعونى أسمع كلامه، فدنا من رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم و هو جالس فى الحجر، فقال: يا محمّد أنشدنى من شعرك.

قال صلّى الله عليه و اله و سلّم: ما هو بشعر، و لكنّه كلام الله الذى به بعث أنبياءه و رسله.

فقال: اتل عليّ منه.

فقرأ عليه رسول الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَلَمَّا سَمِعَ (الوليد) الرحمن استهزأ فقال: تدعو إلى رجل باليمامه يسمّى الرحمن، قال: لا، و لكنى أدعو إلى الله و هو الرحمن الرحيم.

ثم افتتح سورة «حم السجده»، فلما بلغ إلى قوله تعالى: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَ ثُمُودَ فَلَمَّا سَمِعَهُ اقشعر جلده، و قامت كلّ شعره فى رأسه و لحيته، ثمّ قام و مضى إلى بيته و لم يرجع إلى قريش.

فقال قريش: يا أبا الحكم، صبأ أبو عبد شمس إلى دين محمّد، أما تراه لم يرجع إلينا؟ و قد قيل قوله و مضى إلى منزله، فاغتمت قريش من ذلك غما شديداً.

و غدا عليه أبو جهل فقال: يا عم، نكست برؤوسنا و فضحتنا.

قال: و ما ذلك يا ابن أخ؟ قال: صبوت إلى دين محمّد.

قال: ما صبوت، و إنى على دين قومى و آبائى، و لكنى سمعت كلاماً صعباً تقشعر منه الجلود.

قال أبو جهل: أشعر هو؟ قال: ما هو بشعر.

قال: فخطب هى؟ قال: إن الخطب كلام متصل، و هذا كلام منثور، و لا يشبه بعضه بعضاً، له

طلاوه.

قال: فكهانة هي؟ قال: لا.

قال: فما هو؟ قال: دعني أفكر فيه.

فلما كان من الغدو قالوا: يا أبا عبد شمس ما تقول؟ قال: قولوا هو سحر، فإنه آخذ بقلوب الناس، فأنزل الله تعالى فيه: ذُرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً وَ جَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً وَ بَيْنَ شُهُوداً إِلَى قَوْلِهِ: عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (١) (٢).

إن هذه الزوايه الطويله تكشف بوضوح مدى تأثير آيات هذه السوره، بحيث أن أكثر المتعصبين من مشركي مكه أبدى تأثره بآياتها، وذلك يظهر جانباً من جوانب العظمه في القرآن الكريم.

نعود الآن إلى المجموعه الأولى من آيات هذه السوره المباركه، التي تطالعنا بالحروف المقطعه في أولها حم .

لقد تحدثنا كثيراً عن تفسير هذه الحروف، و لا- نرى حاجه للإعاده سوى أن البعض اعتبر حم اسماً للسوره. أو أن (ح) إشاره إلى «حميد» و (م) إشاره إلى «مجيد» و حميد و مجيد هما من أسماء الله العظمى.

ثم نتحدث عن عظمه القرآن فتقول: تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

إن «الرحمه العامه» و «الرحمه الخاصه» لله تعالى هما باعث نزول هذه الآيات الكريمه التي هي رحمه للعدو و الصديق. و لها بركات خاصه للأولياء.

ص: ٣٤٨

١- ١) - المدثر، الآية ١١-٣٠.

٢- ٢) - بحار الأنوار، المجلد ١٧، صفحه ٢١١ فما فوق، و يمكن ملاحظه القصه في كتب اخرى منها: تفسير القرطبي في مطلع حديثه عن السوره. المجلد الثامن، صفحه ٥٧٨٢.

فى الواقع إنَّ الرحه هى الصفه البارزه لهذا الكتاب السماوى العظىم، التى تتجسّد من خلال آياته العطره التى تفوح بشذاها و نورها فتضىء جوانب الحياه، و تسلك بالإنسان مسالك النجاه و الرضوان.

بعد التوضىح الاجمالى الذى أبدته الآيه الكرىمه حول القرآن، تعود الآيات التالىه إلى بيان تفصىلى حول أوصاف هذا الكتاب السماوى العظىم، و ذكرت له خمسه صفات ترسىم الوجه الأصىلى للقرآن:

فتقول أولاً: إنّه كتاب ذكرت مطالبىه و مواضىعه بالتفصىل كلّ آىه فى مكانها الخاص، بحيث يلبى احتياجات الإنسان فى كلّ المجالات و الأدوار و العصور، فهو: **كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ (١)**.

و هو كتاب فصىح و ناطق قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ .

و هذا الكتاب بشىر للصالحىن نذىر للمجرىمىن: **بَشِيرًا وَ نَذِيرًا إِلَّا أَنْ أَكْثَرَهُمْ: فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢)**.

بناء على ذلك فإنّ أول خصائص هذا الكتاب هو أنّه يتضمّن فى تشرىعاته و تعالىمه كلّ ما يحتاجه الإنسان و فى جمىع المستويات، و يلبى مىوله و رغباته الروحىه.

الصفه الثانىه أنّه متكامل، لأنّ «قرآن» مشتق من القراءه، و هى فى الأصل بمعنى جمع أطراف و أجزاء الكلام.

الصفه الثالثه تتمثل بفصاحه القرآن و بلاغته، حيث يذكر الحقائق بدقّه بلىغه دون أى نواقص. و فى نفس الوقت يعكسها بشكل جمىل و جذّاب.

الصفتان الرابعه و الخامسه تكشفان عن عمق التأثير التربوى للقرآن الكرىم، عن طرىق أسلوب الإنذار و الوعىد و التهدىد و الترغىب، فأىه تقوم بتشوىق

ص: ٣٤٩

١- ١) - «كتاب» خبر بعد الخبر، و بهذا الترتىب فإنّ «تنزىل» خبر لمبتدأ محذوف و «كتاب» خبر بعد الخبر.

٢- ٢) - «لقوم يعلمون» يمكن أن تكون متعلقه ب «فصلت» أو ب «تنزىل».

الصالحين و المحسنين بحيث أنّ النفس الإنسانية تكاد تطير و تتماوج فى أشواق الملكوت و الرحمه. و أحيانا تقوم آيه بالتهديد و الإنذار بشكل تقشعر منه الأبدان لهول الصورة و عنف المشهد.

إنّ هذين الأصلين التربويين (الترغيب و التهديد) متلازمان فى الآيات القرآنيه و مترابطان فى أسلوبه.

و مع ذلك فإنّ المتعصبين المعاندين لا- يتفاعلون مع حقائق الكتاب المنزل، و كأنهم لا يسمعونها أبدا بالرغم من السلامه الظاهرية لأجهزتهم السمعيه، إنهم فى الواقع يفتقدون لروح السماع و إدراك الحقائق، و عى محتويات النذير و الوعيد القرآنى.

و هؤلاء- كمحاوله منهم لثنى الرسول صلّى الله عليه و اله و سلّم عن دعوته، و اغالا منهم فى الغي و فى زرع العقبات- يتحدثون عند رسول الله بعناد و علو و غرور حيث يحكى القرآن عنهم: **وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّهِ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَ فِي أذَانِنَا وَقْرٌ وَ مِنْ بَيْنِنَا وَ بَيْنِكَ حِجَابٌ .**

ما دام الأمر كذلك فاتركنا و شأننا، فاعمل ما شئت فإننا عاكفون على عملنا:

**فَاعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ**

حال هؤلاء كحال المريض الأبله الذى يهرب من الطيب الحاذق، و يحاول أن يبعد نفسه عنه بشتى الوسائل و الأساليب.

إنهم يقولون: إنّ عقولنا و أفكارنا موضوعه فى علب مغلقة بحيث لا يصلها شىء.

«أكنه» جمع «كنان» و تعنى الستار. أى أن الأمر لا يقتصر هنا على ستار واحد، بل هى ستائر من العناد و التقليد الأعمى، و أمثال ذلك ممّا يحجب القلوب و يطبع عليها.

و قالوا أيضا: مضافا إلى أنّ عقولنا لا تدرك ما تقول، فإنّ آذاننا لا تسمع لما

تقول أيضا، و هي منهم إشارة إلى عطل المركز الأصلي للعمل و الوسائل المساعدة الأخرى.

و بعد ذلك، فإن بيننا و بينك حجاب سميك، بحيث حتى لو كانت آذاننا سالمه فإننا لا نسمع كلامك، فلما ذا-إذا-تتعب نفسك، لماذا تصرخ، تحزن، تقوم بالدعوه ليلا و نهارا؟ اتركنا و شأننا فأنت على دينك و نحن على ديننا.

هكذا...بمنتهى الوقاحه و الجهل، يهرب الإنسان بهذا الشكل الهازل عن جاده الحق.

و الطريف أنهم لم يقولوا: «و بيننا و بينك حجاب» بل أضافوا للجمله كلمه «من» فقالوا: «مِنْ بَيْنِنَا وَ بَيْنِكَ حِجَابٌ وَ ذَلِكَ لِيَبَانَ زِيَادَةُ التَّأَكِيدِ، لِأَنَّ زِيَادَةَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ يَصْبِحُ مَفْهُومُ الْجُمْلَةِ هَكَذَا: إِنَّ جَمِيعَ الْفَوَاصِلِ بَيْنِنَا وَ بَيْنِكَ مَمْلُوءَةٌ بِالْحِجَابِ، وَ طَبِيعِي أَنْ يَكُونَ حِجَابٌ مِثْلَ هَذَا سَمِيكًا عَازِلًا لِلْغَايَةِ لِيَسْتَوْعِبَ كُلَّ الْفَوَاصِلِ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ، وَ بِذَلِكَ سَوْفَ لَا يَنْفَعُ الْكَلَامُ مَعَ وُجُودِ هَذَا الْحِجَابِ.»

و قد يكون الهدف من قول المشركين: فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ محاولتهم زرع اليأس عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ. أو قد يكون المراد نوعا من التهديد له، أى اعمل ما تستطيعه و نحن سوف نبذل ما نستطيع ضدك و ضد دينك، و التعبير يمثل منتهى العناد و التحدى الأحمق للحق و لرسالاته.

إشاره

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨)

التفسير

إشاره

من هم المشركون؟

الآيات التي بين أيدينا تستمر في الحديث عن المشركين و الكافرين، و هي في الواقع إجابة لما صدر عنهم في الآيات السابقة، و إزالة لأي و هم قد يلصق بدعوه النبي صلى الله عليه و اله و سلم.

يقول تعالى لرسوله الكريم: قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ .

فلا- ادعى أنني ملك، و لست إنسانا أفضل منكم، و لست بربكم، و لا- ابن الله بل أنا إنسان مثلكم، و اختلف عنكم بتعليمات التوحيد و النبوه و الوحي، لا أريد أن

أفرض عليكم ديني حتى تقفوا أمامي و تقاوموني أو تهددونني، لقد أوضحت لكم الطريق، و إليكم يعود التصميم و القرار النهائي.

ثم تستمر الآية: فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَ اسْتَغْفِرُوهُ (١).

ثم تضيف الآية محذره: وَ وَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ .

الآية التي تليها تقوم بتعريف المشركين، و تسلط الضوء على جملة من صفاتهم و تختص هذه الآية بذكرها، حيث يقول تعالى: الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ .

إن هؤلاء يعرفون بأمرين: ترك الزكاة، و إنكار المعاد.

لقد أثارت هذه الآية كلاما واسعاً في أوساط المفسرين، و ذكروا مجموعه احتمالات تفي تفسيرها، و السبب في كل ذلك هو أن الزكاة من فروع الدين، فكيف يكون تركها دليلاً على الكفر و الشرك؟ البعض أخذ بظاهر الآية و قال: إن ترك الزكاة يعتبر من علائم الكفر، بالرغم من عدم تلازمه مع إنكار وجوبه.

البعض الآخر اعتبر الترك مع تلازم الإنكار دليلاً على الكفر، لأن الزكاة من ضروريات الإسلام و منكرها يعتبر كافراً.

و قال آخرون: الزكاة هنا بمعنى التطهير و النظافة، و بذلك يكون المقصود بترك الزكاة، ترك تطهير القلب من لوث الشرك، كما جاء في الآية (٨١) من سورة الكهف في قوله تعالى: خَيْراً مِنْهُ زَكَاةٌ .

إلا أن كلمة (لا يؤتون) لا تناسب المعنى أعلاه، لذلك يبقى الإشكال على حاله.

ص: ٣٥٣

١ - ١) - «استقيموا» مأخوذة من «الاستقامة» و هي هنا بمعنى التوجه بشكل مستقيم نحو شيء معين، لذا فإنها تعدت بواسطة الحرف (إلى) لأنها تعطي مفهوم (استواء).

لذلك لا يبقى من مجال سوى أن يكون المقصود منها هو أداء الزكاة.

المشكلة الأخرى التى تواجهنا هنا، هى أن الزكاة شرّعت فى العام الثّانى من الهجرة المباركة، والآيات التى بين أيدينا مكيه، بل يذهب بعض كبار المفسّرين إلى أنّ سورة «فصلت» هى من أوائل السور النازله فى مكّه، لذلك كلّ-و بغيه تلافى هذه المشكله- فسّير المفسّرون الزكاة هنا بأنّها نوع من الإنفاق فى سبيل الله، أو أنّهم تأولوا المعنى بقولهم: إنّ أصل وجوب الزكاة نزل فى مكّه، إلّا أنّ حدودها و مقدارها و النصاب الشرعى لها نزل تحديده فى العام الثّانى من الهجرة المباركة.

يتبيّن من كلّ ما سلف أنّ أقرب مفهوم لمقصود الزكاة فى الآيه هو المعنى العام للإنفاق، أما كون ذلك من علائم الشرك، فيكون بسبب أنّ الإنفاق المالى فى سبيل الله يعتبر من أوضح علامات الإيثار و الحب لله، لأنّ المال يعتبر من أحبّ الأشياء إلى قلب الإنسان و نفسه، و بذلك فإنّ الإنفاق-و عدمه- يمكن أن يكون من الشواخص الفارقة بين الإيمان و الشرك، خصوصا فى تلك المواقف التى يكون فيها المال بالنسبه للإنسان أقرب إليه من روحه و نفسه، كما نرى ذلك واضحا فى بعض الأمثله المنتشره فى حياتنا.

بعبارة اخرى: إنّ المقصود هنا هو ترك الإنفاق الذى يعتبر أحد علامات عدم إيمانهم بالخالق جلّ و علا، و الأمر من هذه الزاويه بالذات يقترن بشكل متساوى مع عدم الإيمان بالمعاد، أو يكون ترك الزكاة ملازما لإنكار وجوبه.

و ثمّه ملاحظه اخرى تساعد فى فهم التفسير، و هى أنّ الزكاة لها وضع خاص فى الأحكام و التعاليم الإسلاميه، و إعطاء الزكاة يعتبر علامه لقبول الحكومه الإسلاميه و الخضوع لها، و تركها يعتبر نوعا من الطغيان و لمقاومه فى وجه الحكومه الإسلاميه، و نعرف أنّ الطغيان ضدّ الحكومه الإسلاميه يوجب الكفر.

و الشاهد على هذا المطلب ما ذكره المؤرخون من «اصحاب الرّده» و أنّهم من



«بنى طى» و«غطفان» و«بنى اسد» الذين امتنعوا عن دفع الزكاه لعمال الحكومه الإسلاميه فى ذلك الوقت، و بهذا رفعوا لواء المعارضة فقاتلهم المسلمون و قضاوا عليهم.

صحيح أنّ الحكومه الإسلاميه لم يكن لها وجود حين نزول هذه الآيه و لكن هذه الآيه يمكنها أن تكون إشاره مجمله الى هذه القضية.

و قد ذكر فى التواريخ أن أهل الردّه قالوا بعد وفاه النبى صلّى الله عليه و اله و سلّم: «أما الصلاه فنصلى، و أما الزكاه فلا يغصب أموالنا» و هكذا رأى المسلمون ضروره قتالهم و قمع الفتنه.

الآيه الأخيره تقوم بتعريف مجموعه تقف فى الجانب المقابل لهؤلاء المشركين البخلاء، و تتعرض إلى جزائهم حيث يقول تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ .**

«ممنون» مشتق من «من» و تعنى هنا القطع أو النقص، لذا فإنّ غير ممنون تعنى هنا غير مقطوع أو منقوص.

و قيل إنّ مصطلح «منون» -على وزن «زبون»- و يعنى الموت مشتق من هذه المفرده، و كذلك المنّه باللسان، لأنّ الأوّل يعنى القطع و نهايه العمر، بينما الثانى يعنى قطع النعمه و الشكر (١).

و ذهب بعض المفسّرين إلى القول بأنّ المقصود ب غَيْرُ مَمْنُونٍ أنّه لا توجد أىّ منّه على المؤمنين فيما يصلهم من أجر و جزاء و عطاء. لكن المعنى الأوّل أنسب.

ص: ٣٥٥

## الأهميه الاستثنائية للزكاه فى الإسلام:

الآيه أعلاه تعتبر تأكيداً مجدداً و شديداً حول أهميه الزكاه كفريضة إسلاميه، سواء كانت بمعنى الزكاه الواجب أو بمفهومها الواسع، و ينبغى أن يكون ذلك، لأنّ الزكاه تعتبر أحد الأسباب الرئيسيه لتحقيق العدالة الاجتماعيه، و محاربه الفقر و المحروميه، و ملء الفواصل الطبقيه، بالإضافة إلى تقويه البنيه الماليه للحكومه الإسلاميه، و تطهير النفس من حبّ الدنيا و حبّ المال، و الخلاصه: إنّ الزكاه وسيله مثلى للتقرب إلى الله تبارك و تعالى:

و قد ورد فى الروايات الإسلاميه أن ترك الزكاه يعتبر بمنزله الكفر، و هو تعبير يشبه ما ورد فى الآيه التى نحن بصدددها.

و فى هذا المجال نستطيع أن نقف مع الأحاديث الآتيه:

أولاً:

فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ من وصايا رسول الله لأمير المؤمنين على بن أبى طالب قوله له: «يا على كفر بالله العظيم من هذه الأئمه عشره، و عدّ منهم مانع الزكاه... ثمّ قال: يا على من منع قيراطاً من زكاه ماله فليس بمؤمن و لا مسلم و لا كرامه، يا على: تارك الزكاه يسأل الله الرجعه إلى الدنيا، و ذلك قوله عزّ و جلّ: حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ... (١).

ثانياً:

فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله عزّ و جلّ فرض للفقراء فى أموال الأغنياء فريضه لا يحمدون إلا بأدائها، و هى الزكاه، بها حقنوا دماءهم و بها سموا مسلمين» (٢).

ص: ٣٥٦

١- ١) - وسائل الشيعه، المجلد السادس، الصفحات ١٨ و ١٩ «باب ثبوت الكفر و الارتداد و القتل بمنع الزكاه استحلالاً و جحوداً» و قد اعتبر بعض الفقهاء كصاحب الوسائل مثلاً، أنّ الروايات أعلاه تختص بإنكار الزكاه.

٢- ٢) - المصدر السابق.

ثالثاً: أخيراً نقرأ

فى حدِيث عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «من منع قيراطا من الزكاه فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا» (١).

و تقدم بحث مفصل عن أهميه الزكاه فى الإسلام و فلسفتها و تاريخ وجوب الزكاه فى الإسلام، و كل ما يتعلق بها من أمور، فى تفسير الآيه (٦٠) من سوره التوبه.

ص: ٣٥٧

---

١- ١) - المصدر السابق.

اشاره

قُلْ أَيْنَمَا أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّ مِنْ فَوْقِهَا وَ بَارَكَ فِيهَا وَ قَدَّرَ فِيهَا أَفْقَانَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ انبِئَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ أَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَ حِفْظاً ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢)

التفسير

اشاره

مراحل خلق السماوات و الأرض:

الآيات أعلاه نماذج للآيات الآفاقية، و علائم العظمه، و قدره الخلق جلّ و علا- في خلق الأرض و السماء، و بدايه خلق الكائنات، حيث يأمر تعالى النبي الأكرم صلى الله عليه و اله و سلم بمخاطبه الكافرين و المشركين و سؤالهم: هل يمكن إنكار خالق هذه

العوالم الواسعه العظيمة؟ لعلّ هذا الأسلوب يوقظ فيهم إحساسهم و وجدانهم فيحتكمون للحق.

يقول تعالى: قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ تَعَالَى شُرَكَاءَ وَ نَظَائِرَ: وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا .

إنّه لخطأ كبير، و كلام يفتقد إلى الدليل. ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

إنّ الذي يدبرّ أمور هذا العالم، أليس هو خالق السماء و الأرض؟ فإذا كان سبحانه و تعالى هو الخالق، فلما ذا تعبدون هذه الأصنام و تجعلونها بمنزلته؟! إنّ الذي يستحق العباده هو الذي يقوم بالخلق و التدبير، و يملك هذا العالم و يحكمه.

الآية التي تليها تشير إلى خلق الجبال و المعادن و بركات الأرض و المواد الغذائية، حيث تقول: وَ جَعَلَ فِيهَا رِوَابِي مِنْ فَوْقِهَا وَ بَارَكَ فِيهَا وَ قَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ وَ هَذِهِ الْمَوَادُّ الْغِذَائِيَّةُ هِيَ بِمَقْدَارِ حَاجَةِ الْمُحْتَاجِينَ: سِوَاءَ لِلسَّائِلِينَ (١) .

و بهذا الترتيب فإنّ تبارك و تعالى قد دبرّ لكلّ شيء قدره و حاجته، و ليس ثمّيه في الوجود من نقص أو عوز، كما في الآية (٥٠) من سوره «طه» حيث قوله تعالى: رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى .

المقصود من «السائلين» هنا هم الناس، أو أنّها تشمل بشكل عام الإنسان و الحيوان و النبات [و إذا ذكرت بصيغه الجمع للعاقب فهي من باب التغليب]

و وفق هذا التفسير فإنّ الله تعالى لم يحدّد احتياجات الإنسان لوحده منذ البدايه و حسب، و إنّما فعل ذلك للحيوانات و النباتات أيضا.

ص: ٣٥٩

١ - ١) - هناك احتمالات متعدّده حول محل (سواء) و (للسائلين) من الأعراب و بما تختص. الأوّل: أنّ (سواء) حال ب (أقوات) و (للسائلين) متعلق ب (سواء) و تكون النتيجة هي التفسير الذي أوردناه أعلاه. الثّاني: أنّ (سواء) صفة للأيام، يعني أنّ هذه المراحل الأربع تتساوى فيما بينها. و أما (للسائلين) فإما أنّ تتعلّق ب (قدر) أو بمحذوف و يكون التقدير (كائنه للسائلين) يعني أنّ الأيام الأربع هذه تعتبر جوابا للسائلين. لكن التفسير الأوّل أوضح.

و هنا يشار هذا السؤال: تذكر الآيات القرآنيه-أعلاه-أن خلق الأرض تمّ في يومين، و خلق الجبال و البركات و الطعام في أربعة أيّام. و بعد ذلك خلق السماوات في يومين، و بدأ يكون المجموع ثمانية أيّام، في حين أن أكثر من آيه في كتاب الله تذكر أن خلق السماوات و الأرض تمّ في ستة أيّام، أو بعبارة اخرى: في ستة مراحل (١)؟ سلك المفسّرون طريقان في الإجابة على هذا السؤال:

الطريق الأوّل: هو المشهور المعروف، و مفاده أنّ المقصود بأربعة أيّام هو تتمه الأربعة أيّام، بأن يتم في اليومين الأولين من الأربعة خلق الأرض، و في اليومين الآخريين خلق باقى خصوصيات الأرض. مضافا إلى ذلك اليومين لخلق السماوات، فيكون المجموع ستة أيّام أو ست مراحل.

و شبيه ذلك ما يرد في اللغة العربية من القول مثلا- بأن المسافه من هنا إلى مكّه يستغرق قطعها عشره أيّام، و إلى المدينه المنوره (١٥) يوما، أى إنّ المسافه بن مكّه و المدينه تكون خمسه أيام و من هنا إلى مكّه عشره أيّام (٢).

و هذا التفسير صحيح لوجود مجموعه الآيات التى تتحدث عن الخلق في ستة أيّام، و إلاّ ففى غير هذه الحاله لا يمكن الركون له، من هنا تتبين أهميه ما يقال من أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضا.

الطريق الآخر الذى اعتمده المفسّرون للإجابة على الإشكال أعلاه هو قولهم:

إنّ أربعة أيّام لا- تختص ببدايه الخلق، بل هى إشاره إلى الفصول الأربعة للسنة، و التى هى بدايه ظهور الأرزاق و نمو المواد الغذائيه التى تنفع الإنسان

ص: ٣٦٠

١ - ١) - يمكن مراجعه الآيات (٥٤) من سوره الأعراف و (٣) من سوره هود و (٥٩) من سوره الفرقان و (٤) من سوره السجده و (٣٨) سوره ق و (٤) من سوره الحديد.

٢ - ٢) - فى ضوء هذا التفسير يكون للآيه تقديرها بالصيغه الآتية... و قدّر فيها أقواتها فى تتمه أربعة أيّام أو يكون التقدير كما جاء فى تفسير «الكشاف»: «كل ذلك فى أربعة أيّام».

لكن هذا التفسير فضلا عن أنه لا- يلائم الآيات أعلاه، فإنه أيضا يقصر «اليوم» فيما يتعلق بالأرض و لمواد الغذائيه و حسب، لأنّ معناه يتعلق بالفصول الأربعة فقط، بينما لا حظنا أن «يوم» فى معنى خلق السماوات و الأرض يعنى بدايه مرحله! مضافا لذلك تكون النتيجة اختصاص يومين من الأيام الستة لخلق الأرض، و يومين آخرين لخلق السماوات، أما اليومان الباقيان اللذيان يتعلقان بخلق الكائنات بين السماء و الأرض «ما بينهما» فليس هناك إشاره إليهما! من كلّ ذلك يتبين أنّ التفسير الأوّل أجود.

و قد لا- تكون هناك حاجه للقول بأنّ «اليوم» فى الآيات أعلاه هو حتما غير اليوم العادى، لأنّ اليوم بالمعنى العادى لم يكن قد وجد قبل خلق السماوات و الأرض، بل المقصود بذلك هو مراحل الخلق التى استنفذت من الزمن أحيانا ملايين بل و بلايين السنين. (٢).

### ملاحظات

تبقى أمامنا ملاحظتان ينبغى أن نشير إليهما:

أولاً- ما هو المقصود من قوله تعالى: **بَارَكْ فِيهَا**؟ الظاهر أنّها إشاره إلى المعادن و الكنوز المستودعه فى باطن الأرض، و ما على الأرض من أشجار و أنهار و نباتات و مصادر للماء الذى هو أساس الحياه و البركه، حيث تستفيد منها جميع الاحياء الأرضيه.

ص: ٣٤١

١-١) - ثمّه حديث بهذا المضمون فى تفسير على بن إبراهيم.

٢-٢) - راجع الآية (٥٤) من سوره الأعراف.

ثانيا: بما تتعلق الأيام الاربعه فى عبارته: فى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ؟ بعض المفسرين يعتقد أنها تخص «الأقوات» فقط. لكنها ليست كذلك، بل تشمل الأقسام الثلاثة المذكوره فى الآيه (أى خلق الجبال، خلق المصادر و بركات الأرض، خلق الموارد الغذائيه) لأنه -خلافا لذلك- فإن بعض هذه الأمور سوف لا تدخل فى الأيام الوارده فى الآيات أعلاه، وهذا أمر لا يتناسب مع نظم الآيات و نظامها.

بعد الانتهاء من الكلام عن خلق الأرض و مراحلها التكاملية، بدأ الحديث عن خلق السماوات حيث تقول الآيه: ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ انبِئَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا .

فكانت الإجابة: قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ .

و فى هذه الأثناء: فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ثم: وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرًا وَ أخيرا: وَ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَ حِفْظًا نعم: ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ .

فى الآيتين المتقدمتين تستلقت النظر عشر ملاحظات سنقف عليها خلال النقاط الآتية، التى تنهى من خلالها البحث فى هذه المجموعه من الآيات، و هى:

أولا: كلمه «ثم» تأتى عادة للإشاره إلى التأخير فى الزمان، و تأتى أحيانا للدلاله على التأخير فى البيان. فإذا كان المعنى الأول هو المقصود فسيكون المفهوم هو أن خلق السماوات تم بعد خلق الأرض و خلق الجبال و المعادن و المواد الغذائيه. أما إذا كان المعنى الثانى هو المقصود، فليس هناك مانع من أن تكون السماوات قد خلقت و بعدها تم خلق الأرض، و لكن عند البيان ذكرت الآيه أولا خلق الأرض و الأرزاق و مصادرهما التى يحتاجها البشر، ثم عرجت إلى ذكر قضيه خلق السماء.

المعنى الثانى بالإضافة إلى أنه أكثر تناسقا و انسجاما مع الاكتشافات العلميه،



فهو أيضا يتفق مع الآيات القرآنية الأخرى، كقوله تعالى في الآيات (٢٧-٣٣) من سورة «النازعات»: أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بِنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ .

إن هذه المجموعه من الآيات الكريمة تكشف بوضوح أن دحو و توسيع الأرض و تفجر العيون و نبات الأشجار و الموارد الغذائية، قد تم جميعا بعد خلق السماوات. أما لو فسّرنا معنى «ثم» بالتأخير في الزمان، فعلينا أن نقول: إن كل تلك قد تكونت قبل خلق السماء، وهذا يتنافى مع المعنى الواضح للمراد من قوله تعالى: بَعْدَ ذَلِكَ أَي أَنْ كُلَّ مَا ذَكَرَ قَدْ تَمَّ خَلْقُهُ بَعْدَ ذَلِكَ (أى بعد السماوات).

و بذلك نفهم أن (ثم) هنا قد استخدمت للتدليل على التأخير البياني (١).

ثانيا: «استوى» من «استواء» و تعنى الاعتدال أو مساواه شيئين ببعضهما، و لكن ذهب علماء اللغة و التفسير إلى أن هذه الكلمه عند ما تتعدى ب «على» يصبح معناها الاستيلاء و التسلط على شيء ما مثل أَلرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٢).

و عند ما تتعدى ب «إلى» فهى تعنى القصد، كما فى الآيه التى نبحثها تَمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ اى قصد الى السماء.

ثالثا: جملة «هى دخان» تبين أن بدايه خلق السماوات كان من سحب الغازات الكثيفه الكثيره، و هذا الأمر يتناسب مع آخر ما توصلت إليه البحوث العلميه بشأن بدايه الخلق و العالم.

و الآن فإن الكثير من النجوم السماويه هى على شكل سحب مضغوطه من الغازات و الدخان.

ص: ٣٦٣

---

١- ١) - أما ما نقل عن ابن عباس من قوله: إن خلق الأرض كان قبلا، و أما «دحو الأرض» فجاء بعد ذلك، فهو لا يحل المشكله، و كأن ابن عباس لم يهتم عما بعد الآيه من حديث عن خلق الجبال و المواد الغذائية!  
٢- ٢) - طه، الآيه ٥.

رابعاً: قوله تعالى: فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لا تعنى أن كلاماً قد جرى باللفظ، وإنما قول الخالق و أمره هو نفسه الأمر التكويني، و هو عين إرادته فى الخلق. أما التعبير ب«طوعاً أو كرها» فهو إشارة إلى أن الإرادة الإلهية الحتمية قد ارتبطت يتكوّن السماوات و الأرض. و المعنى أنه يجب أن يحدث هذا الأمر شاءت أم أبت.

خامساً: الجملة فى قوله تعالى: أَتَيْتَا طَائِعِينَ تشير إلى أنّ المواد التى تتشكل منها السماء و الأرض من ناحيه التكوين و الخلقه، كانت مستسلمه تماماً لإرادته الله و أمره، فتقبلت شكلها المطلوب و لم تعترض أمام هذا الأمر الإلهي مطلقاً.

و من الواضح أنّ هذا الأمر و هذا الامتثال ليس لهما طبيعه تكليفية و تشريعية، بل حدثت بمحض التكوين فقط.

سادساً: قوله تعالى: فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فى يَوْمَيْنِ يشير إلى وجود مرحلتين فى خلق السماوات، كلّ مرحله استمرت لملايين أو مليارات السنين، و كل مرحله تتضمن مراحل اخرى، و من المحتمل أن تكون هاتان المرحلتان هما مرحله تبديل الغازات المضغوطة إلى سوائل و مواد مذابه، ثمّ مرحله تبديل المواد المذابه إلى مواد جامده.

كلمه «يوم» استخدمت هنا- كما أشرنا سابقاً- بمعنى مرحله، و هو ممّا يشبع استخدامه فى عدّه لغات، و يشبع استخدامه أيضاً فى كلامنا اليومي، فعند ما تقول مثلاً: يوم لك و يوم عليك، إنّما تشير إلى مراحل الحياه المختلفه. (هناك بحث مفصل حول هذا الموضوع فى نهايه تفسير الآيه (٥٤) من سوره الأعراف).

سابعاً: إنّ العدد «سبع» ربّما جاء هنا للكثرة، بمعنى أنّ هناك سماوات كثيره و أجرام كثيره. و من المحتمل أن يكون الرقم للعدد، أى إن عدد السماوات هى سبع بالتحديد. و مع هذا التقييد فإنّ جميع ما نرى من كواكب و نجوم ثابتة و سيّاره هى

من السماء الأولى، وبذلك يكون عالم الخلقه متشكلا من سبع مجموعات كبرى، واحده منها فقط أمام أنظار البشريه، وإنّ الأجهزه العلميه الفلكيه الدقيقه و بحوث الإنسان، لم تتوصل إلى ما هو أبعد من السماء الأولى.

و لكن كيف تكون العوالم الستة لأخرى؟ و ممّ تشكّل؟ فهو أمر لا يعلمه إلاّ الله تعالى.

و المعتقد هنا أنّ هذا التفسير هو الأصح. (في هذا الموضوع يمكن مراجعه نهايه تفسير الآيه (٢٩) من سوره البقره).

ثامنا: قوله تعالى: وَ أَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرًا تَشِيرُ إِلَىٰ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ لَمْ تَنْتَه بِخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ حَسْبُ، بل إنّ في كل منها مخلوقات و كائنات و نظام خاص و تدبير معين، بحيث أنّ كلّ واحده تعتبر بحد ذاتها دليلا على العظمه و القدره و العلم.

تاسعا: قوله تعالى: وَ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ جَمِيعَ النُّجُومِ زِينَةٌ لِلسَّمَاءِ الْأُولَىٰ، و تبدو في نظر الإنسان كالمصابيح المعلقة في سقوف هذه السماء الزرقاء، و هي ليست للزينة و حسب، حيث تجذب بتألؤها الخاص المتعاقب قلوب عشاق أسرار الخلقه، بل في الليالي المعتمه تكون مصابيح للتأهين و أدله لمن يسير في الطريق، تعينهم على تعيين اتجاه الحركه.

أمّا «الشهب» التي تظهر كنجوم سريعه تظهر في السماء بوميض سريع قبل أن تنطفئ، فهي في الواقع سهام تستقر في قلوب الشياطين و تحفظ السماء من نفوذهم. (راجع تفسير الآيه ١٧ من سوره الحجر و نهايه الآيه السابعه من سوره الصافات).

عاشرا: قوله تعالى: ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ تكمله للجمل التسع السابقه، و تشكل بمجموعها عشره كامله، تقول: إنّ ما حدث في السماء و الأرض منذ بدايه الخلق إلى مرحله التشكّل و النظام الدقيق، كان وفق برنامج محسوب و مقدّر، تمّ

تنظيمه من قبل المبدأ الأزلي ذى العلم و القدره المطلقتين، و إن أى تفكير فى أى بحر من هذه البحور يقودنا نحو المبدأ العظيم  
جلّت قدرته.

ص: ٣٦٦

اشاره

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ (١٣) إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (١٤) فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصِرًا فِي أَيَّامٍ نَحِيسَاتٍ لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ (١٦)

التفسير

اشاره

أحذر كم صاعقه مثل صاعقه عاد و ثمود!

بعد البحث المهم الذي تضمنته الآيات السابقة حول التوحيد و معرفه الخالق جلّ و علاه تنذر الآيات-التي بين أيدينا-المعارضين و المعاندين الذين تجاهلوا كلّ هذه الدلائل الواضحه و الآيات البينات، و تحذرههم أن نتيجته الإعراض نزول

العذاب بهم، يقول تعالى: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ لِلصَّاعِقَةِ مِثْلَ الصَّاعِقَةِ لَعَادٍ وَتَمُودَ (١).

عليكم أن تخافوا هذه الصاعقه المميته المحرقه التي إذا نزلت بساحتكم تنفيكم و تحل بداركم الدمار.

لاحظنا في بدايه هذه السوره المباركه أن بعض زعماء الشرك في مكه مثل «الوليد بن المغيره» و بروايه اخرى «عتبه بن ربيعه» جاءوا إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للتحقيق حول القرآن و دعوه الرسول و طرحوا عليه بعض الأسئلة و فى سياق إجابته رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لهم تلا عليهم الآيات الاولى من هذه السوره، و عند ما وصل النبي فى تلاوته إلى الآيات أعلاه و هددهم بصاعقه مثل صاعقه عاد و ثمود، ارتعشت أجسادهم و أصيبوا بالخوف بحيث أنهم لم يكونوا قادرين على الاستمرار فى الكلام، لذلك عادوا إلى قومهم و ذكروا لهم تأثيرهم العميق و اضطرابهم و وجلهم من هذه الكلمات.

«الصاعقه» كما يقول الراغب فى المفردات، تعنى الصوت المهيب فى السماء، و يشتمل على النار أو الموت أو العذاب. (و لهذا السبب تطلق الصاعقه على الموت أحيانا، و على النار و فى أحيان اخرى).

و الصاعقه-وفقا للتحقيقات العلميه الراهنه-هى شراره كهربائيه عظيمه تحدث بين مجموعه من الغيوم التى تحمل الشحنات الكهربائيه الموجبه، و بين الأرض التى تكون شحنتها «سالبه» و تصيب عاده قمم الجبال و الأشجار و أى شىء مرتفع، و فى الصحارى المسطحه تصيب الإنسان و الأنعام، كما أن حرارتها شديده للغاية بحيث أنها تحيل أى شىء تصيبه إلى رماد، و تحدث صوتا مهيبا و هزه أرضيه قويه فى المكان الذى تضربه.

ص: ٣٦٨

١-١) - «الفاء» فى «فإن اعرضوا» هى «فاء التفریع» كما قيل، بناء على ذلك فإن هذا الإنذار الحاسم يعتبر فرعا و نتیجه للإعراض عن الآيات التوحيديه السابقه.

اللّٰه تبارك و تعالىٰ - كما تنص على ذلك آيات القرآن- عاقب بعض الأؑوام الأشقياء من الأمم السابقة بالصاعقه.

و الطريف هنا أنّ عالم اليوم برغم التقدم الهائل فى العلوم، بقى عاجزا عن اكتشاف وسيله لمنع الصاعقه.

و سيبقى هذا السؤال: لماذا ذكر هنا قوم عاد و ثمود من بين جميع الأؑوام السابقة؟ السبب يعود إلى أنّ العرب كانوا على اطلاع بخبر أولئك الأؑوام، و كانوا قد شاهدوا بأعينهم آثار مدنهم المدمّره، إضافة إلى أنّهم كانوا يعرفون أخطار الصواعق، لأنّهم يعيشون فى الصحراء و البادية.

يوصل الحديث القرآنى سياقه بالقول: **إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ .**

إنّ استخدام تعبير **مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ** هو إشاره إلى ما ذكرناه أعلاه من أنّ الأنبياء قد استخدموا جميع الوسائل و الأساليب لهدايتهم، و حاولوا طرق كلّ الأبواب حتى ينفذوا إلى قلوبهم المظلمه.

و قد يكون التعبير إشاره إلى الأنبياء الذين بعثوا خلال أزمنه مختلفه إلى هؤلاء الأؑوام، و طرحوا عليهم نداء التوحيد.

لكن لنرى ماذا كان جوابهم حيال هذه الجهود العظيمة الواسعه لرسل اللّٰه تعالى؟ يقول تعالى: **قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً لِّإِبْلَاحِ رِسَالَتِهِ بَدَلًا مِنْ إِرْسَالِ النَّاسِ .**

و الآن و ما دام الأمر كذلك: **فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ .** و ما جئتم به لا نعتبره من اللّٰه.

إنّ مفهوم هذا الكلام لا يعنى إيمان هؤلاء بأنّ هؤلاء رسل اللّٰه حقًا، و أنّهم

لا- يؤمنون بهم، وإنما مفهوم الكلام رفض هؤلاء دعوة الرسل في أنهم مبلغوا رسالات الله من الأساس، حيث حملوهم على الكذب والادعاء. (ذلك فإن جملة **بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ** هي للاستهزاء أو السخرية، أو أن يكون المقصود بها هو: طبقاً لادعائكم بأنكم رسل الله تبلغون عنه).

إنها نفس الذريعة التي ينقلها القرآن مرارا على لسان منكرى النبوات ورسالات الله و مكذبي الرسل، من الذين كانوا يتوقعون أن يكون الأنبياء دائما ملائكة، وكانما البشر لا يستحقون مثل هذا المقام.

مثال ذلك قولهم في الآية (٧) من سورة الفرقان: **وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا**.

إن قائد البشر يجب أن يكون من صنف البشر، كى يعرف مشاكل الإنسان و احتياجاته و يحس آلامهم و يتفاعل مع قضاياهم، و كى يستطع أن يكون القدوة و الأسوة، لذلك يصرح القرآن في الآية (٩) من سورة «الأنعام» بقوله تعالى: **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا**.

بعد المجمل الذى بيته الآيات أعلاه، تعود الآيات الآن- كما هو أسلوب القرآن الكريم- إلى تفصيل ما أوجز من خبر قوم عاد و ثمود، فتقول: **فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً**.

إن هؤلاء القوم كانوا يعيشون فى أرض «الأحقاف» من (حضر موت) جنوب الجزيرة العربية، و كانوا يتصفون بوضع استثنائى فريد من حيث القوه الجسمانيه و الماليه و التمدن المادى، فكانوا يبنون القصور الجميله و القلاع المحكمه، خاصه فى الأماكن المرتفعه، حيث يرمز ذلك إلى قدرتهم و يكون وسيله لاستعلائهم.

لقد كانوا رجالا مقاتلين أشداء، فأصيبوا بالغرور بسبب قدراتهم الظاهريه و مجدهم المادى، حتى ظنوا أنهم أفضل من الجميع، و أن قوتهم لا تقهر، و لذلك قاموا بتكذيب الرسل و الإنكار عليهم، و تكالبوا على نبيهم «هود».



لكن القرآن يرد على هؤلاء و دعواهم بالقول: أ و لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً .

أليس الذى خلقهم خلق السماوات و الأرض؟ بل هل يمكن المقايسه بين هاتين القدرتين، فأين القدره المحدوده الفانيه من القدره المطلقه اللامتناهيه الأزليه؟! ما للتراب و ربى الأرباب (1)؟! تضيف الآيه فى النهايه قوله تعالى: وَ كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ .

نعم، إنَّ الإنسان الضعيف المحدود سوف يطغى بمجرّد أن يشعر بقليل من القدره و القوه، و أحيانا بدافع من جهله، فيتوهم أنّه يصارع الله جلّ و علا!! لكن ما أسهل أن يبدل الله عوامل حياته إلى موت و دمار، كما تخبرنا الآيه عن مآل قوم عاد: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِيسَاتٍ لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

إنَّ هذه الريح الصرصر، و كما تصرح بذلك آيات اخرى، كانت تقتلعهم من الأرض بقوّه ثمّ ترطمهم بها، بحيث أصبحوا كأعجاز النخل الخاويه. (يلاحظ الوصف فى سوره «القمر» الآيه ١٩-٢٠ و سوره الحاقه الآيه ٦ فما بعد).

لقد استمرت هذه الريح سبع ليال و ثمانيه أيام، و حطّمت كيانهم و كل وسائل عيشهم، نكالا بما ركبوا من حماقه و علوا و غرور، و لم يبق منهم سوى أطلال تلك القصور العظيمه، و آثار تلك الحياه المرفهه.

هذا فى الدنيا، و هناك فى الآخره: وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى .

إنَّ العذاب الأخرى هو فى الواقع كالشراره فى مقابل بحر لجمى من النار.

ص: ٣٧١

١ - ١) - إنَّ هذا التعبير يشبه فى الواقع جمله: «الله أكبر» حيث تقوم بتعريف الله (جلّ و علا) بأنّه أعظم و أكبر من جميع الموجودات، ذلك أننا نعلم أن لا-قياس بين الإثنين (التراب و رب الأرباب) و لكن الله يتحدّث إليها بلساننا، لذلك نرى أمثال هذه الألفاظ و التعابير فى كلامه تعالى

و الأنكى من ذلك أن ليس هناك من ينصرهم: وَ هُمْ لَا يُنْصَرُونَ .

فبعد عمر من الجد و العمل فى سبيل التظاهر بالعظمه و العلو، يصيبهم الله تعالى بعذاب أذلهم فى هذه الدنيا، و فى العالم الآخر ينتظرهم ما هم أشد و أصعب! «صرصر»: على وزن (دفتر) مشتقّه فى الأصل من كلمه «صرّ» على وزن «شَرّ» و تعنى الغلق بإحكام، لذا تستعمل كلمه «صرّه» للكيس الذى يحتوى على المال و هو مغلق بشكل جيّد. ثم أطلقت على الرياح الباردة جدا، أو التى فيها صوت عال، أو الرياح المسمومه القاتله. و قد تكون الرياح العجيبه التى شملت قوم «عاد» تحمل كلّ هذه الصفات جميعا.

أَيَّامٍ نَحِشَاتٍ

تعنى الأيام المشؤومه التى اعتبرها البعض بأنّها الأيام المليئه بالتراب و الغبار، أو الأيام الباردة جدا، و هذه المعانى يمكن أن تكون مراده من الآيات التى نحن بصدددها.

لقد أشار أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام فى خطب نهج البلاغه إلى قصه عاد، كى تكون درسا أخلاقيا تربويا يتعظ منه الآخرون.

يقول عليه السّلام: «و اتعظوا فيها بالذين قالوا: من أشدّ منّا قوّه؟ حملوا إلى قبورهم، فلا يدعون ركبانا، و أنزلوا الأجداث فلا يدعون ضيفانا، و جعل لهم من الصفيح أجنان، و من التراب أكفان، و من الرفات جيران» (١).

ملاحظتان

إشاره

أولا: ما هى وسيله فناء قوم عاد؟

وفقا للآيه (١٣) من هذه السوره، فإنّ قوم عاد و ثمود أهلكوا بالصاعقه. فى حين أنّ الآيات التى نبحتها تقول: إنهم أبيدوا بالريح الصرصر العاتيه، فهل هناك

ص: ٣٧٢

(١-١) - نهج البلاغه: الخطبه رقم (١١١).

تعارض بين الاثنين؟ فى الجواب ذكر المفسرون و علماء اللغة معينين للصاعقه، أحدهما عام، و الآخر خاص.

فالصاعقه بمعناها العام تعنى أى شىء يهلك الإنسان، و هى كما يقول العلامة الطبرى فى مجمع البيان: «المهلكه من كل شىء».

أما المعنى الخاص، فالصاعقه شراره عظيمه من النار تنزل من السماء، و تحرق كل ما يوجد فى طريقها، كما وضحنا ذلك آنفا.

بناء على هذا، لو كانت الصاعقه بالمعنى الأول فلا تعارض بينها و بين الرياح القويه.

يقول الراغب فى المفردات: «قال بعض أهل اللغة: الصاعقه على ثلاثه أوجه:

الموت كقوله: فَصَيَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ قَوْلُهُ: فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَ الْعَذَابُ كقوله: أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ النَّارَ كقوله: وَ يُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصَيِّبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَ مَا ذَكَرَهُ فَهُوَ أَشْيَاءٌ حَاصِلَةٌ مِنَ الصَّاعِقَةِ فَإِنَّ الصَّاعِقَةَ هِيَ الصَّوْتُ الشَّدِيدُ مِنَ الْجَوِّ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْهُ نَارٌ فَقَطْ أَوْ عَذَابٌ أَوْ مَوْتٌ وَ هِيَ فِي ذَاتِهَا شَيْءٌ وَاحِدٌ وَ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ تَأْثِيرَاتٌ مِنْهَا».

و ثمه احتمال آخر، هو أن قوم عاد قد شملهم نوعان من العذاب: الأول الرياح الشديده التى دمّرت كل شىء و التى سلطها الله عليهم أياما عديده، ثم جاء بعد ذلك دور الصاعقه الناريه المميته التى شملتهم بأمر الله.

لكن المعنى الأول يبدو أكثر تناسبا مع الموضوع، خصوصا إذا لا حظنا الآيات الأخرى التى تتحدث عن عقاب قوم عاد و هلاكهم. (راجع الآيات فى سورة الذاريات- آيه ٤١، و سورة الحاقه- آيه ٦، و القمر الآيتان «١٨» و «١٩»).

البعض يعتقد أنّ أيام السنه نوعان: أيام نحسه مشؤومه، و أيام سعيده مباركه.

و يستدلون على ذلك بالآيات أعلاه، فيقولون: هناك تأثيرات مجهوله تؤثر في الليالي و الأيام، و نشعر نحن بآثار ذلك، بينما أسبابها ما تزال مبهمه بالنسبه لنا.

و قال البعض: إنّ الأيام النحسه فى الآيه التى نبحتها هى الأيام المملوءه بالتراب و الغبار.

و قوم عاد قد أصيبوا بمثل هذه الرياح الشديده بحيث باتوا لا يرى أحدهم الآخر، كما تفيد ذلك الآيتان (٢٤-٢٥) من سوره «الأحقاف» فى قوله تعالى:

فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسِيئًا تَقْبِلَ أُوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ، تَدْمَرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ .

و سوف نقوم ببحث مفصل حول مفهوم الأيام النحسه و الأيام السعيدة، فى نهايه حديثنا عن الآيه (١٩) من سوره القمر، إن شاء الله تعالى.

اشاره

وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَآخَذْتُهُمْ صَاعِقَهُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ (١٨)

التفسير

اشاره

عاقبه قوم ثمود:

بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن قوم عاد، تبحث هاتان الآيتان في قضيه قوم ثمود و مصيرهم، حيث تقول: إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ الرِّسَالَ وَ الْأَنْبِيَاءَ لَهُمْ مَعَ الدَّلَائِلِ الْبَيِّنَةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ: وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ .

لذلك: فَآخَذْتُهُمْ صَاعِقَهُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ .

و هؤلاء مجموعه تسكن «وادي القرى» (منطقه بين الحجاز و الشام) و قد وهبهم الله أراضى خصبه خضراء مغموره، و بساتين ذات نعم كثيره و كانوا يبذلون الكثير من جهدهم فى الزراعة. و لقد وهبهم الله العمر الطويل و الأجسام القويه، و كانوا مهره فى البناء القوى المتماسك، حيث يقول القرآن عنهم فى ذلك: وَ كَانُوا

لقد جاءهم نبيهم بمنطق قوى و قلب ملؤه الحب، و معه المعاجز الإلهيه، إلا- أن هؤلاء القوم المغرورين المستعلين لم يرفضوا دعوته- و حسب- بل آذوه و أتباعه القليلين، لذلك شملهم الله بعقابه فى الدنيا، و لن يغنى ذلك عن عذاب الآخرة شيئا.

نقرأ فى الآيه (٧٨) من سوره الأعراف أنهم أصيبوا بزلزله عظيمه، فبقيت أجسادهم فى المنازل بدون حراك: فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ .

و فى الآيه (٥) من سوره الحاقه قوله تعالى بشأنهم: فَأَمَّا تَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ .

أما الآيه (٦٧) من سوره هود فتقول عنهم: وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ .

أما الآيه التى نحن بصددھا فقد استخدمت تعبير «صاعقه».

قد يتصور البعض أن هناك تعارضا بين هذه التعابير، و لكن عند التدقيق يظهر أن الكلمات الأربع أعلاه (رجفه، طاغيه، صيحه، صاعقه) ترجع جميعا إلى حقيقه واحده، لأن الصاعقه،- كم قلنا سابقا- لها صوت مخيف، بحيث يمكن أن نسميها بالصيحه السماويه، و لها أيضا نارا محرقه، و هى عند ما تسقط على منطقه معينه تحدث هزّه شديده، و كذلك هى وسيله للتخريب.

فى الواقع إنّ البلاغه القرآنيه تستوجب أن تبين الأبعاد المختلفه للعذاب الإلهي بتعابير مختلفه و فى سياق آيات عديده كيما تخلف أثرا عميقا فى نفس الإنسان.

و هؤلاء القوم قد واجهتهم عوامل مختلفه للموت فى إطار حادثه واحده، بحيث أن كلّ عامل لوحده يكفى لإبادتهم كالصيحه المميتة مثلا، أو الهزه الأرضيه

القاتله، أو النار المحرقة، وأخيرا الصاعقه المخفيه.

و لكن قد يتساءل عن مصير الأشخاص الذين آمنوا بصالح عليه السلام بين هذه الأمواج القاتله من الصواعق، فهل احترقوا بنيران غيرهم؟ القرآن يجيبنا على ذلك بقول الله عزّ وجلّ: **وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ** .

لقد أنجى هذه المجموعه إيمانها و تقواها، بينما شمل العذاب تلك الكثره الطاغيه بسبب كفرها و عنادها، و المجموعتان يمكن أن تكونا نموذجا لفئات من هذه الأمه.

قال بعض المفسرين: لقد آمن بنبيّ الله صالح (١١٠) أشخاص من بين مجموع القوم، و لقد أنقذ الله هؤلاء و أنجاهم فى الوقت المناسب.

## ملاحظه

## اشاره

## أنواع الهدايه الإلهيه:

الهدايه على نوعين: أوّلا «الهدايه التشريعيه» و هى تشمل إبانه الطريق و الكشف عنه بجميع العلائم. ثم هناك «الهدايه التكوينيّه» التى هى فى واقعها إيصال إلى المطلوب أو الوصول إلى الهدف.

لقد تجمعت الهدايتان معا فى الآيات التى نبحثها، فالآيات تتحدث أولا عن هدايه ثمود و هذه هى الهدايه التشريعيه التى استبانوا من خلالها الطريق.

ثم أضافت الآيه عن وصف حالهم بأنهم استجبوا العمى على الهدى، و هذه هى عين الهدايه التكوينيّه و التوصل نحو الهدف.

و هكذا فإنّ الهدايه بمعناه الأوّل قد تمّت من خلال بعثه الرسل و الأنبياء، أمّا الهدايه بمعناها الثانى و التى ترتبط بإرادته و اختيار أى إنسان، فلم تتمّ بسبب غرور

القوم و تكبرهم و علوهم، لأنهم: فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ .

إنّ هذا-بحّد ذاته-دليل على مبدأ «حريه الإراده الإنسانيه» و عدم الجبر.

و لكن-برغم صراحه و وضوح الآيات-نرى أنّ بعض المفسّرين كالفخر الرازى يصرون على إنكار دلالة الآية، و ذكروا كلاما لا يليق بمنزله الباحث المحقق، و ذلك بسبب ميولهم نحو عقيدته الجبر (1) !!

ص: ٣٧٨

---

(١ - ١) - يلاحظ الفخر الرازى فى التفسير الكبير فى نهايه حديثه عن هذه الآية.



اشاره

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِمَ لُجُودُنَا لَمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَيْتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)

التفسير

كانت الآيات السابقة تتحدث عن الجزاء الديني للكفار المغرورين و الظالمين و المجرمين. أما الآيات التي نبثها الآن فتتحدث عن العذاب الأخرى، و عن مراحل مختلفه من عقاب أعداء الله.

يقول تعالى: وَ يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ .

و كى تتصل الصفوف ببعضها يتم تأخير الصفوف (١) حتى تلتحق بها الصفوف الأخرى: فَهَمْ يُوزَعُونَ .

و حينذاك: حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصَارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) .

يا لهم من شهود! فأعضاء الإنسان تشهد بنفسها عليه و لا يمكن إنكار شهادتها، لأنها كانت حاضره فى جميع المشاهد و المواقف و ناظره لكل الأعمال، و هى إذ تتحدث بأمر الله تعالى.

و هنا يثار سؤال: هل تعنى شهاده هذه الأعضاء من جسم الإنسان أنّ الله تبارك و تعالى يخلق فيها قدره الإحساس و الإدراك و الشعور، و بالتالى قدره على الكلام؟ أم أنّ آثار الذنوب سوف تظهر فى ذلك اليوم (يوم البروز) لأنها مطبوعه عليها طوال عمر الإنسان، كما نقول فى تعبيراتنا الشائعه: إن صفحه و وجهه تحكى و تخبر ما يخفيه فلان فى سرّه؟ أو أنّ الأمر يكون كما فى حال الشجره التى أوجد الله تعالى فيها الصوت و أسمعه موسى عليه السّلام؟ فى الواقع يمكن قبول كلّ هذه التفاسير، و قد جاءت مبثوثه فى تفاسير المفسرين.

طبعاً لا- يوجد مانع من أن يقوم تعالى بخلق الإدراك و الشعور فى الأعضاء، فتشهد فى محضر اللّٰه تعالى عن علم و معرفه، خصوصاً و أن ظاهر الآيات يشير للوهله الأولى إلى هذا المعنى. و هو ما يعتقدّه البعض فيما يخص تسبيح و حمد

ص : ٣٨٠

١ - ١) - «يوزعون» من «وزع» و هى بمعنى المنع، و عند ما تستخدم للجنود أو الصفوف الأخرى، فإن مفهومها يعنى أن يبقى المجموع إلى أن يلتحق بهم آخر نفر.

٢ - ٢) - «ما» فى قوله تعالى: إِذَا مَا جَاؤُهَا زَائِدَةٌ، و هى هنا للتأكيد.

و سجود ذرات العالم و كائنات الوجود بين يدي الله تبارك و تعالى.

و المعنى الثانى محتمل أيضا لأننا نعلم أنّ أى كائن فى هذا العالم لا يفنى من الوجود، و أنّ آثار أقوالنا و أفعالنا سوف تبقى فى أعضائنا و جوارحنا، و من الطبيعى أن تعتبر «الشهادة التكوينية» هذه من أوضح الشهادات و أجلاها، إذ لا مجال لإنكارها، كما فى اصفرار الوجه-الذى يعتبر عادة دليلا-على الخوف لا يمكن إنكاره، و احمراره دليل على الغضب أو الخجل.

و إطلاق النطق على هذا المعنى يكون مقبولا أيضا.

أمّا الاحتمال الأخير فى أن تنطق الأعضاء بإذن الله تعالى دون أن يكون لها شعور بذلك أو يظهر منها اثر تكوينى، فإنّ ذلك بعيد ظاهرا، لأنه فى مثل هذه الحالة لا تعتبر الحالة مصداقا للشهادة التشريعية و لا مصداقا للشهادة التكوينية، فلا عقل هناك و لا شعور، و لا الأثر الطبيعى للعمل، و سوف تفقد قيمة الشهادة فى المحكمه الإلهيه الكبرى.

و من الضرورى الانتباه إلى أنّ قوله تعالى: حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا بَیِّنًا أَنْ شَهِدَ أَعْضَاءُ الْإِنْسَانِ تَتَمَّ فِي مَحْكَمِهِ النَّارُ، فهل مفهوم ذلك أنّ الشهادة تتم فى النار، فى حين أنّ النار هى نهايه المطاف، أم أنّ المحكمه تنعقد بالقرب من النار؟ الاحتمال الثانى هو الأقرب كما يظهر.

ثمّ ما هو المقصود من (جلود) بصيغه الجمع؟ الظاهر أنّ المقصود بذلك هو جلود الأعضاء المختلفه للجسم، جلد اليد و الرجل و الوجه و غير ذلك.

أمّا الروايات التى تفسّر ذلك ب«الفروج» فهى فى الحقيقه من باب بيان المصداق، و ليس حصر مفهوم الجلود فى ذلك.

و من جانب آخر ربّ سائل يسأل: لماذا تشهد العين و الأذن و الجلود فقط، دون أعضاء الجسم الأخرى؟ و هل الشهاده مقتصره على هذه الأعضاء، أو أنّ

هناك أعضاء اخرى تشهد؟ ما نستفيدة من الآيات القرآنية الأخرى أنّ هناك أعضاء اخرى فى جسم الإنسان تشهد عليه، إذ نقرأ فى الآية (٦٥) من سورة «يس» قوله تعالى: وَ تَكَلَّمْنَا أَيْدِيَهُمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ .

و فى الآية (٢٤) من سورة «النور» قوله تعالى: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيَهُمْ وَ أَرْجُلُهُمْ .

و هكذا يتضح أنّ هناك أعضاء اخرى تقوم بالإدلاء بالشهادة، إلا أنّ ما تذكره الآية التى بين أيدينا من أعضاء تعتبر فى الدرجة الأولى، لأنّ معظم أعمال الإنسان تتم بمساعدة العين و الأذن، و إنّ الجلود هى أول من يقوم بملامسه الأعمال.

المجرمون يستغربون هذه الظاهره، و آيه استغرابهم قوله تعالى: وَ قَالُوا لِيُجْلِدُوهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا .

لسان حالهم يقول: لقد كنّا لسنين مديده نحافظ عليكم من الحر و البرد و نعتنى بنظافتكم، فلما ذا أنتم هكذا؟ و فى الجواب يقولون: قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ .

لقد أعطانا الله مهمه القيام بالشهادة على أعمالكم فى هذه المحكمه العظيمة، و لا نملك نحن سوى الطاعه، فالذى أعطى غيرنا من الكائنات قابليه النطق أعطانا -أيضا- هذه القابليه (١).

و الطريف هنا أن أولئك يسألون جلودهم دون باقى الأعضاء من الشهود كالعين و الأذن.

ص: ٣٨٢

---

١ - ١) - هذا التفسير وارد عند ما يكون معنى الآية: أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ناطق و لكن يحتمل أن يكون معنى أنطق كل شىء بالمعنى المطلق، بمعنى أنّ الله الذى أنطق جميع الموجودات، و هو يكشف عن جميع الأسرار اليوم، هو الذى أنطقنا، فلا تتعجبوا من كلامنا فجميع كائنات العالم ستنطق فى هذا اليوم.

قد يكون السبب في ذلك أنّ شهاده الجلود هي أغرب و أعجب من جميع الأعضاء الأخرى، و أوسع منها جميعا، فتلك الجلود التي يجب عليها أن تذوق طعم العذاب الإلهي-قبل غيرها من الأعضاء-تقوم بمثل هذه الشهاده، و هذا الأمر محير حقًا! ثم تستمر الآيه بقوله تعالى: وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .

و مره اخرى تضيف: وَ مَا كُنْتُمْ تَسْتَشِيرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَ لَا أَبْصَارُكُمْ وَ لَا جُلُودُكُمْ .

وَ إِنَّ سَبَبَ إِخْفَائِكُمْ لِأَعْمَالِكُمْ هُوَ: وَ لَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ .

كنتم غافلين عن أنّ الله يسمع و يرى، يشهد أعمالكم في كلّ حال و مكان، و يعلم أسراركم ما بطن منها و ما ظهر، ثم هناك عناصر الرقابه التي ترافقكم و هي معكم في كلّ مكان، فهل تستطيعون إنجاز عمل مخفى عن أعينكم و آذانكم و جلودكم؟ إنكم في قبضه القدره الإلهيه و تحت نظر الشهود المستترين و الظاهرين حتى أدوات ذنبيكم تشهد ضدكم؟! يروى المفسرين أنّ الآيه أعلاه نزلت في ثلاثه نفر من كفار قريش و طائفه من بنى ثقيف ذوى بطون كبيره و رؤوس صغيره اجتمعوا بجوار الكعبه و هم يتسارون، فقال أحدهم: أظنون أنّ الله يسمع كلامنا و حديثنا هذا؟ فأجاب آخر: تكلمم بهدوء و اخفض صوتك، فإذا تحدثنا بصوت عال فهو (أى الله جلّ جلاله) يسمعه، و إذا خفضنا أصواتنا فلا يسمعنا.

فقال الثالث: إذا كان الله يسمع الكلام العالى فهو حتما يسمع الصوت الضعيف أيضا.

و هنا نزلت الآيه الكريمة: **وَ مَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ... (١)**.

ثم يقول تعالى: **وَ ذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢) (٣)**.

هل أن هذا الحديث هو من قبل الله تعالى، و أن كلام الأعضاء و الجوارح ينتهي إلى قوله تعالى: **أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ** ، أم أن ما يليه استمرار له؟ المعنى الثاني يبدو أكثر توافقاً، و عبارات الآيه تتلاءم معه أكثر، بالرغم من أن أعضاء الجسم و جوارحه إنما تتحدث هنا بأمر الله تعالى و بإرادته، و المعنى في الحالتين واحد تقريباً.

## بحثان

### إشارة

#### الأول: حسن الظن و سوء الظن بالله تعالى

توضح الآيات بشكل قاطع خطوره سوء الظن بالله تعالى، و مآل ذلك إلى الهلاك و الخسران.

و بعكس ذلك فإن حسن الظن بالله تعالى سبب للنجاه في الدنيا و الآخرة.

و

في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «ينبغي للمؤمن أن يخاف الله خوفاً كأنه يشرف على النار، و يرجوه رجاء كأنه من أهل الجنة، إن الله تعالى يقول:

**وَ ذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ**

...ثم قال: إن الله عند ظن عبده، إن خيراً فخير، و إن شراً فشر» (٤).

ص: ٣٨٤

١ - ١) - نقل هذه الحادثة (باختلاف) الكثير من المفسرين، منهم: القرطبي، الطبرسي، الفخر الرازي، الألويسي، المراغي، و كذلك نقل الحادثة كل من البخاري و مسلم و الترمذي، و ما أوردناه أعلاه مأخوذ عن القرطبي مع التصريف. المجلد الثامن، صفحته ٥٧٩٥.

٢ - ٢) - «ذلكم» مبتدأ و (ظنكم) خبر له. لكن البعض احتمل أن (ظنكم) بدل و (أرداكم) خبر (ذلكم).

٣ - ٣) - «أرداكم» من «ردى» على وزن «رأى» و تعنى الهلاك.

٤ - ٤) - عن مجمع البيان نهاية تفسير الآيه مورد البحث.

روى عن الصادق عليه السّلام عن رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم: أنّ الله إذا حاسب الخلق يبقى رجل قد فضلت سيئاته على حسناته، فتأخذه الملائكة إلى النار و هو يلتفت، فيأمر الله برده، فيقول له: لم التفت؟ -و هو تعالى أعلم به- فيقول: يا ربّ ما كان هذا ظنّي بك، فيقول الله تعالى: يا ملائكتي! و عزّتي و جلالتي و الاثني و علوي و ارتفاع مكاني، ما ظن بي عبدى هذا ساعه من خير قط، و لو ظنّ بي ساعه من خير ما ودعته بالنار، أجزوا له كذبه و أدخلوه الجنّه». ثمّ أضاف رسول الله: ليس من عبد يظن بالله عزّ و جلّ خيرا إلاّ كان عند ظنّه به و ذلك قوله عزّ و جلّ: **وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَأَيْتُمْ مَنِ الْخَاسِرِينَ** (١).

### الثاني: الشهود في محكمه القيامة

عند ما تقول: إنّ جميع الناس سيحاكمون في العالم الآخر، فقد يتبادر إلى الذهن أنّ المحكمه هناك تشبه محاكم هذه الدنيا، إذ سيحضر كلّ فرد أمام القاضي و بيده ملفه، و ثمّه شهود في القضية، ثمّ يبدأ السؤال و الجواب قبل أن يصدر الحكم النهائي.

و قد أشرنا مرارا إلى أنّ الألفاظ سيكون لها مفهوم أعمق في ذلك العالم بحيث يصعب أو يستحيل علينا تصوّر مداليلها، لأننا سجناء هذه الدنيا و مقاييسها.

و لكن نستطيع -مع ذلك- أن نقرب من بعض حقائق العالم الآخر من خلال ما نستفيده من الآيات القرآنيه و الأحاديث المرويه عن رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم و أئمّه المسلمين من أهل بيته عليهم السّلام، و تبين لنا آثار عن عظمه و عمق الحياه في ذلك العالم و محكمه يوم البعث، و لو بشكل إجمالي.

فمثلا عند ما يقال: «ميزان الأعمال» قد ينصرف الذهن إلى المعنى الذي نتصوّر فيه أعمالنا في ذلك اليوم خفيفه أو ثقيله، حيث توزن في ميزان ذي كفتين.

ص: ٣٨٥

و لكن عند ما نقرأ فى روايات المعصومين عليهم السّلام أنّ أمير المؤمنين على عليه السّلام هو ميزان الأعمال، بمعنى أنّ قيمه الأعمال و شخصيه الأفراد ستقاس بمقياس يكون مركزه شخصيا الإمام العظيم و بمقدار مشابهه الإنسان لسلوك هذا الإمام العظيم و اقترابه منه سيكون له وزن أكثر، و بمقدار بعده عنه سيكون خفيفا فى ميزان أعماله و حسابه.

و من خلال هذا المعنى نفهم ماذا يعنى ميزان الأعمال هناك.

و فى مسأله «الشهود» فإنّ الآيات القرآنيه تكشف لنا الستار- كذلك- عن حقائق اخرى، إذ يتبين أنّ مفهوم الشهود هناك يختلف عن شهود محاكم هذه الدنيا.

و فى قضيه الشهود- بالذات- نستفيد من آيات القرآن الكريم أنّ هناك سته أنواع من الشهود فى تلك المحكمه:

□ 1- أنّ أول الشهود و أعلاهم شأننا هو الذات الإلهيه الطاهره: □ مَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ □ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ □ مِنْ قُرْآنٍ □ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ □ إِلَّا □ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا □ إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ □ (١).

إنّ شهاده الله تكفى لكل شىء، إلا أنّ مقتضى اللطف الإلهى و العداله الربويه تستوجب أن يضع تعالى شهودا آخرين.

□ 2- الأنبياء و الأوصياء: يقول القرآن الكريم: □ فَكَيْفَ □ إِذَا جِئْنَا □ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ □ بِشَهِيدٍ □ وَ جِئْنَا □ بِكَ □ عَلَى □ هَؤُلَاءِ □ شَهِيدًا □ (٢).

و نقرأ

فى حديث ورد فى (الكافى) عن الإمام الصادق عليه السّلام حول نزول هذه الآيه و هو قوله عليه السّلام: «نزلت فى أمّه محمّد خاصه، فى كلّ قرن منهم إمام منّا، شاهد

ص: ٣٨٦

١- ١) - يونس، الآيه ٦١.

٢- ٢) - النساء، الآيه ٤١.



عليهم و محمد شاهد علينا» (١).

٣-شهاده اللسان و اليد و الرجل و العين و الاذن: كما فى قوله تعالى: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢).

و من الآيه التى نحن بصدددها نستفيد أنّ العين و الأذن هما من قائمه الشهود أيضا، و نستفيد كذلك من بعض الروايات أنّ كلّ أعضاء الجسم ستقوم بدورها بالشهاده على الأعمال التى قامت بها (٣).

٤-شهاده الجلود: لقد تحدثت الآيات التى نحن بصدددها عن هذا الموضوع بصراحه، بل و أضافت أنّ المذنبين لم يكونوا يتوقعون أنّ تشهد عليهم جلودهم، فخطبوا بالقول: لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا؟ فىأتى الجواب من جلودهم: أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤).

٥-الملائكه: يقول تعالى: وَ جَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ (٥). و مفهوم الآيه الكريمة أنّ كلّ إنسان يحشر إلى القيامة، يكون معه ملك يسوقه نحو الحساب و تشهد الملائكه عليه.

٦-الأرض: إنّ الأرض التى تحت أقدامنا، و تؤمن لنا مختلف البركات و النعم، تقوم أيضا بمراقبتنا بدقه، و تحدث فى ذلك اليوم ما كان منا عليها، يقول تعالى: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٦).

٧-شهاده الزمان: بالرغم من عدم إشاره نصوص الآيات القرآنيه إلى هذه الشهاده، و لكن نستفيد هذه الشهاده من أحاديث الأئمه المعصومين عليهم السلام،

فعن أمير

ص: ٣٨٧

١-١) - أصول الكافي، المجلد الأول، صفحه ١٩٠

٢-٢) - النور، الآيه ٢٤.

٣-٣) - لئالى الأخبار، صفحه ٤٦٢.

٤-٤) - فصلت، الآيه ٢١.

٥-٥) - سوره ق، الآيه ٢١.

٦-٦) - الزلزال، الآيه ٤.

المؤمنين على بن أبى طالب قوله عليه السّلام: «ما من يوم يمرّ على ابن آدم إلّا قال له ذلك اليوم: يا ابن آدم! أنا يوم جديد، و أنا عليك شهيد، فقل فيّ خيرا و اعمل فيّ خيرا، أشهد لك يوم القيامة» (١).

ما أعجب هذه الشهود التى تشهد علينا فى تلك المحكمه! إنّه خليط عجيب من الملائكه و أعضاء الجسم و الأنبياء و الأوصياء، و الأَعْظَم من ذلك هى شهاده الله تبارك و تعالى علينا الذى يسمع و يرى و يحيط علمه بكل شىء، فيراقب أعمالنا و يشهد علينا... لكننا لا نبالى!!؟ ألا يكفى الإيمان بوجود مثل هؤلاء الشهود أن يسير الإنسان فى طريق الحق و العداله و التقوى و النزاهه!؟

ص: ٣٨٨

---

١-١) - سفينه البحار، المجلد الثّانى، ماده يوم.

اشاره

فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٤) وَ قَيَضْنَا لَهُمْ قُرْءًا فَزَيَّنَّا لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (٢٥)

التفسير

اشاره

قرناء السوء:

في أعقاب البحث السابق الذي تحدثت في الآيات الكريمة عن مصير «أعداء الله» جاءت الآيتان أعلاه لتشيران إلى نوعين من العقاب الأليم الذي ينتظر هؤلاء في الدنيا والآخرة.

يقول تعالى: فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (١) ولا يمكنهم الخلاص منها لأنها مصيرهم سواء صبروا أو لم يصبروا.

«مثنوى» من «ثوى» على وزن «هوى» وتعنى المقر و محل الاستقرار.

و الآية الكريمة هذه تشبه الآية (١٦) من سوره «الطور» حيث قوله تعالى:

ص: ٣٨٩

١-١) - يكون التقدير هكذا: «فإن يصبروا أو لا يصبروا فالنار مثنوى لهم».

إِضْلُوهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ .

و كذلك تشبه الآية (٢١) من سورة «إبراهيم» حيث قوله تعالى: سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ .

و للتأكيد على هذا الأمر تضيف الآية: وَ إِنْ يَسْتَعْجِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ .

«يستعجبون» مأخوذه في الأصل من (العتاب) و تعنى إظهار الخشونه، و مفهوم ذلك أَنَّ الشخص المذنب سيستسلم للوم صاحب الحق كى يعفو عنه و يرضى عنه، لذلك فَإِنَّ كلمه (استعتاب) تعنى الاسترضاء و طلب العفو (١).

ثم تشير الآية الثانية إلى العذاب الدنيوى لهؤلاء فتقول: وَ قَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ حَيْثُ قَامَ هَؤُلَاءِ الْجُلُوسُ بِتَصْوِيرِ الْمَسَاوِي لَهُمْ حَسَنَاتٍ.

«قيضنا» من (قيض) على وزن (فيض) و تعنى فى الأصل قشره البيضه الخارجيه، ثم قيلت لوصف الأشخاص الذين يسيطرون على الإنسان بشكل كامل، كسيطره القشره على البيضه.

و هذه إشاره إلى أَنَّ أصدقاء السوء و الرفاق الفاسدين يحيطون بهم من كل مكان، حيث يصادرون أفكارهم، و يهيمنون عليهم بحيث يفقدون معه قابليه الإدراك و الإحساس المستقل، و عندها ستكون الأمور القبيحه السيئه جميله حسنه فى نظرهم، و بذلك ينتهى الإنسان إلى الوقوع فى مستنقع الفساد و تغلق بوجهه أبواب النجاه.

فى بعض الأحيان تستخدم كلمه «قيضنا» لتبديل شىء مكان شىء آخر، و وفقا لهذا المعنى سيكون مقصود الآية، هو أننا سنأخذ منهم الأصدقاء الصالحين و نسلب منهم رفاق الخير، لنبدلهم بأصدقاء السوء و القرناء الفاسدين.

لقد ورد فهذا المعنى بشكل أوضح فى الآيتين (٣٦-٣٧) من سورة «الزخرف»

ص : ٣٩٠

فى قوله تعالى: وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيُصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ

إنَّ التَّمَعَّنَ بِالمَجْتَمَعَاتِ المَفَاسِدِ وَ الفَنَاتِ المُنْحَرِفَةِ الضَّالِّهِ يَنْتَهَى بِنَا-بِسَهْوِهِ- إِلَى اكْتِشَافِ آثَارِ أَقْدَامِ الشَّيَاطِينِ فِي حَيَاتِهِمْ، إِذْ يَحَاصِرُهُمْ رِفَاقُ السُّوءِ وَ قِرْنَاءُ الشَّرِّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَ صَوْبٍ، وَ يَسَيِّرُونَ عَلَى أَفْكَارِهِمْ وَ يَقْلُبُونَ لَهُمُ الحَقَائِقَ.

قوله تعالى: مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُ إِشَارَةٌ لِاحْطَاةِ الشَّيَاطِينِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَ تَزْيِينِ الْأُمُورِ لَهُمْ.

وَقِيلَ أَيْضًا فِي تَفْسِيرِهَا أَنَّ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ إِشَارَةٌ إِلَى لَذَاتِ الدُّنْيَا وَ زَخَارِفِهَا، وَمَا خَلْفَهُمْ هُوَ إِنكَارُ الْقِيَامَةِ وَ البَعْثِ.

وَ قَدْ يَكُونُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ إِشَارَةٌ إِلَى وَضْعِهِمُ الدُّنْيَوِيَّ وَمَا خَلْفَهُمْ إِلَى المَسْتَقْبَلِ الَّذِي سَيَنْتَظِرُهُمْ وَ أَبْنَاءَهُمْ، إِذْ عَادَهُ مَا يَرْتَكِبُ هَذِهِ الجَرَائِمَ تَحْتَ شِعَارِ تَأْمِينِ المَسْتَقْبَلِ.

وَ بِسَبَبِ هَذَا الوَضْعِ تَضْيِيفُ الْآيَةِ بِأَنَّ الأَمْرَ الإلهِيَّ صَدَرَ بَعْدَ إِذْ بَدَأُوا بِمَصِيرِهِمْ وَ أَنَّ مَصِيرَهُمْ هُوَ مَصِيرُ الأُمَّمِ السَّالِفَةِ: وَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَّمٍ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ (١).

ثم تنتهي الآية بقوله تعالى: إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ .

إنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ تُعْتَبَرُ فِي الوَاقِعِ-الصُّورَةِ المَقَابِلَةِ وَ الوَاجِهُ الآخِرِ، وَ سَوْفَ تُتَحَدَّثُ الْآيَاتِ القَادِمَةِ عَنِ المُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ المَنْصُورِينَ فِي الدُّنْيَا وَ الآخِرَةِ بِالمَلَائِكَةِ الَّتِي تُبَشِّرُهُمْ بِكُلِّ خَيْرٍ، وَ تُكْشِفُ عَنْهُمْ الغَمَّ وَ الحُزْنَ.

ص: ٣٩١

---

(١- ١) -«فى أمم» متعلقه بفعل محذوف، و فى التقدير تكون الجملة: «كائنين فى أمم قد خلت». و من المحتمل أن تكون «فى» هنا بمعنى «مع».

اشاره

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ (٢٦) فَلَنذِيقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٨) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (٢٩)

التفسير

اشاره

الضحيج في مقابل صوت القرآن!!

بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن الأقوام الماضين كقوم عاد و ثمود، و تحدثت عن جلساء السوء و قرناء الشر، تتحدث المجموعه التي بين أيدينا من الآيات البيئات عن جانب من جوانب الانحراف لمشركى عصر رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم لقد ورد فى بعض الروايات أنّ رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم ما أن يرفع صوته فى مكه ليتلو القرآن بصوته الجميل و أسلوبه الخاشع، حتى كان المشركون يقومون بإبعاد الناس

عنه و يقولون: أطلقوا الصفيير و ارفعوا أصواتكم بالشعر حتى لا تسمعوا كلامه (١).! القرآن الكريم يشير إلى هذا المعنى فى هذه الآيات، حيث يقول: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ .

هذا الأسلوب فى مواجهه تأثير الحق و نفوذه بالرغم من كونه أسلوبا قديما، إلا أنه يستخدم اليوم بشكل أوسع و أخطر لصرف أفكار الناس و خنق أصوات المنادين بالحق و العدالة، فهؤلاء يقومون بملء المجتمع بالضوضاء حتى لا يسمع صوت الحق. و مع الالتفات الى أن معنى كلمه «و الغوا» المشتقه من «لغو» لها معنى واسع يشمل أى كلام فارغ، ندر ك جيدا سعه هذا المنهج المتبع. فتاره يتم اللغو بواسطه الضججه و الضوضاء و الصفيير.

و اخرى بواسطه القصص الكاذبه و الخرافيه.

و ثالثه بواسطه قصص الحب و العشق المثيره للشهوات! و قد يتجاوز مكرهم مرحله القول فيقومون بتأسيس مراكز خاصه بالفساد و أنواع الأفلام المبتدله و المطبوعات المنحرفه الرخيصه، و الألاعيب السياسيه الكاذبه و المثيره، إنهم يعمدون إلى الاستعانه بأى أسلوب يؤدي إلى حرف أفكار الناس و اهتماماتهم عن الحق.

و الانكى من ذلك طرح بعض البحوث و القضايا الفارغه التافهه فى الاوساط العلميه لتتأثر حولها ضجه تهيمن على اهتمامات الناس و وعيهم، و تصدّهم عن التفكير بالقضايا الأساسيه و الأمور المهمه.

لكن.. هل استطاع المشركون التغلب على القرآن الكريم بأعمالهم هذه؟! لقد عمّمهم الفناء و ذهبت أساليبهم الشريره ادراج الرياح، و امتد القرآن و اتسع فى تأثيره حتى استوعب أرجاء الدنيا.

الآيه الأخرى تشير إلى عذاب هؤلاء فتقول: فَلَنَذِقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا

ص: ٣٩٣

خاصه أولئك الذين يمنعون الناس من سماع آيات الله.

و هذا العذاب يمكن أن يشملهم في الدنيا بأن يقتلوا على أيدي أصحاب رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم أو يقعوا في أسرهم، و قد يكون في الآخرة، أو يكون العذاب في الدنيا و الآخرة معا.

قوله تعالى: **وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ**.

فهل لهؤلاء عمل أسوأ من الكفر و الشرك و إنكار آيات الله و منع الناس و صدّهم عن سماع كلام الحق؟ لكن لماذا أشارت الآية إلى «أسوأ» بالرغم من أنهم يرون جزاء كل أعمالهم؟ قد يكون هذا التعبير للتأكيد على موضوع الجزاء و التهديد به بيان حديثه، و فيه إشارة لمنعهم الناس عن سماع كلام النبي صلى الله عليه و اله و سلم.

كما أن قوله تعالى: **كَانُوا يَعْمَلُونَ** دليل على أنه سيتم التأكيد على الأعمال التي كانوا يقومون بها دائما، و بعبارة أخرى: إن ما يعملونه لم يكن أمرا مؤقتا بل كانت سنتهم و سيرتهم الدائمة.

و للتأكيد على فضيه العذاب، يأتي قوله تعالى: **ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ** (١).

و هذه النار ليست مؤقتة زائلة بل: **لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ** نعم، فذلك: **جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ** (٢).

إنهم لم ينكروا الآيات الإلهية و حسب، بل منعوا الآخرين من سماعها.

«يجحدون» من «جحد» على وزن «عهد» و تعنى في الأصل كما يرى «الراغب» في «المفردات»: إلغاء و نفي شيء ثابت في القلب، أو إثبات شيء منفي في القلب. أو هو بعبارة أخرى: إنكار الحقائق مع العلم بها، و هذا من أسوأ أنواع

ص: ٣٩٤

١- ١) - «النار» يمكن أن تكون «عطف بيان» أو «بدل» لـ «جزاء» أو أن تكون (خيرا لمبتدأ محذوف) و التقدير هو النار.

٢- ٢) - «جزاء» يمكن أن تكون مفعولا لفعل محذوف تقديره «يجزون جزاء» أو أن تكون مفعولا لأجله.



الكفر(راجع نهايه الآيه(١٤)من سوره النمل).

إنَّ الإنسان عند ما يصاب ببلاء معين،خاصه إذا كان بلاء شديدا،فإنَّه يفكر بمسببه الأصلي كى يعثر عليه و ينتقم منه،و أحيانا يود تقطيعه قطعه قطعه إذا استطاع ذلك.

لذلك تشير الآيه التاليه إلى هذا المعنى الذى سيشمل الكفار و هم فى الجحيم فيقول: **وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجَعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ .**

إنَّ أولئك كانوا ينهونا عن سماع قول النَّبى و كانوا يقولون:إنَّه ساحر مجنون، ثم كانوا يكثرن من اللغو حتى لا نسمع صوته و كلامه،و بدلا عن ذلك كانوا يشغلوننا بأساطيرهم و أكاذيبهم.

أمَّا الآن و قد فهمنا أن كلامه صَلَّى الله عليه و اله و سلم هو روح الحياه الخالده،و أنَّ نغمات صوته حياه النفوس الميته، و لكن «و لات ساعه ندم».

لا ريب أنَّ المقصود من الجن و الإنس فى الآيه هم الشياطين،و الناس الذين يقومون بالغوايه مثل الشياطين،و ليس هما شخصان معينان.

و لا مانع من تشبيه الفعل عند ما يكون الفاعل مجموعتان،كما فى قوله تعالى:

**فَبَأَى آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ .**

قال بعض المفسرين فى تفسير قوله تعالى: **لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ**:المقصود أنَّ المضلين من الجن و الإنس سيكونون فى أسفل درك من الجحيم،و لكن الأظهر منه أنَّ شدة غضبهم يدفعهم إلى وضع من أغواهم تحت أقدامهم ليركلونهم و يكونوا فى أدنى مقام فى مقابل ما كان لهم من مقام و مكانه عليا فى الحياه الدنيا.

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ  
أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢)

التفسير

اشاره

نزول الملائكة على المؤمنين الصامدين:

يعتمد القرآن الكريم في أسلوبه وضع صور متقابلة و متعارضه للحالات التي يتناولها كي يوضحها بشكل جيد من خلال المقاييسه و المقارنه فبعد أن تحدث عن المنكرين المعاندين الذين يصدون عن آيات الله، و أبان جزاءهم و عقوبتهم، بدأ الآن (في الصورة المقابلة) في الحديث عن المؤمنين الراسخين في إيمانهم، و أشار إلى سبعة أنواع من الثواب الذي يشملهم جزاء و مثوبه لهم.

يقول تعالى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا.

إنه تعبير جميل و شامل يتضمّن كلّ الخير و الصفات الحميده، فأولا يوجّه القلب إلى الله و يوثق الإيمان به تعالى و يقويه، ثمّ سيطره هذا الإيمان و هيمنته على كلّ مرافق الحياه، و ثبات السير في هذا الطريق، طريق الاستقامه (١).

هناك الكثير من الذين يدعون محبه الله، إلا أننا لا نرى الاستقامه واضحه في عملهم و سلوكهم، فهم ضعفاء و عاجزون بحيث عند ما يشملهم طوفان الشهوه يودعون الإيمان و يشركون في عملهم، و عند ما تكون منافعهم في خطر يتنازلون عن إيمانهم الضعيف ذلك.

ففي حديث عن رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم أنه بعد أن تلا الآيه قال: «قد قالها الناس ثمّ كفر أكثرهم فمن قالها حتى يموت فهو ممن استقام عليها» (٢).

و

في نهج البلاغه يفسّر الإمام على عليه السّلام هذه الآيه بعبارات حيّه و ناطقه عميقه المعنى يقول عليه السّلام: «و قد قلت» ربنا الله فاستقيموا على كتابه، و على منهاج أمره، و على طريقه الصالحه من عبادته، ثمّ لا تمرقوا منها، و لا تبدعوا فيها، و لا تخالفوا عنها» (٣).

و في مكان آخر نرى أنّ الإمام على بن موسى الرضا عليه السّلام أجاب في تفسير معنى الاستقامه

بقوله: «هي و الله ما أنتم عليه» (٤).

و هذا لا- يعني أنّ الاستقامه تختص بالولاية فقط، بل إنّ قبول قياده أئمّه أهل البيت عليهم السّلام سيضمّن بقاء خط التوحيد، و الطريق الإسلامي الأصيل، و استمرار العمل الصالح، و هذا هو تفسيره عليه السّلام لمعنى الاستقامه.

و خلاصه القول أن قيمه الإنسان هي بالإيمان و العمل الصالح، و هذه القيمه

ص: ٣٩٧

---

١-١) - «استقاموا» من «الاستقامه» و تعنى الثبات على الطريق المستقيم الخط الصحيح. و فسرّها بعض علماء اللغه بمعنى «الاعتدال» و لا يستبعد الجمع بين المعنيين.

٢-٢) - مجمع البيان في نهايه الحديث عن الآيه.

٣-٣) - نهج البلاغه، الخطبه رقم ١٧٦.

٤-٤) - مجمع البيان في نهايه الحديث عن الآيه.

يتحدث عنها الله تبارك و تعالی بقوله: **قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا** .

لذلك

فقد روى أنّ رجلا جاء إلى رسول الله صَلَّى الله عليه و اله و سلم فقال له: أخبرنى بأمر أعتصم به؟ فقال رسول الله: «قل ربى الله ثم استقم».

ثم سأل الرجل رسول الله صَلَّى الله عليه و اله و سلم عن أخطر شىء ينبغى عليه أن يخشاه. فمسك رسول الله لسانه و قال: هذا (١).

و الآمن لئلا ما هى المواهب الإلهيه التى سيشمل من يتمسك بهذين الأصلين؟ القرآن الكريم يشير إلى سبع مواهب عظيمه تبشرهم ملائكه الله بها عند ما تهبط عليهم. ففى ظل الإيمان و الاستقامه يصل الإنسان إلى مرحله بحيث تنزل عليه الملائكه و تعلمه.

فبعد البشارتين الأولى و الثانيه و المتمثلتين بعدم (الخوف) و (الحزن) تصف الآيه المرحله الثالثه بقوله تعالى: **وَ أُبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** .

و البشاره الرابعه يتضمنها قوله تعالى: **نَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ** فلن نترككم وحيدين، بل نعينكم فى الخير و تعصمكم عن الانحراف حتى تدخلوا الجنة.

و البشاره الخامسه قوله تعالى: **وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ** أى فى الجنة.

أما البشاره السادسه فلا تختص بالنعم الماديه و ما تريدونه. بل الاستجابه إلى العطايا و المواهب المعنويه: **وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ** .

أما البشاره السابعه و الأخيره فهى أنكم ستحلون ضيوفا لدى البارئ عزّ و جلّ و فى جنته الخالده، و ستقدم لكم كلّ النعم تماما مثلما يتمّ الترحيب بالضيف العزيز من قبل المضيف: **نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ** .

ص: ٣٩٨

فى طيات هذه الآيات المبينه، و التعابير القرآنيه القصيره البليغه ذات المعانى الكبيره، ثمه ملاحظات دقيقه و لطيفه نقف عليها من خلال النقاط الآتيه:

١- هل نزول الملائكه على المؤمنين المستقيمين يتم أثناء الموت و الانتقال من هذا العالم إلى العالم الآخر، كما يحتمل ذلك بعض المفسرين، أم أن نزولهم يكون فى ثلاثه مواطن، عند(الموت) و عند(دخول القبر) و عند(الإحياء و البعث و النشور)، أو إن هذه البشائر تكون دائمه و مستمره، و تتم بواسطه الإلهام المعنوى، حيث تستقر الحقائق فى أعماق المؤمنين بالرغم من أنها فى لحظه الموت و لحظه الحشر تكون بشائر الملائكه أجلى و أوضح؟ يبدو أن المعنى الأخير أنسب، و ذلك لعدم وجود قيد أو شرط فى الآيه.

و يؤيد ذلك أن الملائكه تقول فى البشاره الرابعه: نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِى الْآخِرَةِ وَ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَوَى الْأَسْتِقَامَةِ يَسْمَعُونَ هَذَا الْكَلَامَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِى الدُّنْيَا عِنْدَ مَا يَكُونُونَ أَحْيَاءً، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ بِاللِّسَانِ وَ اللَّفْظِ، بَلْ يَسْمَعُونَ ذَلِكَ بِأَذَانِ قُلُوبِهِمْ بِمَا يَشْعُرُونَ بِهِ مِنْ هُدُوءٍ وَ اسْتِقْرَارٍ وَ سَكِينَةٍ وَ إِحْسَاسٍ كَبِيرٍ بِالرَّاحَةِ عِنْدَ الْمَشَاكِلِ وَ الصَّعَابِ.

صحيح أن بعض الروايات قيدت نزول الملائكه و حضورهم عند الموت، إلا أن ثمه روايات اخرى إشارات إلى معنى أوسع يشمل الحياه أيضا (١).

و يمكن أن نستنتج من مجموع الروايات أن ذكر خصوص الموت هو بعنوان المصداق لهذا المفهوم الواسع، و نعرف هنا أن التفاسير الوارده فى الروايات غالبا ما توضح المصدايق.

إن بشائر الملائكه ستشع فى أرواح المؤمنين و أعماق ذوى الاستقامه حتى تهبهم القوه و القدره على مواجهه أعاصير الحياه و مشقاتها، و تثبت أقدامهم من

٢-قال بعض المفسيدين في التفريق بين الخوف و الحزن، أن(الخوف) يختص بالحوادث التي تثير القلق لدى الإنسان لكنّها تقع في المستقبل، فيبقى الإنسان قلقا حذرا إزاءها و منتظر وقوعها. أمّا(الحزن) فهو ممّا يختص بالحوادث المؤسفة التي وقعت في الماضي.

و على أساس هذا المعنى يأتي خطاب الملائكة: أن لا تقلقوا من الصعوبات التي تنتظركم، سواء في هذه الدنيا أو عند الموت أو في مراحل البعث، و لا تحزنوا على ذنوبكم الماضية أو الأبناء الذين سيقون بعدكم.

و تقديم(الخوف)على(الحزن)قد يكون بسبب أن المؤمن أكثر ما يكون قلقا إزاء حوادث المستقبل، خاصة ما يتعلق منها بالحشر و الجزاء و اليوم الآخر.

و قال البعض أيضا: إن(الخوف)من العذاب، بينما(الحزن)على ما فات من الثواب، و الملائكة تقوم بزرع الأمل عندهم في الحاليتين بواسطة الألفاظ الإلهية و المواهب و العطايا الربانية.

٣-قوله تعالى: كُنْتُمْ تُوعَدُونَ هو تعبير جامع تتداعى فيه كلّ صفات الجنّة في ذهن المؤمنين ذوى الاستقامه، بمعنى أن الجنّة كلّها و بكل ما سمعتم عنها و عن نعيمها مسخّره لكم، و من حورها و قصورها إلى مواهبها الكثيره و عطاياها المعنويه التي لا يدركها الإنسان، و لم تخطر ببال أحد: **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ (١)**.

٤-في البشارة الزّابحة تعرّف الملائكة نفسها بأنّها تلتزم جانب المؤمنين في الدنيا و الآخرة، تقوم بنصرهم و إنزال السكينه عليهم، و هى صوره تقابل الآيات السابقه من هذه السوره المباركه عند ما وصفت أعداء الله من الكفار من المعاندين و المكذبين، و كيف أنّهم يتأوهون من عذاب النار و يمتلئون غيظا و غضبا على من

أضلّهم في الحياه الدنيا، ويريدون الانتقام منهم.

٥- الفرق بين البشاره الخامسه و السادسه، أنّ فى الخامسه يقال لهم: إنّ ما ترغبونه و تريدونه موجود هناك، فإنّ مجرد رغبتكم فى شىء ما يتزامن مع مثوله أمامكم.

و لكن قوله تعالى فى تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ: يستخدم للإشاره إلى الرغبات و اللذات الماديه، و إنّ قوله تعالى فى مَا تَدْعُونَ: يشير إلى ما تريدونه من المواهب المعنويه و العطايا و الملمات الروحانيه.

و خلاصه الكلام: أنّ كلّ شىء موجود هناك، سواء كان ماديا أم معنويا.

٦- «نزل» تعنى كما أشرنا سابقا، ما يقدمه المضيف إلى ضيفه، بينما فَيَرها البعض بأول ما يقدم إلى الضيف. و التعبير فى كلّ الأحوال يكشف عن أن جميع المؤمنين ذوى الاستقامه هم ضيوف الله و نزل رحمته و جنته و مائدته.

٧- إنّ التدقيق فى هذا البشار و وعود الحق من قبل البارئ جلّ و علا، و التى تعطى للمؤمنين بواسطه ملائكه الله الكرام، سوف تحرك فى وجود الإنسان الدوافع نحو الإيمان و الاستقامه، تجعل الروح البشريه تتعشق السير فى هذا الطريق.

و فى ظل هذه الأجواء المضيئه بالطاعه و البشرى، استطاع الإسلام العزيز أن يصنع من عرب الجاهليه مجموعه نموذجيه لا تتوانى عن الإيثار و التضحيه بالغالى و العزيز فى سبيل منعه الإسلام و المسلمين و انتصارهم على كلّ المشاكل و العقبات.

و ينبغى أن ننتبه هنا إلى أنّ «الاستقامه» مثلها مثل «العمل الصالح» هى ثمره لشجره الإيمان، إذ الإيمان يدعو الإنسان إلى الاستقامه متى ما نفذ إلى عمق الإنسان، و تأسست قواعد وجوده النفسى على التقوى، مثلما تعمق الاستقامه فى طريق الحق و الإيمان.

و هكذا يكون لهذين العاملين أثران متبادلان متقابلان.

و الذى نستفيدة، من الآيات القرآنيه الأخرى، أنّ الإيمان و الاستقامه لا يجلبان البركات المعنويه و الروحيه و حسب، و إنّما يرفل الإنسان من خلالهما بالبركات الماديه التى تسود عالمنا هذا، إذ نقرأ فى الآيه (١٦) من سوره الجن قول الله تعالى: **وَ أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا** و ستملهم فيما يشملهم سنوات ملأى بالخير و العطاء و البركه.

ص: ٤٠٢



اشاره

وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَ عَمِلَ صَالِحًا وَ قَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَ لَا تَسِيئُوا بِالْحَسَنَةِ وَ لَا السَّيِّئَةُ إِذْفَعِ بِالتِّي هِيَ  
أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عِدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَ مَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَ مَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَ إِمَّا  
يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦)

التفسير

اشاره

ادفع السيئه بالحسنه:

ما زالت هذه المجموعه من الآيات الكريمة تتحدث عن الصوره الأخرى، عن المؤمنين الذين يتبعون أحسن القول.

يقول تعالى: وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَ عَمِلَ صَالِحًا وَ قَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

و بالرغم من أن الآيه استفهاميه، إلا أن الاستفهام هنا إنكارى، بمعنى أنه ليس هناك أفضل من كلام الشخص الذى يدعو إلى الله  
و ينادى بالتوحيد، ثم يؤكّد

دعوته اللفظية هذه و يقرنها بالفعل و العمل الصالح.

إنَّ اعتقاد هؤلاء بالإسلام و تسليمهم للبارى جلّ و علا، يدعم عملهم الصالح.

إنَّ الآيه الكريمة هذه ترسم ثلاث صفات لذي القول الحسن هي: الدعوه إلى الله، و العمل الصالح، و التسليم، حيال الحق.

إنَّ أمثال هؤلاء فضلا عن تمسكهم بالأركان الإيمانية الثلاثة (الإقرار باللسان، و العمل بالأركان، و الإيمان بالقلب) فإنهم تمسكوا بركن رابع هو التبليغ و الدعوه و نشر دين الحق، و إقامة الدليل على أصول الدين، و دفع آثار الشرك و التردد من قلوب عباد الله.

إنَّ هؤلاء المنادين، بصفاتهم الأربع، يعتبرون أفضل المنادين و الدعاه فى العالم.

و برغم ما ذهب إليه بعض المفسرين من قولهم بانطباق الصفات السابقه على شخص رسول الله صَلَّى الله عليه و اله و سلمّ أو هو و الأئمّه الذين يدعون إلى الحق، أو المؤذنين خاصه. لكن من الواضح أنّ للآيه مفهوما أوسع بحيث يشمل كلّ المنادين بالتوحيد ممّن تشملهم الصفات المذكوره. بالرغم من أن أفضل مصداق لذلك هو الرسول صَلَّى الله عليه و اله و سلمّ [خاصه فى فتره نزول الآيه]

ثمّ يأتى بعد ذلك الأئمّه من أهل البيت عليهم السّلام، و بعدهم جميع العلماء و المجاهدين فى طريق الحق، و الأمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر، و الداعين للإسلام من أى طائفه كانوا.

إنَّ هذه الآيه فخر عظيم و عزّ كبير لكل أولئك، كى تتقوى عزائمهم و يربط على قلوبهم.

و إذا قيل بأن الآيه مدح لبلال الحبشى المؤذن الخاص لرسول الله صَلَّى الله عليه و اله و سلمّ فذلك بسبب أنّه أطلق نداء التوحيد فى فتره من أحلك الفترات و أوحشها فى تاريخ الدعوه الإسلاميه، و عرض روحه للخطر.

ثم كمل هذه الأوصاف بإيمانه الراسخ، و استقامته التى لا نظير لها، و أعماله

الصالحه، و الاستمرار على نهج الإسلام الصحيح.

□ أما قوله تعالى: وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ فللمفسرين فيه قولان:

الأول: أن (قال) هنا من (قول) وتعني الاعتقاد، و يكون المعنى: الذي عنده الاعتقاد الراسخ بالإسلام.

الثاني: أن (قول) بمعنى الحديث و التحدث، و حين ذلك يكون المعنى: الذي يفتخر و يتباهى بالدين الإلهي، و ينادى بصوت مرتفع إنني من المسلمين.

المعنى الأول يبدو أكثر قبولاً بالرغم من أن مفهوم الآيه يتحمل المعنيين.

بعد بيان الدعوه إلى الله و أوصاف الدعاه إلى الله، شرحت الآيات أسلوب الدعوه و طريقتها، فقال تعالى: □ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ (١).

في الوقت الذي لا يملك فيه أعداؤكم سوى سلاح الافتراء و الاستهزاء و السخرية و الكلام البذيء و أنواع الضغوط و الظلم، و يجب أن يكون سلاحكم - أنتم الدعاه - التقوى الطهر و قول الحق و اللين و الرفق و المحبّه.

إنّ المذهب الحق يستفيد من هذه الوسائل، بعكس المذاهب المصطنعه الباطله.

و بالرغم من أن (الحسنه) و (السيئه) تنطويان على مفهومين واسعين، إذ تشمل الحسنه كلّ إحسان و جميل و خير و بركه، و السيئه تشمل كلّ انحراف و قبح و عذاب، إلا أنّ الآيه تقصد ذلك الجانب المحدّد من السيئه و الحسنه، الذي يختص بأساليب الدعوه.

لكن بعض المفسرين فسّر الحسنه بمعنى الإسلام و التوحيد، و السيئه بمعنى الشرك و الكفر.

و قال البعض: (الحسنه) هي الأعمال الصالحه. و (السيئه) الأعمال القبيحه.

و هناك من قال: إنّ (الحسنه) هي الصفات الإنسانيه النبيله، كالصبر و الحلم

ص: ٤٠٥

(١ - ١) - تكرار «لا» في «و لا السيئه» هو لتأكيد النفي.

و المداراه و العفو، بينما السيئه بمعنى الغضب و الجهل و الخشونه.

و لكن التفسير الأول هو الأفضل حسب الظاهر.

فى حديث عن الإمام الصادق أنه عليه السلام قال فى تفسير الآيه أعلاه: «الحسنه التقيه، السيئه الإذاعه» (١). و طبعاً فان هذا الحديث الشريف ناظر الى الموارد التى تكون فيها الإذاعه سبباً فى إتلاف الطاقات و الكوادر الجيده و افشاء الخطط للأعداء.

ثم تضيف الآيه: إِذْفَعِ بِالتَّى هِىَ أَحْسَنُ .

ادفع الباطل بالحق، و الجهل و الخشونه بالحلم و المداراه، و قابل الإساءه بالإحسان، فلا ترد الإساءه بالإساءه، و القبح بالقبح، لأنّ هذا أسلوب من همّه الانتقام، ثمّ إنّ هذا الأسلوب يقود إلى عناد المنحرفين أكثر.

و تشير الآيه فى نهايتها إلى فلسفه و عمق هذا البرنامج فى تعبير قصير، فتقول:

إِنَّ هَذَا التَّعَامِلَ سَيَقُودُ إِلَى: فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ .

إنّ ما بيّنه القرآن هنا، مضافاً إلى ما يشبهه فى الآيه (٩٦) من سوره المؤمنين فى قوله تعالى: إِذْفَعِ بِالتَّى هِىَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ يعتبر من أهم و أبرز أساليب الدعوه، خصوصاً حيال الأعداء و الجهلاء و المعاندين. و يؤيد ذلك آخر ما توصلت إليه البحوث و الدراسات فى علم النفس.

لأنّ كلّ من يقوم بالسيئه ينتظر الرد بالمثل، خاصه الأشخاص الذين هم من هذا النمط، و أحياناً يكون جواب السيئه الواحده عدّه سيئات. أمّا عند ما يرى المسمى أنّ من أساء إليه لا يرد السيئه بالسيئه و حسب، و إنّما يقابلها بالحسنه، عندها سيحدث التغيير فى وجوده، و سيؤثر ذلك على ضميره بشدّه فيوقظه، و ستحدث ثوره فى أعماقه، سيخجل و يحس بالحقاره و ينظر بعين التقدير و الأكبار إلى من أساء إليه.

ص: ٤٠٦

و هنا ستزول الأحقاد و العداوات من الداخل و تترك مكانها للحبّ و المودّة.

و من الضروري أن نشير هنا إلى أنّ هذا الأمر لا- يمثل قانونا دائما، و إنّما هو صفة غالبه، لأنّ هناك أقلية تحاول أن تسيء الاستفاده من هذا الأسلوب، فما لم ينزل بها ما تستحق من عقاب فإنّها لا تترك أعمالها الخاطئه.

و لكن في نفس الوقت الذي نستخدم العقوبه و الشده ضدّ هذه الأقلية، علينا أن لا نغفل عن أنّ القانون المتحكّم بالأكثرية هو قانون: «ادفع السيئه بالحسنه».

لذلك رأينا أنّ رسول الإسلام صلّى الله عليه و اله و سلّم و القاده من أئمه أهل البيت عليهم السّلام كانوا يستفيدون دائما من هذا الأسلوب القرآني العظيم، ففي فتح مكّه مثلا كان الأعداء -و حتى الأصدقاء- ينتظرون أن تسفك الدماء و تؤخذ الثارات من الكفار و المشركين و المنافقين الذين أذاقوا المؤمنين ألوان الأذى و العذاب في مكّه و خارجها، من هنا رفع بعض قاده الفتح شعار «اليوم يوم الملحمه، اليوم تسبى الحرمه، اليوم أذلّ الله قريشا» لكن ما كان من رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم و تنفيذ لأخلاقه «ادفع السيئه بالحسنه» إلا أن عفا عن الجميع و أطلق كلمته المشهوره: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». ثمّ أمر صلّى الله عليه و اله و سلّم أن يستبدل الشعار الانتقامي بشعار آخر يفيض إحسانا و كرما هو: «اليوم يوم المرحمه، اليوم أعزّ الله قريشا» (١).

لقد أحدث هذا الموقف النبوي الكريم عاصفه في أرض مشركي مكّه حتى أنّه على حدّ وصف كتاب الله تعالى بدأوا: يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً (٢).

لكن برغم ذلك، نرى أنّ النبي صلّى الله عليه و اله و سلّم استثنى بعض الأشخاص من العفو العام هذا، كما نقله أصحاب السيره، لأنّهم كانوا خطرين و لم يستحقوا العفو النبوي الكريم الذي عبّر فيه رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم عن خلق الإسلام و منطق التبيين حينما

قال:

«لا أقول لكم إلا كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم و هو

ص: ٤٠٧

١- (١) -بحار الأنوار، المجلد ٢١، صفحه ١٠٩.

٢- (٢) -سوره النصر، آيه ٢.

أرحم الراحمين» (١).

«ولى» هنا بمعنى الصديق. و(حميم) تعنى فى الأصل الماء الحار المغلى، و إذا قيل لعرق جسم الإنسان(حميم)فذلك لحرارته، و لهذا السبب يطلق اسم «الحمام» على أماكن الغسل، و يقال أيضا للأصدقاء المخلصين و المحبين للشخص «حميم» و الآية تقصد هذا المعنى.

و ضرورى أن نشير إلى أن قوله تعالى: كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ حتى و إن لم تكن تعنى أن الشخص لم يكن كذلك حقا، إلا أن ظاهره سيكون كذلك على الأقل.

إن هذا الأسلوب من التعامل مع المعارضين و الأعداء ليس بالأمر العادى السهل، و الوصول إليه يحتاج إلى بناء أخلاقى عميق، لذلك فإن الآية التى بعدها تبين الأسس الأخلاقية لمثل هذا التعامل فى تعبير قصير ينطوى على معانى كبيرة، حيث يقول تعالى: وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا (٢).

و كذلك: وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ .

على الإنسان أن يجاهد نفسه مدّة طويلة حتى يستطيع أن يسيطر على غضبه، يجب أن تكون روحه قوية فى ظلّ الإيمان و التقوى حتى لا يستطيع أن يتأثر بسرعة و بسهولة بإيذاء الأعداء، و لا يطغى عنده حب الانتقام، فتلزمه الروح الواسعة و انشراح الصدر بالمقدار الكافى، حتى يصل الإنسان إلى هذه المرحلة من الكمال بحيث يقابل السيئات بالإحسان. و عليه أن يتجاوز مرحلة العفو ليصل إلى منزله «دفع السيئه بالحسنه» و أن يحتسب كل ذلك فى سبيل الله تعالى بغية تحقيق الأهداف المقدّسه.

و هنا أيضا- كما تلاحظون- تواجهنا قضية «الصبر» بوصف هذه الخصلة الأساس المتين لكل الملكات الأخلاقية الفاضله، و هى شرط فى التقدم المعنوى

ص: ٤٠٨

١- ١) -بحار الأنوار، المجلد ٢١، صفحہ ١٣٢.

٢- ٢) -يرجع ضمير (يلقاهها) إلى (الخصلة) أو (الوصية) المستفاده من الجملة السابقه.

إنَّ هناك-بلا-شك-موانع تحول دون الوصول إلى هذا الهدف العظيم، وإنَّ وساوس الشيطان تمنع الإنسان من تحقيق ذلك بوسائل مختلفه، لذلك نرى الآيه الأخيره تخاطب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بوصفه الأسوه و القدوه فتقول له: وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢).

«نزغ» تعنى الدخول فى عمل ما لإفساده، و لهذا السبب يطلق على الوسواس الشيطانيه «نزغ» و هذا التحذير بسبب ما يراود ذهن الإنسان من مفاهيم مغلوطة خطره، إذ يقوم بعض أدياء الصلاح بتوجيه النصائح على شاكلة قولهم: لا يمكن إصلاح الناس إلا بالقوه. أو يجب غسل الدم بالدم. أو الترحم على الذئب ظلم للخراف و أمثال ذلك من الوسواس التى تنتهى إلى مقابله السيئه بالسيئه.

القرآن الكريم يقول: إِيَّاكُمْ وَ السَّقُوطَ فِي مَهَاوِي هَذِهِ الْوَسَاوِسِ، وَ لَا تَلْجَأُوا إِلَى الْقُوَّةِ إِلَّا فِي مَوَارِدٍ مَعْدُودَةٍ، وَ عِنْدَ مَا يُوَاجِهْكُمْ أَمْثَالُ هَذَا الْكَلَامِ فَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَ اعْتَمِدُوا عَلَيْهِ لِأَنَّهُ يَسْمَعُ الْكَلَامَ وَ يَعْلَمُ النِّيَّاتِ.

و أخيراً، تتضمن الآيه الدعوه إلى الاستعاذه بالله على مفهوم واسع، و ما ذكر هو أحد المصاديق لذلك.

## ملاحظتان

### إشارة

### أولاً: برنامج الدعاء إلى الله

لقد تضمنت الآيات الأربع-أعلاه-أربعة بحوث بالنسبه إلى كيفية الدعوه

ص: ٤٠٩

---

١-١) -اعتقد بعض المفسرين أن قوله تعالى: وَمِمَّا يَلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ إشارة إلى الثواب العظيم لمثل هؤلاء الأشخاص العافين الذى ينالهم فى الآخرة، لكن هذا التفسير مستبعد بسبب أن الآيه تريد أن تبين الأساس الأخلاقى لهذا العمل العظيم.

٢-٢) -«نزغ» فى الآيه الكريمه يمكن أن تكون بنفس معناها المصدرى أو أن تكون «اسم فاعل».

إلى الله تعالى. و الخطوات الأربع هي:

أولاً: البناء الذاتى للدعاه من حيث الإيمان و العمل الصالح.

ثانياً: الاستفادة من أسلوب «دفع السيئه بالحسنه».

ثالثاً: تهيئه الأرضيه الأخلاقية لإنجاز هذا الأسلوب و العمل به.

رابعاً: رفع الموانع من الطريق و محاربه الوسواس الشيطانيه.

لقد قدم لنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ أله وَ سَلَّمَ وَ الأئمه من أهل بيته عليهم السَّلام خير أسوه و قدوه فى تنفيذ هذا البرنامج و الالتزام به، و الالتزام بهذا البرنامج يعتبر أحد الأسباب التى أدت بالإسلام فى ذلك العصر المظلم الى الاتساع و الانتشار.

و اليوم يشهد علم النفس العديد من البحوث و الدراسات حول وسائل التأثير على الآخريين، إلا أنها تعتبر شيئاً تافهاً فى مقابل عظمه الآيات أعلاه، خصوصاً و أن البحوث هذه عاده ما تتعامل مع ظواهر الإنسان و تستهدف الكسب السريع العاجل و لو من خلال التمويه و الخداع، لكن البرنامج القرآنى يخوض فى أعماق النفس البشريه و يؤسس قواعد تأثيره على مضمون الإيمان و التقوى.

و اليوم، ما أحلى أن يلتزم المسلمون ببرنامج دينهم، و يعمدون إلى نشر الإسلام فى عالم متلهف إلى قيم السماء.

أخيراً تنهى هذه الفقره بإضاءه نبويه نقتبسها عن تفسير «على بن إبراهيم» الذى ورد فيه: «أدب الله نبيه فقال: <sup>□</sup> وَ لَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَ لَا السَّيِّئَةُ ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، قال: ادفع سيئه من أساء إليك بحسنتك، حتى يكون الذى بينك و بينه عداوة كأنه ولى حميم» (١).

### ثانياً: الإنسان فى مواجهه عواصف الوسواس:

ثمّه منعطفات صعبه فى حياه المؤمنين يمكن فيها الشيطان، و يحاول أن ينزغ

ص: ٤١٠



و يحيد بالإنسان عن طريق السعادة و كسب رضا الله تعالى.

و على الإنسان فى مقابل وسواس الشيطان أن يعتمد فى تجاوزها على الله، و إلا فإنه لا يستطيع ذلك لوحده، فعليه أن يتوكل على الله ليجتاز عقبات الطريق و مخاطره، و يتمسك بحبل الله المتين.

لقد ورد، فى الحديث أن شخصا أساء لآخر فى محضر رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم فثار الغضب فى قلبه و اشتعلت فيه هواجس الشار، فقال رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه الغضب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

فقال الرجل: أ مجنوناً ترانى؟ فاستند رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم إلى القرآن و تلا- قوله تعالى: **وَ إِذْ أَوْفَىٰ يَتَزَعَّكَ مِنْ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ (١)**.

و هذه إشارة إلى أن ثوره الغضب من وسواس الشيطان، مثلما تعتبر ثوره الشهوه و الهوى من وسواسه أيضا.

و نقرأ فى كتاب «الخصال» أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام علم أصحابه أربعمائه باب تنفع المسلمين فى الدين و الدنيا، من ضمنها

قوله عليه السلام لهم:

«إذا وسوس الشيطان إلى أحدكم فليستعذ بالله و ليقل: آمنت بالله مخلصا له الدين» (٢).

ص: ٤١١

١- (١) -روح المعانى، المجلد ٢٤، صفحه ١١١.

٢- (٢) -نور الثقلين، المجلد ٤، صفحه ١٥٥١.

اشاره

وَ مِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧)  
فَإِنْ إِسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَ هُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٣٨) وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا  
عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَرَّتْ وَ رَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)

التفسير

اشاره

السجده لله تعالى:

تعتبر هذه الآيات بدايه فصل جديد في هذه السوره، فهي تختص بقضايا التوحيد و المعاد، و دلائل النبوه و عظمه القرآن، و هي في الواقع مصداق واضح للدعوه إلى الله في مقابل دعوه المشركين إلى الأصنام.

تبدأ أولاً من قضيه التوحيد، فتدعو الناس إلى الخالق عن طريق الآيات

الآفاق (١): وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فالليل و ظلمته للراحة، و النهار وضوءه للحركة.

و هذان التوأمان يقومان بإداره عجله حياه الناس بشكل متناوب و منظم، بحيث لو كان أحدهما دائما أو استمر لمدته أطول، فستصاب جميع الكائنات بالفناء، لذا فإن الحياه تنعدم على سطح القمر حيث تعادل ليليه (١٥) ليله أرضيه و نهاره بهذا المقدار أيضا.

إن لياليه المظلمه الباردة تجعل كل شىء جامدا، أما نهاره الطويل الحار فإنه يحرق كل شىء، لذلك لا يستطيع الإنسان و كائنات أرضنا أن تعيش على القمر.

أميا الشمس فهى مصدر كل البركات الماديه فى منظومتنا، فالضوء و الحراره و الحركه و نزول المطر، و نمو النباتات و نضج الفواكه، و حتى ألوان الورود الجميله، كل ذلك يدين فى وجوده إلى الشمس.

القمر يقوم بدوره بإضاءة الليالى المظلمه، وضوءه دليل السائرين فى دروب الصحراء، و هو يجلب الخيرات بتأثيره على مياه البحار و حدوث الجزر و المد فيه.

و لعل البعض قام بالسجود لهذين الكوكبين السماويين و بعبادتهما بسبب الخيرات و البركات الآنفه الذكر، فتأهوا فى عالم الأسباب، و لم يستطيعوا الوصول إلى مسبب الأسباب.

و لذلك نرى القرآن بعد هذا البيان يقول مباشرة: **لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** (٢).

فما ذا لا تتوجهوا بالسجود و العباده إلى خالق الشمس و القمر؟

ص: ٤١٣

١-١) -ينبغى الالتفات إلى أن السجده هنا واجبه فى حال سماع الآيه أو تلاوتها.

٢-٢) -يرجع ضمير التأنيث فى (خلقهن) إلى الليل و النهار و الشمس و القمر كما يقول علماء اللغه و أصحاب التفسير، إذ أن ضمير جمع المؤنث العاقل قد يعود أحيانا إلى جمع غير العاقل كما يقال مثلا (الأفلام بريتهن) و البعض يعتقد أن الضمير هنا يرجع للآيات التى هى جمع مؤنث لغير العاقل. و احتمال البعض أن الضمير يعود على الشمس و القمر فقط باعتبار أنها جنس تشمل جميع الكواكب و كأنها تتمتع بعقل و شعور.

ولماذا تعبدون كائنات هي نفسها خاضعة لقوانين الخلقه و نظام الوجود، و لها شروق و غروب و تخضع للتغيرات؟ إنَّ السجود لا ينبغي إلاّ- لله خالق هذه الموجودات! إنَّ خالق هذه الموجودات و مودع النظم و القوانين فيها لا يغرب و لا يأفل و لا تمتد يد التغيير إلى محضر كبريائه عزّ و جلّ.

و بهذا الشكل تنفى الآيات أحد الفروع الواسعه لانتشار الشرك و عباده الأصنام المتمثله فى عباده الكائنات الطبيعيه النافعه، فينبغى للجميع أن يبحثوا عن عله العلل و أن لا يتوقفوا عند المعلول، نعم ينبغى البحث عن خالق هذه الموجودات! إنَّ هذه الآيه تستدل- فى الواقع- على وجود الخالق الواحد عن طريق النظام الواحد الذى يتحكم بالشمس و القمر و الليل و النهار، و إن حاميته تعالى على هذه الموجودات تعتبر دليلا على وجوب عبادته.

قوله تعالى: **إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** فيه إشاره إلى ملاحظه مؤدّاها: إذا كنتم تريدون عباده الخالق فعليكم إلغاء غيره من الشركاء فى العباده، لأنَّ عبادته لا تكون إلى جانب عباده غيره.

و إذا لم يؤثر هذا الدليل المنطقى فى أفكار هؤلاء، و استمروا مع ذلك فى عباده الأصنام و الموجودات الأخرى، و نسوا المعبود الحقيقى، فالله تعالى يخاطبهم بعد ذلك بقوله: **فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ هُمْ لَا يَشَاءُونَ** (١).

فليس مهما أن لا تسجد مجموعه من الجهله و الغافلين حيال جبروت الله

ص: ٤١٤

---

١ - ١) - «لا يسأمون»: من كلمه (السئامه) و تعنى التعب من الاستمرار فى العمل أو فى موضوع معين. ضمنا فإنَّ جمله (فإن استكبروا) جمله شرطيه جزاؤها محذوف، و التقدير هو: فإن استكبروا عن عباده الله و توحيده فإن ذلك لا يضره شيئا.

و ذاته المقدّسه الطاهره، فهذا العالم الواسع ملئ بالملائكه المقربين الذين يركعون و يسجدون و يسبحون له دائما و لا يفترون أبدا.

ثم إنّ هؤلاء هم بحاجه إلى عباده الله و لا يحتاج تعالى لعبادتهم، لأنّ فخرهم و كمالهم لا يتمّ إلاّ في ظل العبوديه له سبحانه و تعالى.

و لقد ذكرنا أنّ الآيات أعلاه هي من آيات السجده، و ثمّه اختلاف بين فقهاء أهل السنه في أنّ السجده هل تكون واجبه بعد بدايه الآيه الأولى (تعبدون) أو أنّها تكون كذلك بعد تمام الآيتين (يسأمون)؟ ذهب الشافعي و مالك إلى الاحتمال الأول، بينما رجح آخرون كأبي حنيفة و أحمد بن حنبل الاحتمال الثاني.

إلاّ أنّ موقع السجده الواجبه حسب اعتقاد علماء الإماميه، وفقا للروايات الوارده عن أهل البيت عليهم السّلام، هي الآيه الأولى (تعبدون) والآيه الكريمة هي من آيات السجده الواجبه في القرآن الكريم.

و ضرورى أن نشير هنا إلى أنّ الواجب هو أصل السجده، أمّا الذكر فهو مستحب، و نقرأ في روايه أنّ أقل هذا الذكر في السجده هو القول:

«لا إله إلاّ الله حقّا، لا إله إلاّ الله إيماناً و تصديقا، لا إله إلاّ الله عبوديه و رقا سجدت لك يا ربّ تعبدا و رقا، لا مستكفا و لا مستكبرا بل أنا عبد ذليل خائف مستجير» (١).

نعود مرّه اخرى إلى آيات التوحيد التي تعتبر الأرضيه للمعاد، و إذا كان الحديث قد شمل في السابق الشمس و القمر و الآيات السماويه، فإنّ الحديث هنا يدور حول الآيات الأرضيه.

يقول تعالى: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَّتْ .

هذه الأرض الميتة اليابسه الخاليه من الحركة و آثار الحياه، أي قدره حولتها

ص: ٤١٥

---

١-١) - وسائل الشيعه، كتاب الصلاه، المجلد الرابع، صفحہ ٨٨٤، [باب ٤٦ من أبواب قراءه القرآن، حديث رقم (٢)].

إلى نبض دائم يمور بالحياه و الحركة،إنه الماء،و إنه لدليل كبير على قدره الله الأزليه،و علامه على وجود ذاته المقدسه.

ثم تنتقل الآيه من قضيه التوحيد المتمثله هنا بالحياه التى ما زالت تحيطها الكثير من الأسرار و الخفايا و الغموض،إلى قضيه المعاد، حيث يقول تعالى: إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ .

نعم: إِنَّهُ عَلِيمٌ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

فدلائل قدرته واضحه فى كل مكان،و مع هذا الوضع فكيف نشكّ بالمعاد و نعتبره محالا،أليس هذا سوى الجهل و الغفله؟  
«خاشعه»من (الخشوع)و تعنى فى الأصل التضرع و التواضع الملازم للأدب.

و استخدام هذا التعبير بخصوص الأرض الميتة اليابسه،يعتبر نوعا من الكنايه.

فالأرض اليابسه الفاقده للماء ستخلو من أى نوع من أنواع الثبات،و ستشبه الإنسان الساقط أرضا أو الميت الذى لا حراك فيه،إلا أن نزول المطر سيهب لها الحياه و يجعلها تتحرك و تنمو.

«ربت»من (ربو)على وزن(غلو)و تعنى الزيادة و النمو،و الربا مشتق من نفس هذه الكلمه،لأن المرابى يطلب دينه مع الزيادة.

«اهتزت»من «هز»على وزن«حظ»و تعنى التحريك الشديد.

و حول«المعاد الجسمانى»و أدلته و كيفيه استدلال عليه من عالم النبات تقدم بحث مفصّل فى نهايه سوره«يس»من هذا التفسير.

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّ لَهُمْ لَكِتَابًا عَزِيزًا (٤١) - يَا أَيُّهَا الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)

التفسير

اشاره

محرّفوا آيات الحق:

المجموعه التي بين أيدينا من آيات السوره الكريمه، بدأت بتهديد الذين يقومون بتحريف علائم التوحيد، و تضليل الناس، حيث يقول تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا .

من الممكن لهؤلاء أن يضلّوا الناس بأسلوب المغالطه و باستخدام السفسطه الكلاميه، و يخفوا ذلك عن الناس. إلاّ أنه ليس بوسعهم إخفاء ذرّه ممّا يقومون به عن الله تبارك و تعالى.

«يلحدون» من (إلحاد) و هي في الأصل من (لحد) على وزن (عهد) و تعنى

الحفرة الواقعة في جانب واحد، ولهذا السبب يطلق على الحفرة في جانب القبر اسم «اللحد».

ثم أطلقت كلمه (إلحاد) على أى عمل يتجاوز الحد الوسط إلى الإفراط أو التفريط، و هى لذلك تطلق لوصف الشرك و عباده الأصنام، و يقال لمن لا يؤمن بالله تعالى (الملحد).

و المقصود من «الإلحاد فى آيات الله» هو إيجاد الوسواس و التمويه فى أدله التوحيد و المعاد التى ذكرتها الآيات السابقة بعنوان «و من آياته» أو جميع الآيات الإلهيه، سواء منها الآيات التكوينية السابقة أو الآيات التشريعية النازله فى القرآن الكريم و الكتب السماويه الأخرى.

إن المذاهب الماديه و الإلحاديه فى عالمنا اليوم التى تعتبر الدين وليد الجهل أو الخوف أو نتاج العامل الاقتصادى و الأمور الأخرى لإضلال الناس، هى بلا شك من مصاديق الخطاب فى هذه الآيه الكريمه.

القرآن الكريم أوضح جزاء هؤلاء فى إطار مقارنه واضحه فقال تعالى:

أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ

؟ الأشخاص الذين يحرقون ايمان الناس و عقائدهم بنيران الشبهات و التشكيكات سيكون جزاؤهم نار جهنم، بعكس الذين أوجدوا المحيط الآمن للناس بهدايتهم الى التوحيد و الإيمان، فإنهم سيكونون فى أمان يوم القيامة أليس ذلك اليوم هو يوم تتجسد فيه أعمال الإنسان فى هذه الدنيا؟ و قال بعض المفسرين: إن الآيه تقصد «أبا جهل» «أبو جهل» كنموذج للغوايه و لأهل النار، و فى الجانب المقابل ذكروا «حمزه» عم النبي صلى الله عليه و اله و سلم أو «عمار بن ياسر» لكن من الواضح أن هذا القول لا يعدو أن يكون مصداقا للآيه ذات المفهوم الواسع.

و الطريق فى هذا الجزء من الآيه أن التعبير القرآنى يستخدم كلمه (إلقاء) فى



مخاطبه أهل النار كدليل على عدم امتلاكهم الخيار في أمرهم، بينما يستخدم كلمة «يأتي» في مخاطبه أهل الجنة، كدليل على احترامهم وحریتهم وإرادتهم في اختيار الأمن والهدوء.

و فوق كل هذا فقد استخدمت الآية تعبير الأمان من العذاب كناية عن الجنة، بينما استخدمت نار جهنم بشكل مباشر، و في ذلك إشاره إلى أن أهم قضیه في ذلك اليوم هي «الأمن».

و عند ما يبأس الإنسان من هدايه شخص يخاطبه بقوله: افعل ما شئت. لذا فالآيه تقول لأمثال هؤلاء: **إِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ** .

لكن عليكم أن تعلموا: **إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** .

لكن هذا الأمر لا- يعنى أن لهم الحريه في أن يعملوا ما يشاءون، أو أن يتصرفوا بما يرغبون، بل هو تهديد لهم بأنهم لا يصغون لكلام الحق، إنه تهديد يتضمّن توعد هؤلاء والصبر على أعمالهم إلى حين.

الآيه التي بعدها تتحول من الحديث عن التوحيد والمعاد إلى القرآن والنبوه، و تحذر الكفار المعاندين بقوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ (١)** .

إن إطلاق وصف «الذكر» على القرآن يستهدف تذكير الإنسان وإيقاظه، و شرح و تفصيل الحقائق له بشكل إجمالي عن طريق فطرته، و قد ورد نظير ذلك في الآية (٩) من سوره «الحجر» في قوله تعالى: **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** .

ثم تعطف الآية لبيان عظمه القران فتقول: **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ** .

إنه كتاب لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله أو أن يتغلب عليه، و منطقته عظيم

ص: ٤١٩

١- ١) -لقد ذكر المفسّرون عدّه احتمالات حول خبر «إنّ الذين» أنسبها أن تقول بأنّ الخبر هو جمله (لا يخفون علينا) حيث حذف بقرينه الآيه السابقه. و قال البعض: إنّ الخبر هو جمله «يلقون في النار» المستفاده من الآيه السابقه، بينما قال البعض بأنّه جمله «أولئك ينادون من مكان بعيد» التي ترد في الآيات القادمه، لكن الرأى الأول أرجح.

و استدلاله قوى، و تعبيره بليغ منسجم و عميق، تعليماته جذريه، و أحكامه متناسقه متوافقه مع الاحتياجات الواقعيه للبشر فى أبعاد الحياه المختلفه.

ثم تذكر الآيه صفه اخرى مهمه حول عظمه القرآن و حيويته، فيقول تعالى:

لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ

لأنه: تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ .

أفعال الله عز و جل لا تكون إلا وفق الحكمة و فى غايه الكمال. لهذا فهو أهل للحمد دون غيره.

لقد ذكر المفسرون عدّه احتمالات حول قوله تعالى: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ... إلا أن أشملها هو أنّ أى باطل لا يأتيه، من أى طريق كان، و مهما كان الأسلوب، و هذا يعنى عدم وجود تناقض فى مفاهيمه، و لا- ينقض بشىء من العلوم، أو بحقائق الكتب السابقه، و لا يعارض كذلك بالاكشافات العلميه المستقبليه.

لا يستطيع أحد أن يبطل حقائقه، و لا يمكن أن ينسخ فى المستقبل.

لا يوجد أى تعارض فى معارفه و قوانينه و وصاياه و أخباره، و لا يكون ذلك فى المستقبل أيضا.

لم تصل إليه يد التحريف بزياده أو نقص فى آيه أو كلمه، و لن يطاله ذلك مستقبلا.

إنّ هذه الآيه تعبير آخر لمضمون الآيه (٩) من سوره «الحجر» حيث قوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذُّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١).

و من خلال ما قلناه نستنتج أن قوله تعالى: مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ كناية عن جميع الجوانب و الجهات، بمعنى أنه لن يصيبه البطلان أو الفساد من جميع الأوجه و الجوانب، و ما ذهب إليه البعض من أن ذلك كناية للحال و المستقبل، فان

ص: ٤٢٠

١-١) -لقد اختير هذا التفسير الزمخشري فى كشافه، و للعلامه الطباطبائي حديث يشبه هذا فى تفسير الميزان، فى حين حدّد بعض المفسرين مصطلح الباطل بالشيطان أو المحرفين، أو الكذب، و ما شابه، و قد ورد فى حديث عن الباقر و الصادق قولهما عليهما السلام: «إنّه ليس فى أخباره عما مضى باطل، و لا فى أخباره عمّا يكون فى المستقبل باطل» كما نقل عنهما عليهما السلام صاحب مجمع البيان، و واضح أن ما ذكر هو مصاديق لمفهوم الآيه.

قولهم هذا مصداق للمفهوم الأول.

«الباطل» كما يرى الراغب في مفرداته: هو ما يقابل الحق، ولكن قد يفسّر أو يراد به أحيانا أحد مصاديقه كالشرك و الشيطان و المعدوم و الساحر.

و يطلق على الشجاع ب«البطل» لأنه يبطل أعداءه و يقتلهم أو يلقي بهم خارجا.

لكن «باطل» في الآيه تنطوى على مفهوم مطلق غير محدّد بمصداق معين.

و التعبير الأخير في الآيه تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ دليل واضح على عدم وصول الباطل بأى طريق من الطرق إلى القرآن الكريم، فالباطل قد يسرى الى الكلام الذى يصدر من الأفراد ذوى العلم المحدود و القدرات النسييه.

أمّا الذى يتصف بالعلم المطلق و الحكمه المطلقه و يجمع كلّ الصفات الكماليه التى تجعله أهلا للحمد، فلا يطرأ على كلامه التناقض و الاختلاف، و لا ينسخ أو ينقض، أو تمتد إليه يد التحريف، و لا يتناقض كلامه مع الكتب السماويه و الحقائق السابقه، و لا يعارض بالمكتشفات العلميه الراهنه، أو تلك التى يكشفها المستقبل.

و أخيرا، الآيه واضحه الدلاله على نفى التحريف عن القرآن الكريم، سواء من جهه الزيادة أو النقصان (هناك بحث مفصل حول نفى التحريف أو ردناه فى نهايه الحديث عن الآيه (٩) من سوره «الحجر».

### سؤال:

قد يقال: إذا كان الباطل هو ما أشرنا إليه، أى كلّ ما يتصف بأنه «المخالف الحق» فإننا فى التفسير الآيه (و كذلك المفسرين الآخريين) فسّرناه بمعنى «المبطل» فكيف يتسق ذلك؟ الإجابة على هذا السؤال تكمن فى ملاحظه دقيقه فى الأسلوب القرآنى، فالقرآن لا يقول: سوف لا- يأتى باطل بعد هذا الكتاب السماوى، بل يقول لا يأتى الباطل إلى هذا الكتاب (أى القرآن) [ينبغى الانتباه إلى ضمير جمله: يأتىه]

و معنى الكلام أن لا شيء يستطيع أن يصل إليه و يبطله. (فدقق فى ذلك).

ص: ٤٢٢

اشاره

مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٣) وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَبِيًّا لَقَالُوا لَوْ لَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَبِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٤٤) وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَ لَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (٤٥) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَ مَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٤٦)

التفسير

اشاره

كتاب الهدايه و الشفاء:

قام الكفار و المشركون بمحاربه رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم و تكذيبه، و التصدى للإسلام و القرآن و الآيات السابقه كانت تحكى عن الحادهم و كفرهم بآيات الله لذلك جاءت الآيه الأولى من الآيات التى بين أيدينا لمواساه النبى صلى الله عليه و اله و سلم و ارشاد

المسلمين الذين يواجهون الأذى بأن لا محيص لهم عن الاستقامه و الصبر.

يقول تعالى: **مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ** .

فإذا كانوا يتهمونك بالجنون و الكهانه و السحر، فقد أطلقوا هذه الأوصاف على من قبلك من الأنبياء و المرسلين.

إن دعوتك لدين الحق ليست جديده، و إن ما تواجهه و أنت تدعو للدين الجديد ليس جديدا أيضا، لذلك ما عليك-يا رسول الله-إلا أن ترابط بقوه و تلزم ما أنت عليه و لا تهتم بكلام هؤلاء، لأن الله معك.

احتمل بعض المفسرين أن يكون المراد من الآية هو: أن الكلام الذى قيل لك من قبل الله هو نفس الكلام الذى قيل لمن قبلك من الأنبياء (١).

لكن المعنى الأول أنسب فى المقام، خاصة مع ملاحظه سياق الآيات القادمه.

يقول الله تبارك و تعالى فى نهايه الآية: **إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَ ذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ** .

فرحمته و مغفرته للمصدقين، و عذابه للمكذبين و المعارضين.

و هذا الجزء من الآية هو بشاره للمؤمنين و تشويق لهم، و إنذار للكفار و تهديد لهم.

إن تقديم (المغفره) على (العقاب) يشبه فى الواقع-الموارد الأخرى، و هو دليل على تقدّم رحمته تعالى على غضبه، كما جاء فى المأثور من الدعاء: «يا من سبقت رحمته غضبه» (٢).

الآيه التى بعدها تتحدث عن ذرائع هؤلاء المعاندين، و ترد على واحده منها، إذ هم كانوا يقولون: لماذا لم ينزل القرآن بلسان الأعاجم حتى نهتم به أكثر و يستفيد منه غير العرب؟

ص: ٤٢٤

١-١) - هذا الاحتمال يمكن ملاحظته فى تفسير «مجمع البيان» و «التفسير الكبير» و لكن كليهما رجح التفسير الأول.

٢-٢) - عن دعاء الجوشن الكبير. الفصل (١٩) الجملة الثامنه.

إنَّهَا حَجَّةٌ عَجِيبَةٌ! و لَعَلَّهُمْ كَانُوا يَسْتَهْدِفُونَ مِنْهَا عَدَمَ فَهْمِ النَّاسِ الْقُرْآنَ حَتَّى لَا يُضْطَرُّوا إِلَىٰ مَنَعِهِمْ عَنْهُ، كَمَا حَكَى الْقُرْآنُ عَنْ سُلُوكِهِمْ هَذَا فِي آيَةٍ سَابِقَةٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ

(١)

و هنا يجيب القرآن على هذا القول بقوله: وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْ لَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ .

ثم يضيفون: يا للعجب قرآن أعجمى من رسول عربى؟: ءَ أَعْجَمِيٌّ وَ عَرَبِيٌّ .

أو يقولون: كتاب أعجمى لأمة تنطق بالعربية؟! و الآن و بالرغم من نزوله بلسان عربى، و الجميع يدرك معانيه بوضوح و يفهم عمق دعوته القرآن، إلا أنهم و مع ذلك نراهم يصرخون: لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ .

إنَّ الآيَةَ تَتَحَدَّثُ فِي الْوَاقِعِ عَنِ الْمَرَضِ الْكَامِنِ فِي نَفُوسِ هَؤُلَاءِ وَ عَجْزِهِمْ عَنِ مَوَاقِبِ الْهُدَىٰ وَ النُّورِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ، فَإِذَا جَاءَهُمْ بِلِسَانِهِمُ الْعَرَبِىُّ قَالُوا: هُوَ السِّحْرُ وَ، الْأَسْطُورَةُ، وَ إِذَا جَاءَهُمْ بِلِسَانِ أَعْجَمِيٍّ فَإِنَّهُمْ سَيَعْتَبِرُونَهُ غَيْرَ مَفْهُومٍ، وَ إِذَا جَاءَهُمْ مَزِيجًا مِنَ الْأَلْفَاظِ الْعَرَبِيَّةِ وَ الْأَعْجَمِيَّةِ عِنْدَهَا سَيَقُولُونَ بِأَنَّهُ غَيْرُ مَوْزُونٍ (٢) !! وَ يَنْبَغِي الْإِتْبَاهَ هُنَا إِلَىٰ أَنَّ كَلِمَةَ (أَعْجَمِيٌّ) مِنْ «عَجْمَةٍ» عَلَىٰ وَزْنِ «لِقْمَةٍ» وَ تَعْنِي عَدَمَ الْفِصَاحَةِ وَ الْإِبْهَامَ فِي الْكَلَامِ، وَ تَطْلُقُ «عَجْمٌ» عَلَىٰ غَيْرِ الْعَرَبِ لِأَنَّ الْعَرَبَ لَا يَفْهَمُونَ كَلَامَهُمْ بوضوح، وَ تَطْلُقُ «أَعْجَمٌ» عَلَىٰ مَنْ لَا يَجِيدُ الْحَدِيثَ وَ الْكَلَامَ سِوَاءَ كَانَ عَرَبِيًّا أَوْ غَيْرَ عَرَبِيٍّ.

بناء على هذا فإنَّ (أَعْجَمِيٌّ) هِيَ (أَعْجَمٌ) مَنْسُوبَةٌ بِالْيَاءِ.

ص: ٤٢٥

١-١) فى تفسير الفخر الرازى نقراً قوله: نقلوا فى سبب نزول هذه الآية أن الكفار لأجل التعنت قالوا: لو نزل القرآن بلغه العجم.

٢-٢) - بعض المفسرين فسّر قوله تعالى: ءَ أَعْجَمِيٌّ وَ عَرَبِيٌّ بنفس معناه المباشر أى مزيج و خليط بين العربى و الأعجمى.

ثم يخاطب القرآن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالقول: قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً .

أَمَّا لغيرهم: وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ آيٍ «ثقل» و لذلك لا يدركونه.

ثم إنه: وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى (١). أي أنهم لا يرونه بسبب عماهم، فهؤلاء كالأشخاص الذين ينادون من بعيد: أُولَئِكَ يَنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ .

و من الواضح أنّ مثل هؤلاء الأشخاص لا يسمعون و لا يبصرون. فلأجل العثر على الطريق و الوصول إلى الهدف لا يكفى وجود النور وحده، فيجب أن تكون هناك عن تبصر، كذلك يقال في مسأله التعلّم، حيث لا يكفى وجود المبلّغ و الداعيه الفصيح، بل ينبغي أن تكون هناك أذن تسمع و تعى، فلا شك في بركه المطر و تأثيره في نمو النباتات. و لكن المسأله في الأرض. طيبه أم خبيثه!! فالذين يتعاملون مع القرآن بروح تبحث عن الحقيقه سيهتدون و ستشفى نفوسهم و صدورهم به، حيث يعالج القرآن الكريم الأمراض الأخلاقيه و الروحيه، ثم يشدّون الرحال للسفر نحو الآفاق العاليه في ظل نور القرآن و هدايه.

أمّا ماذا يستفيد المعاندون و المتعصبون و أعداء الحق و الحقيقه و أعداء الأنبياء و الرسل، من كتاب الله تعالى، فهم في الواقع مثلهم مثل الأعمى و الأصم و من ينادى من مكان بعيد، فهل تراه يسمع النداء أو يستجيب لهدها، إنهم كمن أصيب بالعمى و الصمم المضاعف، و هو بعد ذلك في مكان بعيد!! و نقل بعض المفسرين أنّ أهل اللغه يقولون لمن يفهم: أنت تسمع من قريب.

و يقولون لمن لا يفهم: أنت تنادى من بعيد (٢).

«و ثمّه شرح مفصل حول شفاء القرآن و معالجته لآلام الإنسان الروحيه،

ص: ٤٢٦

١- ١) - بعض المفسرين ذهب إلى القول بأنّ الجملة أعلاه معناها هو: أنّ القرآن هو سبب في عمى هذه الفئة و عدم رؤيتها» في حين أنّ الراغب في المفردات و ابن منظور في لسان العرب اعتبروا قول العرب «عمى عليه» بمعنى أنّه «اشتبه حتى صار الإضافه إليه كالأعمى» و بناء على هذا يكون المراد من الآيه هو ما ذهبنا إليه في المتن.

٢- ٢) - يلاحظ ذلك في تفسير القرطبي حديثه عن الآيه.



يمكن مراجعته ذيل الآيه (٨٢) من سورة الإسراء. «الآيه التاليه تستمر فى مواساة رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم و المؤمنين معه و تقول لهم: إن للعناد و الإنكار تاريخ طويل فى حياه النبوات: وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ .

و إذ ترى أننا لا- نعجل فى عقاب هؤلاء الأعداء المعاندين، فذلك لأن المصلحه، تقتضى أن يكونوا أحرارا حتى تتم الحججه عليهم: وَ لَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ أَى لكان العقاب قد شملهم بسرعه.

إن التأجيل الإلهى إنما يتم هنا لمصلحه الناس و من أجل المزيد من فرص الهدايه و النور، و بغيه إتمام الحججه عليهم، و هذه السنه كانت نافذه فى جميع الأقسام السابقه، و هى تجرى فى قومك أيضا.

لكنهم لم يصدقوا بهذه الحقيقه بعد: وَ إِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ .

«مریب» من «ریب» بمعنی الشك الممزوج بسوء الظن و القلق، لذلك فمعنى الآيه: إن المشركين لا- يشكون فى كلامك و حسب، بل يزعمون وجود القرائن على بطلانه و التى تؤدى بزعمهم إلى الريب.

بعض المفسرين احتمل أن مراد الجملة الأخيره هم اليهود و كتاب موسى عليه السلام، بمعنى أن هؤلاء القوم لا يزالون يشكون فى التوراه، لكن بعد هذا المعنى يرجح التفسير الأول (١).

فى الآيه الأخيره- من المجموعه- نقف أمام قانون عام يرتبط بأعمال الناس، و قد أكدده القرآن مرارا. و هذا القانون يكمل البحث السابق بشأن استفاده المؤمنين من القرآن، بينما يحرم غير المؤمنين أنفسهم من فيض النور الإلهى و الهدى الزبانى.

يقول تعالى فى هذا القانون:

ص: ٤٢٧

١-١) -ينبغى أن يلاحظ أن الآيه بعينها وردت فى سورة هود آيه (١١٠).

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ

لذا فإن من لم يؤمن بهذا الكتاب و الدين العظيم فسوف لن يضرروا الله تعالى و لا يضرروك، لأن الحسنات و السيئات تعود إلى أصحابها، و هم الذين سينالون حلاوه أعمالهم و مرارتها.

## مسائل:

## إشاره

## أولاً: الإختيار و العدالة

قوله تعالى: وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ دليل واضح على قانون الإختيار و حربه الإراده، و فيه حقيقه أن الله لا يعاقب أحدا بدون سبب، و لا يزيد فى عقاب أحد دون دليل، فسياسته فى عباده العدالة المحضه، لأن الظلم يكون بسبب النقص و الجهل و الأهواء النفسيه، و الذات الإلهيه المقدسه منزّهه عن كل هذه العيوب و النواقص.

كلمه «ظلام» و التى هى صيغه مبالغه بمعنى «كثير الظلم»، يمكن أن تشير- هنا و فى آيات قرآنيه اخرى- إلى أن العقاب دون سبب من قبل الخالق العظيم يعتبر مصداقا للظلم الكثير، لأنه تعالى منزّه عن هذا الفعل.

و ذهب بعضهم الى أن الله تعالى له عباد كثر، فلو أراد أن يظلم كل واحد منهم بجزء يسير قليل، عندها سيكون مصداقا ل«ظلام».

و هذان التفسيران لا يتعارضان فيما بينهما.

المهم هنا أن القرآن و فى هذه الآيات البينات نفى الجبر الذى يؤدى الى اشاعه الفساد و ارتكاب أنواع القبائح، و الاعتقاد به يؤدى إلى إلغاء أى نوع من المسؤوليه و التكليف، بينما الجميع مسئولون عن أعمالهم، نتائجها تعود بالدرجه الأولى عليهم.

لذلك نقرأ

في حديث عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في الإجابة على هذا السؤال: هل يجبر الله عباده على المعاصي؟ فقال: «لا، بل يخيرهم ويمهلهم حتى يتوبوا».

فسئل عليه السلام مجددا: هل كلف عباده ما لا يطيقون؟ أجاب الإمام عليه السلام: «كيف يفعل ذلك و هو يقول: وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ».

ثم أضاف الإمام الرضا عليه السلام: «إنَّ أبا موسى بن جعفر نقل عن أبيه جعفر بن محمد من زعم أنَّ الله يجبر عباده على المعاصي أو يكلفهم ما لا يطيقون فلا تأكلوا ذبيحته، ولا تقبلوا شهادته، ولا تصلوا وراءه ولا تعطوه من الزكاه شيئا» (١).

إنَّ هذا الحديث الشريف يشير-ضمنا-إلى هذه الملاحظة الدقيقة. وهي إنَّ الجبريين ينتهون في عقيدتهم إلى القول ب«التكليف بما لا يطاق» لأنَّ الإنسان إذا كان مجبورا على الذنب من ناحيه، و ممنوعا عنه من ناحيه اخرى، فهذا يكون مصداقا واضحا للتكليف بما لا يطاق.

### ثانيا: الذنوب و سلب النعم

في حديث عميق الدلالة لأبي المؤمنين نقرأ

قوله عليه السلام: «و أيم الله! ما كان قوم قط في غض نعمه من عيش فزال عنهم إلا- بذنوب اجترحوها، لأنَّ الله ليس بظلام للعبيد».

ثم أضاف عليه السلام:

«و لو أنَّ الناس حين تنزل بهم النقم، و تزول عنهم النعم، فزعوا إلى ربهم بصدق من نياتهم، و وله من قلوبهم، لردَّ عليهم كلَّ شارد، و أصلح لهم كلَّ فاسد.» (٢).

ص: ٤٢٩

١- ١) -عيون أخبار الرضا، نقلا عن نور الثقلين، المجلد ٤، صفحه ٥٥٥.

٢- ٢) -نهج البلاغه، الخطبه ١٨٨.

إن هذا النص العلوى الكريم يوضح-بجلاء-علاقه الذنوب بسلب النعم و زوالها.

### ثالثا: لماذا كل هذا الحجج!!

لا- شك أن اللغة العربيه أغنى اللغات و أوسعها، و لكن مع هذا فإن عظمه القرآن ليست لأنه باللغه العربيه، بل تعود عربيه القرآن إلى أن الله يرسل الرسل بلسان قومهم كى يؤمنوا أولا، ثم ينتشر الدين إلى الآخرين.

لكن أصحاب الذرائع و الحجج يطرحون فى كل موقف حجه أو ذريعه غير منطقيه، و هم يعلمون أنهم بأسلوبهم هذا لا يبحثون عن الحقيقه و لا ينشدونها.

إنهم يقولون مره: لماذا نزل القرآن بالعربيه؟ ألم يكن من الأفضل أن ينزل كله أو جزء منه بلغه اخرى حتى يفهمه الآخرون؟ (فى حين أنهم كانوا يهدفون إلى تحقيق شىء آخر هو أن لا ينجذب عامه العرب نحو القرآن الكريم).

و لو حقق لهم هذا الطلب فسيقولون: كيف يكون الرسول عربيا و كتابه غير عربى؟ هؤلاء إنما يهربون من الحق من خلال هذا التذرّع. و عاده ما يكون أسلوب التذرّع و إثارة الحجج دليلا على وجود عله اخرى و هدف آخر يخفيه الإنسان و يغطى عليه، و عله هؤلاء القوم كانت أن عامه الناس شغفوا بالقرآن الكريم و انجذبوا إليه، فأصبحت مصالحتهم فى خطر، لذا فقد استخدموا كل الوسائل المتاحة لهم لمواجهه الإسلام دعوه و كتابا و نبيا.

بدايه الجزء الخامس و العشرون من القرآن الكريم

ص: ٤٣١



إشارة

إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (٤٧) وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٤٨)

التفسير

إشارة

الله العالم بكل شيء:

الآية الأخيرة- في المجموعه السابقه- تحدثت عن قانون تحمّل الإنسان لمسؤوليه أعماله خيرا كانت أم شرا، و عوده آثار أعماله على نفسه، و هي إشارة ضمنيه لقضيه الثواب و العقاب في يوم القيامه.

و هنا يطرح المشركون هذا السؤال: متى تكون هذه القيامه التي تتحدّث عنها؟ الآيتان اللتان نبحتهما تجيبان أولا- عن هذا السؤال، إذ يقول القرآن: إنّ الله وحده يختص بعلم قيام الساعه: إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ .

فلا- يعلم بذلك نبى مرسل و لا ملك مقرب، و يجب أن يكون الأمر كذلك لأغراض تربويه يكون فيها المكلف على استعداد دائم للمحاسبه في أى ساعه.

ثم تضيف الآية: ليس علم الساعه لوحدها من مختصات العلم الإلهي فحسب، بل يندرج معها أشياء أخرى مثل أسرار هذا العالم، وما يختص بالكائنات الظاهره و المخفيه: وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ (١). إنَّ النباتات لا تنمو، و الحيوانات لا تتكاثر، و لا يضع الإنسان نطفه إلا بأمر الخالق العظيم و، بمقتضى علمه و حكمته.

«أكمام» جمع «كم» على وزن «جم» و تعنى الغلاف الذى يغطى الفاكهه و «كم» على وزن «قم» تعنى الجزء من الرداء الذى يغطى اليد. أمّا «كمه» على وزن «قه» فهى القلنسوه على الرأس (٢).

قال العلامة الطبرسى فى مجمع البيان: تكمم الرجل فى ثوبه، أى غطى الشخص نفسه بلباسه.

أمّا الفخر الرازى فيفسر «الأكمام» بمعنى القشره التى تغطى الفاكهه.

و هناك من المفسرين من فسروها بأنّها: «وعاء الثمره» (٣).

و يبدو أنّ جميع هذه الآراء تعود إلى معنى واحد، و لأنّ أدق المراحل فى عالم الكائن الحى هى مرحله النمو فى الرحم و الولاده، لذلك أكد القرآن على هاتين القضيتين، سواء فى عالم الإنسان و الحيوان، أم فى عالم النبات.

فالله هو الذى يعلم بالنطف و زمان انعقادها فى الأرحام و لحظه ولادتها، و يعلم متى تتشكل الثمار و تنمو، و متى تخرج من أغلفتها.

ثم يضيف السياق القرآنى: إنّ هذه المجموعه التى تنكر القيامه و تستهزئ بها، ستعرض إلى مشهد يقال لهم فيه: وَ يَوْمَ يَنَادِيهِمْ أَئِنَّ شُرَكَائِيَ قَالُوا آذْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (٤).

ص: ٤٣٤

١-١) - «من» فى «من الثمرات» و «من أنثى» و كذلك فى «من شهيد» تأتى فى نهايه الآيه كلّها، زائده جاءت هنا للتأكيد.

٢-٢) - يلاحظ الراغب فى المفردات.

٣-٣) - تفسير الميزان و تفسير المراعى.

٤-٤) - «آذناك» من «إيدان» بمعنى الإعلان، و جمله «يوم يناديهم» تتعلق بمحذوف. و التقدير: «اذكر يوم يناديهم...».



فما كُنَّا نقوله هو كلام باطل كان كلاما نابعا من الجهل و العناد و التقليد و الأعمى، و اليوم عرفنا مدى بطلان ادعاءاتنا الواهيه.

و هؤلاء فى نفس الوقت الذى يسجلون اعترافهم السابق، فهم أيضا لا يشاهدون أثرا للمعبودات التى كانوا يعبدونها من دون الله من قبل: وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ .

إنَّ مشهد القيامة مشهد موحش مهول بحيث يأخذ منهم الأبواب، فينسون خواطر تلك الأصنام و المعبودات التى كانوا يعبدونها و يسجدون لها و يذبحون لها القرابين، بل و كانوا أحيانا يضحون بأرواحهم فى سبيلهم، و كانوا يظنون أنَّها تحل لهم مشكلاتهم و تنفعهم يوم الحاجه... إنَّ كلَّ ذلك أصبح وهما كالسراب.

ففى ذلك اليوم سيعلمون: وَ ظُنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ .

«محيص» من «حيص» على وزن «حيف» و تعنى العدول و التنازل عن شىء، و لأنَّ (محيص) اسم مكان، فهى تعنى هنا الملجأ و المفر.

«ظنوا» من «ظنَّ» و لها فى اللغة معنى واسع، فهى أحيانا بمعنى اليقين، و تأتى أيضا بمعنى الظن. و فى الآيه مورد البحث جاءت بمعنى اليقين، إذ أنَّهم سيحصل لهم فى ذلك اليوم اليقين حيث لا مفرَّ و لا نجاه من عذاب الله.

يقول الراغب الأصفهانى فى المفردات: «ظن» تعنى الاعتقاد الحاصل من الدليل و القرينه، و هذا الاعتقاد قد يكون قويا فى بعض الأحيان و يصل إلى مرحله اليقين، و أحيانا يكون ضعيفا لا يتجاوز حدَّ الظن.

(٤)

-لقد ذكروا لهذه الجملة تفسيرا آخر هو: لا يوجد بيننا اليوم من يشهد بوجود شريك لك، و الكل ينكر وجود الشريك.

ص: ٤٣٥

اشاره

لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانَ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيُوسِسُ قَنُوطٌ (٤٩) وَلَئِنْ أَدْفَنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعِيدٍ ضَرَاءٌ مَسَّتُهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَ لَنَذِقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَ نَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (٥١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٢)

التفسير

فى نفس الاتجاه الذى تحدثت فيه الآيات السابقه، نلتقى مع مضمون المجموعه الجديده من الآيات التى بين أيدينا، و التى تواصل حديثها عن صور اخرى حيّه و ناطقه من حياه أناس من عديمى الإيمان و ضعافه، الذين يحملون أفكارا غير ناضجه و مواقف مهزوزه و لا يمتلكون القدره على تحمل الصعاب.

يقول تعالى: لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ .

فليس لحرص الإنسان من نهايه، فكلما يحصل على شيء يطالب بالمزيد، و مهما يعطى لا يكتفى بذلك.

و لكنّه: وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيُؤْسُقْنُوهُ .

و المقصود بالإنسان هنا الإنسان غير المتربى بعد بأصول التربيه الإسلاميه، و الذى لم يتنور قلبه بالمعرفه الإلهيه و الإيمان بالله، و لم يحسّ بالمسؤوليه بشكل كامل. إنّها كنايه عن الناس المتفوقين فى عالم الماده بسبب الفلسفات الخاطئه، فهم لا يملكون الروح العاليه التى تؤهلهم للصبر و الثبات، و تجاوز الحدود الماديه إلى ما وراءها من القيم العظيمه.

هؤلاء يفرحون إذا أقبلت الدنيا عليهم، و يبأسون و يحزنون إذا ما أدبرت عنهم، و لا يملكون ملجأ يلجأون إليه، و لا يدخل نور الأمل و الهدايه إلى قلوبهم.

و ينبغى أن نشير أيضا إلى أنّ «دعاء» تأتي أحيانا بمعنى المناداه، و أحيانا بمعنى الطلب، و فى الآيه التى نبثها جاءت بالمعنى الثانى.

لذا فقوله تعالى: لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ يعنى لا يمل و لا يتعب الإنسان أبدا من طلب الخير و الجميل.

و ثمه بين المفسرين اختلاف فى الرأى حول «يؤوس» و «قنوط» فيما إذا كانا بمعنى واحد أم لا؟ يرى البعض أنّهما بمعنى واحد، و التكرار للتأكيد (١).

و قال البعض الآخر: «يؤوس» من «يؤس» بمعنى اليأس فى القلب، أما «قنوط» فتعنى إظهار اليأس على الوجه و فى العمل (٢).

أما «الطبرسى» فقد قال فى مجمع البيان: إنّ الأوّل هو اليأس من الخير، بينما

ص: ٤٣٧

١-١) - تفسير الميزان، المجلد ١٧، صفحه ٤٢٦.

٢-٢) - الفخر الرازى فى التفسير الكبير، المجلد ٢٧، صفحه ١٣٧، و روح المعانى، المجلد ٢٥، صفحه ٤.

الثانى هو اليأس من الرحمة (١).

و لكن الذى نستفيد، من الاستخدام القرآنى أنى الاثنيين يستخدمان تقريبا للدلالة على معنى واحد، فنقرأ فى قصه يوسف-مثلا- أن يعقوب عليه السلام حذر أبناءه من اليأس من رحمة الله، فى حين كانت قلوبهم يائسه من العثور على يوسف، و كانوا أيضا يظهرون علامات اليأس. (٢).

و فى حالة إبراهيم عليه السلام نرى أنه عجب من البشاره التى زفتها إليه الملائكة بالولد، لكن الملائكة قالت له: **بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ** (٣).

الآيه التالیه تشير إلى صفه اخرى من صفات الإنسان الجاهل البعيد عن العمل و الإيمان متمثله بالغرور: **وَلَيْتَنَّا أَذَقْنَا رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرْأٍ مَسَّتُهُ لَيَقُولُنَّ هَذَا لِي (٤) أَى إِنَّنِي مَسْتَحِقٌّ وَ لَاتِقٌ لِمِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاهِبِ وَ الْمَقَامِ.**

إن الإنسان المغرور ينسى أن البلاء كان من الممكن أن يشملهم عوضا عن النعمه، تماما كما قال قارون: **قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي (٥).**

تضيف الآيه بعد ذلك أن هذا الغرور يقود الإنسان فى النهايه إلى إنكار الآخره حيث يقول: **وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً. وَ لِنَفْرَضُ أَنَّ هُنَاكَ قِيَامُهُ فَإِنَّ حَالِي سَيَكُونُ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا: وَ لَيْتَنَّا رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى.**

إن هذه الحاله تشابه ما استمعنا إليه فى سوره الكهف من قصه الرجلين الذين كان أحدهما غنيا مغرورا، و الثانى عارفا مؤمنا، حيث حكى الآيه على لسان الثرى المغرور قوله:

ص: ٤٣٨

١- (١) - مجمع البيان، المجلد ٩، صفحه ١٨.

٢- (٢) - يوسف، الآيه ٨٧ فما فوق.

٣- (٣) - الحجر-٥٥.

٤- (٤) - ذهب بعض المفسرين للقول بأن جمله «هذا لى» تعنى أن هذه النعمه ستبقى دائما لى، أى إنها فى الحقيقه توضح دوام ذلك، إلا أن التفسير الذى عرضناه أعلاه أنسب بالرغم من إمكان الجمع بين الاثنيين، أى إنهم يعتبرون أنفسهم مستحقين للنعم، و يتصورونها دائمه لهم أيضا.

٥- (٥) - القصص، الآيه ٧٨.

مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ لَهُدِهِ أَبَدًا، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا

(١)

لَكِنَّ اللَّهَ يَحْذَرُ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَ لَنَذِيقَنَّهِمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ .  
«العذاب الغليظ» هو العذاب الشديد المتراكم.

نفس هذا المعنى لاحظناه في مكان آخر من القرآن، في قوله تعالى في الآية (١٠) من سورة هود: وَ لَئِنْ أَذَقْنَا نَعْمَاءَ بَعِيدًا ضَرَاءً مَسَّتُهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا .

الآية التي بعدها تذكر حاله ثالثه لمثل هؤلاء، هي حالة النسيان عند النعمة و فزع و الجزع عند المصيبة.

يقول تعالى: وَ إِذَا أَنْعَمْنَا عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَ نَأَىٰ بِجَانِبِهِ أَمَا: وَ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فُذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ .

«نأى» من «نأى» على وزن «رأى» و تعنى الابتعاد، و عند ما تقترب مع كلمه «بجانبه» فتكون كناية عن التكبر و الغرور، لأن المتكبرين يناون بوجوههم دون اهتمام و يبتعدون.

«العريض» مقابل الطويل، و يستخدم العرب هاتين الكلمتين للدلالة على الزيادة و الكثرة.

و في الآية (١٢) من سورة يونس نرى معانى شبيهه لما نحن بصددده، حيث يقول تعالى: وَ إِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا نَجْدًا لِيَجْنِبَهُ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .

إن الإنسان الذى يفتقد الإيمان و التقوى يكون عرضه لمثل هذه الحالات، فهو مع إقبال النعم مغرور ناس لله، و إذا أدبرت عنه قنوط يائس كثير الجزع.

و فى الجانب المقابل نرى أنّ رجال الحق و أتباع الأنبياء و الرسل لا يتغيرون

ص: ٤٣٩

إذا أقبلت عليهم النعم، ولا يهنون أو يياسون أن يجزعون عند إدارها، إنهم مصداق قوله تعالى: رَجُلٌ لَا تُلْهِمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا يَبِيعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ فَأَرْبِحِ التِّجَارَةَ لَا تَنْسِيهِمْ رَبَّهُمْ، إنهم عارفون حق المعرفة بفلسفه النعمه و البلاء فى هذه الدنيا، يعلمون أن الابتلاءات ناقوس خطر لهم، بينما النعم اختبار و امتحان إلهى لهم.

و من الابتلاء ما يكون أحيانا عقوبه للغفله و النسيان، و النعم لإثاره دوافع الشكر لدى العباد.

و يلفت النظر هنا طرافه الاستخدام القرآنى لكلمتى «أذقنا» و «مسّه» و التى تعنى أنهم مع قليل جدا من إقبال الدنيا عليهم يتغيرون و ينسون و يصابون بالغرور، و هؤلاء مع «مسّه» قليله من ضرر أو بلاء يصابون باليأس و القنوط.

من هنا نقف على قيمه سعه الروح، و تدفق النفس بالإيمان، و اتساع آفاق الفكر، و انشراح الصدر، و استعداد الإنسان لمواجهه المشاكل و الصعاب، و تحدى المزالق و الأهواء، التى تعتبر جميعا من ثمار الإيمان و التقى.

يقول شهيد المحراب الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام فى أحد أدعيته التى تعتبر درسا لأصحابه:

«نَسَأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَ إِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تَبْطُرُهُ نَعْمُهُ، وَ لَا تَقْصُرُ بِهِ عَنْ طَاعِهِ رَبَّهُ غَايَةً، وَ لَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَهُ وَ كِتَابَهُ» (١).

الآيه الأخيره تتضمن الخطاب الأخير لهؤلاء، و تبين لهم -بوضوح- الأصل العقلى المعروف بدفع الضرر المحتمل، حيث تخاطب النبى صلى الله عليه و اله و سلم فتقول: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٢).

و من الواضح أن هذا الكلام إنما يقال للشخاص الذين لا ينفع معهم أى دليل منطقى لشده عنادهم و تعصبهم. فالآيه تقول لهؤلاء: إذا كنتم ترفضون حقانيه

ص: ٤٤٠

١- (١) -نهج البلاغه، الخطبه رقم ٦٤.

٢- (٢) -«أرأيتكم» تأتى عاده بمعنى «أخبرونى» و تفسر بنفس المعنى.

القرآن و التوحيد و وجود عالم ما بعد الموت و تصرون عليه،فأنتم لا تملكون حتما دليلا قاطعا على هذا الرفض،لذا يبقى ثمه احتمال فى أن تكون دعوه القرآن و قضيه المعاد حقيقه موجوده،عندها عليكم أن تتصوروا المصير الأسود الموحش الذى ينتظركم لعنادكم و ضلالكم و معارضتكم الشديده إزاء الدين الإلهى.

إنه نفس الأسلوب الذى نقرأ عنه فى محاججه أئمه المسلمين لأمثال هؤلاء الأفراد،كما نرى ذلك واضحا فى الحادثه التى ينقلها العلامة الكلينى فى «الكافى» حيث يذكر فيه الحوار الذى دار بين الإمام الصادق عليه السلام و ابن أبى العوجاء.

فمن المعروف أن «عبد الكريم بن أبى العوجاء» كان من ملاحظه عصره و دهر ييها،و قد حضر الموسم (الحج) أكثر من مره و التقى مع الإمام الصادق فى مجالس حوار،انتهت إلى رجوع بعض أصحابه عنه إلى الإسلام،و لكن ابن أبى العوجاء لم يسلم،و قد صرح الإمام(ع) بأن سبب ذلك هو إنه أعمى و لذلك لا يسلم.

و الحادثه موضع الشاهد هنا،هى

أن الإمام بصر بابن أبى العوجاء فى الموسم فقال له:ما جاء بك إلى هذا الموضع؟ فأجاب ابن أبى العوجاء:عاده الجسد،و سنه البلد،و لنظر ما الناس فيه من الجنون و الحلق ورمى الحجاره! فقال له الإمام:أنت بعد على عتوك و ضلالك يا عبد الكريم (1)

و عند ما أراد أن يبدأ بالمناقشه و الجدل

قال له الإمام عليه السلام: لا جدال فى الحج.

ص: ٤٤١

---

١- ١) -يناديه الإمام بهذا الاسم،و هو اسمه الحقيقى مع كونه منكرا لله لكى يشعره مهانه ما هو عليه و هذا اسمه.

ثم قال له: إن يكن الأمر كما تقول، وليس كما نقول، نجونا و نجوت. و إن يكن الأمر كما نقول، و هو كما نقول نجونا و هلكت.

فأقبل عبد الكريم على من معه و قال: وجدت في قلبي حزازه (ألم) فردوني، فردوه فمات (١).

### مسألة:

يشار هنا السؤال الآتي: لقد قرأنا في الآيات التي نبثها قوله تعالى: إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ و لكننا نقرأ في سورة «الإسراء» قوله تعالى: وَ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُؤَسَّأً (٢) و السؤال هنا كيف نوفق بين الآيتين، إذ المعروف أن الدعاء دليل الأمل، في حين تتحدث الآية الأخرى عن يأس أمثال هؤلاء؟ أجاب بعض المفسرين على هذا السؤال بتقسيم الناس إلى مجموعتين، مجموعته تياس نهائيا عند ما تصاب بالشر و البلاء، و اخرى تصر على الدعاء برغم ما بها من فزع و جزع (٣).

البعض الآخر قال: إنَّ اليأس يكون من تأمل الخير أو دفع الشر عن طريق الأسباب المادية العادية، و هذا لا ينافي أن يلجأ الإنسان إلى الله بالدعاء (٤).

و يحتمل أن تكون الإجابة من خلال القول بأنَّ المقصود من فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ

ص: ٤٤٢

١-١) -الكافي، المجلد الأول، ص ٧٧-٧٨، كتاب التوحيد باب حدوث العالم.

٢-٢) -الإسراء، الآية ٨٣.

٣-٣) -تفسير روح البيان، المجلد الثامن، صفحته ٢٨٠.

٤-٤) -تفسير الميزان، مجلد ١٧، ص ٤٢٨، لكن هذا التفسير لا يناسب المقام كثيرا، خاصة و إن الآيات أعلاه هي بصدد ذم مثل هؤلاء الأشخاص، في حين أن قطع الأمل من الأسباب الظاهرية و التوجه نحو الله ليس عيبا و حسب، بل يستحق التنويه و المدح.



هو ليس الطلب من الله، بل الجزع و الفزع الكثير، و دليل ذلك قوله تعالى فى الآيه (٢٠) من سوره المعارج: إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا  
إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا .

أو أن الآيتين تعبيران عن حالتين، إذ أن هؤلاء الأفراد يقومون أولاً بالدعاء و طلب الخير من النبى صلى الله عليه و اله و سلم و هم  
فزعون جزعون، ثم لا تمرّ فتره قصيره إلا و يصابون باليأس الذى يستوعب وجودهم كلّه.

ص: ٤٤٣

اشاره

سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (٥٤)

التفسير

اشاره

علائم الحق في العالم الكبير و الصغير:

الآياتن الختاميتان في هذه السوره تشيران إلى موضوعين مهمين، و هما بمثابة الخلاصه الأخيره لبحوث هذه السوره المباركه.

فالآيه الأولى تتحدث عن التوحيد (أو القرآن)، و الثانيه عن المعاد.

يقول تعالى: سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ .

«آيات الآفاق» تشمل خلق الشمس و القمر و النجوم و النظام الدقيق الذى يحكمها، و خلق أنواع الأحياء و النباتات و الجبال و البحار و ما فيها من عجائب و أسرار لا تعد و لا تحصى، و ما فى عالم الأحياء من عجائب لا تنتهى، إنَّ كلَّ هذه الآيات هى دليل على التوحيد و على وجود الله.

أمَّا «الآيات النفسيه» مثل خلق أجهزه جسم الإنسان، و النظام المحير الذى

يتحكم بالمخ و حركات القلب المنتظمة و الشرايين و العظام و الخلايا، و انعقاد النطفه و نمو الجنين فى ظلمات الرحم. ثم أسرار الروح العجيبه. إن كل ذلك هى كتاب مفتوح لمعرفة الإله الخالق العظيم.

صحيح أنّ هذه الآيات قد طرقت سابقا بمقدار كاف من قبل الله تعالى، إلا أنّ هذه العمليه و الإراءه مستمره، لأنّ (سنريهم) فعل مضارع يدل على الاستمرار، و إذا عاش الإنسان مئات الآلاف من السنين، فسوف تنكشف له فى كل زمان علامات و آيات إلهيه جديده، لأنّ أسرار العالم لا تنتهى.

إنّ كفافه كتب و بحوث العلوم الطبيعيه و ما يتصل بمعرفه الإنسان فى أبعاده المختلفه (التشريح، فسلجه الأعضاء، علم النفس، و التحليل النفسى) و كذلك العلوم التى تختص بمعرفه النباتات و الحيوانات و الهيئه و الطبيعه و غير ذلك، تعتبر فى الواقع كتبا و بحوثا فى التوحيد و معرفه الخالق (جلّ و علا) لأنها عاده ما ترفع الحجب عن الأسرار العجيبه لتبين قدرا من حكمه الخالق العظيم، و قدرته الأزليه، و علمه الذى أحاط بكل شىء.

أحيانا يستحوذ علم واحد من هذه العلوم، بل فرع من فروعها المتعدده على اهتمام عالم من العلماء فيصرف عمره فى سبيله، و فى النهايه يقرّر قائلًا: مع الأسف لا - زلت لا - أعرف شيئا عن هذا الموضوع، و ما علمته لحد الآن تجعلنى أغوص أكثر فى أعماق جهلى، نعود الآن إلى الآيه التى تنتهى بجملة ذات مغزى حيث يقول تعالى: **أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١)**.

و هل هناك شهاده أفضل و أعظم من هذه التى كتبت بخط القدره التكوينييه على ناصيه جميع الكائنات، على أوراق الشجر، فى الأوراد و الزهور، و بين

ص: ٤٤٥

---

١ - ١) - ذهب الكثير من المفسرين إلى أنّ «الباء» زائده و «ربك» تقوم مقام الفاعل. و جملة «أنه على كل شىء شهيد» «بدل» ذلك، و المعنى يكون هكذا: «أولم يكفهم أن ربك على كل شىء شهيد».

طبقات المخ العجيبه، و على الأغشيه الرقيقه للعين، و فى آفاق السماء و بواطن الأرض، و فى كل شىء من الوجود تجد أثرا يدل على الخالق، و شهاده تكوينيه على وحدانيته و قدرته و حكمته و علمه (سبحانه و تعالى).

إنّ ما قلناه أعلاه هو أحد التفسيرين المعروفين للآيه، إذ بناء على هذا التفسير فإن الآيه بجميعها تتحدث عن قضيه التوحيد، و تجلّى آيات الحق فى الآفاق و الأنفس.

أمّا التفسير الثانى فيذهب إلى قضيه إعجاز القرآن، و خلاصته أنّ الله يريد أن يقول: لقد عرضنا معجزاتنا و دلائلنا المختلفه لا فى جزيره العرب و حسب، و إنّما فى نواحي العالم المختلفه، و فى هؤلاء المشركين أنفسهم، حتى يعلموا بأنّ هذا القرآن على حق.

فمن آيات الآفاق ما تمثّل بانتصار الإسلام فى ميادين الحرب المختلفه، و فى ميدان المواجهه الفكرية و المنطقيه، ثمّ انتصاره فى المناطق التى فتحها و حكم فيها على أفكار الناس.

ثمّ إنّ نفس المجموعه من المسلمين التى كانت فى مكّه، كيف يسير الله لها أمرها بالهجره، ثمّ انطلقت إلى بقاع الدنيا، لتدين لدينها الشعوب فى مناطق واسعه من العالم و رفع رايه الإسلام.

و من آيات الأنفس ما تمثّل فى انتصار المسلمين على مشركى مكّه فى معركة بدر، و فى يوم فتح مكّه، و نفوذ نور الإسلام إلى قلوب العديد منهم.

إنّ هذه الآيات الآفاقية و الأنفسية أثبتت أنّ القرآن على حق.

و هكذا فإنّ الخالق العظيم الذى يشهد على كل شىء، شهد أيضا على حقانيه القرآن عن هذا الطريق.

و بالرغم من أنّ لكل واحد من هذين التفسيرين قرائن و أدله ترجحه، إلا أنّ

التأمل فى نهايه الآيه و الآيه التى تليها يكشف عن رجاحه التفسير الأول (١).

و ثمه أقوال اخرى فى تفسير الايه تركناها لعدم جدواها.

الآيه الأخيره فى السوره تشير إلى الأساس و السبب فى شقاء هذه المجموعه المشركه الفاسده، إذ يقول تعالى عنهم: **أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ .**

و لأنهم لا- يؤمنون بيوم الحساب و الجزاء، فهم يقومون بأنواع الجرائم و المعاصى مهما كانت، و مهما بلغت. إن حجب الغفله و الغرور تهيمن على هؤلاء فتتسيهم لقاء الله، ممّا يؤدى بهم إلى السقوط عن مصاف الإنسانيه.

و لكنهم يجب أن يعلموا: **أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ .**

إن جميع أعمالهم و نواياهم حاضره فى علم الله، و كل ذلك يسجل لمحكمه القيامه و الحشر.

«مريه» على وزن «جزيه» و «قرية» تعنى التردد فى اتخاذ القرار، و البعض اعتبرها بمعنى الشك و الشبهه العظيمه، و الكلمه مأخوذه فى الأصل من «مريت الناقه» بمعنى عصر ثدى الناقه بعد حلبها أملا بوجود بقايا الحليب فيه، و لأن هذا العمل مع الشك و التردد، فقد وردت هذه الكلمه بهذا المعنى.

و عند ما نسمع إطلاق كلمه «المراء» على «المجادله» فذلك لما يحاوله

ص: ٤٤٧

١- ١) -التفسير الأول له أربعة مرجحات هى: أولا: إن أكثر ما تؤكد عليه الآيات هو قضيه التوحيد و أدلته. ثانيا: إن تعبيرى «آفاق و أنفس» أكثر تناسبا مع آيات التوحيد. ثالثا: نشير نهايه الآيه فى قوله تعالى: **أَ وَ لَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِلَىٰ قَضِيهِ التَّوْحِيدِ،** و شهاده الله التكوينيّه على حقانيه ذاته المنزّهه. رابعا: الآيه التى تليها تتحدث عن المعاد، و نحن نعرف أن المبدأ و المعاد غالبا ما يقترن أحدهما بالآخر. أما التفسير الأول فله ثلاثه مرجحات هى: أولا: إن ضمير «إنه» مفرد للغائب، فى حين أن ضمير «آياتنا» متكلم مع الغير، و هذه إشاره إلى أن كل ضمير من الضميرين يختص بمتابعه موضوع خاص. ثانيا: إن الآيه السابقه كانت حول القرآن بالخصوص. ثالثا: إن جمله «سنريهم» التى هى فعل مضارع للاستمرار، تفيد هذا المعنى بالذات، أى أن الآيات المذكوره سنعرضها فيما بعد.

الإنسان من إخراج ما فى ذهن الطرف الآخر.

و الآيه- فى هذا الجزء منها-رد على شبهات الكفار بخصوص المعاد،فهؤلاء يقولون:كيف يمكن لهذا التراب المتناثر المختلط مع بعضه البعض أن يفصل؟و من يستطيع أن يجمع أجزاء الإنسان؟و الأكثر من ذلك:من الذى يحيط بنيات الناس و أعمالهم على مدى تأريخ البشرية؟ القرآن يجيب على كل ذلك بالقول:كيف يمكن للخالق المحييط بكل شىء أن لا تكون هذه الأمور طوع قدرته و واضحه بالنسبه له؟ ثم إن دليل إحاطه علمه بكل شىء،هو تدبيره لكل هذه الأمور،فكيف يجوز له أن لا يعلم بأمر ما خلق و دبّر؟ بعض المفسرين اعتبر أن الآيه تختص بالتوحيد و ليس بالمعاد،حيث يقول علامه الطباطبائى فى ذلك:«الذى يفيد السيقاق أن فى الآيه تنبيها على أنهم لا ينتفعون بالاحتجاج على وحدانيته تعالى بكونه شهيدا على كل شىء،و هو أقوى براهين التوحيد و أوضحا لمن تعقل،لأنهم فى مريه و شك من لقاء ربهم،و هو تعالى غير محجوب بصفاته و أفعاله عن شىء من خلقه» (١).

و لكن هذا التفسير مستبعد نظرا لأن تعبير«لقاء الله»عاده ما يأتى للكنايه على يوم القيامة.

**بحوث**

**اشاره**

**أولا:التوحيد بين دليل «النظم» و دليل «الصدّيقين»**

أشار الفلاسفه فى بحوثهم حول التوحيد إلى الأهميه الكبيره لنوعين من الاستدلال على الخالق جلّ و علا:أحدهما الاستدلال من خلال «النظم».

ص: ٤٤٨

١- ١) -تفسير الميزان.المجلد(١٧).صفحه(٤٠٥).

و دليل «النظم» كما يظهر من اسمه، يبدأ من نظام عالم الوجود و أسرارته و دقائقه، ليرشد إلى مصدر العلم و القدره و الخلق الذى أوجد ذلك و دبره، و القرآن الكريم ملئ بهذا النوع من الاستدلال، فهو يذكر نماذج كثيره عن آيات الله فى السماء و الأرض و فى مظاهر الحياه و نظمها و ما يمور فيها من كائنات، و ينتهى من هذا الطريق إلى إثبات وجود الصانع المدبّر (جلّ و علا).

إنّ كلّ شخص يستطيع استيعاب هذا النوع من الاستدلال مهما كان مستواه و على قدر ما يجمل من علم و إدراك، إذ يستفيد منه أكبر العلماء على قدر استعداده و ثقافته استيعابه، فى نفس الوقت الذى يستفيد منه الأمتى و غير المتعلّم و غير المطلّع على فنون العلوم و المعرفه.

أمّا دليل «الصديقين» فهو نوع من الاستدلال يقوم بالوصول إلى (الذات) بواسطة (الذات) نفسها، و مثل هؤلاء يعرفونه تعالى من خلال وجوب وجوده.

بعبارة اخرى: إنّ الممكنات و المخلوقات لا تكون هنا واسطه لإثبات وجوده، بل إنّ ذاته بنفسه تدل على ذاته، و يكون تعالى مصداقاً ل

«يا من دلّ على ذاته بذاته» (١) و مصداقاً أيضاً ل شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ (٢).

إنّ هذا الاستدلال استدلال فلسفى معقد بحيث لا يستطيع أن يحيط بكنهه و بأعماقه إلا من يحيط بمبادئه، و ليس من قصدنا هنا تبسيط الدليل فذلك شأن الكتب الفلسفيه، و إنّما أردنا من خلال هذا العرض أن نقف على آراء بعض المفسّرين من الذين يعتقدون بأنّ مطلع الآيه فى قوله تعالى: سَيُتْرِكُهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ يتضمّن إشاره إلى دليل «النظم» و العله و المعلول. بينما اعتبروا نهايه الآيه فى قوله تعالى: أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إشاره إلى دليل

١-١) - هذا المقطع من دعاء الصباح المنقول عن أمير المؤمنين عليه السّلام.

٢-٢) - آل عمران، الآيه ١٨.

و لكن ليس ثمّه قرائن واضحة من نفس الآية تؤيد فكره هذا الاستنتاج!

### ثانيا: حقيقة إحاطه الله بكل شيء

يجب أن لا نتصور-مطلقا-أنّ إحاطه الخالق جلّ و علا بالموجودات و الكائنات تشبه إحاطه الهواء الذى يلف الكره الأرضيه و يغلفها، لأنّ مثل هذه الإحاطه هى دليل المحدوديه، بل الإحاطه المعنيه هنا تتضمن معنى دقيقا و لطيفا يتمثل فى ارتباط كلّ الكائنات و الموجودات بالذات المقدسه.

و بعباره اخرى: لا يوجد فى عالم الوجود سوى وجود أصيل واحد قائم بذاته، و بقيه الموجودات و الكائنات تعتمد عليه و ترتبط به، بحيث لو زال هذا الارتباط لحظه واحده فلا يبقى شيء منها.

إنّ هذه الإحاطه نتلمس كنهها و حقيقتها فى الكلمات الوارده عن أمير المؤمنين عليه السّلام إذ يقول: «مع كلّ شيء لا بمقارنه، و غير كلّ شيء لا بمزاييله».

و قد نلمح هذا المعنى بعينه فيما ذكره الإمام الحسين عليه السّلام فى دعاء عرفه ذى المحتوى العميق، إذ

يقول فيه: «أ يكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، حتى يكون هو المظهر لك؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟ و متى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل إليك؟ عميت عين لا تراك عليها رقيبا، و خسرت صفقه عبد لم تجعل له من حبك نصيبا» (1).

### ثالثا: آيات الآفاق و الأنفس

لو أتيح للإنسان أن ينكر كلّ ما يستطيع، فهو لا يستطيع أن ينكر وجود نظام دقيق قائم يعم بنسقه عالم الوجود، فأحيانا يقضى عالم معين كلّ عمره بالدرس

ص: ٤٥٠



والمطالعه حول تركيب العين و أسرارها أو المخ أو القلب، و يقرأ الكتب الكثيره مما كتب حول الموضوع، إلا أنه أخيرا يعترف بأن هناك أسراراً كثيره حول موضوعه لا تزال مجهوله.

و هنا يجب أن لا- يغيب عن بالنا أنّ علوم علماء اليوم، ليست هي سوى نتيجته متراكمه لجهود و دراسات آلاف العلماء عبر تاريخ البشر.

إنّ العالم اليوم ينطق في كلّ جزء من أجزائه بوجود قدره أزليه تمكن وراءه، فكل شيء يدل على الصانع لمُدبر، و أي نبات ينبت على الأرض يهتف «وحده لا شريك له».

نستطيع هنا أن نترك الحديث عن القضايا العلميه المعقده، و نتجه إلى ظواهر عاديّه مما ينتشر حولنا، لتلمس فيها أدله واضحه على إثبات الصانع العظيم.

و لا بأس هنا من ذكر هذين المثالين:

المثال الأول: الجميع يعرف أنّ هناك تقوس في أخمص قدم كلّ إنسان بحيث لا يبدو الأمر ملفتا للنظر مطلقاً، و لكننا نسمع في معاملات الفحص الطبى الخاص بأداء الخدمه العسكريه، أنّ الشاب الذى يفتقد مثل هذا التقوس يعفى من الخدمه العسكريه أو يحال إلى الأعمال المكتبيه الإداريه.

إنّ الإنسان الذى يفتقد مثل هذا التقوس يتعب بسرعه، و لا يملك الاستعداد الكافى لأداء الخدمه العسكريه التى تستدعى المشى الطويل.

و هكذا كلّ شيء في هذا العالم و فى وجود الإنسان مخلوق بدقه و نظم، حتى التقوس البسيط فى أخمص قدم الإنسان! المثال الثانى: فى داخل فم الإنسان و عينه منابع فؤاره منتظمه و دقيقه الإفراز، يخرج من فتحتها الصغيره على مدى حياه الإنسان سائلان مختلفان تماما، لولاهما لما استطاع الإنسان أن يكون قادرا على الرؤيه أو التحدّث أو مضغ الطعام و بلعه.

بعبارة اخرى: إنّ الحياه مستحيله بدون هذين السائلين العاديين ظاهرا! فبدون أن يكون سطح العين رطبا بشكل دائم يستحيل دوران الحدقه التي ستصاب بآلام كثيره و الأذى بمجرد ملامستها لأجسام صغيره، بل ستمنعها هذه الأجسام عن الحركة.

كذلك إذا لم يكن فم الإنسان و بلعومه رطبا، فإنّ الكلام يصبح أمرا مستحيلا بالنسبه له، و كذلك مضغ الطعام و بلعه. بل و حتى التنفس إذا كان الفم جافا.

و كذلك ينبغي أن تكون التجاويف الأنفيه رطبه دائما حتى يسهل دخول الهواء و مروره باستمرار.

و الدقيق هنا أنّ ماء العين ينزل عبر قنوات خاصه من العين إلى الأنف للمحافظه على رطوبته، و إذا قدر لهذا المجرى أن يغلق ليوم واحدا فقط - كما نشاهد ذلك في حال بعض المرضى - فإن الدموع ستسيل على الوجه بشكل دائم و سيكون لها منظر مزعج مؤذ.

و نفس الكلام يقال بالنسبه للغدد اللعابيه في الفم، فقله إفرازاتها تزيد من جفاف اللسان و الفم و البلعوم، و كثرته تعوق التحدث و تجعل اللعاب يسيل من الفم إلى الخارج.

ثم إنّ المذاق الملحي للغدد الدمعيه يؤدي إلى حفظ أنسجه العين ضدّ الأجسام الغريبه بمجرد دخولها إلى العين.

بينما يفتقد اللعاب لأي طعم، كي يستطيع الإنسان أن يشعر بالمذاق الخاص للأطعمه، بينما تساعد الأملاح الموجوده فيه على هضم الطعام.

و إذا تدبرنا في طبيعه التكوين الكيمياوى و الفيزيائى لسوائل هذه الغدد و أنظمتها الدقيقه و منافعها، نتبين عندها أنّ وجودها لا يمكن أن يكون مجرد صدفه عمياء لا تعقل و لا تعي، بل هي من آيات الله الأنفسيه و مصداق لقوله الحق جلّ و علا: سَيُنزِلُ فِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ .

و فى إشاره عابره لكئها كبره الدلاله و المعنى، يتحدث الإمام الصادق فى الحديث المعروف بتوحيد المفضل، الذى هو غنى جدًا فى الإشارة إلى الآيات الآفاقية و الأنفسيه لله فى الوجود،

يقول عليه السلام: «أى مفضل! تأمل الريق و ما فيه من المنفعه، فإنه جعل يجرى جريانا دائما إلى الفم، ليبل الحلق و اللهوات فلا يجف، فإنّ هذه المواضع لو جعلت كذلك كان فيه هلاك الإنسان، ثمّ كان لا يستطيع أن يسيغ طعاما إذا لم يكن فى الفم بله تنفذه، تشهد بذلك المشاهده» (١).

فإذا تجاوزنا جسم الإنسان فإنّ روحه بؤره للعجائب بحيث حيرت جميع العلماء. و ثمّه آلاف الآلاف من هذه الآيات البيئات التى تشهد جميعا «أنه الحق».

و هنا يلتقى صوتنا-بدون إرادته منّا-مع صوت الحسين عليه السلام، و نقول:

«عميت عين لا تراك»!! نهاية سوره فصلت

ص: ٤٥٣



## سوره الشوری

### اشاره

مکیه و عدد آیاتها ثلاث و خمسون آیه

ص: ۴۵۵



## نظرة عامة فى محتوى السوره:

إنّ إطلاق اسم «الشورى» على هذه السوره المباركه يعود إلى محتوى الآيه (٣٨) منها و التى تدعو المسلمين إلى المشوره فى أمورهم.

و لكن بالإضافة إلى هذا الموضوع، و إلى ما تتضمنه السوره من بحوث و مضامين السور التّمكّيه من بحث فى المبدأ و المعاد، و القرآن و النبؤه، فإنّها تتناول قضايا اخرى يمكن الإشارة إليها مختصرا بما يلى من نقاط:

القسم الأول: و هو أهم أقسام السوره، يشتمل البحث فيه على قضيه الوحي الذى يمثل طريق ارتباط الأنبياء عليهم السّلام باللّه تبارك و تعالى.

و الملاحظ أنّ هذا الموضوع يلقى بظلاله على جميع أجزاء السوره، فالسوره تبدأ بالإشاره إليه و تنتهى به أيضا.

و كامتداد لهذا الموضوع تثير السوره بحوثا حول القرآن و نبوه نبيّ الإسلام و بدايه رساله منذ أيام نبيّ اللّه نوح عليه السّلام.

القسم الثّانى: إشارات عميقه المعنى إلى دلائل التوحيد، و آيات اللّه فى الآفاق و الأنفس التى تكمل البحث فى موضوع الوحي.

و فى هذا القسم ثّمه بحوث حول توحيد الربوبيه.

القسم الثّالث: فى السوره إشارات إلى قضيه المعاد و مصير الكفار فى القيامه.

و هو محدود قياسا إلى الأقسام الأخرى.

القسم الرابع: تشتمل السوره على مجموعه من البحوث الأخلاقية التي تعكسها السوره بشكل خاص و دقيق. فهي تدعو أحيانا إلى ملكات خاصه مثل الاستقامه و التوبه و العفو و الصبر و إطفاء نار الغضب.

و تنتهى فى المقابل عن الرذيله، و الطغيان فى مقابل النعم الإلهيه، أو العناد و عباده الدنيا، و كذلك تنهى عن الفزع و الجزع عند ظهور المشاكل.

إنّ السوره تنطوى على مجموعه متكامله من دروس الهدى هى فى الواقع شفاء للصدور و مسالك نور فى طريق الحق.

### فضيله تلاوه السوره:

جاء

فى حديث عن رسول الله صَلَّى الله عليه و اله و سلّم قوله: «من قرأ سوره حم عسق كان ممن تصلى عليه الملائكه، و يستغفرون له و يترحمون عليه» (١).

و

فى حديث آخر عن الصادق نقرأ قوله عليه السّلام «من قرأ حم عسق بعثه الله يوم القيامة و وجهه كالقمر ليله البدر، حتى يقف بين يدى الله عزّ و جلّ فيقول: عبدي أدمنت قراءه حم عسق و لم تدر ما ثوابها، أمّا لو دريت ما هى و ما ثوابها لما مللت من قراءتها، و لكن سأجزيك جزاءك، أدخلوه الجنّه».

و عند ما يدخل الجنّه يرفل بأنواع النعم الإلهيه التي ذكرها الإمام الصادق فى الحديث الآنف بشكل مفصل (٢).

ص: ٤٥٨

١-١) -مجمع البيان، المجلد ٩-١٠، ص ٣١، طبعه دار المعرفه.

٢-٢) -ثواب الأعمال، نقلا عن تفسير نور الثقلين، المجلد الرابع، صفحه ٥٥٦.



اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم (١) عسق (٢) كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٤) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنَّا اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥)

التفسير

اشاره

تكاد السماوات يتفطرن!

مره اخرى تواجهنا الحروف المقطعه فى مطلع السوره، وهى هنا تنعكس بشكل مفصل، إذ بين أيدينا خمسة حروف.

«حم» موجوده فى بدايه سبع سور قرآنيه (المؤمن، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثيه، والأحقاف) و لكن فى سوره الشورى أضيف إليها مقطع عسق .

وقد ذكرنا مرارا أنّ للمفسّرين آراء و بحوثا كثيره حول هذه الحروف، يجملها صاحب مجمع البيان العلامه الطبرسى فى أحد عشر قولاً، وقد ذكرنا أهم

تلك الأقوال في مطلع الحديث عن سور: البقره، آل عمران، والأعراف، و مريم، و غضضنا الطرف عن غير المهم منها.

و نذكر الآن بعضا لا بأس به من هذه الأقوال بالرغم من عدم قيام دليل قاطع على صحتها.

فمنها قولهم أنّ هذه الحروف جاءت كأسلوب للفت أنظار الناس إلى القرآن، لأنّ المشركين و المعاندين كانوا قد تواصلوا فيما بينهم على عدم استماع آيات الله، خاصّه عند ما كان رسول الله يقرؤها عليهم، إذ كانوا يثيرون الضوضاء، لذلك جاءت الحروف المقطعه (في ٢٩ سورة قرآنيه) لتكون أسلوبا جديدا في جلب الانتباه.

و قد ذكر العلامه الطباطبائي احتمالا آخر يمكن أن نضيفه إلى ما استخلصه العلامه الطبرسي من الأقوال الأحد عشر ليكون المجموع اثنا عشر تفسيرا.

و ما ذكره العلامه الطباطبائي و إن كان مثله مثل غيره من الأقوال ممّا لم يقم الدليل القاطع عليه، إلا أنّه من المفيد أن نستعرضه بإيجاز.

يقول العلامه الطباطبائي: «إنك إن تدبرت بعض التدبر في هذه السور التي تشترك في الحروف المفتوح بها مثل الميمات و الرءاء و الطواسين و الحواميم، وجدت في السور المشتركة في الحروف من تشابه المضامين، و تناسب السياقات ما ليس بينها و بين غيرها من السور».

«و يؤكّد ذلك ما في مفتوح أغلبها من تقارب الألفاظ، كما في مفتوح الحواميم من قوله: تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ أَوْ مَا هُوَ فِي معناه، و ما في مفتوح الرءاءات من قوله: تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ أَوْ مَا فِي معناه، و نظير ذلك في مفتوح الطواسين، و ما في مفتوح الميمات من نفى الريب عن الكتاب أَوْ مَا هُوَ فِي معناه».

«و يمكن أن يحدث من ذلك أن بين هذه الحروف المقطعه و بين مضامين السور المفتوحه بها ارتباطا خاصا، و يؤيد ذلك ما نجده في سور الأعراف

المصدره ب«المص» فى مضمونها كأنها جامعه بين مضامين الميمات و ص [أى ما افتتح ب«ألم» و«ص»]

و كذا سورة الرعد المصدره ب«المر» فى مضمونها كأنها جامعه بين مضامين الميمات و الرءاءات».

«و لعلّ المتدبر لو تدبر فى مشتركات هذه الحروف، و قايىس مضامين السور التى وقعت فيها بعضها إلى بعض، لتبين له الأمر أزيد من ذلك» (١).

و ثمه تفسير آخر أشرنا إليه سابقا، و هو احتمال أن تكون هذه الحروف إشارات و رموزا لأسماء الخالق و نعمه و قضايا اخرى.

مثلا- فى السوره التى نبحتها اعتبروا الحاء إشاره إلى الرحمن، و الميم إلى المجيد، و العين إلى العليم، و السين إلى القدوس، و القاف إلى القاهر (٢).

يعترض البعض على هذا الكلام بقولهم: لو كان المقصود من الحروف المقطعه أن لا- يعلم بها الآخرون فإن ذلك غير صحيح، لأن هناك آيات اخرى تصرّح بأسماء الله، و لكن يجب الانتباه إلى أن الرموز و الإشارات لا- تعنى دائما أن يبقى الموضوع أو المعنى سرّيا، بل قد تكون أحيانا علامه للاختصار، و هذا الأمر كان موجودا سابقا، و هو مشهور فى عصرنا الراهن، بحيث أن أسماء العديد من المؤسسات و المنظمات الكبيره، تكون على شكل مجموعه مختصره من الحروف المقطعه التى يرمز كل منها إلى جزء من الاسم الأصيل.

بعد الحروف المقطعه تتحدث الآيه الكريمه عن الوحي، فتقول: كَذَلِكَ يُوحى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

«كذلك» إشاره إلى محتوى السوره و مضامينها.

و مصدر الوحي واحد، و هو علم الله و قدرته، و محتوى الوحي فى الأصول و الخطوط العريضه واحد أيضا بالنسبه لجميع الأنبياء و الرسالات، بالرغم من أنّ

ص: ٤٦١

١-١) -الميزان، للعلامه محمد حسين الطباطبائى، المجلد ١٨، صفحه ٨-٩.

٢-٢) -يستفاد هذا التفسير عن حديث للإمام الصادق عليه السلام. يراجع تفسير القرطبي، المجلد ٩، صفحه ٥٨٢٢.

هناك خصوصيات بين دعوه نبي و آخر بحسب حاجه الزمان و المسيره التكاملية للبشر (١).

و ضرورى أن نشير إلى أنّ الآيات التي نبحتها أشارت إلى سبع صفات من صفات الله الكماله، لكل منها دور في قضيه الوحي بشكل معين، و من ضمنها الصفتان اللتان نقرؤهما في هذه الآية: الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

فجزته تعالى و قدرته المطلقة تقتضى سيطرته على الوحي و محتواه العظيم.

و حكمته تستوجب أن يكون الوحي الإلهي حكيما متناسقا مع حاجات الإنسان التكاملية في جميع الأمور و الشؤون.

و تعبير «يوحى» دليل على استمرار الوحي منذ خلق الله آدم عليه السلام حتى عصر النبي الخاتم صلى الله عليه و اله و سلم لأن الفعل المضارع يفيد الاستمرار.

قوله تعالى: لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ .

إن مالكيته تعالى لما في السماء و الأرض تستوجب ألا يكون غريبا عن مخلوقاته و ما يؤول إليه مصيرها، بل يقوم بتدبير أمورها و حاجاتها عن طريق الوحي، و هذه هي الصفه الثالثه من الصفات السبع.

أمّا «العلّي» و «العظيم» اللذان هما رابع و خامس صفه له (سبحانه و تعالى) في هذه الآيات، فهما يشيران إلى عدم حاجته لأى طاعه أو عبوديه من عباده، و إنّما قام تعالى بتدبير أمر العباد عن طريق الوحي من أجل أن ينعم على عباده.

الآيه التي بعدها تضيف: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ (٢) و ذلك بسبب نزول الوحي من قبل الله، أو بسبب التهم الباطله التي كان المشركون و الكفار ينسبونها إلى الذات المقدسه و يشركون الأصنام في عبادته.

ص: ٤٤٢

١ - ١) - بالرغم من الكلام الكثير للمفسرين حول المشار إليه في اسم الإشارة «كذلك» لكن يظهر أنّ المشار إليه هو نفس هذه الآيات النازله على النبي الأكرم صلى الله عليه و اله و سلم لذا يكون مفهوم الآية: إنّ الوحي هو بهذا الشكل الذي أنزله الله عليك و على الأنبياء السابقين، و قد استخدم اسم الإشارة للبعيد بالرغم من قرب المشار إليه، و ذلك للتعظيم و الاحترام.

٢ - ٢) - «يتفطرن» من كلمه «فطر» على وزن «سطر» و تعنى فى الأصل الشق الطولى.

و يتضح ممّا سلف أنّ للجمله معنيين:

الأول: أنّها تختص بموضوع الوحي الذي هو حديث الآيات السابقه، و هو في الواقع يشبه ما جاء في الآية (٢١) من سوره «الحشر» في قوله تعالى: لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ .

إنّه كلام الله الذي يزلزل السماوات عند نزوله و تكاد تتلاشى، فلو أنّه نزل على الجبال لتصدّعت، لأنّه كلام عظيم من خالق حكيم.

و الويل لقلب الإنسان، فهو الوحيد الذي لا يلين و لا يستسلم، و يصر على عناده و تكبره.

التفسير الثاني: أنّ السماوات تكاد تتفطر و تتلاشى بسبب شرك المشركين و عبادتهم للأصنام من دون الله، بل هم يساؤون بين أدنى الكائنات و الموجودات و بين المبدأ العظيم خالق الكون جلّ و علا.

التفسير الأول يناسب الآيات التي نبحتها و التي تنصب حول الوحي و التفسير الثاني يناسب ما نقرؤه في الآيتين (٩١، ٩٠) من سوره «مريم» حيث يقول تعالى بعد أن يذكر قول الكفار- و قبح قولهم- باتخاذهم ولداً(!!): تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرُونَ مِنْهُ وَ تَشْجُو الْأَرْضُ وَ تخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا .

و من الواضح أن ليس ثمة تعارض بين التفسيرين.

أمّا عن كيفية انفطار السماوات و انهدام الجبال و هي موجودات جامده، فقد ذكروا كلاما و أقوالا متعدده في الموضوع تعرضنا لها في نهايه حديثنا عن الآيتين المذكورتين من سوره مريم.

و إذا أردنا أن نقف على استخلاص عام لما قلناه هناك، فيمكن أن نلاحظ أنّ مجموعه عالم الوجود من جماد و نبات و غير ذلك لها نوع من العقل و الشعور، بالرغم من عدم إدراكنا له، و هم على هذا الأساس يسبحون الله و يحمّدونه، و يخضعون له و يخشعون لكلامه.

أو أن يكون التعبير كنايه عن عظمه و أهميه الموضوع، مثلما نقول مثلا: إنَّ الحادِثه الفلانيه كانت عظيمه جدًا و كأنما انطبقت معها السماء على الأرض.

بقية الآيه، قوله تعالى: **وَ الْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ .**

أمَّا الرابطه بين هذا الجزء من الآيه و الجزء الذى سبقه، فهو-وفقا للتفسير الأوّل-أنّ الملائكه الذين هم حملة الوحي العظيم و واسطته، يسبحون و يحمدون الله دائما، يحمّدونه بجميع الكمالات، و ينزهونه عن جميع النواقص، و عند ما ينحرف المؤمنون أحيانا، تقوم الملائكه بنصرهم و يطلبون المغفره لهم من الله تعالى.

أمَّا وفق التفسير الثّانى، فإنّ تسييح الملائكه و حمدهم إنّما يكون لتزويجه تعالى عما ينسب إليه من شرك، و هم يستغفرون كذلك للمشركين الذين آمنوا و سلكوا طريق التوحيد و رجعوا إلى بارئهم جلّ جلاله.

و عند ما تستغفر الملائكه لمثل هذا الذنب العظيم لدى المؤمنين، فهي حتما- و من باب أولى-تستغفر لجميع ما لهم من ذنوب اخرى. و قد يكون الإطلاق فى الآيه لهذا السبب بالذات.

نقرأ نظيرا لهذه البشرى العظيمه فى الآيه (٧) من سوره المؤمن فى قوله تعالى: **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَ عِلْمًا فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَ اتَّبِعُوا سَبِيلَكَ .**

و أخيرا تشير نهايه الآيه الكريمه إلى سادس و سابع صفه من صفات الله تبارك و تعالى، و تنصب حول الغفران و الرحمه، و تتصل بقضيه الوحي و محتواه، و بخصوص وظائف المؤمنين، حيث يقول تعالى: **أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغُفُورُ الرَّحِيمُ .**

و بهذا الترتيب أتمت الآيات الكريمات الإشاره إلى مجموعه متكامله من

الأسماء الحسنى المختصة بالله تعالى و المرتبطه بالوحى.

و فى نهايه الآيه ثمه إشاره لطيفه إلى استجابته دعاء الملائكه بخصوص استغفارهم للمؤمنين، بل أنه تعالى يضيف الرحمه إلى صفه الغفور ممّا يدل على عظيم فضله.

أما عن مسأله الوحى فسيكون لنا كلام مفصل فى نهايه هذه السوره إن شاء الله عند ما نتحدّث عن الآيتين (٥٢، ٥١).

### هل تستغفر الملائكه للجميع؟

قد يطرح السؤال الآتى حول قوله تعالى: **وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ**.

و هو: الآيه تفيد استغفار الملائكه لمطلق أهل الأرض سواء المؤمن منهم أو الكافر، فهل يمكن ذلك؟ لقد أجابت الآيه (٧) من سوره المؤمن على هذا السؤال من خلال قوله تعالى: **يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا**.

و بناء على هذا فإنّ شرط الاستغفار هو الإيمان، إضافة إلى كونهم معصومين، و هم بذلك لا يطلبون المستحيل للذين يفتقدون إلى أرضيه الغفران.

ص: ٤٦٥

اشاره

وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٦) وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَ مَنْ حَوْلَهَا وَ تُنذِرَ يَهُودَ الْجَمْعِ لَا رَبِّبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧) وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ (٨)

التفسير

اشاره

انطلاقه من «أم القرى»:

تحدثت الآيات السابقة عن قضيه الشرك، لذلك فإن الآيه الأولى في المجموعه الجديده، تتناول بالبحث نتيجه عمل المشركين و عاقبه أمرهم حيث يقول تعالى: وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ .

حتى يحاسبهم في الوقت المناسب، و يعاقبهم جزاء أعمالهم.

ثم تخاطب الآيه رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم بقوله تعالى: وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ إِنَّ مَسْئَلَتَكَ هِيَ تَبْلِيغُ الرِّسَالَةِ وَ إِصَالِ نِدَاءِ اللَّهِ إِلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ.



و ثَمَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ آيَاتٍ أُخْرَى تُشِيرُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى:

قوله تعالى: لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ (١).

قوله تعالى: مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ (٢).

قوله تعالى: وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٣).

قوله تعالى: مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ (٤).

إنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ تَبَيَّنَ حَقِيقَةَ حَرِيهِ الْعِبَادِ وَ اخْتِيَارَهُمُ الطَّرِيقَ الَّذِي يَرِيدُونَهُ بِإِرَادَتِهِمْ وَ حَرِيَّتِهِمْ، لِأَنَّ الْقِيَمَةَ الْحَقِيقَةَ لِلْإِيمَانِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ تَمَكَّنَ فِي حَرِيهِ الْإِخْتِيَارِ، وَ لَيْسَ لِلْإِيمَانِ أَوْ الْعَمَلِ الْإِجْبَارِي أَى قِيَمَهُ مَعْنُوِيَهُ.

يَعُودُ الْقُرْآنُ إِلَى قَضِيهِ الْوَحْيِ مَرَّةً أُخْرَى، وَ إِذَا كَانَتِ الْآيَاتُ السَّابِقَةُ قَدْ تَحَدَّثَتْ عَنِ أَصْلِ الْوَحْيِ، فَإِنَّ الْكَلَامَ هُنَا يَنْصَبُ حَوْلَ الْهَدَفِ النَّهَائِيِّ لَهُ، إِذْ يَقُولُ تَعَالَى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَ «أُمَّ الْقُرَى» هِيَ مَكَّةُ الْمَكْرَمَةُ، ثُمَّ تُنذِرُ النَّاسَ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ هُوَ يَوْمُ الْجَمْعِ الَّذِي يَجْتَمِعُ فِيهِ النَّاسُ لِلْحِسَابِ وَ الْجَزَاءِ: وَ تُنذِرُ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ . وَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَنْقَسِمُ النَّاسُ إِلَى مَجْمُوعَتَيْنِ: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ .

وَ قَدْ يَكُونُ التَّعْبِيرُ بـ «كَذَلِكَ» إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ مِثْلَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ بِلِسَانِهِمْ، فَإِنَّا كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ بِلِسَانِكَ، هَذَا الْقُرْآنَ الْعَرَبِيَّ.

وَ عَلَيْهِ تَكُونُ «كَذَلِكَ» إِشَارَةً إِلَى: وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ .

وَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ إِشَارَةً إِلَى مَا بَعْدَهَا، يَعْنِي أَنَّا أَوْحَيْنَاهُ إِلَيْكَ بِهَذِهِ الصُّورَةِ

ص: ٤٦٧

١-١) -الغاشية، الآية ٢٢.

٢-٢) -سوره ق، الآية ٤٥.

٣-٣) -الأنعام، الآية ١٠٧.

٤-٤) -المائدة، الآية ٩٩.

قرآنا عربيا يهدف إلى الإنذار.

صحيح أننا نستفيد من نهايه الآيه أى من قوله تعالى: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ أَنَّ مَسْئُولِيهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ هِيَ التَّبَشِيرُ وَ الْإِنذَارُ، وَ لَكِنْ بِسَبَبِ مَا لِلْإِنذَارِ مِنْ تَأْثِيرٍ أَعْمَقٍ فِي نَفُوسِ الْأَفْرَادِ الْمُعَانِدِينَ وَ الْجَهْلِهِ، لِذَا فَإِنَّ الْآيَةَ اسْتَدَّتْ إِلَى «الْإِنذَارِ» مَرَّتَيْنِ فَقَطْ، مَعَ اخْتِلَافٍ بَيْنَهُمَا، إِذْ أَنَّ الْكَلَامَ شَمِلَ فِي الْمَرْحَلَةِ الْأُولَى إِنذَارَ الْمُسْتَمْعِينَ، بَيْنَمَا شَمِلَ فِي الثَّانِيَةِ تَخْوِيفَهُمْ مِنْ شَيْءٍ يَجِبُ أَنْ يَخَافُوهُ، يَعْنِي الْقِيَامَةَ وَ مَا فِيهَا مِنْ حَسَابٍ وَ فَضِيحَةٍ سَتَكُونُ مُؤْلِمَةً وَ صَعْبَةً لِلْغَايَةِ، بِسَبَبِ حُضُورِ الْأَشْهَادِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ النَّاسِ (١).

وَ قَدْ يَتَسَاءَلُ الْبَعْضُ هُنَا: إِنَّا نَسْتَفِيدُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا أَنَّ الْهَدَفَ مِنْ نَزُولِ الْقُرْآنِ هُوَ لِإِنذَارِ أَهْلِ مَكَّةَ وَ اطْرَافِهَا. أَ فَلَـ يَتَنَافَى هَذَا الْمَعْنَى مَعَ مَفْهُومِ عَالَمِيَةِ الْإِسْلَامِ؟ الْجَوَابُ عَلَى هَذَا الِاسْتِفْهَامِ يَتَمُّ مِنْ خِلَالِ مَلاحِظَةِ الْمَعْنَى الِذِي تَسْتَبْطِنُهُ أُمَّ الْقُرَىٰ .

إِنَّ كَلِمَةَ «أُمَّ الْقُرَىٰ» وَ هِيَ أَحَدُ أَسْمَاءِ مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ، مُؤَلَّفَةٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ هُمَا: «أُمَّ» وَ تَعْنِي فِي الْأَصْلِ الْأَسَاسَ وَ الْبِدَايَةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَ لِهَذَا السَّبَبِ تَسْمَى الْأُمَّ بِهَذَا الْاسْمِ لِأَنَّهَا أُسَاسٌ وَ أَصْلُ الْأَبْنَاءِ.

ثُمَّ كَلِمَةُ «قُرَىٰ» جَمْعُ «قَرِيَةٍ» بِمَعْنَى أَى مَنطِقَةٍ مَعْمُورَةٍ أَوْ مَدِينَةٍ، سِوَا مَا كَانَتِ الْمَدِينَةُ كَبِيرَةً أَمْ صَغِيرَةً، أَوْ مَجْرَدَ قَرِيَةٍ.

وَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ثَمَّةُ أَدْلَةٍ كَثِيرَةٍ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى.

وَ الْآنَ لِنَرِ لِمَاذَا سَمِّيَتْ «مَكَّةَ» بِأُمَّ الْقُرَىٰ؟

ص: ٤٦٨

---

١ - ١) - يَنْبَغِي الْإِتْبَاهُ، إِلَى أَنَّ (تُنذِرُ) تَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولِينَ، وَ فِي الْآيَةِ مَوْرَدُ الْبَحْثِ ذِكْرَ مَفْعُولِهَا الْأَوَّلِ فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى، وَ الثَّانِي فِي الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ. وَ قَدْ يَصْحَبُ الْمَفْعُولُ الثَّانِي بِالْبَاءِ فَيَقَالُ: أَنْذَرَهُ بِذَلِكَ.

الزوايا الإسلامية تصرّح بأن الأرض كانت في البدايه مغطاه جميعها بالماء، ثم بدأت اليابسه تظهر بشكل تدريجي من تحت هذه المياه. (تؤيد النظريات العلميه الآن هذا المعنى).

ثم تخبرنا الزوايا بأن منطقه الكعبه كانت أولاً منطقه ظهرت من تحت الماء، ثم بدأت اليابسه بالاتساع من جوار الكعبه، و يعرف ذلك بدحو الأرض.

و هكذا يتضح أن مكه هي أصل و أساس لجميع القرى و المدن على سطح الأرض، لذا فمتى قيل أمّ القُرى و مَنْ حَوْلَهَا فالمعنى سيشمل جميع الناس على سطح الكره الأرضيه (١).

مضافا إلى ذلك، نحن نعرف أن الإسلام بدأ بالانتشار تدريجيا، ففي البدايه أمر النبي صلى الله عليه و اله و سلم بإنذار المقرّبين إليه، كما ورد في قوله تعالى: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢) كى تتقوى قاعده الإسلام و تصلب نواته، و يكون أكثر قدره و استعدادا للانتشار.

ثم جاءت المرحله الثانيه المتمثله بإنذار العرب، كما ورد في قوله تعالى:

قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

(٣)

و كذلك في قوله تعالى: وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ .

و عند ما ترسخت أعمده الإسلام بين هؤلاء القوم، و قوى عوده أمر رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم بأوسع من ذلك، أن ينذر العالم و الناس كافه، كما نقرأ في أول سوره الفرقان في قوله تعالى: تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَيْنَا بَدِيبِهِ لِيُكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا و في آيات اخرى.

ص: ٤٦٩

١- ١) - جاء هذا التعبير في سوره الأنعام كذلك الآية (٩٢) و قد ذكرنا هناك توضيحا أوسع، فليراجع.

٢- ٢) - الشعراء، الآية ٢١٤.

٣- ٣) - فصلت، الآية ٣، إن ما قلناه هو في حال اعتبارنا كلمه (عربي) بمعنى اللغه العربيه، أمّا إذا فسرناها بالمعنى الفصيح فسيكون للآيه مفهوم آخر.

و بسبب هذا التكليف قام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بإرسال الرسائل إلى زعماء العالم خارج الجزيرة العربية، و دعا كسرى و قيصر و النجاشي و غيرهم إلى الإسلام.

و وفق هذه التعليمات قام أتباعه من بعده بالدعوة إلى الإسلام في مختلف بقاع العالم، و نشروا تعاليم الإسلام في جميع أرجاء المعموره.

أما لماذا سُمي يوم القيامة بيوم الجمع؟ فهناك أقوال مختلفة منها:

بسبب ما يكون فيه من جمع بين الأرواح و الأجساد.

أو بسبب الجمع بين الإنسان و عمله.

أو بسبب الجمع بين الظالم و المظلوم.

و لكن يظهر أنّ السبب يتمثل في الجمع بين الخلائق من الأولين و الآخرين كما نقرأ ذلك و اضحا في قوله تعالى: قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ  
وَ الْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (١).

و بما أن قوله تعالى: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ يقسم الناس إلى فئتين، فإن الآية التي بعدها تضيف: وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ  
أُمَّةً وَاحِدَةً عَلَى الْهُدَايَةِ.

إلا- أنّ الإيمان الإجباري ليست له قيمه، و كيف يمكن لمثل هذا الإيمان أن يكون معيارا للكمال الإنساني؟ إنّ التكامل الحقيقي  
هو أن يسير الإنسان بإرادته و بمنتهى الإختيار و الحرية.

إنّ الآيات القرآنية مليئة بأدله حرية الإنسان، و مثل هذا الإختيار هو ما يميّز الإنسان عادة عن غيره من الكائنات الأخرى، و إذا  
سلبت منه إرادته و اختياره فكأنما سلبت منه إنسانيته.

ص: ٤٧٠

و كما أن سمه الحرّيه و الإختيار طريق إلى التكامل، فهي أيضا سنّه إلهيه لا قبل التغيير.

و لكن العجيب أمر البعض الذين ما زالوا على عقيدته الجبر، و هم يدعون أتباعهم للأنبياء، في حين أنّ قبول الجبر يساوى في الواقع نفى مضمون دعوه جميع الأنبياء، فلا- معنى للتكليف حينئذ، و لا للحساب و السؤال و الجواب، و لا النصيحة و المواعظه، و بشكل أولى الثواب و العقاب! و مع عقيدته الجبر لا- معنى لتردد الإنسان في أعماله، و لا- معنى لندمه و عزيمة على تصحيح الأخطاء! تشير الآيه بعد ذلك إلى وصف أهل الجنّه و السعاده حيال أهل النار، فيقول تعالى: **وَ لَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمُونَ** **مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ** .

و عند ما يشخص أهل النار بوصف «الظلم» فيبين أنّ المراد من «من يشاء» في الجملة الأولى هم المجموعه التي لا ترتكب الظلم.

و على هذا الأساس يكون أهل العدل هم أصحاب الجنّه في مقابل أهل الظلم الذي هم أهل النار.

و لكن ينبغي الانتباه إلى أنّ «ظالم» هنا، و في العديد من الآيات القرآنيه الأخرى لها معنى واسع و لا تشمل الذين يظلمون غيرهم فقط، بل تشمل الذين يظلمون أنفسهم أيضا، و تشمل المنحرفين عقائديا، و هل هناك ظلم أعلى من الشرك و الكفر؟ يقول لقمان لابنه و هو يعظه: **يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١)** .

و في آيه اخرى نقرأ قوله تعالى:

ص: ٤٧١

أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ .

و قال بعضهم فى الفرق بين «ولى» و«نصير» أنّ «الولى» الذى يقوم بمساعده الإنسان دون طلبه. أما النصير فأعلم من ذلك (١).

و يحتمل أن تشير كلمه «ولى» إلى المشرف الذى يقوم بالحمايه و المساعده بحكم ولايته و دون أى طلب.

أما «النصير» فالذى يقوم بنصر الإنسان و مساعده بعد أن يطلب العون.

ص: ٤٧٢

---

١ - ١) - يلاحظ ذلك فى مجمع البيان، المجلد ٨، صفحه ٧٧٩، ذيل الآيه (٢٢) من العنكبوت.

اشاره

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٩) وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠) فَاطْرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢)

التفسير

اشاره

الولى المطلق:

أوضحت الآيات السابقة أن لا ولى و لا نصير سوى الله، والآيات التى بين أيدينا تعطى أدله على هذه القضية، وتنفى الولاية لما دونه سبحانه و تعالى.

تقول الآية بأسلوب التعجب و الإنكار: أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ (١). إلا

ص: ٤٧٣

أنه: فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ .

فلو أراد هؤلاء أن يختاروا وليا، فعليهم أن يختاروا الله، لأن أدله ولايته واضحة في الآيات السابقة، مع بيان أوصافه الكمالية، فالعزیز والحكيم، والمالك والعلى والعظيم، والغفور والرحيم، هذه الصفات السبع التى مرّت علينا تعتبر - لو حدها - أفضل دليل على اختصاص الولايه به.

ثم تذكر دليلا آخر فتقول: وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى .

و يجب اللجوء إليه لا لغيره، لأن المعاد والبعث بيده، وأن أكثر ما يخشاه الإنسان هو مصيره بعد الموت.

ثم تذكر دليلا ثالثا فتقول: وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

وهذه إشاره إلى أن الشرط الرئيسى للولى هو امتلاكه للقدرة الحقيقية.

□  
الآيه التى بعدها تشير إلى الدليل الرابع لولايته تعالى فتقول: وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ . فهو التوحيد الذى يستطيع أن يحل مشاكلكم.

إن من اختصاصات الولايه أن يستطيع الولى إنهاء اختلافات من هم تحت ولايته بحكمه الصائب، فهل تستطيع الأصنام و الشياطين التى تعبدونها أن تقوم بذلك، أم أن هذا الأمر يختص بالله الحكيم والعالم والقادر على حل مشاكل عباده، و تنفيذه لحكمه و إرادته دون غيره؟ إذن فالله العزيز الحكيم هو الحاكم لا غيره.

لقد حاول بعض المفسرين حصر مفهوم الاختلاف الذى تشير إليه الآيه فى قوله تعالى: مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فى الاختلاف الوارد فى الآيات المتشابهه، أو فى الاختلاف و المخاصمات الحقيقه فقط، إلا أن مفهوم الآيه أوسع من ذلك، إذ هى تشمل الاختلاف سواء كان فى المعارف الإلهيه و العقائد، أم الأحكام

(١)

-الإنكارى، أما البعض الآخر- كالتبرسى فى «مجمع البيان» و القرطبى فى «الجامع لأحكام القرآن»- فقد اعتبروها بمعنى «بل».



الشرعية، أم القضايا الحقوقية و القضائيه، أم غير ذلك ممّا يحدث بين الناس لقله معلوماتهم و محدوديتها، إنّ ذلك ينبغي أن يحل عن طريق الوحي، و بالرجوع إلى علم الله و ولايته.

و بعد ذكر الدلائل المختلفه على اختصاص الولايه بالله، تقول الآيات على لسان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ أله وَ سَلَّمَ: **ذَلِكُمْ اللهُ رَبِّي** (١) فهو الذي يتصف بهذه الأوصاف الكماليه و لهذا السبب: **عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ أَيُّ أَعُودُ إِلَيْهِ فِي الْمَشْكَلاتِ وَ الشَّدائِدِ وَ الزَّلَاتِ.**

جملة: **ذَلِكُمْ اللهُ رَبِّي** تشير إلى الربوبيه المطلقه لله بمعنى الحاكميه المتزامنه مع التدبير. و نحن نعلم أن للربوبيه قسمين: القسم التكويني الذي يعود إلى إرادته نظام الوجود، و القسم التشريعي الذي يقوم بتوضيح الأحكام و وضع القوانين و إرشاد الناس بواسطه الرسل و الأنبياء عليهم السلام.

و على أساس ذلك طرحت الآيه فيما بعد قضيه «التوكل» و «الإنايه» حيث تعنى الأولى رجوع جميع الأمور الذاتيه في النظام التكويني إلى الخالق جلّ و علا.

و الثانيه تعنى رجوع الأمور التشريعيه إليه (٢).

الآيه التي تليها يمكن أن تكون دليلا- خامسا على ولايه الله المطلقه، أو دليلا- على ربوبيته، و استحقاقه دون غيره للتوكل و الإنايه، إذ تقول: **فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ.**

«فاطر» من ماده «فطر» و تعنى فى الأصل فتق شىء ما، و يقابلها «قط» التي تعنى بقول البعض الشق العرضى.

و كأنما الآيه تشير إلى تفتق ستار العدم المظلم عند خلق الكائنات و خروج

ص: ٤٧٥

١- ١) - فى بدايه هذه الجملة تكون كلمه «قل» مقدّره، فهذه الجملة و ما بعدها تتحدث عن لسان النبي فقط، أما جملة ما اختلفتم فيه من شىء فهى استمرار لحديث الخالق جلّ و علا. و الذين اختاروا غير ذلك لم يسلكوا الطريق الصحيح فى الظاهر.

٢- ٢) - الميزان، المجلد ١٨، الصفحه ٢٣.

و بهذه المناسبة فإن «فطر» تطلق على «اطلاع» التمر عند ما يتفتق و يخرج منه التمر.

و المقصود بالسموات و الأرض هنا جميع السماوات و الأرض و ما فيها من كائنات و ما بينها، لأن الخالقيه تشملها جميعا.

ثم تشير الآية إلى وصف آخر من أفعاله تعالى فنقول: جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ (١).

و هذه لوحدها تعتبر إحدى الدلائل الكبيره على تدبير الله و ربوبيته و ولايته، حيث خلق سبحانه و تعالى للناس أزواجا من أنفسهم، و هو يعتبر أساسا لراحة الروح و سكون النفس، و من جانب آخر يعتبر الزواج أساسا لبقاء النسل و استمراره، و تكاثره.

و بالرغم من أن خطاب الآية موجه للإنسان، و المعنى منصب عليه من خلال «يذروكم» إلا أن هذا الأمر هو حكم سائد و سنه جاريه في جميع الأنعام و الموجودات الحيه الأخرى التى تسرى عليها التكاثر بالمثل.

و فى الواقع إن توجيه الخطاب للإنسان دونها يشير الى مقامه الكريم، و أما أمر البقيه فيتبين من خلال الإنسان كمثال.

الصفه الثالثه التى تذكرها الآية هو قوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ .

إن هذا الجزء من الآية يتضمّن حقيقه أساسيه فى معرفه صفات الله الأخرى، و بدونها لا يمكن التوصل إلى أى صفه من صفات الله، لأنّ أكبر منزلق يواجه السائرين فى طريق معرفه الله يتمثل فى «التشبيه» حيث يشبهون الخالق جلّ و علا بصفات مخلوقاته، و هو أمر يؤدى للسقوط فى وادى الشرك!

ص: ٤٧٤

١- ١) - الضمير فى «فيه» يعود إلى «التدبير» أو «جعل الأزواج» و «يذرو» من «ذرا» على وزن «زرع» و تعنى «الخلق» لكنّه الخلق الذى يقترن و يتزامن مع إظهار الأفراد. و قد وردت أيضا بمعنى الانتشار.

إنَّ وجود الله تعالى ليس له نهاية ولا يحد بحد، وكل شيء غيره له نهاية و حد من حدِيث القدر و العمر و العلم و الحياه و الإراده و الفعل...، و في كل شيء.

و هذا هو خط تنزيه الخالق من نقائص الممكنات.

لذا فإنَّ ما يثبت لغيره لا يصح عليه (سبحانه و تعالى) و لا ينطبق على ذاته المنزَّهه، بل و لا معنى له.

فبالنسبه إلينا تكون بعض الأمور سهله و الأخرى صعبه، و بعض الأحداث وقع في الماضي و بعضها يقع الآن، و منها ما يقع في المستقبل. و بعض الأشياء صغير و بعضها كبير.

إنَّ مقاييس هذه الأشياء و مدلولاتها و مفاهيمها تحتكم إلى وجودنا المحدود، و هي تلائم إدراكنا و حاجتنا إلى مقاييسه الأشياء بغيرها.

أمَّا هذه المواصفات و المقاييس و المصطلحات المحدوده، فإنَّ أيا منها لا ينطبق على صفات الله، إذ لا معنى لديه للقرب و البعد، فالكل قريب و في متناول إرادته، و لا معنى للصعب و السهل، فكل شيء سهل و طوع إرادته المطلقه، و لا يوجد مستقبل و ماض، فكل شيء بالنسبه إليه تعالى حضور و حال.

إنَّ إدراك هذه المعاني غير مستطاع من دون تفرغ الذهن و تخليته ممَّا هو فيه.

لهذا السبب يقال: إنَّ من السهل معرفه أصل وجود الخالق جلّ و علا، لكن من الصعب معرفه صفاته.

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام في هذا الشأن: «و ما الجليل و اللطيف، و الثقيل و الخفيف، و القوى و الضعيف في خلقه إلاّ سواء» (١).

تشير نهايه الآيه إلى صفات اخرى من صفات الله: وَ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ .

هو الخالق و المدبّر، و السميع و البصير، و في نفس الوقت ليس له شبيه أو نظير

ص: ٤٧٧

أو مثيل، ولهذا لا ينبغي الاستغلال إلا تحت ولايته، ولا تصح العبودية و الربوبية إلا له، وذلك لا يكون إلا بفك قيود عبوديه الغير، وتصريفها إليه دون غيره سبحانه و تعالى.

الآيه التي بعدها تتحدّث عن ثلاثة أقسام أخرى من صفات الفعل و الذات حيث توضح كلّ واحده منها قضيه الولايه و الربوبيه فى بعد خاص.

يقول تعالى: لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .

فكل ما يملكه مالك هو منه سبحانه و تعالى، و كل ما يرغب به راغب ينبغي أن يطلبه منه، لأنّ له تعالى خزائن السماوات و الأرض و ليس «مفاتيحها» و حسب وَ لِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (١).

«مقاليد» جمع «مقليد» و تعنى المفتاح، و هى تستخدم ككنايه للسيطره الكامله على كلّ شىء ما، فيقال مثلاً: إنّ مفتاح هذا الأمر بيدي، يعنى أنّ برنامجه و طريقه و شرائطه كلّها تحت قدرتي و فى يدي. (٢).

و فى الصفه الأخرى، و التى هى فى الواقع ثمره و نتيجته للصفه السابقه تقول الآيه: يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ لَأَنَّ بِيَدِهِ تَعَالَى جَمِيعَ خَزَائِنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَإِنَّ جَمِيعَ الْأَرْزَاقِ فِي قَبْضَتِهِ، و يقسمها وفقاً لمشيئته التى تصدر بمقتضى حكمته، و يلاحظ فيها مصلحه العباد.

إنّ من مقتضيات استفاده جميع الكائنات من رزقه تعالى هو العلم بمقدار حاجتها، و مكانها و سائر شؤون حياتها الأخرى، لذا تضيف الآيه فى آخر صفه قوله تعالى: إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .

و هناك ما يشبه هذا الأمر و هو ما جاء فى الآيه (٦) من سوره «هود» فى قوله تعالى: وَ مَا مِن دَائِبَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَ مُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ .

ص: ٤٧٨

١-١) -المنافقون، آيه ٧.

٢-٢) -بهذا الخصوص لدينا بحث مفصل يمكن مراجعته فى نهايه الحديث عن الآيه (٦٣) من سوره «الزمر».

و بذلك يتضح أنّ الآيات الأربع التي بحثناها ذكرت إحدى عشره صفه من صفات الله الكماله سواء الذاتيه منها أو الفعليه.

فقد وصفته بصفات الولايه المطلقه، إحياء الموتى، قدرته على كلّ شيء، خلقه للسموات و الأرض، خلقه للأزواج و تكثير النسل، لا يوجد مثيل له، سميع، بصير، له خزائن السموات و الأرض، رزاق، و عليم بكل شيء.

إنّها صفات تكمل الواحده منها الأخرى من حيث البيان، و كلّها دليل على ولايته و ربوبيته، و بالنتيجه تعتبر طريقا لإثبات توحيده في العباده.

## بحوث

## اشاره

### ١- معرفه صفات الله تعالى

إنّ علمنا و علوم الكائنات جميعا محدود، لذا لا نستطيع أن نصل إلى كنه و حقيقه ذات الخالق غير المحدوده، لأنّ المعرفه بحقيقه شيء ما تعنى الإحاطه به، فكيف يستطيع الكائن المحدود أن يحيط بالذات غير المحدوده؟ و كذلك الحال بالنسبه لصفات الله، إذ لا يمكن معرفتها بالنسبه لنا، خصوصا و أنّ صفاته هي عين ذاته.

لذلك فعلمنا بذات الخالق و صفاته هو علم إجرائي، و أكثر ما يدور حول آثاره جلّ و علا.

من جانب آخر لا نستطيع ألفاظنا أن تبين ذات الله و صفاته المطلقه غير المحدوده، لأنّ ألفاظنا موضوعه لتلبيه حاجاتنا في حياتنا اليوميه، لذلك سوف نصل إلى معانى خاطئه من خلال استخدام ألفاظنا في توصيف صفات الخالق الكماله، كالعلم و القدره و الحياه و الولايه و المالكيه، و سائر الصفات الأخرى.

نقول مثلا: إنّ الله هو «الأول» وهو أيضا «الآخر» هو «الظاهر» وهو «الباطن» هو مع كلّ شيء و ليس مع شيء، و بعيد عن كلّ شيء إلاّ أنّه ليس غريبا عنه.

قد يبدو في بعض هذه الألفاظ تناقض أو تضاد، لأنّ معانى الألفاظ نقيسها على الأشياء و الموجودات المحدوده، فيمكن أن يكون هو الأوّل و لا- يكون الآ-خر، و الظاهر و لا يكون باطن، و لكن التفكير الدقيق في ذات الله و صفاته يوصلنا إلى إمكانية انطباق معانى هذه الألفاظ عليه، فهو الأوّل في نفس الوقت الذى هو الآ-خر، و هو الباطن في نفس الوقت الذى يكون فيه هو الظاهر أيضا.

و علينا أن نعرف هنا بأنّ المهم في معرفه أوصافه الجماليه و الجلاليه هو أن ننتبه إلى حقيقه: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ .

يشير

أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام إلى هذه الحقيقه بوضوح فيقول:

«ما وحده من كيفه، و لا حقيقته أصاب من مثله، و لا إياه عنى من شبهه، و لا صمده من أشار إليه و توهمه» (١).

و فى مكان آخر

يقول عليه السّلام: «كل مسمّى بالوحده غير قليل» (٢).

خلاصه القول: يجب و لوج البحث فى صفات الخالق على ضوء قوله تعالى:

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

و علينا أن ننظر إلى ذاته المقدسه من خلال قوله تعالى: وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ و عبارته «سبحان الله» فى العبادات و غيرها تشير إلى هذه الحقيقه.

## ٢- ملاحظه أدبيه

إنّ الكاف فى جمله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ للتشبيه، و تعنى المثل أيضا. لذا فإنّ هذا التكرار أصبح سببا لأن يعتبر الكثير من المفسرين أنّها زائده، و أنّها جاءت

ص: ٤٨٠

١- ١) - الخطبه رقم (١٨٦).

٢- ٢) - نهج البلاغه، الخطبه رقم ٦٥.

للتأكيد. و أمثال ذلك كثير في الكلمات الفصحى.

و لكن ثمّة تفسير أجمل، و هو أن يقال أحياناً: مثلك لا يهرب من ساحه الأحداث. أى أنّ الذى يملك الشجاعه و العقل و الذكاء مثلك، لا ينبغى عليه الهرب (و الخلاصه أن من يملك مثل صفاتك يجب أن يكون هكذا و هكذا).

و فى الآيه التى نبحثها سيكون المعنى هكذا: مثل الخالق الذى ذكرنا أوصافه - كالعلم الواسع و القدره العظيمه اللامتناهيه ليس له مثل.

ذهب أرباب اللغه و علماءها إلى أنّ هناك بعض المصطلحات لها نفس معنى (مثل) إلاّ أنّها ليست مثلها فى -المفهوم من زاويه عموميتها و شموليتها، مثلاً:

«ند» على وزن «ضد» و تقال عند ما يكون القصد من التشبيه الإشاره إلى المشابهه فى الجوهر و الماهيه.

«شبه» و تقال عند ما يكون الكلام عن الكيفيه فقط.

«مساوى» و تقال عند ما يكون الكلام عن الكميّه فقط.

«شكل» و تقال عند ما يكون الكلام فى التشبيه عن المقدار و المساحه.

إلاّ أنّ «مثل» لها مفهوم أوسع و أكثر عموميه، بحيث تشمل جميع المفاهيم الآنفه الذكر.

لذا فإنّ الله عند ما يريد أن ينفى عن ذاته أى شبيهه أو نظير يقول: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (١).

### ٣- بعض الملاحظات حول الرزق الإلهى:

أ: معيار بسط الرزق و تقديره:

يجب أن لا نتصوّر أبداً أن بسط الرزق يعنى محبه الله لنا، أو أن تضيق المعيشه هى دليل غضبه، لأنّ الله قد يختبر الإنسان بواسطه البسط فى رزقه،

ص: ٤٨١

و أحيانا يريد أن يمتحن صبره و مقاومته عن طريق التضيق بالمعيشه عليه.

و عن هذا الطريق يصار إلى تربيته الإنسان.

إنَّ الشروه الكبيره قد تكون أحيانا سببا لعذاب أهلها و تعبهم و سلب استقرارهم و راحتهم النفسيه، حيث يقول القرآن في الآيه (٥٥) من سوره التوبه.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كَافِرُونَ .

و فى الآيتين (٥٥-٥٦) من سوره المؤمنين، نقرأ قوله تعالى: أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَ بَيْنَ نُسَارِعِ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ .

ب:تحديد الأرزاق لا يتعارض مع بذل الجهود:

إنَّ الآيات التى تتحدث عن تحديد مقدار الرزق لا تتنافى مع سعى الإنسان فى مجال تحصيله للرزق. و ينبغى أن لا يكون الأمر مبعثا للخمول و الكسل و الهروب من تحمل مسئوليات الجهاد الفردى الاجتماعى، إذ هناك آيات قرآنيه كثيره تؤكد أهميه و قيمه السعى الإنسانى.

إنَّ الهدف هو أن ندرک أننا رغم سعينا و عملنا فهناك يد خفيه تقوم أحيانا بحجب نتائج هذه الجهود، و تقوم فى بعض الأحيان بعكس ذلك، حتى لا ينسى الناس فى حياتهم الاجتماعيه الطويله أن ثمة قدره اخرى هى قدره مسبب الأسباب و هى التى تدبر شؤون العالم.

و ينبغى هنا أن لا نلقى تبعات الكسل و الإهمال و التقاعس على مفهوم الرزق الإلهى المحدود لكل إنسان، لأنه تعالى صرح بأن عطاء الرزق يساوى ما يبذله الفرد من جهد و عناء.

ص: ٤٨٢



ج: عدم اقتصار الرزق على المفهوم المادى:

للرزق معنى واسع بحيث يشمل الرزق المعنوى، بل إنّ الرزق الأصلي هو الرزق المعنوى، و فى الأدعية نلتقى مع أمثله كثيره تؤكد ذلك، فنقول حول الحج مثلا:

«اللهم ارزقنى حج بيتك الحرام».

و فى أدعية طلب الطاعة تقول:

«اللهم ارزقنى توفيق الطاعة و بعد المعصية».

و فى أدعية أيام شهر رمضان نقول:

«اللهم ارزقنى فيه طاعه الخاشعين» (دعاء اليوم الخامس عشر).

و هكذا بالنسبه للهبات المعنويه الأخرى.

د: القرآن و الأسباب التى تؤدى إلى زياده الرزق:

لقد ذكر القرآن الكريم بعض الأمور التى تعتبر بحد ذاتها درسا لتربيته الإنسان و بنائه، ففى الآية (٧) من سوره «إبراهيم» نقرأ قوله تعالى: لئن شكرتم لأزيدنكم .

و فى الآية (١٥) من سوره «الملك» قوله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ .

و فى سوره الأعراف، آيه (٩٦) قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ .

ه: التضيق فى الرزق و القضييه التربويه:

أحيانا يكون ضيق الرزق لمنع الناس عن الطغيان، كما نقرأ فى قوله تعالى:

وَ لَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ

(١)



ز: الرزاق هو الله يؤكد القرآن الكريم أن الذى يعطى الرزق للناس هو الله، و عليهم أن لا يطلبوا من غيره، و عليهم بعد الإيمان و التوكل أن يعتمدوا على وسعهم و طاقتهم، كما ورد فى الآيه (٣) من سوره «فاطر» فى قوله تعالى: هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ .

و الآيه «١٧» من «العنكبوت» فى قوله تعالى: فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرَّزْقَ .

و هكذا تقطع التربيه القرآنيه روح الحاجه لدى الإنسان إلى عباد مثله، و تجعله مرتبطا بخالقه و بارئه و رازقه، فتنمى فيه روح الإباء، و العبوديه و الانقطاع إلى الله.

و لدينا بحيث مفصل بخصوص الأرزاق و السعى للحياه، و أسباب الرزق و مصادره فى نهايه تفسير الآيه «٧١» من سوره «النحل» و كذلك فى نهايه تفسير الآيه «٦» من سوره «هود»، فليراجع هناك.

ص: ٤٨٤

اشاره

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْ لَا كَلِمَةُ سِبْقَتِ مَنْ رَبُّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١٤)

التفسير

اشاره

الإسلام عصاره شرائع جميع الأنبياء:

بما أن العديد من بحوث هذه السوره تتعلق بالمشركين، و أن الآيات السابقه كانت تتحدث عن نفس هذا الموضوع أيضا،لذا فإن الآيات التي نبحثها تبين هذه الحقيقه،و هى أن دعوه الإسلام إلى التوحيد ليست دعوه جديده،إنها دعوه جميع الأنبياء أولى العزم،و ليس أصل التوحيد فحسب،بل إن جميع دعوات الأنبياء فى

القضايا الأساسية و في مختلف الأديان السماويه كانت واحده.

تقول الآية: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ نَبِيٍّ مِنْ أَوْلَى الْعَزْمِ.

و أيضا: وَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَ مَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى .

و بهذا الشكل فما كان موجودا في شرائع جميع الأنبياء موجود في شريعتك أيضا و«ما يمتلكه الصالحون جميعا تملكه لوحدك».

إنَّ عبارته (من الدين) تبين أن التنسيق بين جميع الشرائع السماويه لم يكن بخصوص التوحيد أو أصول العقائد فحسب، بل في كلِّ مجموعه الدين الإلهي، فمن حيث الأساس و الجذور كانت واحده، بالرغم من أن تكامل المجتمع الإنساني يقتضى أن تكون التشريعات و القوانين الفرعيه متناسقه مع تكامل الناس، و تسيير نحو التكامل حتى تصل إلى الحد النهائي و تختتم الأديان.

لهذا السبب هناك أدله كثيره في آيات قرآنيه اخرى تبين أن الأصول العامه للعقائد و القوانين و التعليمات واحده في جميع الأديان.

فمثلا نقرأ في القرآن الكريم بخصوص شرح حال العديد من الأنبياء، أنَّ أَوَّلَ دَعْوِهِ لَهُمْ كَانَتْ: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ (١).

و في مكان آخر نقرأ: وَ لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ .

و أيضا فقد ورد الإنذار بالبعث في دعوته العديد من الأنبياء (الأنعام، ١٣٠، الأعراف، ٥٩، الشعراء، ١٣٥، طه، ١٥، مريم، ٣١).

أمَّا موسى و عيسى و شعيب عليه السَّلام فيتحدثون عن الصلاه (طه، ١٤، مريم، ٣١، هود، ٨٧).

و إبراهيم يدعو إلى الحج (الحج، ٢٧).

و كان الصوم مشرعا عند جميع الأقسام السابقين (البقره، ١٨٣).

ص: ٤٨٦

١- ١) - الأعراف (٨٥، ٧٣، ٦٥، ٥٩) هود (٨٤، ٦١، ٥٠) حيث جاءت بالترتيب بخصوص نوح، هود و صالح عليهم السَّلام.

لذا، وكتعليمات عامه لجميع الأنبياء العظام تقول الآية فى الجملة الأخرى:

أَنْ أَفِيْمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ

فهى توصى بأمرين مهمين:

الأول: إقامة دين الخالق فى كل الأرض (و ليس العمل فحسب، بل إقامة و إحيائه و نشره).

الثانى: الاحتراز عن البلاء العظيم، يعنى الفرقه و النفاق فى الدين.

و بعد ذلك تقول: كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ .

فلقد تطبع هؤلاء على الشرك و عباده الأصنام بسبب الجهل و التعصب لسنين طويله، و عشعش ذلك فى أعماقهم بحيث أصبحت الدعوه إلى التوحيد تخيفهم و توحشهم، إضافة لذلك فإن مصالح زعماء المشركين اللامشروع محفوظه فى الشرك، فى حين أن التوحيد هو أساس ثوره المستضعفين، و يقف حائلا دون أهواء الطغاه و مظالمهم.

و كما أن انتخاب الأنبياء بيد الخالق، كذلك فإن هدايه الناس بيده أيضا: اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ .

## ملاحظات

و هناك ملاحظات فى هذه الآية يجب الانتباه إليها:

١- (شرع) من كلمه (شرع) و هى فى الأصل تعنى الطريق الواضح، حيث يقال (الشريعة) للطريق المؤدى إلى النهر، ثم استخدمت هذه الكلمه بخصوص الأديان الإلهيه و الشرائع السماويه، لأن طريق السعاده الواضح يتمثل فيها، و هى طريق الوصول إلى الإيمان و التقوى و الصلح و العدالة.

و بما أن الماء هو أساس النظافه و الطهاره و الحياه، لذا فإن لهذا المصطلح

تناسب واضح مع الدين الإلهي الذي يؤدى نفس هذه الأعمال من الناحية المعنوية مع روح الإنسان و المجتمع البشرى (١).

٢- لقد أشارت هذه الآية إلى خمسة من الأنبياء الإلهيين فقط (نوح و إبراهيم و موسى و عيسى و محمد عليهم السلام) لأن هؤلاء الخمسة هم الأنبياء أولو العزم، أى أصحاب الدين و الشرائع، و فى الحقيقة فإن الآية تشير إلى انحصار الشريعة بهؤلاء الخمسة من الأنبياء.

٣- فى البدايه ذكرت الآية نوحا، لأن أول شريعته (أو الدين الذى يحتوى على كل القوانين العباديه و الاجتماعيه) نزلت عن طريقه، و كانت هناك تعليمات و برامج محدوده للأنبياء الذين سبقوه (٢).

و لهذا السبب لم يشر القرآن و لا الروايات الإسلاميه إلى الكتب السماويه قبل نوح عليه السلام.

٤- من الضرورى أن نشير إلى أنه عند ذكر هؤلاء الخمسة، ثم ذكر نوح عليه السلام فى البدايه ثم نبي الإسلام صلى الله عليه و آله و سلم و بعد ذلك إبراهيم عليه السلام و موسى عليه السلام و عيسى عليه السلام، و هذا الترتيب بسبب أن نوحا كان هو البادئ و الفاتح، و نبي الإسلام ذكر بعد ذلك بسبب عظمته، و ذكر الآخرون حسب الترتيب الزمنى لظهورهم.

٥- من الضرورى أيضا أن نشير إلى هذه الملاحظه، و هى أن القرآن يستخدم عبارته: **أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** بخصوص نبي الإسلام صلى الله عليه و آله و سلم، إلا أنه استخدم عبارته «وَصَيْنَا» بالنسبه إلى الآخرين، قد يكون هذا الاختلاف فى التعبير بسبب أهميه الإسلام بالنسبه لسائر الأديان السماويه الأخرى.

٦- وردت عبارته (من يشاء) بالنسبه إلى كيفية انتخاب الأنبياء فى نهايه الآية، و التى قد تكون إشاره مجمله للمؤلهات الذاتيه للرسول الإلهيين.

ص: ٤٨٨

١- ١) - لقد جاء هذا المعنى بشكل مجمل فى لسان العرب و المفردات للراغب و بقيه كتب اللغه.

٢- ٢) - هناك شرح أوردناه بهذا الخصوص فى نهايه الآية ٢١٣ من سوره البقره.

أمّا بخصوص الأمم فقد تم استخدام عبارته (من ينيب) «والتى تعنى الرجوع إلى الخالق و التوبه عن الذنب» حتى يتضح معيار الهدايه الإلهيه و شرائطها للجميع، و يعثروا على طريق الوصول إلى بحر رحمته.

جاء فى الحديث القدسى «من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا، و من أتانى يمشى أتيته هروله» (١).

و قد ورد هذا الاحتمال أيضا فى تفسير الجمله الأخيره، و هو أن (الاجتباء) لا يختص بالأنبياء فحسب، بل يشمل جميع العباد المخلصين الذين لهم المقام المحمود عند الخالق.

و بما أن أحد أركان دعوه الأنبياء أولى العزم هو عدم التفريق فى الدين، فقد كانوا يدعون لذلك حتما، لذا فقد يطرح هذا السؤال: ما هو أساس كل هذه الاختلافات المذهبيه؟ و قد أجابت الآيه الأخرى على هذا السؤال و ذكرت أساس الاختلافات الدينيه بآئته: «وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ، فَالْاِخْتِلَافَاتُ لَمْ تَحْدَثْ إِلَّا بِسَبَبِ حُبِّ الدُّنْيَا وَ الْمَنْصَبِ وَ الظُّلْمِ وَ الْحَسَدِ وَ الْعِدَاوَةِ».

نعم، فعييد الدنيا الظلمه و الحسدون الحاقدون وقفوا حيال أديان الأنبياء جميعا، و دفعوا كل مجموعته باتجاه معين كيما يثبتوا أركان زعامتهم و يؤمنوا مصالحهم الدينويه، و يكشفوا-علانيه-حسداهم و عداوتهم للمؤمنين الحقيقيين دين الأنبياء، و لكن كل هذا حصل بعد إتمام الحججه.

و بهذا الترتيب فإن أساس التفرق فى الدين لم يكن الجهل، بل كان الظلم و البغى و الانحراف عن الحق، و الأهواء و الآراء الشخصيه.

«فالعلماء الذين يطلبون الدنيا» و «الحاقدون من الناس و المتعصبون» اتحدوا معا لزرع هذه الاختلافات.

ص: ٤٨٩



و تعتبر هذه الآيه ردًا واضحا على الذين يقولون بأن الدين أوجد الاختلاف بين البشر، و أدى الى إراقه دماء كثيره على مدى التاريخ، فلو دققوا فى الأمر لوجدوا أن الدين دائما هو أساس لوحده و الاتحاد فى المجتمع (كما حصل للإسلام و قبائل الحجاز و حتى الأقسام فى خارج الجزيره حيث انتهت الاختلافات و أصبحوا أمه واحده).

إلا أن السياسات الاستعماريه هى التى أوجدت الفرقه بين الناس، و حرضت على الاختلافات، و كانت أساسا لإراقه الدماء، ففرض سياساتها و أهوائها على الأديان السماويه كان عاملا كبيرا آخر فى إيجاد الفرقه، و هذا بحد ذاته ينبع من (البغى) أيضا.

«البغى» كما يكشف أساسه اللغوى، يعنى (طلب التجاوز و الانحراف عن خط الوسط و الميل نحو الإفراط أو التفريط) سواء تم تطبيق هذا الطلب أم لا، و تختلف كميته و كلفيته، و لهذا السبب فغالبا ما يستخدم بمعنى الظلم.

و أحيانا يقال لأى طلب بالرغم من كونه أمرا جيدا و مرغوبا.

لذا فإنّ الراغب فى مفرداته يقسم (البغى) إلى نوعين: (ممدوح) و (مذموم) فالأول يتجاوز حد العداله و يصل إلى الإحسان و الإيثار، و تجاوز الواجبات و الوصول إلى المستحبات، و الثانى يتجاوز الحق نحو الباطل.

ثم يضيف القرآن الكريم: **وَ لَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَيْنَا لَأَجَلٌ مُّسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ** حيث يهلك أتباع الباطل و ينصر أتباع الحق.

نعم، فالدنيا هى محل الاختبار و التربه و التكامل، و لا يحصل هذا بدون حريه العمل، و هذا هو الأمر التكوينى الإلهى الذى كان موجودا منذ بدء خلق الإنسان و لا يقبل التغيير. إن هذه هى طبيعه الحياه الدنيويه، و لكن ما يمتاز به عالم الآخره هو أن جميع هذه الاختلافات ستنتهى و سوف تصل الإنسانيه إلى الوحده الكامله، و لهذا السبب يتم استخدام عباره (يوم الفصل) للقيامه.

أما آخر جملة فتقوم بتوضيح حال الأشخاص الذين جاؤوا بعد هذه المجموعه، أى الذين لم يدركوا عصر الرسل، بل جاؤا فى فتره طبع فيها المنافقون و المفرقون المجتمع البشرى بطابعهم الشيطانى، لذا لم يستطيعوا إدراك الحق بشكل جيد، حيث تقول: وَ إِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١).

وقد ذكروا فى حقيقه معنى كلمه (ريب) أن هذه الكلمه تطلق على الشك الذى يتبدل إلى الحقيقه أخيرا بعد أن يزال الستار عنه، وقد يكون هذا الأمر إشاره إلى ظهور نبى الإسلام صلى الله عليه و اله و سلم بالأدله الواضحه، حيث محى آثار الشك و الريب من قلوب طلاب الحق.

#### ملاحظه

نقل تفسير على بن إبراهيم عن الإمام الصادق عليه السلام فى قول الله تعالى: أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ قَالَ الْأَمَامُ، وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كُنَايَه عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْإِمَامِ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ قَالَ: كَبَّرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرٍ وَلَا يَهْ عَلَى اللَّهِ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ كُنَايَه عَنْ عَلَى (ع) (٢).

و بديهى أن المقصود ليس تحديد الدين فى ولايه على عليه أفضل الصلاه و السلام، بل الهدف هو بيان هذه الحقيقه، وهى أن قضيه ولايه أمير المؤمنين الإمام على عليه السلام تعتبر من أركان الدين أيضا.

ص: ٤٩١

١ - ١) - وفقا لهذا التفسير الذى يتناسق بشكل كامل مع الجمل السابقه، فإن ضمير (بعدهم) يعود إلى الأمم الأولى التى أوجدت الفرقه بين المذاهب و الأديان، و ليس إلى الأنبياء المذكورين فى الآيه السابقه (فدقق ذلك).

٢ - ٢) - تفسير نور الثقلين، المجلد الرابع، ص ٥٦٧.

اشاره

فَلِذَلِكَ فَادُعْ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٥)

التفسير

اشاره

فاستقم كما أمرت!

بما أن الآيات السابقة تحدثت عن تفرق الأمم بسبب البغى و الظلم و الانحراف، لذا فإن الآيه التى نببحثها تأمر النبى بمحاولة حل الاختلافات و إعادة الحياه إلى دين الأنبياء،و أن يبذل منتهى الاستقامه فى هذا الطريق،فتقول:

فَلِذَلِكَ فَادُعْ

(١)

أى ادعوهم إلى الدين الإلهى الواحد و امنع الاختلافات.

ثم تأمره بالاستقامه فى هذا الطريق،فتقول: وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ .

و لعل جمله «كما أمرت»إشاره إلى المرحله العاليه من الاستقامه،أو إلى أن

ص: ٤٩٢

١ - ١) - بعض المفسرين اعتبر «اللام» فى «لذلك» بمعنى «إلى»، و البعض الآخر بمعنى (التعليل) و فى الحاله الأولى تكون كلمه (ذلك)إشاره إلى دين الأنبياء السابقين،و فى الحاله الثانيه إشاره إلى اختلاف الأمم.

الاستقامه يجب أن تكون من حيث الكمية و الكيفيه و الزمن و الخصوصيات الأخرى مطابقه للقانون الإلهي.

و بما أن أهواء الناس تعتبر من الموانع الكبيره فى هذا الطريق،لذا تقول الآيه فى ثالث أمر لها: **وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ**، لأن كل مجموعته استدعوك إلى أهوائها و مصالحها الشخصيه،تلك الدعوه التى يكون مصيرها الفرقة و الاختلاف و النفاق، فعليك القضاء على هذه الأهواء،و جمع الكل فى ظل الدين الإلهي الواحد.

و بما أن لكل دعوه نقطه بدايه،لذا فإن نقطه البدايه هى شخص الرسول صلى الله عليه و اله و سلم، حيث تقول الآيه فى رابع أمر لها: **وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ**.فأنا لا أفترق بين الكتب السماويه،اعترف بها جميعا،و كلها تدعو إلى التوحيد و المعارف الدينيه الطاهره و التقوى و الحق و العداله، و فى الحقيقه فإن دينى جامع لها و مكملها.

فأنا لست مثل أهل الكتاب حيث يقوم كل واحد بإلغاء الآخرين،فاليهود يلغون المسيحيين،و المسيحيون يلغون اليهود،و حتى أن أتباع كل دين أيضا يقبلون ما يتلاءم مع حاجاتهم و رغباتهم من كتبهم الدينيه،فأنا أقبل بالكل لأن الكل له أصول أساسيه واحده.

و بما أن رعايه (أصل العداله)ضرورى لإيجاد الوحده،لذا فإن الآيه تطرح ذلك فى خامس أمر لها فتقول: **وَأْمُرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ**،سواء فى القضاء و الحكم،أو فى الحقوق الاجتماعيه و القضايا الأخرى (1).

و بهذا الشكل فإن الآيه التى نبحثها مؤلفه من خمس تعليمات مهمه،حيث تبدأ من أصل الدعوه،ثم تطرح وسيله انتشارها-يعنى الاستقامه-ثم تشير إلى الموانع فى الطريق«كعباده الأهواء»ثم تبين نقطه البدايه التى تبدأ من النفس، و أخيرا الهدف النهائى و الذى هو توسيع و تعميم العداله.

ص: ٤٩٣

(١- ١) -بعض المفسرين حدّد(العداله)هنا بالقضاء،فى حين أنه لا توجد قرينه على هذه المحدوديه فى الآيه.

بعد هذه التعليمات الخمس، تشير إلى المشتركات بين الأقوام و التي تتلخص بخمس فقرات، حيث تقول: **اللَّهُ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ وَ كُلُّ**  
**وَاحِدٍ مَسْئُولٌ عَنِ أَعْمَالِهِ إِنَّ أَعْمَالَكُمْ وَ لَكُمْ أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُنَا لَأَحْجَّةَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ وَ لَيْسَ بَيْنَنَا نِزَاعٌ وَ خِصْمَةٌ، وَ لَا أَمْتِيَّازٌ لِأَحَدِنَا عَلَى**  
**الْآخِرِ وَ لَيْسَتْ لَدِينَا أَغْرَاضٌ شَخْصِيَّةٌ اتِّجَاهَكُمْ.**

و عاده لا توجد حاجة إلى الاستدلال و الإحتجاج، لأن الحق واضح، إضافة إلى ذلك فإننا جميعا سوف نجتمع في مكان واحد:  
**اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا (١).**

و الذي سوف يقضى بيننا في ذلك اليوم هو الأحد الذي: **وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ.**

و على هذا الأساس فإن إلهنا واحد، و نهايتنا ستكون في مكان واحد، و القاضى الذى إليه المصير واحد، و بالرغم من كل هذا  
فإننا مسئولون جميعا حيال أعمالنا، و ليس هناك فرق لإنسان على آخر إلا بالإيمان و العمل الصالح.

و ننهى هذا البحث بحديث جامع،

فقد ورد في حديث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله و سلم: «ثلاث منجيات، و ثلاث مهلكات، فالمنجيات: العدل فى الرضا  
و الغضب، و القصد فى الغنى و الفقر، و خشية الله فى السر و العلانية، و المهلكات:

شح مطاع، و هوى متبع، و إعجاب المرء بنفسه» (٢).

ص: ٤٩٤

١- (١) -الضمير المتكلم مع الغير فى (بيننا) يشير إلى الرسول صلى الله عليه و اله و سلم و المؤمنين، و ضمير الجمع فى (بينكم) يشير  
إلى جميع الكفار، سواء كانوا أهل الكتاب أو المشركين.

٢- (٢) -مجمع البيان، نهايه الآيات التى نبحثها. و تحف العقول كلمات الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله و سلم.

اشاره

وَ الَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا أُسْتُجِبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦) اللَّهُ الَّذِي  
أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا  
وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٨)

التفسير

اشاره

لا تستعجلوا بالساعة!!

الآيات السابقة كانت تتحدث عن واجبات النبي صلى الله عليه و اله و سلم، كاحترامه لمحتوى الكتب السماويه، و تطبيق العدالة بين جميع الناس و ترك أى محاججه أو خصومه بينه و بينهم. أمّا الآيات التى نبحتها، فلكى تكميل البحث السابق و تثبت أن حقانيه نبى الإسلام لا تحتاج إلى دليل، تقول: وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا أُسْتُجِبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ و بما أن نقاشهم و محاججتهم ليس لكشف الحقيقه، بل للعناد و الإصرار تقول الايه و عَلَيْهِمْ غَضَبٌ .

لعدم وجود غير هذا الجزاء للمعاندين.

وقد ذكر المفسرون تفاسير مختلفه حول المقصود من جمله: **مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ**.

فقالوا: إنَّ المقصود هو استجابته عامه الناس من ذوى القلوب الطاهره، و الذين ليست لهم نوايا خبيثه، يستسلمون للحق و يخضعون له مستلهمين ذلك من الفطره الإلهيه و مشاهده محتوى الوحي و المعاجز المختلفه للنبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ أله وَ سَلَّمَ.

وقد يكون المقصود بها استجابته دعاء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ أله وَ سَلَّمَ بحق معارضيه كما فى يوم معركة بدر، حيث أدى ذلك إلى فناء قسم عظيم من جيش العدو و انكسار شوكته.

و أحيانا اعتبروا ذلك إشارة إلى قبول أهل الكتاب، حيث كانوا ينتظرون نبيّ الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ أله وَ سَلَّمَ قبل ظهوره، و يذكرون علامات ظهوره للناس من خلال كتبهم، و كانوا يظهرون الإيمان و الحب له، إلا أنه بعد ظهور الإسلام أنكروا كل ذلك، لأن مصالحتهم غير المشروعه أصبحت فى خطر.

و يبدو أن التفسير الأوّل هو الأفضل، لأن التفسير الثّانى يقتضى أن تكون هذه الآيات نازله بعد معركة بدر، فى حين أنه لا دليل على هذا الأمر، و يظهر أن جميع هذه الآيات نزلت فى مكّه.

و التفسير الثّالث لا يتلاءم مع أسلوب الآيه، لأنه يجب أن يقال: «من بعد ما استجابوا له».

إضافه إلى أن ظاهر جمله: **يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ** يشير إلى محاججه المشركين بخصوص الخالق، و ليس أهل الكتاب بالنسبه الى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ أله وَ سَلَّمَ و لكن ما هى المواضيع المطروحه المشار إليها فى هذه المحاججه الباطله؟ هناك اختلاف بين المفسرين:

فقال البعض: إنَّ المقصود هو ادعاء اليهود الذين يقولون بأن دينهم كان

موجودا قبل الإسلام و إن اسبقته دليل على أفضليته.

أو، ما دتم تدعون الوحده فتعالوا و آمنوا بدين موسى عليه السلام لأن الطرفين يقبلانه.

و لكن - كما قلنا- فإن من المستبعد أن يكون الكلام فى هذه الآيات مع اليهود أو أهل الكتاب، لأن «المحاججه فى الله» أكثر ما تخص المشركين، لذا فإن الجملة أعلاه تشير إلى الأدله الواهيه للمشركين فى قبولهم بالشرك، و التى منها شفاعه الأصنام أو اتباع دين الآباء و الأجداد.

على أية حال، فالمعاندون الذين يصرون على عنادهم بعد وضوح الحق، سيفتضح أمرهم بين خلق الله، و سيشملهم غضب الخالق فى هذا العالم و العالم الآخر.

ثم يشير القرآن إلى أحد أدله التوحيد و قدره الخالق، و فى نفس الوقت يتضمّن إثبات النبوه حيال المتحاججين ذوى المنطق الواهى، حيث تقول الآيه:

اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ

«الحق» كلمه جامعته تشمل المعارف و العقائد الحقه، و الأخبار الصحيجه و البرامج المتطابقه مع الحاجه الفطريه و الاجتماعيه، و ما شابه ذلك، لأن الحق هو الشىء الموجود الذى يطابق مصداقه الخارجى، و ليس له جنبه ذهنيه و خياليه.

و أما «الميزان» فله معنى عام فى مثل هذه الموارد، بالرغم من أن معناه اللغوى هو وسيله لقياس الوزن، إلا أنه فى معناه الكنائى يطلق على أى معيار للقياس و القانون الإلهى الصحيج، و حتى شخص الرسول صلى الله عليه و اله و سلم و الأئمه عليهم السلام، حيث أن وجودهم معيار لتشخيص الحق من الباطل و ميزان يوم القيامه، و الميزان فى القيامه يراد به هذا المعنى.

بناء على هذا فإن الخالق أنزل كتابا على نبي الإسلام صلى الله عليه و اله و سلم بحيث يعتبر هو الحق، و الميزان للتقييم، و التدقيق فى محتوى هذا الكتاب سواء معارفه و عقائده،



و استدلالاته المنطقيه، أو قوانينه الاجتماعيه، و حتى برامجته لتهديب النفوس و تكامل البشر... كل ذلك يعتبر دليلا على حقانيته.

إن هذا المحتوى العظيم-بهذا العمق-من شخص أمي لا يعرف القراءه و الكتابه، و قد نشأ في مجتمع يعتبر من أكثر المجتمعات تخلفا، يعتبر بحد ذاته دليلا على عظمه الخالق، و وجود عالم ما وراء الطبيعه، و حقانيه من جاء به.

و هكذا فإن الجملة أعلاه تعتبر جوابا للمشركين و لأهل الكتاب.

و بما أن نتيجته كل هذه الأمور، خاصه ظهور الحق بشكل كامل و العداله و الميزان تتضح في يوم القيامه، لذا فإن الآيه تقول في نهايتها: **وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ .**

فالقيامه عند ما تقام يحضر الجميع في محكمه عدله، و يواجهون الميزان الذي يقيس حتى حبه الخردل أو أصغر منها.

ثم يشير القرآن إلى موقف الكفار و المؤمنين حيال القيامه، فتقول الآيه:

**يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا**

فهؤلاء لا يقولون ذلك بسبب عشقهم للقيامه و الوصول إلى لقاء المحبوب أبدا، إن كلامهم هذا من قبيل الاستهزاء و الإنكار، و لو كانوا يعلمون ما سيحل عليهم يوم القيامه لم يطلبوا مثل هذا الأمر.

**وَ الَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ**

(١)

طبعاً لحظه قيام القيامه خافيه على الجميع، حتى بالنسبه للأنبياء المرسلين و الملائكه المقربين، ليكون هذا الأمر أسلوباً تربوياً مستمراً للمؤمنين، و اختباراً و إتمام حجه للمنكرين، و لكن لا يوجد أي شك في أصل وقوعها.

ص: ٤٩٨

١-١) -«مشفقون» من كلمه (إشفاق) و تعنى العلاقه المقترنه مع الخوف، فمتى ما تعدت بحرف (من) يطغى جانب الخوف عليها، و عند ما تتعدى بحرف (على) يطغى جانب الانتباه و المراقبه عليها، و لذا فإن الإنسان يقول لصاحبه و صديقه: «أنا مشفق عليك» (تفسير روح المعاني و مفردات الراغب).

و من هنا يتضح مدى التأثير التربوي العميق للإيمان بالقيامة و محكمه العدل الإلهي الكبيره على المؤمنين خاصة في احتمالهم حصول هذا الأمر في أية لحظه من اللحظات.

و كإعلان عام، تقول الآيه في نهايتها: **أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ** لأن نظام هذا العالم يعتبر-بحد ذاته-دليلا على أنه مقدمه لعالم آخر و بدونه سيكون خلق هذا العالم عبثا و ليس له أى معنى، و هذا لا يتناسب مع حكمه الخالق و لا مع عدالته.

و تشير عبارته (ضلال بعيد) إلى أن الإنسان قد يضل الطريق أحيانا، إلا أنه لا يبتعد عنه كثيرا، و بقليل من البحث و الجهد يمكنه أن يكتشف الطريق و أحيانا يكون البعد كبيرا جدا بحيث يصعب-أو يستحيل-عليه العثور على الطريق مره اخرى.

و الطريف في الأمر أننا نقرأ

في حديث عن النبي الأكرم صلى الله عليه و اله و سلم: «سأل رجل رسول الله في إحدى سفراته و بصوت مرتفع: يا محمد... فأجابه الرسول صلى الله عليه و اله و سلم و بصوت مرتفع مثل صوته «ما تقول؟».

قال الرجل: متى الساعة؟ قال الرسول صلى الله عليه و اله و سلم: «إنها كائنه فما أعددت لها؟».

قال الرجل: حب الله و رسوله! قال الرسول صلى الله عليه و اله و سلم: «أنت مع من أحببت» (1).

ص: ٤٩٩

اشاره

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (١٩) مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠)

التفسير

اشاره

مزرعه الدنيا و الآخرة:

بما أن الآيات السابقة كانت تتحدث عن العذاب الإلهي الشديد و عن طلب منكري المعاد للتعجيل بقيام القيامة، لذا فإن أول آية نبحثها هنا تقرر «الغضب» الالهي مع «اللطف» الالهي في معرض ردها على استعجال منكري المعاد: اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ .

فعند ما يهددهم بالعذاب الشديد في موضع، يعدهم باللطف في موضع آخر، ذلك اللطف الواسع غير المحدود و لا يعجل في عقاب الجاهلين المغرورين.

ثم تطرح الآيه أحد مظاهر لطفه العام و هو الرزق، فتقول: يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ . و هذا لا يعنى أن هناك جماعه محرومون من رزقه، بل المقصود البسط في الرزق لمن يشاء، كما جاء في الآيه ٢٦ من سوره الرعد: اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ

و نقرأ في آيه قادمه في هذا السوره: وَ لَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ (١).

و واضح أن(الرزق)هنا يشمل الرزق المعنوى و المادى،و الجسمانى و الروحانى فعند ما يكون هو مصدر اللطف و الرزق،فلما ذا تتوجهون نحو الأصنام التى لا ترزق و لا تتلطف،لا تحل مشاكلكم.

و تقول الآيه فى نهايتها: وَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ .

و عند ما يعد الله تعالى عباده بالرزق و اللطف فهو قادر على إنجاز هذا الأمر، و لهذا السبب لا يوجد أى تخلف فى عوده أبدا.

و من الضرورى الانتباه إلى هذه الملاحظه و هى أن(لطيف)لها معنيان:الأول:

أنه صاحب اللطف و المحبه و الرحمه.و الثانى:علمه بجميع الأمور الصغيره و الخافيه،و بما أن رزق العباد يحتاج إلى الإحاطه و العلم بالجميع و فى أى مكان كانوا،سواء فى السماء أو فى الأرض،لذا فإن الآيه تشير فى البدايه إلى لطفه ثم إلى رزقه، كما أن القرآن يضيف فى الآيه(٦)من سوره هود و بعد أن يذكر: وَمِمَّا مِنْ دَائِبِهِ فِي الْمَأْرَضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا قَوْلُهُ: وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَ مُسْتَوْدَعَهَا .

و طبعا لا- يوجد أى تناقض بين هذين المعنيين،بل يكمل أحدهما الآخر، فاللطيف هو الشخص الذى يكون كاملا من حيث المعرفة و العلم،و من حيث اللطف و المحبه لعباده،و بما أن الخالق يعلم باحتياجات عباده بشكل جيد فانه يسد احتياجاتهم بأفضل وجه،لذا فهو الاجدر بهذا الاسم.

على آيه حال،فإن الآيه أعلاه أشارت إلى أربعه صفات من أوصاف الخالق:

اللطف،و الرزق،و القوه،و العزه،و هى أفضل دليل على مقام(ربوبيته)،لأن(الرب)يجب أن تتوفر فيه هذه الصفات.

ص: ٥٠١

الآية التي بعدها شبّهت أفراد العالم حيال رزق الخالق و كيفية الاستفادة منه بالمزارعين الذين يقوم قسم منهم بالزراعة للآخرة و القسم الآخر للدنيا، و تحدد عاقبه كلّ قسم منهم وفق تشبيه لطيف حيث تقول: مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (١).

إنه لتشبيه لطيف و كناية جميلة، فجميع الناس مزارعون، و هذه الدنيا مزرعه لنا، أعمالنا هي البذور، و الإمكانيات الإلهية هي المطر لهذه المزرعة، إلا أن هذه البذور تختلف كثيرا، فبعضها غير محدوده النتاج و أبدية، أشجارها دائمه الخضرة و مثمره و بعضها الآخر قليل النفع جدا، و تنتهى بسرعه، و تحمل ثمارا مرّه.

و فى الحقيقة، فإن عبارته (يريد) تشير إلى اختلاف الناس فى النيات، و مجموع هذه الآيه يعتبر توضيحا لما جاء فى الآيه السابقه من المواهب و الرزق الإلهي، فالبعض يستفيد من هذه المواهب على شكل بذور للآخرة، و البعض الآخر يستعملها للتمتع الدنيوى.

و الطريف فى الأمر أن الآيه تقول بخصوص الذين يزرعون للآخرة: نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ إِلَّا أَنهَا لَا تَقُولُ أَنَّهُ لَا يَصِيبُهُمْ شَيْءٌ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، و بالنسبه لمن يزرع للدنيا تقول: نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ .

و على هذا الأساس فلا- طلاب الدنيا يصلون إلى ما يريدون، و لا طلاب الآخرة يحرمون من الدنيا، و لكن مع الفارق، و هو أن المجموعه الأولى تذهب إلى الآخرة بأيد فارغه، و المجموعه الثانيه بأيد مملوءه.

و قد جاء ما يشبه نفس هذا المعنى فى الآيه ١٨ و ١٩ من سوره الإسراء، و لكن بشكل آخر:

ص: ٥٠٢

١ - ١) - مصطلح (حرت) كما يقول الراغب فى مفرداته: تعنى فى الأصل:رمى البذر فى الأرض و تهيئتها للزراعة، و فى القرآن الكريم استخدمت عدّه مرات بهذا المعنى، و لكن لا يعلم سبب اعتبار بعض المفسرين أنها تعنى (العمل و الكسب).

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصِيرُ فِيهَا مِزْمُومًا مِدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا .

عبارة نَزِدْ لَهُ فِي حَزْتِهِ تتلاءم مع ما ورد في آيات قرآنيه اخرى، مثل:

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْمَالِهَا

(١)

و لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ (٢) .

على أليه حال، فالآيه أعلاه صورته ناطقه تعكس التفكير الإسلامى بالنسبه الى الحياه الدنيا، الدنيا المطلوبه لذاتها، و الدنيا التى تعتبر مقدمه للعالم الآخر و مطلوبه لغيرها، فالإسلام ينظر إلى الدنيا على أنها مزرعه يقتطف ثمارها يوم القيامه.

و العبارات الوارده فى الروايات أو فى آيات قرآنيه اخرى تؤكد هذا المعنى.

فمثلا تشبیه الآيه (٢١٦) من سوره البقره المنفقين بالبذر الذى له سبعة سنابل، و فى كل سنبله مائه حبه، و أحيانا أكثر. و هذا نموذج لمن يبذر البذور للآخره.

و نقراً

فى حديث عن الرسول صلى الله عليه و اله و سلم. «و هل يكب الناس على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم» (٣) .

و

جاء فى حديث آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إن المال و البنين حرت الدنيا، و العمل الصالح حرت الآخره، و قد يجمعهما الله لأقوام» (٤) .

و يمكن أن نستفيد هذه الملاحظه من الآيه أعلاه، و هى أن الدنيا و الآخره تحتاجان إلى السعى، و لا يمكن نيلهما دون تعب و أذى، كما أن البذر و الثمر لا يخلوان من التعب و الأذى، لذا فالأفضل للإنسان أن يزرع شجره و يبذل جهده فى تربيتها، ليكون ثمرها حلو المذاق و دائماً و أبدياً، و ليست شجره تموت بسرعه و تفنى.

ص: ٥٠٣

١-١) - الأنعام، الآيه ١٦٠.

٢-٢) - فاطر، الآيه ٣٠.

٣-٣) - المحججه البيضاء، المجلد الخامس، ص ١٩٣ (كتاب آفات اللسان).



و ننهى هذا الكلام

بحديث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله و سلم حيث يقول: «من كانت نيتته الدنيا فرق الله عليه أمره، و جعل الفقر بين عينيه، و لم يأتته من الدنيا إلا ما كتب له، و من كانت نيتته الآخرة جمع الله شمله، و جعل غناه فى قلبه، و أتته الدنيا و هى راغمة» (١).

و ما هو مشهور بين العلماء أن

(الدنيا مزرعه الآخرة) فهو فى الحقيقة اقتباس من مجموع ما ذكرناه أعلاه.

ص: ٥٠٤

---

١-١) -مجمع البيان، نهايه الآيات التى نبهنا.



اشاره

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَ لَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١) تَرَى  
الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَ هُوَ وَقَعَ بِهِمْ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ  
هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢) ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى  
وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣)

سبب النزول

لقد ورد في تفسير مجمع البيان سبب نزول للآيات ٢٣ و حتى ٢٦ من هذه السوره أنه ذكر أبو حمزه الشمالى فى تفسيره حدثنى  
عثمان بن عمير عن سعيد بن جبیر عن عبد الله بن عباس أنّ رسول الله حين قدم المدينة و استحکم الإسلام قالت الأنصار فيما  
بينها: نأتى رسول الله فنقول له إن تعروك أمور فهذه أموالنا

تحكم فيها غير حرج ولا- محذور عليك فأتوه في ذلك فنزلت: قُلْ لَا أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ فقرأها عليهم و قال تودون قرابتي من بعدى فخرجوا من عنده مسليمين لقوله فقال المنافقون: إن هذا لشيء افتراه في مجلسه أراد بذلك أن يدلنا لقرابته من بعده، فنزلت: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ فَتْلَاهَا عَلَيْهِمْ فبكوا و اشتد عليهم فانزل الله: وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ الْآيَةَ، فَأَرْسَلْنَا فِي آثَرِهِمْ فَبَشَّرَهُمْ وَقَالَ: (و يستجيب الذين، آمنوا و هم الذين سلموا لقوله تعالى) (١).

## التفسير

## أشاره

### أجر الرساله في موده أهل البيت عليهم السلام

بما أن الآيه ١٣ من هذه السوره كانت تتحدث عن تشريع الدين من قبل الخالق بواسطه الأنبياء أولى العزم، لذا فإن أول آيه في هذا البحث- كاستمرار للموضوع- تقول في مجال نفى تشريع الآخرين، و أن جميع القوانين ليست معتبره قبال القانون الإلهي، و أن التقنين يختص بالخالق: أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ .

فهو خالق و مالك و مدبر عالم الوجود، و لهذا السبب تنفرد ذاته المنزهه بحق التقنين، و لا- يستطيع شخص أن يتدخل في تشريعاته دون إذن، لذا فكل شيء باطل قبال تشريعه.

و بعد ذلك يقوم القرآن بتهديد المشرعين بالباطل، حيث تقول الآيه: وَ لَوْ لَا- كَلِمَةُ الْفَضِيلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ حَيْثُ يَصْدُرُ الْأَمْرُ بَعْدَابِهِمْ.

و في نفس الوقت يجب عليهم أن لا ينسوا هذه الحقيقه و هي: وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .

ص: ٥٠٦

المقصود من (كلمه الفصل) هي المدّه المقرره المعطاه من قبل الخالق لمثل هؤلاء الأفراد، كى تكون لهم حريه العمل و تتم الحجه عليهم.

كما أن عباره (ظالمين) تتحدث عن المشركين الذين لهم عقائد منحرفه قبال القوانين الإلهيه و ذلك بسبب اتساع مفهوم الظلم، و إطلاقه على أى عمل ليس فى مورده.

و يظهر أن المقصود من (العذاب الأليم) هو عذاب يوم القيامه، لأن هذه عباره عاده ما تستخدم بهذا المعنى فى القرآن الكريم، و الآيه التى بعدها تشهد على هذه الحقيقه، و ما قاله بعض المفسرين (كالقرطبي) من أن ذلك يشمل عذاب الدنيا و الآخره مستبعد.

ثم تذكر الآيه بيانا مجملا حول (عذاب الظالمين) ثم بيانا مفصلا عن (جزاء المؤمنين)، فتقول: تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَ هُوَ وَقَعَ بِهِمْ . وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ .

«روضات» جمع (روضه) و تعنى المكان الذى يشتمل على الماء و الشجر الكثير، لذا فإن كلمه (روضه) تطلق على البساتين الخضراء، و نستفيد من هذه عباره بشكل واضح أن بساتين الجنه متفاوته، و المؤمنون من ذوى الأعمال الصالحه فى أفضل بساتين الجنه، و مفهوم هذا الكلام أنّ المؤمنين المذنبين سيدخلون الجنه بعد أن يشملهم العفو الإلهى بالرغم من أن مكانهم ليس فى (الروضات).

إلا أن الفضل الإلهى بخصوص المؤمنين ذوى الأعمال الصالحه لا ينتهى هنا، فسوف يشملهم اللطف الإلهى بحيث: لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ .

و لهذا الترتيب لا يوجد أى قياس بين (العمل) و (الجزاء)، بل إن جزاءهم غير محدود من جميع الجهات، لأن جمله: لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ تكشف عن هذه الحقيقه.

و الأجمال من ذلك عباره عِنْدَ رَبِّهِمْ حيث توضح اللطف الإلهى

اللامتناهى بشأنهم، و هل هناك فوز أكبر من أن يصلوا إلى قرب مقام الخالق؟ فكما يقول بخصوص الشهداء: بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، كذلك يقول بشأن المؤمنين ذوى الأعمال الصالحة: لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ .

و ليس غريبا أن تقول الآيه فى نهايتها: ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ .

و قد قلنا-مرارا-أنه لا يمكن شرح نعم الجنة من خلال الكلام، فنحن المكبلون بقيود عالم المادة، لا نستطيع أن ندرك المفاهيم التى تتضمنها جملة:

لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ

فما ذا يريد المؤمنون؟ و ما هى الألفاظ الموجودة فى جوار قربه تعالى؟! و عاده عند ما يقوم الخالق العظيم بوصف شىء ما بالفضل الكبير، فإن ذلك يكشف عن مقدار العظمة بحيث يكون أعظم من كل ما ن فكر به.

و بعبارة اخرى: سوف يصل الأمر بهؤلاء العباد الخالص أنه سيتوفر لهم كل ما يريدونه، يعنى سيظهر فى وجودهم شعاع من قدره الخالق الأزلي، أى إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١)، فهل هناك فضيله موهبه أعظم من هذه؟ و لبيان عظمه هذا الجزاء تقول الآيه التى بعدها: ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ .

يبشرهم حتى لا- تصعب عندهم آلام الطاعة و العبوديه و مجاهدته هوى النفس و الجهاد حيال أعداء الله، و يقوم هذا الجزاء العظيم بترغيبهم و يعطيهم القدره و الطاقة الكبيره لسلوك طرق الحياه المليئه بالصعوبات و المشاكل للوصول إلى رضا الخالق.

و قد يتوهم أن نبي الإسلام صلى الله عليه و اله و سلم يريد جزاء و اجرا على إبلاغ هذه الرساله، لذا فإن القرآن يأمر الرسول بعد هذا الكلام ليقول: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ أَى حَبّ اهل بيتى.

ص: ٥٠٨

و موده ذوى القربى و محبتهم- كما سيأتى بيانها بشكل مفصل- ترتبط بقضيه الولاية و قبول قياده الأئمه المعصومين عليهم السلام من آل الرسول حيث تعتبر فى الحقيقه استمرارا لقياده النبى صلى الله عليه و اله و سلم و استمرارا للولاية الإلهيه، و جلى أن قبول هذه الولاية و قياده كقبول نبوه النبى صلى الله عليه و اله و سلم ستكون سببا لسعاده البشريه نفسها و ستعود نتائجها إليها.

## توضيح

هناك بحوث متعدده و تفاسير مختلفه للمفسرين فى تفسير هذه الجملة، بحيث إذا ما نظرنا إليها بدون أى موقف مسبق نشاهد أنها ابتعدت عن المفهوم الأصلى للآيه بسبب الدوافع المختلفه، و ذكروا احتمالات لا- تتلاءم مع محتوى الآيه، و لا مع سبب نزولها، و لا مع سائر القرائن التاريخيه و الروائيه.

و بشكل عام هناك أربعة تفاسير معروفه للآيه:

١- هو ما قلناه أعلاه، حيث أن المقصود من ذوى القربى هم أقرباء الرسول صلى الله عليه و اله و سلم، و حُبهم يعتبر وسيله لقبول إمامه و قياده الأئمه المعصومين عليهم السلام من نسل الرسول صلى الله عليه و اله و سلم، و دعما لتطبيق الرساله.

و قد اختار هذا المعنى جمع من المفسرين الأوائل، و جميع المفسرين الشيعه، و وردت روايات كثيره من طرق الشيعه و السنه فى هذا المجال سنشير إليها لاحقا.

٢- المقصود هو أن جزاء الرساله و أجرها هو حب أمور معينه تقربكم من الله.

هذا التفسير الذى ذكره بعض مفسرى أهل السنه لا يتلاءم مع ظاهر الآيه أبدا، لأن معنى الآيه سيصبح هكذا: إننى أريد منكم أن تحبوا طاعه الخالق، و تودونه فى قلوبكم، فى حين أنه يجب أن يقال: إننى أريد منكم أن تطيعوا

الخالق،(و ليس موده الطاعه الإلهيه).

إضافه إلى ذلك فإنه لا- يوجد أحد بين المخاطبين فى الآيه لا- يرغب بالتقرب من الخالق،و حتى المشركين كانوا يرغبون بذلك،و كانوا يظنون أن عباده الأصنام تعتبر وسيله لهذا الأمر.

٣-المقصود حبّ أقرباءكم بعنوان أجر الرساله،أى بصله الرحم.و بملا-حظه هذه التفسير لا- يوجد أى ترابط بين الرساله و أجرها،لأنه ماذا يستفيد الرسول صلّى الله عليه و اله و سلّم من حبّ الشخص أقرباءه؟و كيف يمكن اعتبار هذا الأمر أجرا للرساله؟!٤-المقصود أن أجرى هو أن تحفظوا قرابتى منكم،و لا تؤذوننى،لأنى أرتبط برابطه القرابه مع أكثر قبائلكم(لأن الرسول صلّى الله عليه و اله و سلّم كان يرتبط بقبائل قريش نسبيا،و بالقبائل الأخرى سببيا(عن طرق الزواج)،و عن طريق أمه بعض أهالى المدينه من قبيله بنى النجار،و عن طريق مرضعته بقبيله بنى سعد).

هذه العبارة هى أسوأ تفسير مذكور للآيه،لأن طلب أجر الرساله هو من الأشخاص الذين آمنوا بها،و مع هؤلاء الأشخاص لا توجد حاجه إلى مثل هذا الكلام،فأولئك كانوا يحترمون النبى صلّى الله عليه و اله و سلّم لأنه مرسل إلهى،و لا توجد حاجه لاحترامه بسبب قرابته،لأن الاحترام الناشئ بسبب قبول الرساله فوق جميع هذه الأمور،و فى الواقع يجب اعتبار هذا التفسير من الأخطاء الكبيره التى أصابت بعض المفسرين و مسخت مفهوم الآيه بشكل كامل.

و لكى نفسه حقيقه محتوى الآيه بشكل أفضل،علينا طلب العون من الآيات القرآنيه الأخرى:

نقرأ فى العديد من آيات القرآن المجيد: ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١)﴾.

ص: ٥١٠

(١-١) -سوره الشعراء،الآيه ١٨٠،١٦٤،١٤٥،١٢٧،١٠٩.

و هناك عبارات مختلفه تخصّ الرّسول، فقد ورد في القرآن: قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ (١).

و في مكان آخر نقرأ: قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيَّ رَبَّهُ سَبِيلًا.

و أخيرا: قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٢).

و عند ما نضع هذه الآيات الثلاثه إلى جانب الآيه التي نبحثها، يسهل علينا الاستنتاج: ففي مكان تنفي الآيه الأجر و الجزاء بشكل كامل.

و في مكان آخر تقول الآيه: إنني أطلب الأجر من الأشخاص الذين يريدون سلوك الطريق إلى الخالق.

و بخصوص الآيه الثالثه فإنّها تقول: إنّ الأجر الذي أطلبه منكم إنّما هو لكم.

و أخيرا فإن الآيه التي نبحثها تضيف: إن مودّه القربى هي أجر رسالتي، يعني أن الأجر الذي طلبته منكم و يشمل هذه الخصوصيات: لا يعود نفعه إلّي أبدا، بل ينفعكم بالكامل، و يعبّد الطريق أمامكم للوصول إلى الخالق.

و على هذا الأساس، فهل تعنى الآيه شيئا آخر سوى قضيه استمرار خط رساله النّبي الكريم بواسطه القاده الإلهيين و خلفاء المعصومين الذين كانوا جميعهم من عائلته؟ لكن لأن الموده هي أساس هذا الارتباط نرى أن الآيه أشارت بصراحه إلى ذلك.

و الطريف في الأمر أن هناك خمس عشر موردا في القرآن المجيد-غير الذي ذكرنا- ذكر فيه كلمه (القربى) حيث أن جميعها تعنى الأقرباء، و مع هذا الوضع لا نعلم لماذا يصر البعض بحصر معنى كلمه القربى في (التقرب إلى الله) و يتركون المعنى الواضح و الظاهر المستخدم في جميع الآيات القرآنيه؟.

ص: ٥١١

١-١) -سبأ، الآيه ٤٧.

٢-٢) -سوره ص، الآيه ٨٦.

و من الضروري الإشارة إلى هذه الملاحظه، و هي أنه ورد في آخر الآيه:

وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ

و هل هناك حسنه أفضل من أن يكون الإنسان دائما تحت رايه القاده الإلهيين، يحبهم بقلبه، و يستمر على خطهم، يطلب منهم التوضيح للقضايا المبهمه في كلام الخالق، يعتبرهم القدوه و الأسوه و سيرتهم و عملهم هو المعيار.

### الروايات الواردة في تفسير هذه الآيه

الدليل الآخر على التفسير أعلاه هو الروايات المتعدده الوارده في مصادر أهل السنه و الشيعه، و المنقوله عن الرسول صلى الله عليه و اله و سلم، حيث توضح أن المقصود من (القربى) هم أهل البيت و المقربون و خاصه الرسول، و على سبيل المثال نذكر:

-1

ينقل (أحمد بن حنبل) في فضائل الصحابه بسنده عن سعيد بن جبير عن عامر: لما نزلت: قُلْ لَا أَشْتَكُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ قالوا: يا رسول الله! و من قرابتك؟ من هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: «على و فاطمه و ابناهما عليهم السلام، و قالها ثلاثا» (1).

-2

ورد في (مستدرك الصحيحين) أن الإمام على بن الحسين عليه السلام قال: عند استشهاد أمير المؤمنين الإمام على عليه السلام، وقف الحسن بن على عليه السلام يخطب في الناس، و كان ممّا قال: إنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم، فقال تبارك و تعالى لنبيه: قُلْ لَا أَشْتَكُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا فَاقْتَرَفِ الْحَسَنَةَ مودتنا أهل البيت (2).

ص: ٥١٢

١-١) -إحقاق الحق، المجلد الثالث، ص ٢، كما ذكر القرطبي: أيضا هذه الروايه في نهايه الآيه التي نبحتها المجلد الثامن، ص

٥٨٤٣.

٢-٢) -مستدرك الصحيحين، المجلد الثالث، ص ١٧٢، وقد نقل محب الدين الطبري نفس هذا الحديث في الذخائر ص

١٣٧، كما ذكر ابن حجر ذلك أيضا في الصواعق المحرقة، ص ١٠١.



ذكر (السيوطي) في (الدر المنثور) في نهايه الآيه التي نبحتها عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال في تفسير آيه: **قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** : أن تحفظوني في أهل بيتي و تودوهم بي (١).

و من هنا يتضح ضعف ما ينقل عن ابن عباس بطريق آخر من أن المقصود هو عدم إيذاء النبي صلى الله عليه و اله و سلم بسبب قرابته مع القبائل العربيه المختلفه.

٤- ينقل (ابن جرير الطبري) في تفسيره بسنده عن (سعيد بن جبير) و بسند آخر عن (عمر بن شعيب) أن المقصود من هذه الآيه هم قربي رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم (٢).

٥-

ينقل العلامة الطبرسي عن (شواهد التنزيل) للحاكم الحسكاني، الذي هو من المفسرين و المحدثين المعروفين لأهل السنه، عن (أبي أمامه الباهلي) أن رسول الإسلام صلى الله عليه و اله و سلم قال: «إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتى، و أنا و علي من شجره واحده، فأنا أصلها، و علي فرعها، و فاطمه لقاحها، و الحسن و الحسين ثمارها، و أشياعنا أوراقها- حتى قال- لو أن عبدا عبد الله بين الصفا و المروه ألف عام، ثم ألف عام، ثم ألف عام، حتى يصير كالشن البالي، ثم لم يدرك محبتنا كبه الله على منخريه في النار، ثم تلا: **قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**».

و الطريف في الأمر أن هذا الحديث اشتهر بدرجه بحيث أن الشاعر المعروف الكميّ أشار إلى ذلك في أشعاره، فقال:

وجدنا لكم في آل حاميم آيه

تأولها منا تقى و معرب (٣)

٦-

ينقل السيوطي أيضا في (الدر المنثور) عن ابن جرير عن أبي الديلم: عند ما تأسير على بن الحسين عليه السلام، و أوقفوه في بوابه دمشق، قال رجل من أهل الشام:

الحمد لله الذي قتلكم و استأصلكم.

ص: ٥١٣

١- ١) - الدر المنثور، نهايه الآيه التي نبحتها، المجلد السادس، ص ٧.

٢- ٢) - تفسير الطبري- المجلد ٢٥- ص ١٦ و ١٧.



قال علي بن الحسين عليه السلام: هل قرأت القرآن؟ قال: نعم قال: هل قرأت سور حم.

قال: لا.

قال: أ لم تقرا هذه الآيه: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى .

قال: أ أنتم الذين أشارت لهم هذه الآيه؟ قال: بلى (١).

٧-نقل (الزمخشري) حديثا في «تفسير الكشاف» وقد اقتبسه أيضا الفخر الرازي و القرطبي في تفسيرهما، حيث يوضح هذا الحديث مقام آل محمد و أهميه حبهم، فيقول:

قال رسول الله صَلَّى الله عليه و اله و سلم: من مات على حب آل محمّد مات شهيدا ألا و من مات على حب آل محمّد مات مغفورا له ألا و من مات على حب آل محمّد مات تائبا ألا و من مات على حب آل محمّد مات مؤمنا مستكمل الإيمان ألا و من مات على حب آل محمّد بشره ملك الموت بالجنه ثم منكر و نكير ألا و من مات على حب آل محمّد فتح له في قبره بابان إلى الجنه ألا و من مات على حب آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكه الرحمه ألا و من مات على حب آل محمّد مات على السنه و الجماعه ألا و من مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامه مكتوب بين عينيه آيس من رحمه الله ألا و من مات على بغض آل محمّد مات كافرا

ص: ٥١٤

و الطريف في الأمر أن (الفخر الرازي) بعد ذكر هذا الحديث الشريف الذي أرسله «صاحب الكشاف» إرسال المسلمات، يقول: «و أنا أقول: آل محمّد هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكل من كان أمرهم إليه أشد و أكمل كانوا هم الآل، و لا شك أن فاطمه و عليا الحسن و الحسين كان التعلق بينهم و بين رسول الله أشد التعلقات، و هذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل، و أيضا اختلف الناس في الآل فقليل هم الأقارب و قيل هم أمتهم فإن حملناه على القرابه فهم الآل و إن حملناه على الأمه الذين قبلوا دعوته فهم أيضا آل، فثبت أن على جميع التقديرات هم الآل، و أما غيرهم فيدخلون تحت لفظ الآل؟ فمختلف فيه.

و

روى فيه صاحب الكشاف أنه لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال على و فاطمه و ابناهما فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبي، و إذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم و يدل عليه وجوه:

الأول: قوله تعالى: **إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** و وجه الاستدلال به ما سبق.

الثاني: لا شك أن النبي صلى الله عليه و اله و سلم كان يحب فاطمه و

قال (فاطمه بضعه مني يؤذيني ما يؤذيها) و ثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم أنه كان يحب عليا و الحسن و الحسين و إذا ثبت ذلك وجب على كل الأمه مثله لقوله: **وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** و لقوله تعالى: **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ** و لقوله: **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** و لقوله سبحانه: **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**.

الثالث: أن الدعاء للآل منصب عظيم و لذلك جعل هذا الدعاء خاتمه التشهد

ص: ٥١٥

١ - ١) - تفسير الكشاف، المجلد الرابع، ص ٢٢٠ و ٢٢١، تفسير الفخر الرازي، المجلد ٢٧، ص ١٦٥ و ١٦٦، تفسير القرطبي، المجلد الثامن، ص ٥٨٤٣، تفسير الثعلبي، نهايه الآيه التي نبحتها عن جليل بن عبد الله البجلي (وفقا لنقل المراجعات رساله رقم ١٩).

فى الصلاة و هو قوله اللهم صل على محمد و على آل محمد و أرحم محمدًا و آل محمدًا. و هذا التعظيم لم يوجد فى حق غير الآل، فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب.

و قال الشافعى رضى الله عنه:

يا راكبا قف بالمحصب من منى

و اهتف بساكن خيفها و الناهض

سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى

فيضا كما نظم الفرات الفاض

إن كان رفضا حب آل محمد

فليشهد الثقلان أنى رافضى (1)

نعم فهذا مقام آل محمد الذين تمسك بهم و تؤمن بهم كقاده لنا، و سراج لدينا و ديانا، و نعتبرهم أسوه و قدوه لنا، و نرى أن استمرار خط النبوه فى إمامتهم.

و طبعاً، فإن هناك روايات كثيرة اخرى غير التى ذكرناها أعلاه، فى المصادر الإسلاميه، و قد اكتفينا بسبع روايات مراعاة للاختصار، و لكن لا بأس من ذكر هذه الملاحظه، و هى أنه فى بعض المصادر الكلاميه كإحقاق الحق و شرحه المبسوط، و ورد الحديث المعروف أعلاه بشأن تفسير الآيه: **قُلْ لَا أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا المَوَدَّةَ فى القُرْبى** منقولاً عن خمسين كتاباً تقريباً من كتب أهل السنه، حيث يبين هذا الأمر مدى انتشار هذه الروايه و اشتهاها، بغض النظر عن المصادر الكثيره التى تنقل هذا الحديث عن طريق أهل البيت عليهم السلام.

**بحوث**

**اشاره**

**١- كلام مع المفسر المعروف (الآلوسى)**

**اشاره**

فى هذا المجال يطرح سؤال ذكره الآلوسى فى تفسير روح المعانى بشكل اعتراض على الشيعه، و نحن نذكر ذلك على شكل سؤال و نقوم بمناقشته: يقول:



«و من الشيعة من أورد الآيه في مقام الاستدلال على إمامه على كرم الله تعالى وجهه قال: على كرم الله تعالى وجهه، واجب المحبه و كل واجب المحبه واجب الطاعة و كل واجب الطاعة صاحب الإمامه، ينتج، على رضى الله عنه صاحب الإمامه و جعلوا الآيه دليل الصغرى، و لا يخفى ما فى كلامهم هذا من البحث أما أولاً: فلأن الاستدلال بالآيه على الصغرى لا يتم إلا على القول بأن معناها لا- أسألکم عليه أجرا إلا- أن تودوا قرابتي و تحبوا أهل بيتي و قد ذهب الجمهور إلى المعنى الأول و قيل فى هذا المعنى: إنه لا- يناسب شأن النبوه لما فيه من التهمه فإن أكثر طلبه الدنيا يفعلون شيئا و يسألون عليه ما يكون فيه نفع لأولادهم و قراباتهم و أيضا فيه منافاه لقوله تعالى: **وَمَا تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَّ أَمَّا ثَانِيًا: فَلَأَنَّا لَا نَسْلَمُ أَن كُلِّ وَاجِبِ الْمَحَبَةِ وَاجِبِ الطَّاعَةِ فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ بَابُوِيَه فِي كِتَابِ الْإِعْتِقَادَاتِ أَنَّ الْإِمَامِيَةَ اجْمَعُوا عَلَى وَجُوبِ مَحَبَةِ الْعُلُوِيَةِ مَعَ أَنَّهُ لَا يَجِبُ طَاعَهُ كُلِّ مِنْهُمْ.**

و أمّا ثالثاً: فلا- لا- نسلم إن كل واجب الطاعة صاحب الإمامه أى الزعامه الكبرى و إلا لكان كل نبي فى زمنه صاحب ذلك و نص: **إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَوَّالَاتٍ مَلِكًا يُبَى ذَلِكُ وَّ أَمَّا رَابِعًا: فَلَأَنَّهُ تَقْتَضِي أَنَّ تَكُونَ الصَّغْرَى أَهْلَ الْبَيْتِ وَاجِبِ الطَّاعَةِ و متى كانت هذه صغرى قياسهم لا ينتج النتيجة التى ذكروها و لو سلمت جميع مقدماته، بل ينتج أهل البيت صاحبوا الإمامه و هم لا يقولون بعمومه...» (١).**

### تحليل و مناقشه:

يمكن توضيح جواب العديد من هذه الإشكالات إذا راجعنا تصورنا لهذه

ص: ٥١٧

الآيه-التي نبحتها-وفقا للقرائن المتعدده القويه الموجوده فى نفس هذه الآيه، و سائر الآيات القرآنيه الأخرى:

قلنا: إن هذه المحبه ليست أمرا عاديا، بل هى جزاء للنبوّه و أجرا للرساله، و لا- بد أن يكون الأجر و الثمن مساويا للمثمن، حتى يمكن اعتباره جزاء له.

من جانب ثان فإن الآيات القرآنيه تؤكّد أنّ نفع هذه المحبه ليس شيئا يعود إلى النبيّ صلّى الله عليه و اله و سلّم، بل ان حاصل ذلك يعود إلى المؤمنين أنفسهم، أو بعباره اخرى يعتبر أمرا معنويا يؤثر فى هدايه المسلمين و تكاملهم.

و بهذا الترتيب فبالرغم من أنّه لا يستفاد من الآيه سوى وجوب المحبه، إلاّ أن وجوب المحبه هذه-بمراعه القرائن المذكوره-لها علاقته بقضيه الإمامه التى تعتبر السند لمقام النبوه و الرساله.

و مع هذا التوضيح المختصر سنقوم ببحث الإشكالات أعلاه:

١- يجب القول أنّ بعض الترسبات الذهنيه و اتخاذ المواقف المسبقه كانت سببا لعدم تفسير بعض المفسّرين للآيه بموده أهل البيت، فمثلا- فسّر بعضهم (القربى) لمعنى (التقرب من الخالق) فى حين أنّها وردت بمعنى الأقرباء فى جميع الآيات القرآنيه التى تحتوى على هذه الكلمه.

أو أنّ البعض فسّر ذلك بمعنى قرابه النبيّ مع سائر القبائل العربيه، فى حين أن هذا التفسير يخل بنظام الآيه بشكل كامل، فأجر الرساله يطلب من الذين قبلوا تلك الرساله، فهل توجد حاجه للاهتمام بالقرابه و غض النظر عن الأذى لمن آمن برساله الرسول صلّى الله عليه و اله و سلّم؟ إضافه إلى ذلك، لماذا نترك الروايات المتعدده التى تفسّر الآيه بولايه أهل بيت النبيّ؟ لذا يجب الاعتراف بأنّ هذه المجموعه من المفسّرين لم يفسروا الآيه بأذهان خاليه من المواقف المسبقه، و إلاّ فإنه لا يوجد موضوع معقد ضمنها.



و من هنا يتوضح أن طلب مثل هذا الأجر لا يتعارض، لا مع منزله النبوه، و لا يشبه تقاليد اصحاب الدنيا، و يتناسق بشكل كامل مع الآيه (١٠٤) من سوره يوسف التى تنفى أى نوع من الأ-جر، لأن أجر موده أهل البيت فى الحقيقه-لا- يستفيد منه النبى، بل إن المسلمين هم الذين يستفيدون منه.

٢-صحيح أن وجوب المحبه العاديه لا- تكون دليلا- أبدا على وجوب الطاعه، لكن عند ما تكون هذه المحبه بمستوى الرساله، عندها سنتيقن بأنّها تشمل وجوب الطاعه، و من هنا يتّضح أن قول ابن بابويه (الشيخ الصدوق) لا يتعارض مع ما قلناه.

٣-صحيح أن أى طاعه واجبه لا يكون دليلا على منزله الإمامه و الزعامه الكبرى، و لكن يجب الانتباه إلى أن وجوب الطاعه التى هى أجر للرساله بما يناسب مقامها لا يمكن أن يكون شيئا سوى الإمامه.

٤-الإمام-بمعنى القائد-لا يمكن أن يكون أكثر من واحد فى أى عصر، و بناء على ذلك فإنّه لا يوجد أى معنى إمامه أئمّه أهل البيت عليهم السّلام جميعهم، إضافة لذلك يجب الاستفاده من دور الروايات فى هذا المجال لفهم معنى الآيه.

و الملفت للنظر أن الألوسى نفسه يهتم كثيرا بموده أهل البيت، و يقول فى بضع سطور قبل هذا البحث:

«و الحق وجوب محبه قرابته عليه الصلاه و السلام من حيث أنّهم قرابته... و كلما كانت جهه القرابه أقوى كان طلب المودّه أشدّ... و آثار تلك الموده التعظيم و الاحترام و القيام بأداء الحقوق أتمّ قيام و قد تهاون كثير من الناس بذلك حتى عدوا من الرفض السلوك فى هاتيك المسالك. و أنا أقول قول الشافعى الشافى:

يا راكبا قف بالمحصّب من منى

و اهتف بساكن خيفها و الناهض

سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى

فيضا كملتطم الفرات الفانض

إن كان رفضا حب آل محمّد

فليشهد الثقلان أنى رافضى

و مع هذا لا أعتقد الخروج عما يعتقدّه أكابر أهل السنه فى الصحابه رضى الله تعالى عنهم ديناً، و أرى حتّهم فرضاً على مبينا، فقد أوجبه الشارع و قامت على ذلك البراهين السواطع» (١).

## ٢- سفينه النجاه

ذكر الفخر الرازى فى نهايه هذا البحث ملاحظه، كما ذكرها الآلوسى أيضاً فى روح المعانى بعنوان (ملاحظه لطيفه) و ذلك نقلاً عن الفخر الرازى، حيث يعتقد أن بعض التناقضات ستزول من خلال هذه الملاحظه هى:

إن الرسول الأكرم قال من جانب: «مثل أهل بيتى كمثّل سفينه نوح من ركب فيها نجى» و من جانب آخر قال: أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم.

فنحن الآن تائهون فى بحر التكليف، و أمواج الشبهات و الشهوات تعصف بنا من كلّ جانب، و من يريد أن يعبر هذا البحر يحتاج إلى شيئين:

الأول: السفينه الخاليه من أى عيب أو نقص.

و الثانى: النجوم المتألهه التى توضح الطريق.

فعند ما يركب الإنسان فى السفينه و تراقب عيناه النجوم الوضاءه، عندها سيكون هناك أمل بالنجاه. و بالمثل فأى واحد من أبناء السنه عند ما يركب فى سفينه حب آل محمّد و ينظر إلى الأصحاب (النجوم) عندها سيكون هناك أمل بأن يوصله الخالق جل و علا إلى السعاده و السلامه فى الدنيا و الآخره (٢).

و كلنا نقول أن هذا التشبيه الشعارى ليس دقيقاً بالرغم من جماله، لأن سفينه نوح كانت مركب النجاه فى ذلك اليوم، عند ما غطت الأمواج العاصفه و المياه كل

ص: ٥٢٠

١- (١) - تفسير روح المعانى، ج ٢٥، ص ٣٢.

٢- (٢) - تفسير الفخر الرازى، المجلد ٢٧، ص ١٦٧.

العالم، و كانت فى حركة دائبه، و لىست مثل السفن العاديه التى لها مرفأ تتجه إليه مقتديه بالنجوم.

لقد كان الهدف السفينه نفسها، و النجاه من الغرق، حتى غاظ الماء و استوت على الجودى.

إضافه إلى ذلك فإن بعض الروايات الوارده فى كتب أهل السنه تنقل

عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله و سلم أنه قال: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق و أهل بيتى أمان لأمتى من الاختلاف فى الدين» (١).

### ٣- تفسير «و من يقترف حسنه...»

«اقترف» فى جمله: وَ مِمَّنْ يَقْتَرِفُ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسِينًا مأخوذه فى الأصل من (قرف) على وزن (حرف) و تعنى قطع القشره الإضافيه من الشجره، أو من الجروح الحاصله، حيث تكون أحيانا علامه على شفاء الجرح و تحسنه، هذه الكلمه استخدمت فيما بعد فى الاكتساب سواء كان حسنا أو سيئا.

و لكن كما يقول الراغب- فإن هذا المصطلح استخدم فى السيئات أكثر مما هو فى الحسنات (بالرغم من أن الآيه التى نبحتها استخدمته فى الحسنات). لذلك فإن هناك مثل معروف يقول: الاعتراف يزيل الاقتراف.

و الطريف فى الأمر أن بعض التفاسير تنقل عن ابن عباس و (السد) أن المقصود من (اقتراف الحسنه) فى الآيه الشريفه هو موده آل محمد (٢).

و

جاء فى حديث ذكرناه سابقا عن الإمام الحسن بن على عليه السلام: «اقتراف الحسنه مودتنا أهل البيت».

ص: ٥٢١

١- ١) -نقل (الحاكم) هذا الحديث عن ابن عباس فى المجلد الثالث (المستدرک) ص ١٤٩، ثم يقول: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

٢- ٢) -مجمع البيان- نهايه الآيات التى نبحتها، و تفسير الصافى و القرطبى.

و واضح أنّ المقصود من هذه التفاسير أن معنى اكتساب الحسنه لا يتحدد بموّدَه أهل البيت عليهم السّلام، بل له معنى أوسع و أشمل و لكن بما أن هذه الجملة وردت بعد قضيه موّدَه ذى القربى، لذا فإن أوضح مصداق لاكتساب الحسنه هو هذه الموّدَه.

#### ٤-مكان نزول هذه الآيات

هذه السوره (سوره الشورى) من السور المكيه، كما قلنا فى البدايه، إلّا أن بعض المفسّرين يعتقدون أن هذه الآيات الأربع (٢٣-٢٦) نزلت فى المدينه، و سبب النزول الذى ذكرناه فى بدايه تفسير هذه الآيات يشهد على هذا المعنى.

و أيضا فإنّ الروايات التى تفسر أهل البيت بعلى و فاطمه و ابنيهما الإمام الحسن و الحسين عليهما السلام تناسب هذا المعنى، لأننا نعلم أن زواج على من سيده النساء عليهما السلام تمّ فى المدينه، و ولاده الحسن و الحسين عليهما السلام كانتا فى العام الثّالث و الرابع الهجرى على ما رواه المؤرخون.

ص: ٥٢٢

اشاره

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤) وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥) وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٢٦)

التفسير

اشاره

يقبل التوبه عن عباده:

هذه الآيات تعتبر استمرارا للآيات السابقه فى موضوع الرساله و أجرها، و موده ذوى القربى و أهل البيت عليهم السلام.

فأول آيه تقول: إن هؤلاء القوم لا يقبلون الوحي الإلهي، بل: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا و هذا الاعتقاد وليد أفكارهم حيث ينسبونه إلى الخالق.

فى حين: فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ و يجر دك من قابليه إظهار هذه الآيات.

و فى الحقيقه، فإن هذا الأمر إشاره إلى الاستدلال المنطقى المعروف، و هو أنه إذا ادعى شخص النبوه، و جاء بالآيات البيّنات و المعاجز، و شمله النصر الإلهى، فلو كذب على الخالق فإن الحكمة الإلهيه تقتضى سحب المعاجز منه و فضحه و عدم حمايته، كما ورد فى الآيات (٤٤) إلى (٤٦) من سوره الحاقه: **وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ .**

و قد ذكر بعض المفسرين احتمالات اخرى فى تفسير هذه الجملة، إلا أن ما قلناه أعلاه هو أفضل و أوضح التفاسير كما يظهر.

و نلاحظ أيضا أن إحدى التهم التى نسبها الكفار و المشركون إلى الرسول صلى الله عليه و اله و سلم هى أنه يعتبر أجر الرساله فى مودّه أهل بيته و أنه يكذب على الخالق فى هذا الأمر: (جاء ذلك وفقا للبحث فى الآيات السابقه) إلا أن الآيه أعلاه نفت هذه التهمه عنه صلى الله عليه و اله و سلم.

و لكن بالرغم من هذا، فإن مفهوم الآيه لا يختص بهذا المعنى، فأعداء الرسول كانوا يتهمونه بهذه التهمه فى كلّ القرآن و الوحي كما تقول الآيات القرآنيه الأخرى، حيث نقرأ فى الآيه (٣٨) من سوره يونس: **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ .**

و ورد نفس هذا المعنى باختلاف بسيط فى الآيات (١٣) و (٣٥) من سوره هود، و قسم آخر من الآيات القرآنيه، حيث أن هذه الآيات دليل لما انتخبناه من تفسير للآيه أعلاه.

ثم تقول الآيه لتأكيد هذا الموضوع: **وَ يَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَ يُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ (١).**

فهذه هى مسئوليّه الخالق فى توضيح الحق و فضح الباطل وفقا لحكمته، و إلا

ص: ٥٢٤

---

١ - ١) - لا- حظوا أن «يمح» هى فى الأصل كانت (يمحو) حيث سقطت الواو لأن الرسم القرآنى -عاده- هكذا، مثل **وَ يَذْعُ الذُّنُوبَ** **بِالشَّرِّ (الإسراء- ١١) و سَيَذْعُ الذُّبَابِيَّةَ (العلق- ١٨)،** إلا- أنه وفقا للرسم الحديث فإن الواو تذكر فى جميع هذه الكلمات، إلا أنها تحذف فى القرآن غالبا.

فكيف يسمح لشخص بالكذب عليه و في نفس الوقت ينصره و يظهر على يديه المعاجز؟ كما أن من الاخطاء الكبيره أن يتصور البعض قيام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بهذا العمل مخفياً ذلك عن علم الخالق: إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ .

و كما قلنا في تفسير الآيه ٣٨ من سوره فاطر، فإنّ (ذات) لا- تعنى في اللغة العربيه عين الأشياء و حقيقتها، بل هو مصطلح من قبل الفلاسفه (١)، حيث أن ذات تعنى - (الصاحب)، عندها سيكون مفهوم جمله: إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ إن الخالق عليم بالأفكار و العقائد المسيطره على القلوب، و كأنما هي صاحبه هذا القلب و مالكته.

و هذه إشاره لطيفه إلى استقرار الأفكار و حاكميتها على قلوب و أرواح الناس (فدقق في ذلك).

و بما أن الخالق يبقى طريق الرجعه مفتوحا أمام العباد، لذا فإن الآيات القرآنيه بعد ذم أعمال المشركين و المذنبين القبيحه تشير إلى أن الأبواب التوبه مفتوحه دائماً: و لذا تقول الآيه محل البحث: وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَ يَغْفِرُ عَنِ السَّيِّئَاتِ .

إلا أنكم إذا تظاهرتم بالتوبه و أخفيتم أعمالا اخرى، فلا تتصوروا أن ذلك يخفى عن علم الخالق، لأنه: وَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ .

و قلنا في سبب النزول الذي ذكرناه في بدايه الآيات السابقه، أنه بعد نزول آيه الموده، قال بعض المنافقين و ضعفاء الإيمان: إن هذا الكلام افتراه محمّد على الخالق، و يريد به أن يدلنا بعده لأقربائه، عندها نزلت آيه: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا رَدًّا عَلَيْهِمْ، و عند ما علموا بنزول هذه الآيه تندم بعضهم و بكى و بات قلق البال، في ذلك الوقت نزلت الآيه: وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ... و بشرتهم بغفران

ص: ٥٢٥

(١-١) - راجع مفردات الراغب.

الذنب إذا تابوا إلى الله توبه نصوحا.

أمّا آخر آيه فتوضح الجزاء العظيم للمؤمنين، والعذاب الأليم للكافرين فى جمل قصيره فتقول: إنّ الله تعالى يستجيب لدعاء المؤمنين و طلباتهم: وَ يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ . بل: وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ سَوْفَ يُعْطِيهِمْ مَا لَمْ يَطْلُبُوا. وَ الْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ .

و قد تمّ ذكر تفاسير مختلفه لأمر الذى سيستجيبه من المؤمنين، حيث أن بعض المفسرين حدد ذلك فى طلبات معينه، منها:

أنه سيستجيب دعاء المؤمنين أحدهم للآخر.

و منها أنه سيقبل عباداتهم و طاعاتهم.

و منها أن ذلك مختص بشفاعتهم لإخوانهم.

و لكن لا يوجد أى دليل على هذا التحديد، حيث أن الخالق سيستجيب أى طلب للمؤمنين الذين يعملون الصالحات و الأكثر من ذلك فإنه سيهبهم من فضله أموراً قد لا تخطر على بالهم و لم يطلبوها، و هذا غاية اللطف و الرحمة الإلهيه بخصوص المؤمنين.

و

ورد فى حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام عن الرسول الأكرم صلّى الله عليه و اله و سلّم فى تفسير:

وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ

:«الشفاعة لمن وجبت له النار ممن أحسن إليهم فى الدنيا» (١).

و لا يعنى هذا الحديث العظيم فى معناه اقتصار الفضل الإلهى بهذا الأمر فحسب، بل يعتبر أحد مصاديقه الواضحه.

ص: ٥٢٦

١- ١) -تفسير «مجمع البيان» نهايه الآيات التى نبحتها.



اشاره

وَ لَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧) وَ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الغَيْثَ مِنْ بَعْدِ  
مَّا قَنَطُوا وَ يَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَ هُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨) وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَكَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَّا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَأْبِهِ وَ هُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ  
إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩) وَ مَّا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ (٣٠) وَ مَّا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ مَّا لَكُمْ  
مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ (٣١)

سبب النزول

نقل عن الصحابي المعروف (خباب بن الأثرث) أن الآيه الأولى: وَ لَوْ بَسَطَ... نزلت فينا، و ذلك بسبب أننا كنا ننظر إلى الأموال  
الكثيره لبنى قريظه و بنى النظير و بنى القينقاع من اليهود، و كنا نرغب بامتلاكنا لمثل هذه الأموال، إلا- أن هذه الآيه نزلت و  
حذرتنا من أن الخالق لو بسط لنا فى الرزق فسوف نطغى (١).

ص: ٥٢٧

١- ١) - تفسير الفخر الرازى، تفسير أبو الفتوح الرازى، و تفسير القرطبي (نهايه الآيه التى نبحتها).

و فى تفسير (الدر المنثور) ورد حديث آخر، و هو أن هذه الآيه نزلت فى أهل الصفة، لأنهم كانوا يأملون بتحسّن وضع دنياهم (١).

و هناك تفصيل فى نهايه الآيات بخصوص أصحاب الصفة و من هم؟

## التفسير

### إشاره

### المترفون الباغون:

قد يكون ارتباط هذه الآيات بالآيات السابقه بلحاظ ما ورد فى آخر آيه من الآيات السابقه من أن الخالق يستجيب دعوه المؤمنين، و فى أعقاب ذلك يطرح هذا السؤال: لماذا نرى البعض منهم فقراء، و لا ينالون ما يرغبونه مهما يدعون؟ تقول الآيه: وَ لَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَ لَكِنْ نُنزِّلُ بَقْدَرٍ مَا يَشَاءُ .

و بهذا الترتيب فإنّ تقسيم الأرزاق يقوم على حساب دقيق من قبل الخالق تجاه عباده، و هذا يحدث بسبب: إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ .

فهو يعلم بمقدار استيعاب أى شخص فيعطيه الرزق وفقا لمصلحته، فلا يعطيه كثيرا لئلا يطغى، و لا قليلا لئلا يستغيث من الفقر.

و جاء ما يشبه هذا المعنى فى الآيه (٦) و (٧) من سوره العلق: إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنٌ كَفِيرٌ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى .

و هو حقًا كذلك، فالبحث فى أحوال الناس يدل على هذه الحقيقه الصادقه، و أنه عند ما تقبل الدنيا عليهم و يعيشون فى رفاهيه وسعه، ينسون الخالق و يتعدون عنه و يغرقون فى بحر الشهوات، و يفعلون ما لا ينبغى فعله، و يشيعون الظلم و الجور و الفساد فى الأرض.

و فى تفسير آخر عن (ابن عباس) فى هذه الآيه ورد أن المقصود من (البعى)

ص: ٥٢٨

ليس الظلم و الجور، وإنما (بغى) تعنى (طلب) أى يكون معنى الآية أنهم يطلبون أكثر و لا يشبعون.

إلا- أن التفسير الأول مقبول من قبل عدّه مفسّرين و هو الأفضل كما يظهر، لأن عبارته: يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ وردت عدة مرات فى الآيات القرآنيه بمعنى الفساد و الظلم فى الأرض، مثل: فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ (١) و إِنَّمَّا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ (٢).

صحيح أن (بغى) وردت بمعنى (طلب) أيضا، إلا أنها متى ما تذكر مع كلمه (فى الأرض) فإنها تعنى الفساد و الظلم فى الأرض.

## و هنا يطرح سؤالان:

الأول: لو كان تقسيم الأرزاق وفق هذا البرنامج، فلما ذا إذن نرى أشخاصا لهم رزق و فير و قد أفسدوا و طغوا كثيرا فى الدنيا و لم يمنعهم الخالق، سواء على مستوى الأفراد، أو الدول الناهبه و الظالمه؟ و فى الجواب على هذا السؤال يجب الانتباه إلى هذه الملاحظه، و هى أن بسط الرزق أحيانا قد يكون أسلوبا للامتحان و الاختبار، لأن جميع الناس يجب أن يختبروا فى هذا العالم، فقسم منهم يختبرون بواسطه المال.

و أحيانا قد يكون بسط الرزق لبعض الافراد لكى يعلموا بأن الثروه لا تجلب السعاده، فعسى أن يعثروا على الطريق و يرجعوا إلى خالقهم، و نحن الامن نرى بعض المجتمعات غرقى بأنواع النعم و الثروات، و فى نفس الوقت شملتهم مختلف المصائب و المشاكل، كالخوف، و القتل، و التلوث الخلقى، و القلق بأنواعه المختلفه.

فأحيانا تكون الثروه غير المحدوده نوعا من العقاب الإلهى الذى يشمل

ص: ٥٢٩

١- ١) - يونس، الآية ٢٣.

٢- ٢) - آيه ٤٢ من نفس هذه السوره.

بعض الناس، فإذا نظرنا إلى حياتهم من بعيد نراها جميله، أما إذا تفحصناها عن قرب فسوف نشاهد التاسعه بأدنى حالاتها، وفي هذا المجال هناك قصص عديده لسلطين الثروه فى الدنيا، حيث يطول بنا المقام لو أردنا سردها.

السؤال الآخر هو: ألا- يعنى هذا الكلام أنه متى ما كان الإنسان فقيراً فلا- ينبغى له السعى للتوسع فى الرزق، لأن الخالق جعل مصلحته فى هذا الفقر؟ وللجواب على هذا السؤال نقول: إنه قد تكون قله الرزق بسبب كسل الإنسان و تهاونه أحياناً، فهذا النقص والحرمان ليس ما يريد الله حتماً، بل بسبب أعماله، والإسلام يدعو الجميع إلى الجهد و الجهاد و المثابره وفقاً لتأكيده على أصل السعى و بذل الجهد الذى يشير إليه القرآن فى آيات عديده، و سنه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ أٰلِهِ وَسَلَّمَ و الاثمه الأطهار عليهم السلام.

و لكن عند ما يبذل الإنسان منتهى جهده، و رغم ذلك تغلق الأبواب فى وجهه، عليه أن يعلم بأن هناك مصلحه معينه فى هذا الأمر، فلا يجزع، و لا ييأس، و لا ينطق بالكفر، و يستمر فى محاولاته و يستسلم لرضا الخالق أيضاً.

و تجدر الإشارة إلى هذه الملاحظه و هى أن كلمه (عباده) لا تتعارض أبداً مع الطغيان عند بسط الرزق، لأن هذه العبارة تستخدم فى الأفراد الصالحين و السيئين و المتوسطى الحال، مثل: قُلْ يَا عِبَادِى الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ .

صحيح أن الخالق ينزل الرزق بقدر حتى لا يطغى العباد، إلا أنه لا يمنعهم أو يحرمهم، لذا فإن الآيه التى بعدها تقول: وَ هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَ يَنشُرُ رَحْمَتَهُ .

ولماذا لا يكون هذا: وَ هُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ؟ هذه الآيه تتحدث عن آيات و علائم التوحيد فى نفس الوقت الذى تبين فيه نعمه و لطف الخالق، لأن نزول المطر يشتمل على نظام دقيق للغاية و محسوب،

فعد ما تشرق الشمس على المحيطات تفصل ذرات الماء الدقيقه عن الأملاح و ترسلها على شكل سحب إلى السماء، ثم تقوم طبقات الجو العليا الباردة بتكثيفها، ثم تحملها الرياح إلى الأراضي اليابسه، ثم تتحول أخيرا إلى قطرات مطر بسبب بروده الهواء و ضغطه الخاص و تهطل على الأرض، و تنفذ فيها دون تخريب.

نعم، فلو دققنا النظر في هذا النظام، فسندجد علائم قدره الخالق و علمه متجليه فيه، فهو الولي الحميد الذي يقوم بتأمين كل حاجات العباد و تشملهم أطفاه العديده.

و لا بدّ القول أن كلمه (غيث) تعنى المطر النافع، كما يقول العديد من المفسرين و بعض علماء اللغه، في حين أن (المطر) يطلق على جميع الأنواع الأخرى النافعه و الضاره.

لذا، فبعد تلك الجملة وردت عبارته: **وَ يُنْشِرُ رَحْمَتَهُ**.

يا له من تعبير لطيف و شامل! فهو ينشر رحمته لإحياء الأراضي الميتة، و نمو النباتات و تنظيف الهواء، و تأمين ماء الشرب للإنسان و باقى الكائنات الحيه، و الخلاصه في جميع المجالات.

فلو أراد الإنسان أن يدرك مفهوم هذه الجملة القرآنيه، فإنّ عليه أن يتوجه نحو الجبال و السهول بعد نزول المطر و عند ما تشرق الشمس، كي يشاهد الجمال و اللطافه و رحمه الخالق الواسعه و هى تعمر كل مكان.

و قد تكوه الاستفاده من كلمه (غيث) بسبب أن لها جذورا مشتركه مع (غوث) المأخوذه من الإغاثه، و لهذا السبب فإن بعض المفسرين اعتبر الكلمه أعلاه إشاره إلى أى إغاثه من قبل الخالق بعد اليأس و نشر رحمته (1).

و لهذه المناسبه—أيضا—فإن الآيه التى بعدها تتحدث عن أهم آيات علم

ص: ٥٣١

١-١) -يقول الراغب فى مفرداته: الغوث يقال فى النصره، و الغيث فى المطر.

وقدره الخالق، حيث تقول: وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ .

فالسّموات بعظمتها، بمجراتها و كواكبها، بملايين الملايين من النجوم العظيمة اللامعه، بنظامها الدقيق الذى يبهت الإنسان عند مطالعته لها. و الأرض بمنابعها الحياتيه و نباتاتها المتنوعه و لورود و الفواكه بمختلف البركات و المواهب و الجمال! كلها تعتبر آيات و علائم تدل عليه... هذا من جانب.

و من جانب آخر فالأحياء فى الأرض و السماء، كأنواع الطيور، و مئات الآلاف من الحشرات، و أنواع الحيوانات الأليفه و المتوحشه، و الزواحف، و الأسماك بأنواعها و أحجامها، و العجائب المختلفه الموجوده فى كلّ نوع من هذه الأنواع، و الأهم من ذلك حقيقه (الحياه) و أسرارها التى لم يستطع أحد التوصل إلى كنهها بعد آلاف السنين من البحوث لملايين العلماء، كلّ ذلك هو من آيات الخالق.

و الملفت للنظر أن (دابه) تشمل الكائنات الحيه المجهرية التى لها حركات لطيفه و عجيبه، و تشمل الحيوانات الكبيره العملاقه التى يصل طولها إلى عشرات الأمتار و وزنها إلى عشرات الأطنان، فكل صنف يسبح على طريقته الخاصه و يحمده الخالق، و يبين عظمته تعالى و قدرته و علمه اللامحدود، بلسان حاله.

و تقول الآيه فى نهايتها: وَ هُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (١).

أمّا ما هو المقصود من جمع الأحياء الذى تذكره هذه الآيه؟ فقد ذكر العديد من المفسّرين أنّه الجمع للحساب و جزاء الأعمال فى القيامة، و يمكن اعتبار الآيات التى تذكر القيامة بعنوان (يوم الجمع) دليلا على هذا المعنى (مثل الآيه ٧ من نفس هذه السوره و الآيه ٩ من سوره التغابن).

ص: ٥٣٢

---

١- ١) - (إذا) و كما يقول صاحب الكشاف، تدخل على الفعل المضارع كما تدخل على الفعل الماضى، مثل وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ و لكن الفعل أكثر ما يكون بعد (إذا) على شكل الماضى و قليل جدا على شكله المضارع.

و هنا قد يطرح هذا السؤال و هو: هل أن جميع الأحياء سيحشرون يوم القيامة، حتى غير الإنسان؟ حيث يقال أحيانا أن كلمه (دابه) تطلق على غير الإنسان. و هنا ستطرح هذه المشكله و هى كيف ستحشر الأحياء من غير الإنسان للحساب. فى حين أنها لا تتمتع بعقل و لا اختيار و لا تكليف؟ و قد ورد جواب هذا السؤال فى نهايه الآيه (٣٨) من سوره الأنعام: **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**.

و قلنا أن حياه العديد من الحيوانات مقترنه مع نظام بديع و عجيب، فما المانع من أن تكون أعمالها نتاج نوع من العقل و الشعور فيها؟ و هل هناك ضروره لإرجاع جميع هذه الأمور إلى الغريزه؟ و فى هذه الحاله يمكن تصور نوع من الحشر و الحساب لها (اقرأ شرحا أكثر لهذا الموضوع فى ذيل تفسير الآيه ٣٨ من سوره الأنعام).

و يحتمل فى تفسير الآيه أعلاه أن المقصود من (الجمع) الجانب المقابل ل(بث)، أى أن (بث) تشير إلى خلق أنواع الكائنات الحيه باختلافها، ثم إذا شاء الخالق (جمعها) و أفناها. فكما أن العديد من الأحياء - (على مدى التاريخ) - انتشرت بشكل عجيب، ثم انقرضت و اختفت فيما بعد. كذلك جمعها و إبادتها يكون بيد الخالق، فهى فى الحقيقه تشبه الآيات التى تقول: يحيى و يميت (أى الخالق).

و بهذا فإنّ قضيه حساب الحيوانات سوف تكون أجنيه عن هذه الآيه.

### **النجوم السماويه الآله:**

من الاستنتاجات المهمه التى نستنتجها من خلال هذه الآيه، أنها تدل على وجود مختلف الأحياء فى السماوات، و بالرغم من عدم صدور الرأى النهائى

للعلماء بهذا الخصوص، إلا أنهم يقولون و على نحو الإيجاز: هناك احتمال قوى بوجود عدد كبير من النجوم من بين الكواكب السماويه تحتوى على كائنات حيه، إلا أن القرآن يصرح بهذه الحقيقه، من خلال: **وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ .**

و ما يقوله بعض المفسرين من احتمال تخصص (فيهما) بالكره الأرضيه غير سديد، لوجود ضمير المثنى و الذى يعود إلى السماء و الأرض معا، و كذلك لا يصح ما قيل فى تفسير (دابه) بالملائكه، لأن دابه تطلق عادة على الكائنات الماديه.

و يمكن استفاده هذا المعنى أيضا من خلال الآيات القرآنيه المتعدده الأخرى.

و

فى حديث ورد عن الإمام على بن أبى طالب عليه السلام أنه قال: «هذه النجوم التى فى السماء مدائن مثل المدائن التى فى الأرض مربوطه كل مدينه إلى عمود من نور» (1).

و هناك روايات اخرى متعدده فى هذا المجال (يمكن مراجعه كتاب «الهيئه و الإسلام» لمزيد من المعلومات).

و بما أن الآيات السابقه كانت تتحدث عن الرحمه الإلهيه، لذا يطرح سؤال فى هذا المجال، و هو كيف تجتمع الرحمه و كل هذه المصائب التى تصيبنا؟ الآيه الأخرى تجيب على هذا السؤال و تقول: **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ .**

ثم إن هذا الجزاء ليس جزاء على جميع أعمالكم القبيحه، لأنه و يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ .

ص: ٥٣٤

---

(١ - ١) - سفينه البحار - كلمه نجم - المجلد الثانى - ص ٥٧٤، نقلا عن تفسير على بن إبراهيم القمى.



## عَلَمُ المصائب:

و من الضروري الانتباه إلى بعض الملاحظات الواردة في هذه الآيه:

١- تبين هذه الآيه و بوضوح أن المصائب التي تصيب الإنسان هي نوع من التحذير و العقاب الإلهي (بالرغم من وجود بعض الاستثناءات التي سنشير إليها فيما بعد).

و بهذا الترتيب سيتوضح لنا جانب من فلسفه الحوادث المؤلمه و المشاكل الحياتيه.

و الطريف في الأمر أننا نقرأ في حديث عن الإمام على عليه السلام أنه

نقل عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قوله: «خير آيه في كتاب الله هذه الآيه، يا على ما من خدش عود، و لا نكبه قدم إلا بذنب، و ما عفى الله عنه في الدنيا فهو أكرم من أن يعود فيه، و ما عاقب عليه في الدنيا فهو أعدل من أن يثنى على عبده» (١).

و هكذا فإن هذه المصائب إضافة إلى أنها تقلل من حمل الإنسان، فإنها تجعله يترن في المستقبل.

٢- بالرغم من عموميه الآيه و شمولها كل المصائب، لكن توجد استثناءات لكم عام، مثل المصائب و المشاكل التي أصابت الأنبياء و الأئمة المعصومين عليهم السلام بهدف الاختبار أو رفع مقامهم.

و أيضا المصائب بهدف الاختبار التي تشمل غير المعصومين. أو المصائب التي تحدث بسبب الجهل أو عدم الدقه في الأمور و عدم الاستشاره و التساهل و التي هي آثار تكوينيه لأعمال الإنسان نفسه.

و بعبارة اخرى فإن الجمع بين الآيات القرآنيه المختلفه-و الأحاديث-

ص: ٥٣٥

١- ١) -مجمع البيان، المجلد ٩، ص ٣١ (نهايه الآيات التي نبحتها) و قد ورد ما يشبه هذا الحديث في (الدر المثور) و تفسير (روح المعاني) مع بعض الاختلاف و ذلك في نهايه الآيات التي نبحتها، و الأحاديث في هذا المجال كثيره.

يقتضى التخصيص في بعض الموارد بالنسبة لهذه الآية العامه، وليس هذا موضوعا جديدا ليكون محل نقاش بعض المفسرين.

و خلاصه القول فإنّ هناك غايات مختلفه للمصائب و المشاكل التي تصيب الإنسان، حيث تمت الإشارة إليها في المواضيع التوحيديه و بحوث العدل الإلهي.

فالملكات تنمو و تتكامل تحت ضغط المصائب، و يكون هناك حذر بالنسبه للمستقبل، و يقظه من الغرور و الغفله و كفاره للذنوب و...

و بما أن أغلب أعمال الأفراد لها طبيعه جزائيه و تكفيريه، لذا فإنّ الآية تطرح ذلك بشكل عام.

و لذا فقد ورد في الحديث أنّه و عند ما دخل على بن الحسين عليه السّلام على يزيد بن معاويه، نظر إليه يزيد و قال: يا على، ما أصابكم من مصيبه فيما كسبت أيديكم (إشاره إلى أنّ مأساه كربلاء هي نتيجته أعمالكم).

إلا أنّ الإمام عليه السّلام أجابه مباشرة:

«كلام ما نزلت هذه فينا، إنّما نزل فينا: ما أصاب من مصيبه في الأرض و لا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما آتاكم فنحن الذين لا نأسى على ما فاتنا من أمر الدنيا، و لا نفرح بما أوتينا» (١).

و نهي هذا الكلام

بحديث آخر عن الإمام الصادق عليه السّلام فعند ما سئل عن تفسير الآية أعلاه قال: تعلمون أن عليا و أهل بيته قد أصيبوا بالمصائب من بعده، فهل كان ذلك بسبب أعمالهم؟ في حين أنّهم أهل بيت الطهر، و العصمه من الذنب، ثمّ أضاف: نص إنّ رسول الله كان يتوب إلى الله و يستغفر في كلّ يوم و ليله مائه مره من غير ذنب، إنّ الله يخص أولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب (٢).

٣- البعض يشكك في أن يكون المقصود من المصائب في هذه الآية مصائب

ص: ٥٣٦

١-١) - تفسير على بن بن إبراهيم طبقا لنور الثقلين، المجلد الرابع، ص ٥٨٠.

٢-٢) - أصول الكافي طبقا لنور الثقلين، المجلد الرابع، ص ٥٨١.

الدنيا، لأن الدنيا هي دار العمل و ليس دار الثواب و الجزاء.

و هذا خطأ كبير، لوجود آيات و روايات متعددة تؤكد أن الإنسان يرى- أحيانا-جانبا من نتيجته أعماله فى هذه الدنيا، و ما يقال من أن الدنيا ليست دارا للجزاء و لا- تتم فيها تصفيه جميع الحسابات، لا- يعنى عدم الجزاء بشكل مطلق، حيث أن إنكار هذه الحقيقه يشبه إنكار البديهيّات، كما يقول المطلعون على المفاهيم الاسلاميه.

٤- أحيانا قد تكون المصائب جماعيه، و بسبب ذنوب الجماعه، كما نقرأ فى الآيه (٤١) من سوره الروم: **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ .**

و واضح أن هذا يختص بالمجتمعات الإنسانيه التى أصيبت بالمصائب بسبب أعمالها.

و ورد فى الآيه ١١ من سوره الرعد: **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ .**

و هذه الآيات تدل على وجود ارتباط و علاقته قريبه بين أعمال الإنسان و النظام التكويني للحياه، فإذا سار الناس وفقا لأصول الفطره و قوانين الخلق فستشملهم البركات الإلهيه، و عند فسادهم يفسدون حياتهم.

و أحيانا قد يصدق هذا الأمر بخصوص آحاد الناس، فكل إنسان سيصاب فى جسمه و روحه أو أمواله و متعلقاته الأخرى بسبب الذنب الذى يرتكبه، كما جاء فى الآيه أعلاه (١).

على أية حال، فقد يتصور البعض أنهم يستطيعون الهروب من هذا القانون الإلهي الحتمي. لذا فإن آخر آيه فى هذا البحث تقول:

ص: ٥٣٧

و في السماء بطريق اولى و كيف تستطيعون الهروب من قدرته و حاكميته فى حين أن كلّ عالم الوجود هو فى قبضته و لا منازع له؟ و إذا كنتم تعتقدون بوجود من سيساعدكم و ينصركم، فاعلموا: **وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** .

قد يكون الفرق بين (الولى) و (النصير) هو أن الولى هو الذى يقوم بجلب المنفعه، و النصير هو الذى يقوم بدفع الضرر، أو أن الولى يقال لمن يدافع بشكل مستقل، و النصير يقال لمن يقف إلى جانب الإنسان و يقوم بنصرته.

و فى الحقيقه فإن آخر آيه تجسد ضعف و عجز الإنسان، و الآيه التى قبلها عداله الخالق و رحمته (٢) .

### مسائل مهمه

### اشاره

### الاولى: مصائبكم بما كسبت ايديكم:

يتصور العديد من الناس أن علاقته أعمال الإنسان بالجزاء الإلهي مثل العقود الدنيويه و ما تحتويه من الأجر و العقاب، فى حين قلنا-مرارا- إن هذه العلاقه أقرب ما تكون إلى الارتباط التكويني منه إلى الارتباط التشريعي.

و بعباره اخرى فإنّ الأجر و العقاب أكثر ما يكون بسبب النتيجة الطبيعیه و التكوينيّه لأعمال الإنسان حيث يشملهم ذلك. و الآيات أعلاه خير شاهد على هذه الحقيقه.

و بهذا الخصوص هناك روايات كثيره فى المصادر الإسلاميه نشير إلى بعضها

ص: ٥٣٨

١- ١) - «معجزين» من كلمه (إعجاز) إلا أنّها وردت فى العديد من الآيات القرآنيه بمعنى الهروب من محيط القدره الإلهيه و من عذابه، حيث يقتضى معناها ذلك.

٢- ٢) - فى ظلال القرآن-المجلد السابع ص ٢٩٠.

ورد في إحدى خطب نهج البلاغه: «ما كان قوم قط في غض نعمه من عيش، فزال عنهم إلاّ - بذنوب اجترحوها، لأن الله ليس بظلام للعبيد، ولو أنّ الناس حين تنزل بهم النقم، وتزول عنهم النعم، فزعوا إلى ربّهم بصدق من نياتهم، ووله من قلوبهم، لردّ عليهم كلّ شارد، وأصلح لهم كلّ فاسد» (١).

٢- وهناك

حديث آخر عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السّلام في (جامع الأخبار) حيث يقول: «إنّ البلاء للظالم أدب، وللؤمن امتحان، وللأنبياء درجه، وللأولياء كرامه» (٢).

وهذا الحديث خير شاهد للاستثناءات التي ذكرناها لهذه الآية.

و

ورد في حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السّلام في الكافي أنّه قال: «إنّ العبد إذا كثرت ذنوبه، ولم يكن عنده من العمل ما يكفرها، ابتلاه بالحزن ليكفرها» (٣).

٤- وهناك باب خاص لهذا الموضوع في كتاب أصول الكافي يشمل ١٢.

حديثاً (٤).

و كل هذه هي غير الذنوب التي صرحت الآية أعلاه بأن الخالق سيشملها بعفوه و رحمته، حيث أنّها -بحد ذاتها- كثيرة.

### التانيه: اشتباه كبير

قد يستنتج البعض بشكل خاطئ من هذه الحقيقه القرآنيه و يقول بوجود الاستسلام لأي حادثه مؤسفه، إلا أن هذا الأمر خطير للغاية، لأنّه يستفيد من هذا الأصل القرآني التربوي بشكل معكوس و يستنتج نتيجة تخديرية.

ص: ٥٣٩

١- ١) - نهج البلاغه- الخطبه ١٧٨.

٢- ٢) - بحار الأنوار، المجلد ٨١، ص ١٩٨.

٣- ٣) - الكافي، -المجلد الثاني، كتاب الإيمان و الكفر- باب تعجيل عقوبه الذنب-الحديث ٢.

٤- ٤) -المصدر السابق.

فالقرآن لا يقول أبدا بالاستسلام حيال المصائب و عدم السعى لحل المشاكل، و الركون للظلم و الجور و المرض، بل يقول: إذا شملتك المصائب بالرغم من سعيك و محاولاتك لدفعها، فاعلم أن ذلك هو كفاره الذنوب التي قمت بها و ارتكبتها، عليك أن تفكر بأعمالك السابقة، و تستغفر لذنوبك، و تصلح نفسك و تكتشف نقاط ضعفك.

و إذا ورد في الروايات أن هذه الآية من أفضل آيات القرآن، فذلك بسبب تأثيرها التربوي المهم، و من جانب آخر تقوم بتخفيف هموم الإنسان، و تعيد الأمل و عشق الخالق إلى قلبه و روحه.

### الثالث: من هم أصحاب الصفه؟

الذين يذهبون إلى زياره قبر النبي صلى الله عليه و اله و سلم في المدينه، يشاهدون مكانا مرتفعا قليلا عن الأرض في زاويه المسجد و قرب القبر الشريف حيث عزلت أطرافه بشكل جميل عن باقى المسجد، كما أن الكثير ينتخب هذا المكان لتلاوه القرآن و الصلاه.

هذا المكان يذكرنا بمكان (الصفه) و هو المحل الذى هياه النبي صلى الله عليه و اله و سلم لمجموعه من الغرباء الذين اعتنقوا الإسلام و لم يكن لديهم مأوى سوى المسجد (1).

### توضيح:

أول شخص غريب اعتنق الإسلام و لم يكن يملك مكانا في المدينه هو شاب من أهل اليمامه يسمى (جوبير) حيث أن قصه زواجه الشهيره مع (الذلفاء) تعتبر من أجمل حوادث محاربه الفواصل الطبقيه في التاريخ الإسلامى.

ص: ٥٤٠

وقد سمح له الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالمبيت ليلاً في المسجد، لأنه لا يملك مكاناً للاستراحة والسكن، وعند ما كثر عدد الغرباء-وكلهم سكن المسجد-أدى ذلك إلى وضع سلبى للمسجد،أمر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بإخراجهم من المسجد وتطهيره، وأغلقت أبواب بيوت الصحابه التي كانت شارعاً إلى المسجد بأمر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما عدا بيت علي وفاطمة عليهما السلام.

عندها أمر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بتسقيف مكان معين بسعف النخل ليكون محلاً لسكن الغرباء والفقراء،وكان بنفسه يزورهم ويعطيهم الماء والتمر والخبز والمواد الغذائية الأخرى،وقام باقى المسلمين بالاهتمام بهم ومساعدتهم عن طريق الزكاه وأنواع الإنفاق الأخرى.

وقد اشترك هؤلاء فى المعارك الإسلاميه وجاهدوا بإخلاص،وقد وردت بعض الآيات القرآنيه لتذكر فضلهم و صفاءهم و طهرهم،وقد سَمُوا(بأصحاب الصفه)لأنهم سكنوا تلك(الصفه).

اشاره

وَ مِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢) إِنَّ يَسَاءَ يُسِيرِنَ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَالِيِ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ  
(٣٣) أَوْ يُوبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا فَهِيَ يَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (٣٤) وَ يَغْلَمَ الَّذِينَ يَدُلُّونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٥) فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ  
فَمَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦)

التفسير

اشاره

هبوب الرياح المنتظمه و حركة السفن عليهم السلام

مره اخرى نشاهد أنّ هذه الآيات تقوم بتبيان علائم الخالق و أدله التوحيد، و تستمر في البحث الذي أشارت إليه الآيات السابقه بهذا الخصوص.

و هنا تذكر موضوعا يتعامل معه الإنسان كثيرا في حياته الماديه، خصوصا المسافرين عبر البحار و سكان السواحل، حيث تقول الآية: وَ مِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ .

«جوار» جمع (جاريه) و هي صفه للسفن حيث لم تذكر للاختصار، و عاده فإن



الآيه تقصد حركه السفن، و لذا فقد استخدمت هذه الصفه.

و يقال للبت الشابه «جاريه» لأن الشباب و النشاط يجرى فى عروقها و وجودها.

«أعلام» جمع (علم) على وزن (قلم) و تعنى الجبل، إلا أنها فى الأصل بمعنى العلامه و الأثر الباقي الذى يخبر عن شىء معين، مثل (علم الطريق) و (علم الجيش) و ما شابه.

أما لماذا سمى الجبل بالعلم؟ فذلك لأنه ظاهر من بعيد، و أحيانا كانوا يشعلون النار فوق قمته حتى تكون منارا للسائرين، إلا أن وجود النار و عدمها لا يؤثر فى التسميه.

و على هذا الأساس فإن القرآن يعتبر حركه السفن العملاقه فى هذه الآيه - كما فى الآيات المتعدده الأخرى - بسبب هبوب الرياح المنتظمه، من آيات الخالق.

فليس مهميا حركه السفينه الصغيره أو الزوارق على سطح الماء بسبب هبوب الرياح، المهم حركه السفن و البواخر العملاقه بحمولتها الكبيره و مسافريها المتعددين عند هبوب الرياح، فتقطع آلاف الأميال و تصل إلى مرساها.

فمن الذى خلق هذه المحيطات بخصوصياتها و مياهاها و عمقها؟ من أعطى للخشب الذى تصنع منه السفن خاصيه الطفو على سطح الماء؟ و من يأمر الرياح بالهبوب بشكل منظم على سطح البحار و المحيطات كى يستطيع الإنسان أن يصل من نقطه إلى اخرى بالاستفاده من هذه الرياح؟ نعم، فلو أخذنا بعين الإعتبار الخرائط التى يملكها البحاره بخصوص حركه الرياح، و المعلومات التى يملكها البشر حول هبوب الرياح من القطبين نحو خط الإستواء و من خط الإستواء إلى القطبين، و أيضا هبوب الرياح المتناوبه من السواحل و اليابسه نحو البحار و بالعكس، عندها سندرك أن هذا الأمر مخطط و له

فى زماننا، تقوم المحركات الضخمة بتحريك السفن و دفعها إلى الأمام، إلا أن الرياح تبقى مؤثره أيضا فى حركة هذه السفن.

و للتأكيد أكثر تقول الآيه: **إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ**.

و كاستنتاج تضيف الآيه فى نهايتها: **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**.

نعم، فهبوب الرياح، و حركة السفن، و خلق البحار، و النظام الخاص المتناسق الذى يتحكم بهذه الأمور... كلها آيات مختلفه للذات المقدسه.

و نعلم أن هبوب الرياح يتم بسبب الاختلاف فى درجه الحراره بين منطقتين على الكره الأرضيه، لأنّ الهواء يتمدد بسبب الحراره و يتحرك نحو الأعلى، و يضغط على الهواء المحيط به و يقوم بتحريكه، و من جانب آخر يترك مكانه للهواء المجاور له عند تحركه نحو الطبقات العليا، فلو سحب الخالق هذه الخاصيه (خاصيه التمدد) من الهواء، عندها سيطغى السكون و الهدوء القاتل و ستقف السفن الشراعيه فى عرض البحار دون أبه حركه.

«صبار» و «شكور» صيغتا مبالغه حيث تعطى الأولى معنى كثره الصبر، و الثانيه كثره الشكر. و هذان الوصفان الواردان فى هذه الآيه - و فى موارد اخرى (1) - يشيران إلى ملاحظات لطيفه.

فهاتان الصفتان توضحان حقيقه الإيمان، لأنّ المؤمن صبور فى المشاكل و الابتلاءات و شكور فى النعم، و

قد ورد فى حديث عن الرسول صلّى الله عليه و اله و سلّم: «الإيمان نصفان: نصف صبر و نصف شكر» (2).

إضافه إلى ذلك، فإنّ البحث فى أسرار نظام الخلق يحتاج إلى الصبر و الاستمرار و تخصيص الوقت الكافى، و من جانب ثان يستحق شكر لمنعم.

١-١) - إبراهيم-٥، لقمان-٣١، سبأ-١٩، و الآيه التى نبثها.

٢-٢) - تفسير الصافى، مجمع البيان، الفخر الرازى، و القرطبى نهايه الآيه (٣١) من سوره لقمان.

فمتى ما توفر هذان العاملان عندها يكون الإنسان مؤهلاً للبحث في هذه الآيات، وعاده فإن البحث في أسرار الخلق يعتبر بحد ذاته نوعاً من الشكر.

و من جانب ثالث، فإن هاتين الصفتين تتجسدان في الإنسان أكثر من أى وقت مضى متى ما ركب فى السفينه، حيث الصبر حيال حوادث و مشاكل البحار، و الشكر عند الوصول إلى الساحل.

مره اخرى، لتجسيد عظمه هذه النعمه الإلهيه، تقول الآيه الأخرى: **أَوْ يُوبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا أَىٰ لَوْ شَاءَ لِأَبَادِ هَذِهِ السَّفِينِ بِسَبَبِ الْأَعْمَالِ** التى ارتكبها المسافرون.

و كما قرأنا فى الآيات الماضيه، فإن المصائب التى تصيب الإنسان غالباً ما ما تكون بسبب أعماله.

إلا أنه بالرغم من ذلك فإن اللطف الإلهى يشمل الإنسان: **وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ**.

فلو لا- عفو الخالق لم يكن لينجو أحد من عذاب الخالق سوى المعصومين و الخواص و الطاهرين، كما نقرأ ذلك فى الآيه (٤٥) من سوره فاطر: **وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى .**

نعم، فهو يستطيع أن يمنع الرياح من الهبوب حتى تقف السفن فى وسط البحار و المحيطات، أو يحوّل هذه الرياح إلى عواصف هو جاء تدمر هذه السفن و البواخر، إلا أن لطفه العام يمنع هذا العمل.

**وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ**

(١)

و ما لهم من ملجأ سوى ذاته المنزهه.

فهؤلاء سوف لا يشملهم العفو الإلهى، لأنهم عارضوه بعلم و وعى، واستمروا

ص: ٥٤٥

١ - ١) - جملة **وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ...** كما يقول الزمخشري فى كشافه: وردت منصوبه بسبب عطفها على تعليل محذوف و تقديره: لينتقم منهم و يعلم الذين يجادلون... فالهدف أن ينتقم الخالق من هذه المجموعه، و الهدف أن يعلم المجادلون بعدم وجود طريق للنجاه.

فى محاربتة عن عداوة و عناد، فهؤلاء سوف لا يشملهم عفوه و رحمته، و لا خلاص لهم من عذابه.

«محيص» مأخوذه من كلمه (حيص) على وزن (حيف) و تعنى الرجوع و العدول عن أمر ما، و بما أن (محيص) اسم مكان، لذا وردت هذه الكلمه، بمعنى محل الهروب أو الملجأ.

و الكلام فى آخر آيه موجه إلى الجميع حيث تقول: **فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .**

فلا تتصوروا أنه سيبقى لكم، لأنه كالوميض الذى يبرق ثم يخبو، و كالشمعه فى مهبّ الريح و الفقاعه على سطح الماء، و لكن وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ .

فلو استطعتم أن تستبدلوا هذا المتاع الدنيوى الزائل المحدود التافه بمتاع أبدى خالد، فتلك هى التجاره المربحه العديمه النظير.

فالمواهب فى هذه الدنيا لا تخلو من المشاكل، حيث توجد الأشواك دائما إلى جانب الورود، و المحبطات إلى جانب الآمال، فى حين أن الأجر الإلهى لا يحتوى على أى إزعاجات، بل هو خير خالص و متكامل.

و من جانب آخر فإن هذه المواهب مهما كانت فستزول حتما، إلا أن الجزاء الأخرى أبدى خالد، عندها هل يقبل العقل أن يستغنى الإنسان عن هذه التجاره المربحه، أو يصاب بالغرور و الغفله و تبهره زخارف الدنيا؟ لذا فإننا نقرأ فى الآيه ٣٨ من سوره التوبه: **أَرْضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ .**

و أساسا، فإن «الحياه الدنيا» (بالمعنى المتقدم) تشير إلى الحياه الدنيه و الحقيه، و طبيعى أن أى متاع أو وسائل للاستفاده من مثل هذه الحياه ستكون - أيضا - مثلها فى قيمه.

فقد ورد في حديث عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ أَنْ يُجْعَلَ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمِثْلِهَا؟!» (١).

والملفت للنظر أنه ورد في هذه الآيه التأكيد على الإيمان و التوكل، وهذا بسبب أن نيل الأجر الإلهي هو للذين يفوضون أمورهم في جميع الأعمال و يستسلمون له تعالى إضافة إلى الإيمان، لأن التوكل يعنى تفويض الأمور.

و تقابل هذه المجموعه أشخاص يجادلون في آيات الله بسبب حب الدنيا و الارتباط بالمتاع الزائل، و يقبلون الحقائق، و بهذا الترتيب فإن آخر آيه هي بمثابة تعليل للآيه التي قبلها، و التي كانت تتحدث عن الذين يجادلون في آيات الله.

ص: ٥٤٧

---

١- ١) - روح البيان، المجلد الثالث، ص ٤٢٩ (نهاية الآيه ٣٨ من سورة التوبه)

اشاره

وَ الَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كِبَاءَ نَارٍ أَلْبِائِمٍ وَ الْفَوَاحِشِ وَ إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٨) وَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩) وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَ أَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠)

التفسير

اشاره

المؤمنون لا يستسلمون للظلم:

هذه الآيات استمرار للبحث الوارد فى الآيات السابقه بخصوص الأجر الإلهى للمؤمنين المتوكلين.

فبعد ذكر الإيمان و التوكل اللذين لهما طبيعه قلبيه، تشير هذه الآيات إلى سبعة أنواع من البرامج العمليه للصفيتين السابقتين سواء كانت إيجابيه أو سلبيه، فرديه أو اجتماعيه، ماديه أو معنويه، و هذه البرامج توضح أسس المجتمع الصالح و الحكومه الصالحه القويه.

و الملفت للنظر أنّ هذه الآيات نزلت فى مكّه - كما يظهر - و فى ذلك اليوم لم

يكن قد تأسس المجتمع الإسلامى بعد، و لم يكن هناك وجود للحكومته الإسلاميه، إلا أن هذه الآيات أعطت التفكير الإسلامى الصحيح فى هذا الخصوص منذ ذلك اليوم، حيث كان الرسول الكريم صلى الله عليه و اله و سلم يعلمهم و يريهم لغرض الاستعداد لبناء المجتمع الإسلامى فى المستقبل.

فأول صفة تبدأ من التطهير حيث تقول الآيه أن الثواب الإلهى العظيم سوف يكون من نصيب المؤمنين المتوكلين: وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوَاحِشَ (١).

«كبائر» جمع «كبيره» و تعنى الذنوب الكبيره، أميا ما هو المعيار فى الكبائر؟ البعض فسرها بالذنوب التى توعد القرآن فى آياته بعذاب النار لها، و أحيانا الذنوب التى تستوجب الحد الشرعى.

و قد احتمل البعض أنها إشاره للبدع و إيجاد الشبهات الاعتقديه فى أذهان الناس.

و لكننا لو رجعنا إلى المعنى اللغوى كلمه «كبيره» فإنها تعنى الذنب الذى يكون كبيرا و مهما من وجهه نظر الإسلام، و أحد علائم أهميته أنه ورد فى القرآن المجيد و توعد بالعذاب عليه، و قد ورد تفسير للكبائر فى روايات أهل البيت عليهم السلام بأنها:

«التي أوجب الله عز و جل عليها النار» (٢).

و على هذا الأساس فلو توضحت أهميه و عظمه الذنب بطرق اخرى، عندها سيشمله عنوان (الكبائر).

«فواحش» جمع «فاحشه» و تعنى الأعمال القبيحه للغاية و الممقوته، و ذكر هذه العبارة بعد كلمه (الكبائر) من قبيل ذكر الخاص بعد العام، و فى الحقيقه فإن

ص: ٥٤٩

١-١) -يعتقد غالب المفسرين أن الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ عَطْفَ لِّ الَّذِينَ آمَنُوا فى الآيه السابقه، بالرغم من احتمال البعض أنها مبتدأ خبره محذوف (و فى التقدير و الذين يجتنبون... لهم مثل ذلك من الثواب) إلا أن المعنى الأول أفضل ظاهرا.

٢-٢) -نور الثقلين، المجلد الأول، ص ٤٧٣.

التأكيد على الذنوب القبيحة للغاية بعد ذكر اجتناب المؤمنين الحقيقيين عن جميع الذنوب الكبائر، للتأكيد على أهميته ذلك.

و على هذا الأساس فإنّ أوّل علائم الإيمان و التوكل هو الاجتناب عن (الكبائر)، فكيف يمكن للإنسان أن يدعى الإيمان و التوكل على الخالق، فى حين أنّه مصاب بأنواع الذنوب و قلبه و كر من أوكار الشيطان؟! أمّا ثانى صفه، و التى لها طبيعه تطهيريه أيضا، فهى السيطرة على النفس عند الغضب الذى يعتبر من أشدّ حالات الإنسان حيث تقول الآية: وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ .

فهؤلاء لا يفقدون سيطره على أنفسهم عند الغضب و لا يرتكبون الجرائم عنده، و الأكثر من ذلك غسل قلوبهم و قلوب الآخرين من الحقد بواسطه مياه العفو و الغفران.

و هذه الصفه لا تتوفر إلاّ فى ظل الإيمان الحقيقى و التوكل على الحق.

و الطريف فى الأمر أن الآيه لا تقول: إنهم لا يغضبون، لأنّ الغضب من طبيعه الإنسان، و هناك ضروره له فى بعض الأحيان خاصه عند ما يكون لله و فى طريق إحقاق الحق، بل تقول: إنهم لا يلوثون أنفسهم بالذنب عند الغضب، و بكل بساطه يعفون و يغفرون، و يحب أن يكونوا هكذا، فكيف يمكن للإنسان أن ينتظر العفو الإلهى فى حين أن أعماقه مليئه بالحق و حب الانتقام، و لا يعترف بأى قانون عند الغضب؟ و إذا شاهدنا التأكيد على الغضب هنا، فذلك لأنّ هذه الحاله كالنار الحارقه التى تلتهب فى داخل أعماق الإنسان، و هناك الكثيرون الذين لا يستطيعون ضبط أنفسهم فى تلك الحاله، إلاّ أن المؤمنين الحقيقيين لا يستسلمون أبدا للغضب.

و

ورد فى حديث عن الإمام الباقر عليه السّلام: «من ملك نفسه إذا رغب، و إذا رهب،



و إذا غضب، حرم الله جسده على النار» (١).

الآية الأخرى تشير إلى الصفه الثالثه و الرابعه و الخامسه و السادسه، حيث تقول: وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ .

وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ

أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ

(٢)

وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ

فآية السابقة كانت تتحدث عن تطهير النفس من الذنوب و التغلب على الغضب، إلا أن الآية التي نبحثها تتحدث عن بناء النفس في المجالات المختلفة، و من أهمها إجابته دعوه الخالق، و التسليم حيال أوامره، حيث أن الخير كل الخير تجسد في هذا الأمر. فهم مستسلمون بكل وجودهم لأوامره، و ليست لهم إرادته إزاء إرادته، و يجب أن يكونوا هكذا، لأن الاستسلام و الاستجابة أمران حتميان بعد تطهير القلب و الروح من آثار الذنب الذي يعيق السير نحو الحق.

و نظرا لوجود بعض القضايا المهمه في التعليمات الإلهيه يجب الإشارة إليها بالخصوص، لذا نرى أن الآية أشارت إلى بعض المواضيع المهمه و خاصه (الصلاه) التي هي عمود الدين و حلقة الوصول بين المخلوق و الخالق و مربيه النفوس، و تعتبر معراج المؤمن و تنهى عن الفحشاء و المنكر.

بعد ذلك تشير الآية إلى أهم قضيه اجتماعيه و هي «الشورى» فبدونها تعتبر جميع الأعمال ناقصه، فالإنسان الواحد مهما كان قويا في فكره و بعيدا في نظره، إلا أنه ينظر للقضايا المختلفه من زاويه واحده أو عدّه زوايا، و عندها ستختفى عنه الزوايا و الأبعاد الأخرى، إلا أنه و عند التشاور حول القضايا المختلفه تقوم العقول

ص: ٥٥١

١- ١) - تفسير على بن إبراهيم - طبقا لنقل نور الثقلين، المجلد الرابع، ص ٥٨٣.

٢- ٢) - يقول بعض المفسرين أنه متى ما كانت (شورى) مصدرا و تعنى المشاوره يجب أن تضاف لها كلمه (ذو) و يصبح تقدير الجملة (أمرهم ذو شورى بينهم)... أو للمبالغه و التأكيد، لأن ذكر (المصدر) بدلا من (الصفه) يوصل هذا المعنى عاده، لكن إذا كانت

شورى كما يقول الراغب فى مفرداته بمعنى (الأمر الذى يتشاور فيه) عندها لا حاجة للتقدير (لاحظ ذلك).

العقول و التجارب المختلفه بمساعدته بعضها البعض، عند ذلك ستتوضح الأمور و تقل العيوب النواقص و يقل الانحراف.

لذا

فقد ورد فى حديث عن الرسول صلى الله عليه و اله و سلم أنه قال: «ما من رجل يشاور أحدا إلا هدى إلى الرشده».

و الملفت للنظر أن العبارة وردت هنا على شكل برنامج مستمر للمؤمنين، ليس فى عمل واحد و مؤقت، بل يجب أن يكون التشاور فى جميع الأعمال.

و الطريف فى الأمر أن الرسول صلى الله عليه و اله و سلم كان أيضا يتشاور مع أتباعه و أنصاره فى القضايا الاجتماعيه المهمه و التنفيذيه و الصلح و الحرب و الأمور المهمه الأخرى بالرغم من تكامل عقله و ارتباطه بمصدر الوحي، و كان يشاور أصحابه أحيانا بالرغم من المشكل التى تحصل من جراء ذلك، لكى يكون أسوه و قدوه للناس، لأن بركات الاستشاره أكثر بكثير من احتمالات ضررها.

و هناك تفصيلات فى نهايه الآيه (١٥٩) من سوره آل عمران بخصوص (الاستشاره) و(شروط الشورى) و(أوصاف الذين يجب استشارتهم) و(مسئوليه المستشار) حيث لا نرى ضروره إلى إعاده ذلك، إلا أنه يجب أن نضيف بعض الملاحظات الأخرى:

أ- الشورى تختص بالأعمال التنفيذيه و معرفه الموضوع و ليست لمعرفة الأحكام، لأنها يجب أن تؤخذ من مصدر الوحي و من الكتاب و السنه، و عبارته (أمرهم) تشير إلى هذا المعنى أيضا، لأن الأحكام ليست من شأن الناس، بل هى من أمر الخالق.

و لذا فلا أساس لما يقوله بعض المفسرين كالآلوسى من أن الشورى تشمل الأحكام أيضا، حيث لا يوجد نص خاص بذلك، خاصة و أننا نعتقد بعدم وجود أى أمر فى الإسلام ليس له نص عام أو خاص صادر بشأنه، و إلا فما فائده اليوم

ص: ٥٥٢

[يجب قراءه تفصيلات عن هذا المعنى فى كتب أصول الفقه بخصوص بطلان الاجتهاد بمعنى التقنين فى الإسلام]

ب-قال بعض المفسرين إن شأن نزول عبارته: **أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ** خاص بالأنصار بخصوص الأنصار، إما لأن أعمالهم قبل الإسلام كانت وفقا للشورى، أو هى إشاره إلى تلك المجموعه من الأنصار الذين آمنوا قبل هجره النبى صلى الله عليه و اله و سلم و بايعوه فى (العقبه)، و دعوه إلى المدينه (لأن هذه السوره مكيه، و الآيات أعلاه نزلت فى مكه كما يظهر أيضا).

و على أيه حال، فإن الآيه لا تختص بسبب نزولها، بل توضح برنامجا عاما و جماعيا.

و ننهى هذا الكلام بحديث

عن أمير المؤمنين الإمام على عليه السلام حيث يقول:

«لا ظهير كالمشاوره، و الاستشاره عين الهدايه» (٢).

و من الضرورى الإشاره إلى أن آخر صفه وردت فى هذه الآيه لا تشير إلى الإنفاق المالى فحسب، و إنما إنفاق كل ما أعطاه الخالق من الرزق كالمال و العقل و الذكاء و التجربه، و التأثير الاجتماعى، و الخلاصه: الإنفاق من كل شىء.

و تقول الآيه بخصوص سابع صفه للمؤمنين الحقيقيين: **وَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ** أى أنهم إذا تعرضوا للظلم لا يستسلمون له، بل يطلبون النصر من الآخرين.

و واضح أن الآخرين مكلفون بالانتصار ضد الظلم، لأن طلب النصر دون النصره يعتبر لغو و لا فائده فيه، و فى الحقيقه فإن المظلوم مكلف بمقاومه الظالم و طلب النصره، و أيضا فإن المؤمنين مكلفون بإجابته، كما ورد فى الآيه (٧٢) من سوره الأنفال حيث نقرأ: **وَ إِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِى الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ**.

ص: ٥٥٣

١-١) - المائده، الآيه ٣.

٢-٢) - وسائل الشيعه، المجلد الثامن، ص ٤٢٥ (باب ٢١ من أبواب الأحكام العشره).

هذا البرنامج الإيجابي البناء يحذر الظالمين من مغبه ظلم المؤمنين، حيث أنهم لا يسكتون على ذلك و يقفون بوجههم. و هو أيضا يؤمل المظلومين بأن الآخرين سوف ينصرونكم عند استغاثتكم.

«ينتصرون» من كلمه «انتصار» و تعنى طلب النصر، إلا أن البعض فسرها بمعنى «التناصر» و النتيجة واحده للتوضيح الذى ذكرناه.

على أية حال، فأى مظلوم إذا لم يستطع أن يقف بوجه الظلم بمفرده، فعليه ألا يسكت، بل يستفيد من طاقات الآخرين و النهوض بوجه الظلم، و مسئوليهِ جميع المسلمين الاستجابة لاستغاثته و ندائه.

و لكن بم أنّ التناصر يجب أن لا يخرج عن حد العدل و ينتهى إلى الانتقام و الحقد و التجاوز عن الحد، لذا فإن الآيه التى بعدها اشترطت ذلك بالقول:

وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا

يجب أن لا تتجاوزوا عن الحد بسبب أن أصدقاءكم هم الذين ظلموا فتقلبوا إلى أشخاص ظالمين، و خاصه الإفراط فى الرد على الظلم فى مجتمعات كالمجتمع العربى فى بدايه الإسلام، لذا يجب التمييز بين نصره المظلوم و الانتقام.

و عمل الظالم يجب أن يسمى ب(سيئه) إلا أن جزاءه و عقابه ليس(سيئه) و إذا وجدنا أنّ الآيه عبرت عن ذلك بالسيئه فبسبب التقابل بالألفاظ و استخدام القرائن، أو أنّ الظالم يعتبرها(سيئه) لأنه يعاقب، أو يحتمل أن يكون استخدام لفظه(السيئه) لأنّ العقاب أليم و مؤذو، و الأذى بحد ذاته(سئء) بالرغم من أن قصاص الظالم و معاقبته يعتبر عملا حسنا بحد ذاته.

و هذا يشبه العبارة الواردة فى الآيه(١٩٤) من سورة البقره: فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ .

على أية حاله، فإنّ هذه العبارة يمكن أن تكون مقدمه للعفو الوارد فى الجملة التى بعدها، و كأنما تريد الآيه القول: إنّ العقاب مهما كان فهو نوع من الأذى، و إذا

ندم الشخص عندها يستحق العفو.

لذا ففي مثل هذه الموارد ينبغي عليكم العفو، لأن فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ .

صحيح أنه فقد حقه و لم يحصل على شيء في الظاهر، إلا أنه بسبب عفوه، العفو الذي يعتبر أساس انسجام المجتمع و التطهر من الأحقاد و زياده أو اصر الحب و زوال ظاهره الانتقام و الاستقرار الاجتماعى، فقد تعهد الخالق بأن يعطيه من فضله الواسع، و يا لها من عباره لطيفه (على الله) حيث أن الخالق يعتبر نفسه مدينا لمثل هؤلاء الأشخاص و يقول بأن أجرهم على.

و تقول الآيه فى نهايتها: إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ .

و قد تكون هذه الجملة إشاره إلى بعض الملاحظات:

فأولاً: قد يكون العفو بسبب أن الإنسان لا يستطيع أحيانا السيطرة على نفسه بدقه عند العقاب و القصاص، و قد يتجاوز الحد و يكون فى عداد الظالمين.

و ثانياً: إن هذا العفو ليس بمعنى الدفاع عن الظالمين، لأن الله لا يحب الظالمين أبداً، بل إن الهدف هو هدايه الضالين و تثبيت الأواصر الاجتماعيه.

و ثالثاً: إن الذين يستحقون العفو هم الذين يكفون عن الظلم و يندمون على ما ارتكبوه فى الماضى، و يقومون بإصلاح أنفسهم، و ليس للظالمين الذين يزدادون جرأه بواسطه هذا العفو.

و بعباره أوضح، فإن كلاً من العفو و العقاب له موقعه الخاص، فالعفو يكون عند ما يستطيع الإنسان الانتقام، و هذا يسمى العفو البناء، لأنه يمنح المظلوم المنتصر قابليه السيطرة على النفس و صفاء الروح، و أيضاً يفرض على الظالم المغلوب إصلاح نفسه.

و العقاب و الانتقام و الردّ بالمثل يكون عند ما يبقى الظالم مستمرا فى غيه و ضلاله، و المظلوم لم يثبت أركان سيطرته بعد، فالعفو هنا يكون من موقع الضعف

فيجب الردّ بالمثل.

و

قد ورد في حديث عن الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٌ: مَنْ كَانَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقَالُ: مَنْ ذَا الَّذِي أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ؟ فَيَقَالُ: الْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ» (١).

و هذا الحديث-في الحقيقة-هو النتيجة المستوحاه من آخر آيه في هذا البحث، و الإسلام الأصيل هو هذا.

ص: ٥٥٦

---

١-١) -مجمع البيان-نهايه الآيه التي نبحتها.

اشاره

وَلَمَنْ اِنْتَصَرَ بِعَدُوِّهِ فَظَلَمَهُ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) اِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ  
أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣)

التفسير

اشاره

الظلم و الانتصار:

تعتبر هذه الآيات- فى الحقيقة- تأكيداً و توضيحاً و تكميلاً- للآيات السابقه بشأن الانتصار و معاقبه الظالم و العفو فى المكان المناسب، و الهدف من ذلك أن معاقبه الظالم و الانتقام منه من حق المظلوم، و لا يحق لأحد منعه عن حقه، و فى نفس الوقت فإذا صادف أن سيطر المظلوم على الظالم و انتصر عليه، و عند ذلك صبر و لم ينتقم فإن ذلك يعتبر فضيله كبرى.

فأولاً- تقول الآية: وَ لَمَنْ اِنْتَصَرَ بِعَدُوِّهِ فَظَلَمَهُ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (١) فلا- يحق لأحد أن يمنع هذا العمل، و لا يلوم ذلك الشخص أو يوبخه أو يعاقبه،

ص: ٥٥٧



و لا يتوانى فى نصر مثل هذا المظلوم، لأن الانتصار و طلب العون من الحقوق الطبيعىه لأى مظلوم، و نصر المظلومين مسئوليہ كل إنسان حر و متيقظ الضمير.

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ

و إضافه إلى عقابهم الدينوى أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ينتظرهم فى الآخرة.

يقول بعض المفسرين حول الاختلاف بين جملة يَظْلِمُونَ النَّاسَ و جملة يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أن الجملة الأولى إشاره إلى موضوع (الظلم) و الثانيه إلى (التكبر) (١).

البعض الآخر اعتبر الأولى إشاره إلى (الظلم) و الثانيه إشاره إلى (الوقوف بوجه الحكومه الإسلاميه).

«بغى» تعنى فى الأصل الجحد و المشابره و المحاوله للحصول على شىء ما، و لكن كثيرا ما تطلق على المحاولات لغصب حقوق الآخرين، و التجاوز عن حدود و حقوق الخالق، لذا فإن للظلم مفهوما خاصا و للبغى مفهوما عاما يشمل أى تعد أو تجاوز للحقوق الإلهيه.

عباره (بغير الحق) تأكيد لهذا المعنى، و على هذا الأساس فإن الجملة الثانيه من باب ذكر العام بعد ذكر الخاص.

أمّا آخر آيه فتشير مرّه اخرى إلى الصبر و العفو، لكى تؤكد أن الانتقام و العقاب و القصاص من الظالم لا يمنع المظلوم من العفو، حيث تقول: وَ لَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٢).

«العزم» فى الأصل يعنى (التصميم لإنجاز عمل معين)، و يطلق على الإراده القويه، و قد تكون عباره (عزم الأمور) إشاره إلى أن هذا العمل من الأعمال التى أمر الله بها و لا يمكن أن تنسخ، أو أنه من الأعمال التى يجب أن يشد الإنسان

ص: ٥٥٨

١-١ - تفسير (الكشاف)، (روح المعانى) و (روح البيان) نهايه الآيات التى نبحتها.

٢-٢ - اللام فى (لمن صبر) هى لام القسم و فى (لمن عزم الأمور) للتأكيد، و الاثنان يوضحان أهميه هذا الأمر الإلهى أى (العفو).

العزم لها، و أيا كان من المعنيين فهو يدل على أهميه هذا العمل.

و الملفت للنظر ذكر (الصبر) قبل (الغفران)، لأنه مع عدم وجود الصبر لا- يمكن أن يحصل العفو و الغفران، حيث يفقد الإنسان السيطرة على نفسه و يحاول الانتقام مهما كان.

و مره اخرى نذكر بهذه الحقيقه، و هي أن العفو و الغفران مطلوبان في حال القوه و الاقتدار، و أن يستفيد الطرف المقابل من ذلك بأفضل شكل أيضا، و قد تكون عباره «من عزم الأمور» لتأكيد هذا المعنى أيضا، لأنّ التصميم بخصوص شيء معين يحدث عند ما يكون الإنسان قادر على إنجاز ذلك الشيء، على أيه حال فإن العفو الذي يكون مفروضا من قبل الظالم، أو يشجعه في عمله و يجرئه على ذلك، غير مطلوب.

بعض الروايات فسّرت الآيات أعلاه بثوره الإمام المهدي (عج) و انتقامه و انتصاره على الظالمين و المفسدين في الأرض. و كما قلنا عدّه مرات سابقا فإن مثل هذه التفاسير من قبيل بيان المصداق الواضح و لا تمنع من عموميه مفهوم الآيه و شموليته (1).

ص: ٥٥٩

اشاره

وَ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَليٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَ تَرى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلِ (٤٤) وَ تَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفِ خَفِيٍّ وَ قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسِهِمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ (٤٥) وَ لَمَّا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ (٤٦)

التفسير

اشاره

هل من سبيل للرجعه؟

الآيات السابقه كانت تتحدث عن الظالمين، أما الآيات التى نبحتها فتشير إلى عاقبه هذه المجموعه و جوانب من عقابها.

فهى تعتبرهم من الضالين الذين لا يملكون أى ولى، فتقول: وَ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَليٍّ مِنْ بَعْدِهِ .

الملمون بتعايير القرآن بخصوص الهدايه و الضلاله، يعرفون بوضوح أنه لا الهدايه و لا الضلاله مفروضه و جبريه، إنما هما نتيجتان مباشرتان لأعمال الناس.

فأحيانا يقوم الإنسان بعمل معين و بسببه يسلب الخالق منه التوفيق و يطمس على قلبه و يمنع عنه نور الهدايه و يتركه سابحا فى الظلمات.

و هذا هو عين الإختيار و الحريره، فلو أن شخصا أصر على شرب الخمر و أصيب بأنواع الأمراض، فإنه هو الذى جلب هذا الوضع و هذه الأمراض إلى نفسه، فالخالق مسبب الأسباب و يعطى التأثيرات المختلفه للأشياء، و لهذا السبب تربط النتائج به أحيانا (1).

على أيه حال، فإن هذا أحد أكثر العقوبات ألما بالنسبه للظالمين، ثم تضيف الآيه: وَ تَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ .

فقد تحدث القرآن المجيد عدّه مرات عن طلب الكافرين و الظالمين العوده، فأحيانا عند الموت مثل الآيه (٩٩) و (١٠٠) من سوره المؤمنون: حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ .

و أحيانا عند القيامه عند ما يقتربون من الجحيم، كما تقول الآيه (٢٧) من سوره الأنعام: وَ لَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَ لَا نُكَذَّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَ نَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .

و لكن مهما كانت هذه الطلبات فإنها ستواجه بالرفض، لأن العوده غير ممكنه أبدا، و هذه سنه إلهيه لا تقبل التغيير، فكما أن الإنسان لا يمكنه الرجوع من الكهوله إلى الشباب، أو من الشباب إلى الطفوله، أو من الطفوله إلى عالم الأجنه، كذلك يستحيل الرجوع إلى الوراء و العوده إلى الدنيا من عالم البرزخ أو الآخره.

الآيه الأخرى تذكر ثالث عقاب لهذه المجموعه حيث تقول:

ص: ٥٦١

(١- ١) - هناك شرح مفصل فى هذا الخصوص فى نهايه الآيه (٣٦) من سوره الزمر، حيث أوضحنا جميع جوانب هذا الموضوع.

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ

(١)

فالقلق و الخوف الشديد يسيطران على وجودهم، و الذله و الاستسلام يطغيان عليهم، و انتهى كل شيء من التكبير و محاربه و ظلم و إيذاء المظلومين، و ينظرون من طرف خفى إلى النار.

هذه صورته لحاله شخص يخشى من شيء أشد خشيه و لا يريد أن ينظر إليه بعينين مفتوحتين، و فى نفس الوقت لا يستطيع أن يتغافل عنه، لذا فهو مجبور على النظر إليه، لكن بطرف خفى.

بعض المفسرين قالوا: إن جملة (طرف خفى) تعنى هنا النظر بعين نصف مفتوحه، لأنهم لا يستطيعون فتح العين كامله من شدة الخوف و الهول العظيم، أو أنهم من شدة الانهيار و الإعياء لا يستطيعون فتح العين بشكل كامل.

فعند ما تكون حاله الإنسان هكذا قبل أن يدخل النار... فماذا سيجرى عليه عند ما يطؤها و يهوى فى أعماقها؟! أما آخر عقاب ذكر هنا، فهو سماع اللوم و التوبيخ الأليم من المؤمنين، كما جاء فى آخر الآيه: وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

فهل هناك خساره أعظم من أن يخسر الإنسان نفسه، ثم زوجته، و أبناءه و أقرباءه؟ و نصيبه نار الفراق و هو فى داخل العذاب الإلهي؟! ثم تضيف: يا أهل المحشر: أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ .

إنه العذاب الذى ليس هناك أمل بانتهاؤه، و لا يتحدد بزمان معين. إنه العذاب الذى يحرق أعماق الروح و ظاهر الجسد على السواء.

و ليس من المستبعد أن يكون القائل لهذا الكلام هم المؤمنون الحقيقيون، و هم

ص: ٥٦٢

١ - ١) - «طرف» بتسكين الراء» مصدر و تعنى دوران العين، و طرفه العين تعنى حركه واحده للعين، و الضمير فى (عليها) يعود إلى العذاب، صحيح أن العذاب مذكر لكنه يعنى هنا النار و جهنم و ضمير المؤنث يعود إليها.

الأنبياء والأولياء و أتباعهم الخاصين، حيث أنهم مطهرون من الذنب، والمظلومين الذين أوذوا كثيرا من قبل هؤلاء الظالمين، و من حقهم التحدث بهذا الكلام فى ذلك اليوم (وقد أشارت روايات أهل البيت عليهم السلام إلى هذا المعنى) (١).

و من الضرورى الإشارة إلى هذه الملاحظه، و هى أن (العذاب الخالد) لهؤلاء الظالمين، يدل على أن المقصود هم الكافرون، كما ورد فى بعض الآيات القرآنيه:

وَ الْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ .

الآيه التى بعدها تشهد على هذه الحقيقه، حيث تقول: وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ .

فهؤلاء قطعوا أواصر ارتباطهم بالعباد المخلصين و الأنبياء و الأولياء، لذلك لا يملكون ناصرا أو معينا فى ذلك اليوم، و القوى الماديه سينتهى مفعولها فى ذلك اليوم أيضا، و لهذا السبب سيواجهون العذاب الإلهى بمفردهم.

و لتأكيد هذا المعنى تقول الآيه فى نهايتها: وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ .

و فى الآيات السابقه قرأنا: وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ .

فهناك تنفى الولي، و هنا تنفى السبيل، حيث أنه و لأجل الوصول إلى الهدف، يجب أن يكون هناك طريق، و يجب أن يتوفر الدليل، إلا أن هؤلاء الضالين محرومون من هذا و ذاك.

ص: ٥٦٣

اشاره

إِسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (٤٧) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَلَمَّا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرَحَّ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ (٤٨) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)

التفسير

اشاره

الأولاد...هبه الرحمن:

بما أنّ الآيات السابقة ذكرت جانبا من العقاب الأليم الموحش للكافرين و الظالمين، فإنّ الآيات أعلاه تحذر جميع الناس من هذا المصير المشؤوم، و تدعوهم إلى الاستجابة لدعوه الخالق و العوده إلى طريق الحق.

فَأُولَٰئِكَ يَوْمَ تَكُونُ الْأَشْيَاءُ إِلَىٰ رَبِّكَ حَامِلِينَ ﴿١٠٠﴾

و إذا كنتم تتصورون وجود ملجأ آخر سوى لطفه، و أحدا يحميكم غير رحمته، فإنكم على خطأ، لأن: مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ .

عبارة يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ تشير إلى يوم القيامة، و ليس إلى يوم الموت.

كما أن عبارة (من الله) تشير إلى أن أحدا لا يستطيع أن يتخذ قرارا بعدم العوده قبال أمر الخالق جلّ و علا.

و على أيه حال، فجميع الطرق التي يعتقد أنها تنقذ الشخص من العذاب الإلهي تكونن مغلقه في ذلك اليوم، و أحدها هو العوده إلى عالم الدنيا و التكفير عن الذنوب و الخطايا.

أما الآخر فهو وجود ملجأ يأمن الإنسان عند اللجوء إليه.

و أخيرا وجود من يقوم بالدفاع عن الإنسان.

فكل جملة من الجمل الثلاث-للآيه أعلاه-تنفى واحدا من هذه الطرق.

و قد فسّر بعضهم جملة مَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ بمعنى أنكم لا تستطيعون أن تنكروا ذنوبكم هناك، لأن الأدله و الشهود كثيرون بحيث لا مجال للإنكار، إلا أن المعنى الأول أفضل كما يبدو.

الآيه التي بعدها تخاطب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ و تواسيه قائله: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا فَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ لِأَنَّكَ لَسْتَ مَسْئُولًا عَنْ حِفْظِهِمْ مِنَ الانْحِرَافِ.

إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ

سواء قبلوا بذلك أم لم يقبلوا.

يجب عليك أن تقوم بإبلاغ الرسالة الإلهيه بأفضل وجه، و تتم الحجة عليهم، أما القلوب المهياه فسوف تقبل بذلك بالرغم من أن كثيرا من الجاهلين سوف

ص: ٥٦٥

١- ١) - قد تكون عبارة (من الله) في الجملة أعلاه بمعنى (من قبل الله) يعني لا توجد عوده من قبل الخالق، و قد تكون بمعنى (في مقابل الله) يعني لا يوجد من يستطيع أن يعيدكم إلى هذه الدنيا ضد إرادته الخالق.



يعرضون عنها، ولكنك لست مسئولا عنهم.

وقد ورد ما يشبه هذا المعنى فى بدايه هذه السوره فى قوله تعالى: **وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (١)**.

ثم ترسم صورته لحال هذه الجماعه غير المؤمنه و المعرضه عن الحق فتقول:

**وَ إِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا**

و يغفل عن ذكر الخالق: **وَ إِن تَصِبُّهُمْ سَيِّئَةً بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ .**

فلا النعم الإلهيه و شكر المنعم توقف هذا الإنسان و تجرّه نحو الشكر و المعرفه و الطاعه، و لا العقوبات التى تصيبه بسبب الذنوب توقفه من نوم الغفله، و لا تؤثر فيه دعوه الرسول صلى الله عليه و اله و سلم.

فعوامل الهدايه من حيث «التشريع» هى دعوه رسل الخالق، و من حيث «التكوين» قد تكون النعم و قد تكون المصائب، إلا أن هؤلاء الجهله ذوى القلوب الميتة لا تؤثر فيهم أى من هذه العوامل، و هذا بسببهم أنفسهم و ليس بسببك، لأنك قمت بمسؤوليتك فى الإبلاغ.

و قد تكون عبارته «إذا أذقنا» فى الآيه أعلاه (و هى هنا بخصوص رحمته الخالق، و فى آيات قرآنيه اخرى بخصوص العذاب الإلهي) إشاره إلى أن النعم و المصائب فى هذه الدنيا تعتبر لا شىء بالنسبه إلى نعم و مصائب الآخرة. أو قد تكون بمعنى أن هؤلاء الأشخاص يصابون بالغرور و الطغيان بمجرد قليل من النعمه، و اليأس و الكفر بقليل من المصائب.

و من الضرورى الإشاره إلى هذه الملاحظه، و هى أن الخالق يوكل النعم إلى نفسه، لأن رحمته تقتضى ذلك، بينما يوكل المصائب و الابتلاءات إليهم، لأنها نتيجة أعمالهم.

و استخدام كلمه (الإنسان) فى مثل هذه الآيات تشير إلى طبيعته (الإنسان غير

ص: ٥٦٦

المهذب) حيث أنه ذو تفكير قصير و نفسه ضعيفه، و تكرار ذلك- في الآيه أعلاه- يؤكد على هذا المعنى.

ثم لبيان حقيقه أن أى نعمه و رحمه فى هذا العالم مصدرها الخالق، و لا يملك الأفراد شيئاً من عندهم، أشارت الآيه إلى قضيه عامه و مصداق واضح لهذه الحقيقه، حيث تقول: لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ .

و لهذا السبب فإنّ الكلى يأكل من مائده نعمه، و يحتاج إلى لطفه و رحمته، فليس منطقياً الغرور عند النعمه، و لا- اليأس عن المصيبه.

و«نموذج» واضح لهذه الحقيقه و أن كلّ ما موجود هو منه، و الأفراد لا يملكون شيئاً من عندهم هو أنه: يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَ يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَ إِنَاثًا وَ يَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا .

و بهذا الترتيب فإنّ الناس يقسمون إلى أربع مجاميع: من عنده الأولاد الذكور و يريد البنات، و من عنده البنات و يريد الذكور، و من عنده الذكور و الإناث، و المجموعه التى تفتقد الأبناء و ياملون و يرغبون فيهم.

و العجيب أن أى شخص لا يستطيع الانتخاب فى هذا المجال سواء فى الماضى أو فى الوقت الحاضر، بالرغم من تقدم و تطور العلوم، و رغم المحاولات العديده فإنّ أحدا لم يستطع أن يهب الأبناء للعقيم الحقيقى، أو يعين نوع المولود وفقاً لرغبه الإنسان بالرغم من دور بعض الأطعمة أو الأدوية فى زياده احتمال ولاده الذكر أو الأنثى، إلا أن هذا يبقى مجرد احتمال و لا توجد أيه نتيجه حتميه لهذا الأمر.

و هذا نموذج واضح لعجز الإنسان، و دليل على المالكه و الحاكميه و الخالقيه للبارئ جلّ و علا، و هل هناك مثال أوضح من هذا؟ و الطريف فى الأمر أن هذه الآيات قدّمت الإناث على الذكور، لكى توضح

الأهميه التي يعطيها الإسلام لمنزله المرأة، و من جانب ثان تقول للذين لهم تصورات خاطئه عن ولاده البنت أو الأنثى -و يكرهونها- أن الخالق يعطى الشىء الذى يريد هو و ليس ما تريدونه أنتم، و هذا دليل على أنه هو الذى ينتخب.

إن استخدام عبارته (يهب) تعتبر دليلا واضحا على أن الإناث و الذكور من هدايا الخالق و هباته، و ليس صحيحا للمسلم الحقيقى التفريق بين الإثنيين.

كما أن استخدام عبارته (يزوجهم) لا تعنى التزويج هنا، بل تعنى جمع الهبتين (الإناث و الذكور) لبعض الناس و بعباره اخرى فإن مصطلح (التزويج) يأتى أحيانا بمعنى المجمع بين الأشياء المختلفه أو الأنواع المتعدده، لأن (زوج) تعنى فى الأصل شيئين أو شخصين متقارنين.

و اعتبر بعضهم هذه الآيه بمعنى ولاده الذكور و الإناث على الترتيب، و البعض الآخر اعتبرها بمعنى ولاده التوائم، يعنى الذكر و الأنثى.

و لكن العبارة أعلاه لا تدل على أى من التفاسير المذكوره.

إضافه إلى ذلك فإنها لا تتناسب مع ظاهر الآيه، لأن الآيه تريد الكلام عن مجموعه ثالثه رزقها الله البنات و البنين.

و على أية حال، فإن المشيئه الإلهيه هى التى تتحكم فى كل شىء و ليس فى قضيه ولاده الأبناء فحسب، فهو القادر و العليم و الحكيم، حيث يقترن علمه بقدرته، لذا فإن الآيه تقول فى نهايتها: إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ .

و من الضرورى أن نشير إلى أن كلمه (عقيم) المأخوذه من كلمه (عقم) -على وزن (بخل) و كذلك على وزن (فهم) -و تعنى فى الأصل الجفاف و التصلب المانع من قبول التأثير، و النساء العقيمت تطلق على اللواتى تكون أرحامهن غير مستعده لتقبل النطفه و نمو الطفل، كما تسمى بعض الرياح بالرياح العقيمه لعدم قدرتها على ربط الغيوم الممطره، و «اليوم العقيم» يطلق على اليوم الذى ليس فيه

سرور و فرح، كما يسمى يوم القيامة باليوم العقيم بسبب عدم وجود يوم بعد ذلك اليوم يمكن فيه التعويض عن الماضي.  
و أخيرا فإن الغذاء (المعقم) يطلق على الغذاء الذى تم القضاء على جميع ميكروباته، بحيث لا يمكنها النمو فى ذلك المحيط.

ص: ٥٦٩

اشاره

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ (٥١)

سبب النزول

فيما يلي خلاصه لما ذكره بعض المفسرين من سبب النزول في هذه الآيه:

جاء عدد من اليهود إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وقالوا له: لماذا لا تتكلم مع الخالق؟ و لماذا لا تنظر إليه؟ فلو كنت نبيا حقا فافعل مثل موسى حيث نظر إلى الخالق و تحدث معه، و سوف لا تؤمن بك أبدا حتى تفعل ما نطلبه منك، عندها أجابهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

إن موسى لم ير الخالق أبدا، هنا نزلت الآيه أعلاه (حيث وضحت كيفية الارتباط بين الأنبياء و الخالق) (١).

التفسير

اشاره

طرق ارتباط الأنبياء بالخالق:

هذه السوره، كما قلنا في بدايتها، تهتم بشكل خاص بقضية الوحي و النبوه،

ص: ٥٧٠

فهى تبدأ بالوحى و تنتهى به، لأن الآيات الأخيره تتحدث عن هذا الموضوع (أى الوحى).

و بما أن الآيات السابقه كانت تتحدث عن النعم الإلهيه، لذا فإنّ هذه الآيات تتحدث عن أهم نعمه إلهيه و أكثرها فائده لعالم البشره، ألا و هى قضيه الوحى و الارتباط بين الأنبياء و الخالق.

فى البدايه تقول الآيه: وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا لَأَنَّ الْخَالِقَ مَنْزَهُ عَنِ الْجِسْمِ وَالْجِسْمَانِيَهُ.

أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ

كما كان يفعل موسى حيث أنه كان يتحدث فى جبل الطور، و كان يسمع الجواب عن طريق الأمواج الصوتيه التى كان يحدثها الخالق فى الفضاء، دون أن يرى أحدا، لأنه لا يمكن مشاهدته الخالق بالعين المجرّده.

أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا

كما كان يقوم به جبرائيل الأمين و ينزل على الرسول صلى الله عليه و اله و سلم فَيُوحِي بِأَذْنِهِ مَا يَشَاءُ .

نعم، فلا يوجد طريق آخر سوى هذه الطرق الثلاثه لتحدث الخالق مع عباده ل إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ .

فهو أعلى و أجل من أن يرى أو يتكلم عن طريق اللسان، و كل أفعاله حكيمة، و يتم ارتباطه بالأنبياء وفق برنامج.

هذه الآيه تعتبر فى الحقيقه -ردا على الذين يتصورون- بجهاله- أن الوحى يعنى مشاهدته الأنبياء للخالق و هم يتكلمون معه، حيث أن الآيه تعكس بشكل دقيق و مختصر حقيقه الوحى و الروح.

و من مجمل الآيه نستفيد أن الارتباط بين الأنبياء و الخالق يتم عبر ثلاثه طرق هى:

١- الإيحاء، حيث كان كذلك بالنسبه للعديد من الأنبياء مثل نوح، حيث

تقول الآية: فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا (١).

٢- مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ كَمَا كَانَ الْخَالِقُ يَتَكَلَّمُ مَعَ مُوسَى فِي جَبَلِ طُورٍ، وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (٢).

وقد اعتبر البعض أيضا أن مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ تشمل الرؤيا الصادقة و الحقيقية.

٣- إرسال الرسول، كما في الوحي الى الرسول الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فالآية تقول:

مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ

(٣)

و لم يقتصر الوحي على هذا الطريق بالنسبة للرسول الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بل كان يتم بطرق اخرى أيضا.

و من الضروري أن نشير إلى أن الوحي قد يتم أحيانا في اليقظة، كما أشير إلى ذلك أعلاه، وأحيانا في المنام عن طريق الرؤيا الصادقة، كما جاء بشأن إبراهيم و أمره بذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام [بالرغم من اعتبار بعضهم أن ذلك مصداق ل مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ].

و بالرغم من أن الطرق الثلاثة التي ذكرتها الآية تعتبر الطرق الرئيسية للوحي، إلا أن بعضا من هذه الطرق لها فروع بحد ذاتها، فالبعض يعتقد أن الملائكة تقوم بإنزال الوحي عبر أربعة طرق:

١- يقوم الملك بإلقاء الوحي إلى روح النبي و قلبه دون أن يتجسد أمامه أي النفث في الروح كما نقرأ ذلك

في حديث عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حيث تقول: «إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله و اجملوا في الطلب».

ص: ٥٧٢

١- ١) - المؤمنون، الآية ٢٧.

٢- ٢) - النساء، الآية ١٦٤.

٣- ٣) - البقره، الآية ٩٧.

٢- يتقمص الملك أحيانا شكل الإنسان و يتحدث مع النبي (حيث تذكر الأحاديث أن جبرئيل ظهر بصورة دحية الكلبي) (١).

٣- أحيانا يكون على شكل رنين الجرس الذي يدوى صوته في الآذان، و كان هذا أصعب أنواع الوحي بالنسبة للرسول حيث كان يتسبب عرقا حتى في الأيام الباردة، و إذا كان راكبا على دابه فإنها كانت تقف و تجثو على الأرض.

٤- كما كان يظهر جبرئيل أحيانا بصورته الأصلية التي خلقه الله عليها، و هذا ما حدث مرتين فقط طوال حياة رسول صلى الله عليه و اله و سلم [كما سيأتي تفصيل ذلك في سورة النجم- الآيه ١٢]

(٢).

بحثان

اشاره

### الأول: الوحي في اللغة و القرآن و السنه

يرى الراغب في مفرداته إن أصل الوحي يعنى الإشاره السريعه سواء بالكلام الخافت، أو الصوت الخالى من التراكيب الكلاميه، أو الإشاره بالأعضاء (بالعين و اليد و الرأس) أو بالكتابه.

و من خلال ذلك نستفيد أن الوحي يشتمل على السريعه من جانب و الإشاره من جانب آخر، لذا فإن هذه الكلمه تستخدم للارتباط الخاص و السريعه للأنبياء مع عالم الغيب، و ذات الخالق المقدسه.

ص: ٥٧٣

١ - ١) - «دحيه بن خليفه الكلبي» هو أخو الرسول صلى الله عليه و اله و سلم في الرضاعه، و كان من أجمل الناس في ذلك الزمان، حيث كان جبرئيل يظهر على صورته عند مجيئه للرسول صلى الله عليه و اله و سلم [مجمع البحرين- كلمه دحى]، و كان من أشهر صحابه الرسول و معروفا بالوجه الحسن، و قد أرسله النبي الأكرم إلى قيصر الروم (هرقل) حاملا رساله منه في العام السادس أو السابع للهجره، و بقى حيا إلى أيام خلافه معاويه.

٢ - ٢) - فى ظلال القرآن، المجلد السابع، ص ٣٠٦.



و هناك معان مختلفه (للوحى) فى القرآن المجيد و فى لسان الأخبار، فأحيانا تكون بخصوص الأنبياء، و أحيانا للناس الآخرين، و أحيانا تطلق للارتباط الخاص بين الناس، و أحيانا الارتباط الخاص بين الشياطين، و أحيانا بخصوص الحيوانات.

و أفضل كلام فى هذا المجال هو ما ورد عن على عليه السلام فى رده لشخص سأل عن الوحى، حيث قسمه الإمام إلى سبعة أقسام هى:

١- وحى الرساله و النبوه: مثل **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِيْسَىٰ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ عِيسَىٰ وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هَارُونَ وَ سُلَيْمَانَ وَ آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (١)**.

٢- الوحى بمعنى الإلهام: مثل **وَ أَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ (٢)**.

٣- الوحى بمعنى الإشاره: مثل **فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٣)**.

٤- الوحى بمعنى التقدير: مثل **وَ أَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا (٤)**.

٥- الوحى بمعنى الأمر: مثل **وَ إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى النَّجَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَ بِرَسُولِي (٥)** - الوحى بمعنى الأكاذيب: مثل **وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا (٦)**.

٧- الوحى بمعنى الإخبار: مثل

ص: ٥٧٤

١- (١) - النساء، الآية ١٦٣.

٢- (٢) - النحل، الآية ٦٨.

٣- (٣) - مريم، الآية ١١.

٤- (٤) - فصلت، الآية ١٢.

٥- (٥) - المائدة، الآية ١١١.

٦- (٦) - الأنعام، الآية ١١٢.

وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ

(١)

و يمكن أن تكون لبعض هذه الأقسام السبعة فروعاً أخرى تزيد عند استعمالها من استخدامات الوحي في الكتاب و السنه، لذا فإن «التفليسي» ذهب في كتابه (وجوه القرآن) الى وجود عشر معاني أو أوجه للوحي، و بعضهم ذكر عدداً أكثر من هذا.

و من خلال هذه الاستخدامات المختلفه للوحي و مشتقاته نستنتج أن الوحي الإلهي على نوعين: (وحي تشريعي) و (وحي تكويني).

فالوحي التشريعي هو ما كان ينزل على الأنبياء، و يمثل العلاقة الخاصه بينهم و بين الخالق، حيث كانوا يستلمون الأوامر الإلهيه و الحقائق عن هذا الطريق.

أمّا الوحي التكويني فهو في الحقيقه وجود الغرائز و القابليات و الشروط و القوانين التكوينية الخاصه التي أوجدها الخالق في أعماق جميع الكائنات في هذا العالم.

**الثاني: حقيقه (الوحي) المجهوله**

**إشاره**

لقد قيل الكثير حول حقيقه الوحي، و لكن بما أن هذا الارتباط المجهول خارج حدود إدراكاتنا، لذا فإن هذه الكلمات لا تستطيع أن تعطى صورته الواضحه للموضوع، و أحيانا تؤدي الى الانحراف عن جاده الصواب، و قد ذكرنا آنفاً ما يمكن قوله في هذا المجال، و في الحقيقه فإن ما يمكن قوله بشكل جميل و مختصر، و لم تصل بحوث المفكرين و العلماء لأكثر من ذلك، و في نفس الوقت لا بدّ هنا من ذكر بعض التفاسير التي طرحها الفلاسفه القدماء و الجدد حول الوحي:

ص: ٥٧٥

يرى هؤلاء-وفقا لمقدمات مفصله-أن الوحي هو عبارته عن الاتصال الخارق(لنفس الرسول)مع(العقل الفعّال)المسيطر بظله على عالم(الحس المشترك)و(الخيال).

### و توضيح ذلك:

أنّ القدماء كانوا يعتقدون أن الروح الإنسانيه لها ثلاث قوى:قوّه الحس المشترك و بواسطتها يدرك الإنسان صور المحسوسات،و(قوّه الخيال)و بواسطتها يدرك بعض الصور الذهنيه،و(القوه العقلية)التي يدرك بواسطتها الصور الكليه.

و من جانب آخر،فهم يعتقدون بنظريه الأفلاك التسعه لبطليموس،و كانوا يعتقدون بوجود(النفس المجزّده)لها مثل(الروح لأجسادنا)و يضيفون:إن هذه النفوس الفلكيه تستلهم من كائنات مجزّده تسمى(العقول)،و على هذا الأساس فهم يقولون بوجود(تسعه عقول)تختص(بالأفلاك التسعه).

و من جانب ثالث كانوا يعتقدون أن النفوس الإنسانيه و أرواحها يجب أن تستلهم من الكائن المجرد الذى يسمى ب(العقل الفعّال)و ذلك لأجل إظهار القابليات و إدراك الحقائق،حيث كان يسمى ب(العقل العاشر)،أما سبب تسميته بالفعال فلاّنه أساس حدوث القابليات للعقول الجزئيه.

و من جانب رابع كانوا يعتقدون أنّه مهما قويت الروح الإنسانيه فإنّه سيزداد ارتباطها و اتصالها بالعقل الفعّال الذى هو خزانة و مصدر المعلومات،لذا فإنّ الروح القويه و الكامله تستطيع أن تكتسب أوسع المعلومات من(العقل الفعّال) بأمر من الخالق،و ذلك فى أقصر مده.

و أيضا فإذا قويت(قوّه الخيال)فإنّها تستطيع أن تنقل هذه المفاهيم إلى الحس بشكل أفضل،و عند ما يقوى الحس المشترك الإنسان أن يدرك القضايا

المحسوسه الخارجيه بشكل أفضل أيضا.

و من خلال هذه المقدمات سيتنتجون أن روح النبى لها ارتباط و اتصال كبير جدا بالعقل الفعال،لأنها قويه بشكل خارق،و لهذا السبب تستطيع أن تأخذ المعلومات بشكل عام من العقل الفعال فى أكثر الأوقات.

و بما أن القوه الخياليه للنبى قويه جدا أيضا،و فى نفس الوقت تتبع القوه العقلية،لذا فإنها(أى القوه الخياليه)تستطيع أن تعطى صوراً محسوسه مناسبه للصور الكليه المأخوذه من العقل الفعال،و،أن ترى نفسها ضمن أطر حسيه فى أفق الذهن،فمثلاً لو كانت تلك الحقائق العامه من باب المعانى و الأحكام فسيسمعها من لسان شخص بمنتهى الكمال،و ذلك على شكل ألفاظ موزونه بمنتهى الفصاحه و البلاغه.

و لأن قوته الخياليه مسيطره بشكل كامل على الحس المشترك،لذا فإنها تستطيع أن تعطى طبيعه حسيه لهذه الصور،و يستطيع النبى أن يرى ذلك الشخص بعينه و يسمع ألفاظه بإذنه.

### نقد و تحليل

هذه النظرية تعتمد على مقدمات يعتبر القسم الأعظم منها مرفوضاً فى الوقت الحاضر،فمثلاً أفلاك بطليموس التسع و النفوس و العقول المرتبطه بها تعتبر جزءاً من الأساطير،لعدم وجود أى دليل على إثباتها،بل و توجد أدله ضدها.

و من جانب آخر فإن هذه الفريضة لا تتلاءم مع الآيات القرآنيه بخصوص الوحي،لأن الآيات القرآنيه تصرّح بأن الوحي نوع من الارتباط مع الخالق الذى قد يكون عن طريق الإلهام أحياناً،و أحياناً اخرى عن طريق الملك أو سماع الأمواج الصوتيه أمّا القول بأنه وليد القوه الخياليه و الحس المشترك و أمثال ذلك فهو فى غايه الضعف و عدم الانسجام مع الآيات القرآنيه.

و من الإشكالات الأخرى على هذا الكلام هو تصنيفه للنبي في قائمه الفلاسفه و النوابع بعقل و روح أقوى، في حين أننا نعلم أن طريق الوحي مغاير تماما لطريق الإدراكات العقلية.

فهذه المجموعه من الفلاسفه أساءت لأساس الوحي و النبوه دون قصد و لأنهم لم يلمّوا بالحقيقه سلكوا طريق الخيال و الأسطوره.

و هناك تفصيلات أكثر عن هذا الموضوع تأتي ضمن البحوث القادمه.

## ٢- تفسير بعض الفلاسفه الجدد

هذه المجموعه من الفلاسفه اعتبرت الوحي باختصار نوعا من (الشعور الباطن) و جاء في (دائره معارف القرن العشرين) حول الوحي ما يلي:

(كان الغربيون إلى القرن السادس عشر كجميع الأمم المتدينه يقولون بالوحي لأن كتبهم مشحونه بأخبار الأنبياء، فلما جاء العلم الجديد بشكوكه و ماديته ذهبت الفلسفه الغربيه إلى أن مسأله الوحي من بقايا الخرافات القديمه و تغالت حتى أنكرت الخالق و الروح معا و عللت ما ورد عن الوحي في الكتب القديمه بأنه إما اختلاف من المتنبأ أنفسهم لجذب الناس إليهم و تسخيرهم لمشيئتهم، و إما إلى هذيان مرض يعترى بعض العصبيين فيخيل إليهم أنهم يرون أشباحا تكلمهم و هم لا يرون في الواقع شيئا. رواج هذا التعليل في العالم الغربى حتى صار مذهب العلم الرسمى، فلما ظهرت آيه الأرواح في امريكا سنه ١٨٤٦ و سرت منها إلى أوروبا كلها و أثبت للناس بدليل محسوس وجود عالم روحانى أهل بالعقول الكبيره و الأفكار الثاقبه تغير وجه النظر في المسائل الروحانيه، و حيت مسأله الوحي بعد أن كانت في عداد الأضاليل القديمه، و أعاد العلماء النحت فيها على قاعده العلم التجريبي المقرر لا على أسلوب التقليد الدينى و لا من طريق الغرب في مهامه الخيالات، فتأدوا إلى نتائج و إن كانت غير ما قرره علماء الدين

الإسلامى إلا أنها خطوه كبيره فى سبيل إثبات أمر عظيم كان قد أحيل إلى عالم الأمور الخرافيه (١).

و الكلام فى هذا المجال كثير، إلا أن خلاصته أنهم اعتبروا الوحي تجليا للوجدان الخفى و إظهارا لعالم اللاشعور فى الإنسان الذى هو أقوى بكثير من عالم الشعور فيه و بما أن الأنبياء كانوا رجالا متميزين فقد كانوا يتمتعون بوجدان قوى جدًا و ذى ترشحات مهمه.

### نقد و تحليل

واضح أن ما تقوله هذه المجموعه هو افتراض بحث، حيث لم يذكروا أى دليل على ذلك، و فى الحقيقه فقد اعتبروا الأنبياء أفرادا لهم نبوغ فكرى و شخصيه عظيمه، دون أن يقبلوا ارتباطهم بمصدر عالم الوجود (الخالق العظيم) و اكتسابهم للعلوم عن طريقه و من خارج كيانهم.

إن مصدر خطئهم هو أنهم أرادوا قياس الوحي وفقا لمعايير العلوم التجريبيه، و نفى أى شىء خارج دائرتها، و جميع الموجودات فى هذا العالم يجب أن تدرك بهذا المعيار، و إلا فهو غير موجود.

هذا الأسلوب من التفكير ترك آثاره السيئه، ليس فى موضوع الوحي فحسب، بل فى العديد من البحوث الفلسفيه و العقائديه الأخرى. لذا فإن هذا التفكير مرفوض من أساسه، لأنهم لم يذكروا أى دليل على تقييد جميع الكائنات فى العالم بالكائنات الماديه و ما ينتج عنها.

### ٣- النبوغ الفكرى

البعض الآخر تجاوز هذه الأقوال و أعلن بشكل رسمى أن الوحي نتيجته

ص: ٥٧٩

---

١-١) -دائره المعارف القرن العشرين / ١٠ ماده (وحي).

للنبوغ الفكري للأنبياء، ويقول: إنَّ الأنبياء كانوا أفرادا ذوى فطره طاهره و نبوغ خارق، حيث كانوا يدركون مصالح المجتمع الإنسانى، و بواسطته يضعون له المعارف و القوانين.

و هذا الكلام فى الواقع ينكر بصراحه نبوّه الأنبياء، و يكذب أقوالهم، و يتهمهم بأنواع الأكاذيب (العياذ بالله).

و بعبارة أوضح فإنَّ أيّا ممّا ذكرناه لا يعتبر تفسيراً للوحى، و إنّما هى افتراضات مطروحة فى حدود الأفكار، و لأنّهم أصرّوا على عدم الاعتراف بوجود قضايا اخرى خارج إطار معلوماتهم، لذا فإنّهم واجهوا الطريق المسدود.

### الكلام الحق فى الوحى:

لا- يمكننا الاحاطه-بلا شك-بحقيقه الوحى و ارتباطاته، لأنّه نوع من الإدراك خارج عن حدود إدراكنا، و هو ارتباط خارج عن حدود ارتباطاتنا المعروفة. فعالم الوحى بالنسبه لنا عالم مجهول و فوق إدراكنا، فكيف يستطيع إنسان ترابى أن يرتبط مع مصدر عالم الوجود؟! و كيف يرتبط الخالق الأزلى الأبدى مع مخلوق محدود و ممكن الوجود! و كيف يتيقن النّبى عند نزول الوحى أن هذا الارتباط معه؟ هذه أسئلة يصعب الجواب عليها بالنسبه لنا، و لا داعى للإصرار على فهمها.

أميا الموضوع الذى يعتبر معقولا بالنسبه لنا و يمكن قبوله فهو وجود-أو إمكانية وجود-هذا الارتباط المجهول.

فنحن نقول: لا- يوجد أى دليل عقلى ينفى إمكانية مثل هذا الأمر، بل على العكس من ذلك حيث نرى ارتباطات مجهوله فى عالمنا نعجز عن تفسيرها، و هذه الارتباطات تؤكّد وجود مرثيات و مدركات اخرى خارج حدود حواسنا و ارتباطاتنا.

و لا بأس من ذكر مثال لتوضيح هذا الموضوع...

لنفرض أننا كنا فى مدينه كل أهلها من العميان(عميان منذ الولاده)و نحن الوحيدون ننظر بعينين،فكل أهل المدينه لهم أربعه حواس(على فرض أن الحواس الظاهريه للإنسان خمس)و نحن الوحيدون نملك خمس حواس.عندها سنشاهد أحداثا كثيره فى هذه المدينه،و عند ما نخبر أهل هذه المدينه سيتعجبون جميعهم من هذه الحاسه الخامسه التى تستطيع أن تدرك هذه الحوادث المتعدده، و مهما حاولنا شرح حاسه النظر لهم و فوائدها و آثارها فإنهم لا يستطيعون فهم ذلك.فمن جانب لا يستطيعون نكران ذلك لإدراكهم آثارها،و من جانب آخر لا يقدررون على درك حقيقه حاسه النظر،لأنهم غير قادرين على النظر طيله حياتهم و لو للحظه واحده.

و لا نريد القول أن الوحى هو(الحاسه السادسه)،بل هو نوع من الارتباط و الإدراك لعالم الغيب و الذات الإلهيه المقدسه،و لأننا نفقد ذلك لا نستطيع أن ندرك كنهه بالرغم من إيماننا بوجود الوحى لوجود آثاره.

إننا نرى رجالا عظماء يدعون الناس الى أمور هى فوق مستوى أفكار البشر،و يدعوهم إلى الدين الإلهى،و عندهم من المعاجز الخارقه ما يفوق طاقه الإنسان،حيث توضح هذه المعاجز ارتباطهم بعالم الغيب،فالأثار واضحه إلا أن الحقيقه مخفيه.

هل توصلنا-نحن إلى معرفه جميع أسرار هذا العالم،كى نفى الوحى لصعوبه إدراكه بالنسبه لنا؟! و حتى فى عالم الحيوانات،فهناك ظواهر مجهوله نعجز عن تفسيرها،فهل توضحت لنا الحياه المجهوله لبعض الطيور المهاجره التى قد تقطع ثمانيه عشر ألف كيلومتر من القطب الشمالى و حتى الجنوبى أو العكس؟فكيف تعرف هذه الطيور الطريق بدقه مع أنها قد تسافر أحيانا فى النهار و أحيانا اخرى فى الليالى



المظلّمه، في حين أنّنا لا نستطيع أحياناً أن نسير مقداراً يسيراً من طريقها ما لم يكن لدينا أجهزته و وسائل معينه توضح لنا لمسير؟ وهناك بعض الأسماك التي تعيش في أعماق البحار والمحيطات، وعند ما تريد أن تضع بيوضها تعود إلى مسقط رأسها الذي يبعد أحياناً آلاف الكيلومترات، فكيف تستطيع هذه الأسماك أن تهتدي إلى مسقط رأسها بهذه السهوله؟! وهناك العديد من هذه الأمثله المجهوله في حياتنا تمنعنا انكار و نفى كل شيء، و تذكرنا بوصيه الفيلسوف «ابن سينا» الذي يقول: «كل ما قرع سمعك من الغرائب فضعه في بقعه الإمكان ما لم يزدك عنه قاطع البرهان.» و الآن لنر ادلّه الماديين في إنكار الوحي.

### منطق منكري الوحي:

يذكر بعض الماديين لدى طرح مسأله الوحي بأن الوحي خلاف العلم! و إذا سألناهم كيف ذلك؟ يقولون بلهجه المغروره و الواثق من نفسه: إنه يكفي لانكار شيء أن العلوم الطبيعيه لم تثبتته. و نحن لا- نقبل إلاّ المواضيع التي أثبتتها العلوم التجريبيه وفق معاييرها الخاصه.

و إضافه لذلك فنحن لم نواجه في تحقيقاتنا العلميه حول جسم الإنسان و روحه، شيئاً مجهولاً يستطيع أن يربطنا بعالم ما وراء الطبيعه.

كيف يمكننا أن نصدق بأن الأنبياء، الذين هم بشر مثلنا، لهم إحساس غير إحساسنا و إدراك فوق إدراكنا؟

### الإيراد الدائمي و الرد الدائمي:

مثل هذا التعامل للماديين مع الوحي لا يرتبط بهذا الخصوص فحسب،

فهؤلاء لهم مثل هذا التحليل حيال جميع القضايا التي تختص بما وراء الطبيعة، و لأجل التوضيح نقول لهم دائما: لا تنسوا أن حدود العلم هي عالم المادة، و الأ-جهازه و الوسائل المستخدمة في البحوث العلميّه- كالمختبرات و التلسكوبات و الميكروسكوبات و قاعات التشريح- كلها محدود بحدود هذا العالم، فهذه العلوم و أجهزتها لا تستطيع أن تتحدث أبدا عما هو موجود خارج حدود عالم المادة، لا- بالنفى و لا- بالإثبات، و الدليل على ذلك واضح، لأن هذه الأجهزه و الوسائل لها قدره محدوده و محيط خاص بها.

بل إنّ أجهزه كلّ واحد من العلوم الطبيعيه لا يستطيع أن يكون فاعلا بالنسبه للعلم الآخر، فمثلا نحن لا نستطيع أن ننكر وجود ميكروب السل إذا لم نشاهده بواسطه التلسكوب العظيم المستخدم فى النجوم، أو نفى وجود كوكب البلوتون لأننا لم نشاهده بواسطه الميكروسكوب أو المجهر.

فالوسائل تتناسب مع نوع العلم دائما، أما الوسائل المستخدمه لمعرفة ما وراء الطبيعة، فهى ليست سوى الاستدلالات العقليه القويه التى تفتح لنا الآفاق نحو ذلك العالم الكبير.

فالذين يخرجون العلم عن محيطه و حدوده ليسوا علماء و لا فلاسفه، إنّما يدعون ذلك، و فى نفس الوقت هم خاطئون و ضالون.

المهم إنّنا نرى أشخاصا عظاما جاؤوا و ذكروا لنا أمورا هى خارج حدود معرفه البشر، و هذا يؤكّد ارتباطهم بما وراء عالم المادة. أمّا كيف يكون هذا الارتباط المجهول؟ فهذا ما لم يتضح لنا، إنّما المهم هو أنّنا نعلم بوجود مثل هذا الارتباط.

### **بعض الأحاديث بخصوص قضيه الوحي:**

هناك روايات عديده وردت فى المصادر الإسلاميه بخصوص الوحي، حيث

توضح جوانب من هذا الارتباط المجهول للأنبياء بمصدر الوحي:

١- يمكن الاستفادة من بعض الروايات أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان في حاله عاديّه عند نزول الوحي عليه عن طريق الملك، إلاّ أنّه كان يشعر بحاله خاصه عند الارتباط المباشر- بدون واسطه- و أحيانا يشعر بالغشيه، كما

ورد في كتاب التوحيد للشيخ الصدوق عن الإمام الصادق عليه السّلام عند ما سأله عن الغشيه التي كانت تصيب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا نزل عليه الوحي قال: «ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد، ذاك إذا تجلّى الله له (١)».

٢- كان جبرئيل ينزل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بشكل مؤدب و باحترام كامل، كما

ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السّلام حيث يقول: «كان جبرئيل إذا أتى النبيّ قعد بين يديه قعده العبيد و كان لا يدخل حتى يستأذنه» (٢).

٣- يمكن الاستفادة من روايات اخرى أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان يشخص جبرئيل بشكل جيد، و ذلك بتوفيق من الله (و الشهود الباطني) كما جاء

في حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام حيث يقول: «ما علم رسول الله أن جبرئيل من قبل الله إلاّ بالتوفيق» (٣).

٤- هناك تفسير لقضيه غشيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عند نزوله الوحي ورد في حديث منقول عن ابن عباس حيث يقول: كان النبي إذا نزل عليه الوحي وجد منه ألما شديدا و يتصدع رأسه، و يجد ثقلا (و ذلك) قوله تعالى: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا و سمعت أنّه نزل جبرئيل على رسول الله ستين ألف مره (٤).

ص: ٥٨٤

١- (١) - (توحيد الصدوق) نقلا عن بحار الأنوار، المجلد ١٨، ص ٢٥٦.

٢- (٢) - علل الشرائع نقلا عن بحار الأنوار، المجلد ١٨، ص ٢٥٦.

٣- (٣) - بحار الأنوار، المجلد ١٨، ص ٢٥٦.

٤- (٤) - بحار الأنوار، المجلد ١٨، ص ٢٦١.

اشاره

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (٥٣)

التفسير

اشاره

القرآن روح من الخالق:

بعد البحث العام الذى ورد فى الآيه السابقه بخصوص الوحي، تتحدث الآيات التى نبحتها عن نزول الوحي على شخص الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله و سلم حيث تقول: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا .

قد تكون عبارته (كذلك) إشاره إلى الأنواع ثلاثه للوحي الوارده فى الآيه السابقه، و التى تحققت جميعها بالنسبه للنبي صلى الله عليه و اله و سلم، فأحيانا كان يرتبط بذات الخالق المنزهه و المطهره بشكل مباشر، و أحيانا عن طريق ملك الوحي، و أحيانا عن طريق سماع لحن خاص يشبه الأمواج الصوتيه، كما أشارت الروايات

الإسلاميه إلى جميع ذلك، وبيّنا شرح ذلك في نهايه الآيه السابقه.

و هناك قولان للمفسرين بخصوص المقصود من كلمه (روح) في هذه الآيه:

الأول: إن المقصود هو القرآن الكريم، لأنه أساس حياه القلوب و حياه جميع الأحياء، وقد اختار هذا القول أكثر المفسرين (١).

و يقول الراغب في مفرداته: سمي القرآن روحاً في قوله: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا و ذلك لكون القرآن سبب للحياه الأخرويه.

و هذا المعنى يتلاءم بشكل كامل مع القرائن المختلفه الموجوده في الآيه مثل عبارته (كذلك) التي تشير إلى قضيه الوحي، و عبارته (أوحينا) و عبارات اخرى بخصوص القرآن وردت في نهايه هذه الآيه.

و بالرغم من أن (روح) وردت غالباً بمعاني اخرى سائر آيات القرآن، إلا أنه -وفقاً للقرائن أعلاه- يظهر أنها وردت هنا بمعنى القرآن.

و قد قلنا أيضاً في تفسير الآيه ٢ من سوره النحل: يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ عَلِيٍّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ كَلِمَهُ (روح) في هذه الآيه -وفقاً للقرائن- وردت بمعنى (القرآن و الوحي و النبوه) و في الحقيقه فإن هاتين الآيتين تفسر إحداهما الأخرى.

فكيف يمكن للقرآن أن لا يكون روحاً في حين أننا نقرأ في الآيه (٢٤) من سوره الأنفال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ .

التفسير الثاني: أن المقصود هو (روح القدس) (أو ملك أفضل حتى من جبرائيل و ميكائيل و كان يلازم النبي دائماً).

و وفقاً لهذا التفسير فإن (أوحينا) تكون بمعنى (أنزلنا) يعني أنزلنا روح القدس عليك، أو ذلك الملك العظيم (بالرغم من أننا لم نر كلمه (أوحينا) لهذا

ص: ٥٨٦

١-١) -الطبرسي في مجمع البيان، الشيخ الطوسي في التبيان، الفخر الرازي في التفسير الكبير المراغي في تفسير المراغي و جماعه آخرون.

المعنى فى الآيات القرآنيه الأخرى). و يؤيد ذلك بعض الروايات المذكوره فى مصادر الحديث المعروفه، و لكن - كما قلنا - فإن التفسير الأول ملائم مع الآيه لوجود القرائن المتعدده، لذا يمكن أن تكون مثل هذه الروايات التى تفسر الروح بمعنى روح القدس أو الملك المقرب من الخالق، إشاره إلى المعنى الباطنى للآيه.

على آيه حال، فإن الآيه تضيف: مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا .

فهذا هو اللطف الإلهى الذى شملك أنزل عليك هذا الوحي السماوى و آمنت بكل ما يحتويه.

فالإيراده الإلهيه كانت تقتضى أن يهدى عباده الآخرين فى ظل هذا النور السماوى، و أن يشمل الشرق و الغرب - بل و جميع القرون و الأعصار حتى النهايه - إضافه إلى هدايتك أنت إلى هذا الكتاب السماوى الكبير و تعليماته.

بعض المنحرفين فكريا كانوا يتصورون أن هذه الجملة تبين أن الرسول لم يكن يؤمن بالله قبل نبوته، فى حين أن معنى الآيه واضح، حيث أنها تقول: إِنَّكَ لَمْ تَكُن تَعْرِفُ الْقُرْآنَ قَبْلَ نَزْوِلِهِ وَ لَمْ تَكُن تَعْرِفُ تَعْلِيمَاتِهِ وَ تَوَمَّنَ بِهِ وَ هَذَا لَا يَتَعَارَضُ أَبَدًا مَعَ اعْتِقَادِ الرَّسُولِ التَّوْحِيدِ وَ مَعْرِفَتِهِ الْعَالِيَةِ بِأَصُولِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَ عِبُودِيَّتِهِ لَهُ .

و الخلاصه، إن عدم معرفه محتوى القرآن يختلف عن موضوع عدم معرفه الله.

فحياه الرسول صلى الله عليه و اله و سلم قبل مرحله النبوه و الوارده فى كتب التاريخ، تعتبر دليلا حيا على هذا المعنى. و الأوضح من ذلك ما

ورد عن أمير المؤمنين على عليه السلام فى نهج البلاغه: «و قد قرن الله به من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالم، ليله و نهاره» (١).

و تضيف الآيه فى نهايتها: وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

فالقرآن نور للجميع و ليس لك فحسب، و هو وسيله لهدايه البشر إلى الصراط.

ص: ٥٨٧

المستقيم، و موهبه إلهيه عظيمه بالنسبه للسائرين على طريق الحق، و هو ماء الحياه بالنسبه للعطاشى كى ينتهلوا منه.

و قد ورد نفس هذا المعنى بعباره اخرى فى الآيه (٤٤) من سوره فصلت حيث تقول الآيه: قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَ شِفَاءً وَ  
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُفْرًا .

ثم تقول الآيه مفسره للصراط المستقيم: صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ .

و هل هناك طريق أكثر استقامه من الطريق الذى ينتهى بخالق عالم الوجود؟ و هل هناك أحسن من هذا الطريق؟ فالسعاده  
الحقيقيه هى السعاده التى يدعو إليها الخالق، و الوصول إليها يجب أن يكون عبر الطريق الوحيد الذى انتخبه البارئ لها.

أمّا آخر جملته فى هذه الآيه - و هى آخر آيه فى سوره الشورى - فهى فى الحقيقة دليل على أن الطريق المستقيم هو الطريق  
الوحيد الذى يوصل إلى الخالق، حيث تقول: أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ .

فبما أنه يملك عالم الوجود و يحكمه و يدبره لوحده، و بما أن برامج تكامل الإنسان يجب أن تكون تحت إشراف هذا المدبّر  
العظيم، لذا فإن الطريق المستقيم هو الطريق الوحيد الذى يوصل إليه، و الطرق الأخرى منحرفه و تؤدى إلى الباطل، و هل هناك  
حق فى هذا العالم غير ذاته المقدسه؟! هذه الجمله بشرى للمتقين، و هى فى نفس الوقت تهديد للظالمين و المذنبين، لأن الجميع  
سوف يرجعون إلى الخالق.

و هى دليل على أن الوحي يجب أن يكون من الخالق فقط، لأن جميع الأمور ترجع إليه و تدبير كل شىء بيده، و لهذا السبب  
وجب أن يكون البارئ تعالى هو مصدر الوحي بالنسبه للأنبياء حتى تتم الهدايه الحقيقيه.

و هكذا نرى أن بدايه و نهايه هذه الآيات منسجمه فيما بينها و مترابطه، و نهايه السوره-أيضا-يتلاءم مع بديتها و الموضوع العام السارى عليها.

## ملاحظات

## اشاره

### ١-ماذا كان دين الرسول الأعظم قبل نبوته؟

لا- يوجد شك فى أن الرسول الأ-كرم صلى الله عليه و اله و سلم لم يسجد لصنم قبل بعثته أبدا، و لم ينحرف عن خط التوحيد، فتاريخ حياته يعكس بوضوح هذا المعنى، إلا أن العلماء يختلفون فى الدين الذى كان عليه:

فذهب بعضهم أنه دين المسيح عليه السلام، لأن المسيحيه كانت الدين الوحيد الرسمى غير المنسوخ قبل بعثه الرسول صلى الله عليه و اله و سلم.

و قال البعض الآخر: إنه دين إبراهيم عليه السلام، لأنه (شيخ الأنبياء) و أبوهم، و قد ذكرت بعض آيات القرآن أن دين الإسلام هو دين إبراهيم: **مَلَهُ أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ (١)**.

أما البعض الآخر فلم يذكر شيئا و اكتفى بالقول بأننا نعلم بأنه كان على دين معين إلا أنه لم يتوضح لنا ما هو.

و بالرغم من أن كلا من هذه الأقوال يستند إلى دليل معين، إلا أنها ليست قطعيه، و أفضلها قول آخر و هو: لقد كان الرسول صلى الله عليه و اله و سلم يملك برنامجا خاصا من قبل الخالق و كان يعمل به، و فى الحقيقه فقد كان له دين خاص حتى زمان نزول الإسلام عليه.

و الدليل على هذا الكلام الجملة التى ذكرناها قبل قليل، و الوارد فى نهج البلاغه، و هو «و لقد قرن الله به و من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته،

ص: ٥٨٩



يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالم ليله و نهاره».

فوجود مثل هذا الملك يدل على وجود برنامج خاص.

و الدليل الآخر هو أنّ التاريخ لم يذكر لنا أبداً أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ انشغل بالعبادة في معابد اليهود أو النصارى أو الأديان الأخرى، و لم يكن إلى جوار الكفار في معابدهم، و لا- إلى جوار أهل الكتاب في كنائسهم، و في نفس الوقت فقد استمر في سلوك طريق التوحيد و كان متمسكا بقوه بالأصول الأخلاقية و العبادة الإلهية.

و قد وردت عدّه روايات-وفقا لنقل العلامة المجلسي في بحار الأنوار-في المصادر الإسلامية عن أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان مؤيدا منذ بدايه عمره بروح القدس.

و حتما فإنه كان يعمل وفقا لما يستلهمه من روح القدس (١).

و يرى العلامة المجلسي أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان نبيا قبل أن يكون رسولا، فالملائكة كانت تتحدث معه أحيانا و كان يسمع صوتها، و أحيانا كان الإلهام الإلهي ينزل عليه ضمن الرؤيا الحقيقية الصادقة، و بعد أربعين سنة وصل إلى منزله الرساله و نزل القرآن و الإسلام عليه، و قد ذكر لذلك سته أدله حيث يتلاءم بعضها مع ما ذكرناه أعلاه (للاستزاده راجع المجلد ١٨ من بحار الأنوار ص ٢٧٧ فما بعدها).

## ٢- الجواب على سؤال

بعد هذا البحث قد يطرح هذا السؤال: لماذا تقول الآية: مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ رَغْمَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ إِيْمَانٍ وَأَعْمَالٍ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ نَبْوَتِهِ؟ و بالرغم من أنه ورد جواب هذا السؤال بشكل موجز في تفسير الآية، إلا أنه من الأفضل إعطاء توضيح أكثر بهذا الخصوص.

المقصود أنّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لم يكن يعرف بتفصيلات هذا الدين و لا بمحتوى

ص: ٥٩٠

القرآن، قبل نزوله و قبل تشريع الإسلام.

أمّا كلمه الإيمان، فلو لا حظنا أن هذه الكلمه وردت بعد الكتاب، و بملاحظه الجمل الأخرى الوارده بعدها فى الآيه، يتضح أن المقصود بها هو الإيمان بمحتوى هذا الكتاب السماوى و ليس مطلق الإيمان، لذا لا يوجد أى تعارض مع ذكرناه، و لا يمكن أن تكون هذه الجمله وسيله لذوى النفوس المريضة كى يستدلوا بها على نفى الإيمان بشكل مطلق عن الرسول، و ينكرون الحقائق التاريخيه فى هذا المجال.

و قد ذكر بعض المفسرين أجوبه اخرى لهذا السؤال منها:

أ- المقصود من الإيمان ليس الاعتقاد لوحده، بل مجموع الاعتقاد و الإقرار باللسان و الأعمال و هذا هو المقصود به فى التعبير الإسلامى.

ب- المقصود من الإيمان هو الاعتقاد بالتوحيد و الرساله، و نحن نعلم أن النبى كان موحدًا، إلا أنه لم يكن يؤمن برسالته بعد.

ج- المقصود من الإيمان هو أركان الإيمان التى لا- يتوصل إليها الإنسان عن طريق العقل، و الطريق الوحيد لذلك هو الأدله النقليه (مثل العديد من خصوصيات المعاد).

د- هناك محذوف فى هذه الآيه و فى التقدير: ما كنت تدرى كيف تدعو الخلق إلى الإيمان (1).

و لكن حسب اعتقادنا فإن المعنى الأول أفضل المعانى و أكثرها تلاؤمًا مع محتوى الآيه.

### ٣- ملاحظه أدبيه

هناك كلام كثير حول الضمير فى جمله: لِكِنْ جَعَلْنَا نُورًا لِمَنْ يَعُودُ،

ص: ٥٩١

---

١- ١) - الآلوسى فى روح المعانى، المجلد ٢٥، ص ٥٥، و قد ذكر احتمالات اخرى إلا أننا لم نذكرها لعدم أهميتها.

فذهب البعض أن المقصود هو القرآن نفسه، الكتاب السماوى العظيم لرسول الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويحتمل أن يكون هذا النور هو النور الإلهى ل(الإيمان).

و لكن الأفضل أن يعود هذا الضمير إلى الإِثْنَيْنِ (القرآن و الإيمان)،فما داما ينتهيان بحقيقته واحده،لذا فلا مانع من أن يعود الضمير المفرد إليهما.

إلهى،نور قلوبنا دائما بنور إيمانك،و اهدنا بلطفك إلى الخير و السعاده.

إلهى،ترحم علينا بالصبر و التحمل حتى لا نطغى عند النعم و لا نجزع عند المصائب و الفتن.

إلهى،اجعلنا فى صفّ المؤمنين المخلصين فى ذلك اليوم الذى يكون فيه الظالمون و المستكبرون حيارى تائهين،و المؤمنون مصونين فى ظل حمايتك، آمين ربّ العالمين نهايه سوره الشورى

ص: ٥٩٢





































بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ  
الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
توسيع عام لفكرة المطالعة  
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩